

كِتَابُ

الْبُحْرَانِ

تأليف
الإمام مولانا الزَّيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنٍ
ابْنِ قُلَّةِ الْمُقَدِّمِينَ
٢٥١٠ - ٥١١

مُحَقَّقٌ وَنَسَبٌ
سَيِّدُ الْأَطْيَافِ السَّيِّدُ الْمُسْلِمِ

مَكْتَبَةُ الْمَدِينَةِ

جدة - هاتف : ٦٤٤٦٦١٤

كِتَابُ
التَّوَابِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

كِتَابُ التَّوْبَاتِ

تأليف
الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد
ابن قدامة المقدسي

٥٤١ - ٦٢٠ هـ

تحقيق وتعليق ومطب
خالد عبد اللطيف السنع المكي

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

الطبعة السادسة

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكتاب العربي

بيروت - شارع فردان - بناية بنك بيبلس - الطابق الثامن - تلفون : 861170 - 800832 - 800811
فاكس : 961-1-805478 - هـ.ب : 11-5769 بيروت - لبنان - بريد إلكتروني: academia@dm.net.lb

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شرع التوبة لعباده، وبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد المستغفرين وإمام المؤمنين، عليه صلوات الله وسلامه.

وبعد:

فهذا (كتاب التوابين)، للإمام الفقيه الزاهد موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، تقدّمه للناس في وقت أحوج ما نكون فيه إلى التوبة من الذنوب، بالرجوع والإنابة إلى الله تعالى ستار العيوب وغفار الذنوب.

وقد عرض فيه المؤلف - رحمه الله - أخبار التائبين وقصص المنيبين ممّن كانوا في مختلف العصور القديمة والحديثة، من عهد آدم عليه السلام إلى أوائل القرن السابع الهجري الذي كان فيه المؤلف.

وقد عرض فيه المؤلف لسرد الأخبار بطريقة مشوّقة، تحكيها صورة جذابة، وتشرحها جمل سهلة مألوفة، بجني القارئ منها العبرة والفائدة في لطف ويسر واشتياق.

ولا شك أن مطالعته بحرارة وشوق توقظ في الإنسان التقوى التي تحمله على التقرب من الله تعالى، بما يقوم به من إنسلاخ عن الرذائل وبعد عن أسبابها، ومن تحلّ بالفضائل والتماس أسبابها وميراتها^(١).

لكن المصنف - رحمه الله - قد أغفل عمداً - لأن ذلك خارج عن مقصده من هذا الكتاب - الكلام على التوبة وشروطها، وما ينبغي لها، ولهذا فانا أستدرك في هذه المقدمة ما أغفله - رحمه الله - ليتّم به النفع، وتعمّ به الفائدة، فأقول:

(١) من كلام الأستاذ الفاضل عبد القادر الأرناؤوط في مقدمته على الكتاب.

إن التوبة لا يَصَار إليها إلا بعد محاسبة النفس، لأنه المرء إذا حاسب نفسه عرف ما عليه من الحق، فخرج منه، وتصل منه إلى صاحبه، وهي حقيقة التوبة، فكان تقديم المحاسبة عليها لذلك أولى .

ولتأخيرها وجه - أيضاً - وهو أن المحاسبة لا تكون إلا بعد تصحيح التوبة .

والتحقيق : أن التوبة بين محاسبتين : محاسبة قبلها، تقتضي وجوبها، ومحاسبة بعدها، تقتضي حفظها .

فالتوبة محفوفة بمحاسبتين، وقد دلّ على المحاسبة قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾^(١)، فأمر سبحانه العبد أن ينظر ما قدّم لغده، وذلك يتضمن محاسبة نفسه على ذلك، والنظر : هل يصلح ما قدّمه أن يلقي الله به أو لا يصلح ؟ .

والمقصود من هذا النظر : ما يوجب ويقتضيه من كمال الاستعداد ليوم المعاد، وتقديم ما ينجي من عذاب الله، ويبيّض وجهه عند الله .

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل توزنوا، وتزبنوا للعرض الأكبر، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾^(٢) .
منزلة التوبة :

فإذا نزل العبد هذه المنزلة، منزلة محاسبة النفس، أشرف منها على مقام التوبة، لأنه بالمحاسبة قد تميّز عنده ماله مما عليه .

ومنزل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه، ونزل به .

فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك، وقد قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٣)، وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله تعالى بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علّق الفلاح بالتوبة تعليق

(١) سورة الحشر آية رقم / ١٨ .

(٢) سورة الحاقة، آية رقم / ١٨ . وانظر فيما تقدم تهذيب مدارج السالكين ١/ ١٧٥ - ١٧٦ .

(٣) سورة النور، آية رقم / ٣١ .

المسبب بسببه، وأتى بأداة (لعل) المشعرة بالترجي، إيداناً بأنكم إذا تبتُّم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١)، فقُسِم العباد إلى تائب، وظالم، وما تمَّ قِسْم ثالث البتة، وأوقع اسم: (الظالم) على مَنْ لَمْ يَتُبْ، ولا أظلم منه لجهله بربه وبحقه، ويعيب نفسه وآفات أعماله^(٢).

فاتحة التوبة:

ولما كانت التوبة هي رجوع العبد إلى الله تعالى، ومفارقته لصرراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم، ولا تحصل هدايته إلا بإعانتته وتوحيده، فقد انتظمها سورة الفاتحة أحسن انتظام، وتضمنتها أبلغ تضمين، فمن أعطى الفاتحة حفظها - علماً وشهوداً وحالاً ومعرفة - علم أنه لا تصحُّ له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النصوح.

فإن الهداية النامة إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب، ولا مع الإصرار عليها، فإن الأول جهلٌ يُنافي معرفة الهدى، والثاني غيٌّ ينافي قصده وإرادته.

فلذلك لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب، والإعتراف به، وطلب التخلص من سوء عواقبه أولاً وآخراً^(٣).

إما الاعتصام بالله، وإما الذنوب:

إن من معاني التوبة: أن ينظر العبد إلى ما كان من الخلاعه عن الاعتصام بالله حين إتيان الذنب، وأن الله تعالى منع عصمته عنه، وأن ينظر إلى ما كان من فرحه عند ظفركه بذلك الذنب، وقعوده عن تداركه، مُصِراً عليه، مع ثقته بنظر الحق سبحانه وتعالى إليه، فإن العبد لو اعتصم بالله لما خرج عن هداية الطاعة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤)، فلو كملت عصمته بالله تعالى لم يخذله أبداً، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٥)، أي: متى اعتصمتم به تولاكم، ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان، وهما العدوان اللذان لا يفارقان العبد،

(١) سورة الحجرات، آية رقم ١١/.

(٢) تهذيب مدارج السالكين ١/ ١٨٥.

(٣) تهذيب مدارج السالكين ١/ ١٨٦ - ١٨٧.

(٤) سورة آل عمران، آية رقم ١٠١/.

(٥) سورة الحج، آية رقم ٧٨/.

وعداوتهما أضُرُّ من عداوة العدو الخارجي، فالنصر على هذا العدو أهم. والعبدُ إليه أحوج.

وكمال النصر على العدو بحسب كمال الإعتصام بالله، ونقص هذا الإعتصام يؤدي إلى الإنخلاع من عصمة الله، وهو حقيقة الخذلان، فما خلَى الله تعالى بينك وبين الذنب إلا بعد أن خذلك، وخلّى بينك وبين نفسك، ولو عصمتك ووفّقك لما وجد الذنب إليك سبيلاً.

وهكذا ترجع التوبة إلى اعتصامك بالله تعالى، وعصمته لك^(١).

الغفلة عند مقارفة الذنب:

وتشتد الغفلة على مقارِف الذنب حتى يفرّح عند ظفّره بشهوته المحرمة، وهذا الفرح بالمعصية دليل على شدّة الرغبة فيها، والجهل بقُدْر من عصاه، والجهل بسوء عاقبتها وعظم خطرها، وفرّحه بها غطّى عليه ذلك كلّ، وفرّحه بها أشدّ ضرراً عليه من موافقتها.

والمؤمن لا تتم له لذة بمعصية أبداً، ولا يكمل بها فرحه، بل لا يباشرها إلا والحزن مخالط لقلبه، ولكن سُكر الشهوة يحجّبه عن الشعور به.

ومنى خلا قلبه من هذا الحزن، واشتدت غبطته وسروره، فليتهم إيمانه، وليبك على موت قلبه، فإنه لو كان حياً لأحزنه ارتكاب الذنب، وعاظه، وصعب عليه، ولا يحسُّ القلب بذلك، فحيث لم يُحسَّ به، فما لجُرح يمت إيلام.

وهذه النكته في الذنب قلّ من يهتدي إليها أو يتبّ لها، وهي موضع مخوف جدّاً، مترام إلى هلاك إن لم يتدارك بثلاثة أشياء:

- خوف من الموافاة عليه قبل التوبة.
- وندم على ما فات من الله بمخالفة أمره.
- وتشمير للعبد في استدراكه^(٢).

شروط التوبة:

وشروط التوبة ثلاثة: الندم، والإفلاع، والغرم.
فحقيقة التوبة، هي:

(١) انظر تهذيب مدارج السالكين ١/ ١٨٧.

(٢) تهذيب مدارج السالكين ١/ ١٨٨.

- الندم على ما سلف منه في الماضي .

- والإفلاع عنه في الحال .

- والعزم على أن لا يعودده في المستقبل .

والثلاثة تجتمع في التوبة الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت : يتدم، ويقلع، ويعزم

فحينئذ يرجع إلى لعبودية التي خلق لها، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة .

وهذه الشروط إذا كان الذنب والمعصية بين العبد وبين الله تعالى، وأما إن كان ذلك يتعلق بحق آدمي، فشروطها أربعة، هذه الثلاثة،

والرابع : أن يبرأ من حق صاحبه، فإن كانت مالا أو نحوه، رده إليه، وإن كان حذ قدف ونحوه ممكنه منه أو طلب عقوبه، وإن كان غيبة استحله منها^(١) .

علامات التوبة المقبولة :

وللتوبة المقبولة الصحيحة علامات :

منها : أن يكون العبد بعد التوبة خيراً مما كان عليه قبلها .

ومنها : أنه لا يزال الخوف مصاحباً له، لا يأمن مكر الله طرفه عين، فحوفه مستمر إلى أن يسمع قول رسول الموت القابض لروحه : ﴿أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٢)، فهناك يزول الخوف .

ومنها : انخلاع قلبه، وتقطعه بدماء وخوفاً، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها، وهذا تأويل ابن عُيَيْيَةَ لقوله تعالى : ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيشَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾^(٣)، قال : تقطعها بالتوبة .

ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة بوجب انصداع القلب وانخلاعه، وهذا هو تقطُّعه، وهذا حقيقة التوبة، لأنه يتقطع قلبه حسرة على ما فرط منه، وخوفاً من سوء عاقبته، فمن لم يتقطع قلبه في الدنيا على ما فرط حسرة وخوفاً، تقطع في الآخرة إذا حُقَّتْ الحقائق، وعان ثواب المطيعين، وعقاب العاصين، فلا بُدَّ من تقطع القلب إما في الدنيا، وإما في الآخرة .

(١) أنظر تهذيب مدارج السالكين ١/ ١٨٨، ورياض الصالحين ص .

(٢) سورة فصلت، آية رقم / ٣١ .

(٣) سورة التوبة، آية رقم / ١١٠ .

ومنها: كسرة خاصة تحصل للقلب. لا يُشبهها شيء، ولا تكون لغير المذنب، لا تحصل بجوع، ولا حُبٍّ مجرد، وإنما هي أمرٌ وراء هذا كله تكسرُ القلب بينَ يدي الربِّ كسرة نامة، قد أحاطت به من جميع جهاته، وألقته بينَ يدي ربِّه طريقاً ذليلاً خاشعاً. فليس شيء أحبَّ إلى الله من هذه الكسرة، والخضوع والتذليل، والإخبات، والإنطراح بين يديه، والاستسلام له^(١).

خاتمة:

فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة، فمن لم يجد ذلك في قلبه فليتهم توبته، وليرجع إلى تصحيحها، فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة، وما أسهلها باللسان والدعوى، وما عالج الصادق بشيء أشقَّ عليه من التوبة الخالصة الصادقة، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٢).

هذا ما وقَّني الله سبحانه وتعالى لكتابته في شأن التوبة، وأرجو أن أكون أحطت بالأمر من كثير من جوانبه بما يغني ويفيد، وهناك أمور أخرى كثيرة تتعلق بالتوبة يجب على الإنسان معرفتها، ليس هنا موضع ذكرها^(٣).

(١) تهذيب مدارج السالكين ١/١٩٢ - ١٩٣.

(٢) تهذيب مدارج السالكين ١/١٩٣.

(٣) انظر في ذلك تهذيب مدارج السالكين ١/١٧٥ - ٣٠٢.

الإسرائيليات

وقد ذكر المصنف في كتابه كثيراً في الروايات الإسرائيلية وقصصهم، ولا سيما في باب ذكر التوابعين من الملائكة، ومن الأنبياء، ومن الأمم السابقة. فكان لزاماً عليّ في هذه المقدمة أن أبين معنى الروايات الإسرائيلية، وحكم روايتها. فأقول مستعيناً بالله تعالى:

إن المراد بالروايات الإسرائيلية هو ما جاء عن أهل الكتاب - اليهود والنصارى - من قصص وأخبار عن الأمم الماضية السالفة، وما حدث بين أنبيائها وبينها.

ولفظ الإسرائيلية وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي، إلا أن المراد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل، فالمراد به ما يعمّ اللون اليهودي واللون النصراني معاً.

وقد أطلق العلماء على ذلك لفظ الإسرائيليات من جهة أن عيسى - عليه السلام - أرسل إلى بني إسرائيل، فالنصارى بالأصل هم من بني إسرائيل. فاطلق لفظ الإسرائيليات وعني به كل من اليهود والنصارى. والبعض قال: أن ذلك أطلق من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، لأن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره وكثر النقل عنه، وذلك لكثرة أهله وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين في مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

واليهود يعتمدون في رواياتهم على التوراة - العهد القديم - وما كان بجانبه من السنن والنصائح والشروح التي لم تؤخذ عن موسى - عليه السلام - بطريق الكتابة، وإنما تحمّلوها ونقلوها - مع كثير من الزيادات والإقتراءات - بطريق المشافهة، ثم دوّنت وعرفت باسم: التلمود. هذا إضافة إلى ما كان لديهم من كتب الأدب، والقصص، والتاريخ، والتشريع، والأساطير.

وأما النصارى فكانت رواياتهم تعتمد على الإنجيل، والأنجيل المعتمدة عند النصارى يطلق عليها وعلى ما انضم إليها من رسائل الرسل: العهد الجديد. كما كان إلى

جوار ذلك ما زاده النصارى من الفصص والأخبار والتعاليم التي زعموا أنهم تلقوها عن عيسى - عليه السلام.

وإذا نحن أجلنا النظر في التوراة والإنجيل نجد أنهما قد اشتملا على كثير مما ذكر في القرآن الكريم، وبخاصة ما كان له تعلق بقصص الأنبياء - عليهم السلام - ، وذلك على اختلاف كبير في الإجمال والتفصيل فالقرآن إذا عرض لقصة من قصص الأنبياء مثلاً، فإنه ينحو فيها ناحية يخالف بها منحى التوراة والإنجيل، فتراه يقتصر على مواضع العظة، ولا يتعرض لتفصيل جزئيات المسائل، بل يتخير من ذلك ما يمس جوهر الموضوع، وما يتعلق بموضع العبرة.

ومن هنا دخلت الروايات الإسرائيلية على المسلمين، فقد كان بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - يسألون بعض أهل الكتاب - من أصلهم طبعاً مثل كعب الأحبار، وعبد الله بن سلام وغيرهما - عن تفصيل بعض القصص، وتبيان بعض الأمور، وهذا جائز قطعاً، وهو مأخوذ من قوله - ﷺ - : **حَدِّثُوا عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ** . (متفق عليه).

غير أن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، ولم يقبلوا منهم كل شيء، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحاً للقصة، وتفصيلاً لما أجمته القرآن منها. مع توقفهم فيما يُلقى إليهم، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين، وذلك امتثالاً لقول النبي - ﷺ - : **لَا تَصْدُقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ**، وقولوا: **آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ**، **وَالْهَذَا إِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** . (رواه البخاري). كما إنهم لم يسألوهم عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام.

كذلك كان الصحابة لا يصدقون أهل الكتاب فيما يخالف الشريعة الإسلامية، أو يتنافى مع العقيدة، بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب عن شيء فأجابوا عنه خطأ ردوا عليهم خطأهم، وبينوا لهم وجه الصواب فيه.

هذا هو مبلغ رجوع الصحابة إلى أهل الكتاب وأخذهم عنهم.

أما التابعون فقد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب. فكثر على عهدهم الروايات الإسرائيلية في التفسير، ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وميل النفوس لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث بني إسرائيل.

ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات، وأفرط في الأخذ منها

إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً، ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يروى لهم، وإن كان لا يقبله الشرع، ولا يتصوره العقل.

واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات، والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة، إلى أن جاء دور تدوين للتفسير، فوجد من المفسرين من حشا كتبه بهذه القصص الإسرائيلية، الذي كاد - أي: هذا العمل، من إدخال هذه القصص على الكتب والتفاسير - أن يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها.

ولقد كانت لهذه الإسرائيليات التي أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيء في التفسير، ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة، بل زادوا على ذلك فردوا كل ما قيل لهم، إن صدقاً وإن كذباً، بل ودخل هذا النوع من التفاسير كثير من القصص الخيالي المخترع المفترى عن أهل الكتاب، مما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها أن لا يقبل شيئاً مما جاء فيها لاعتقاده أن الكل من واد واحد، ومن هذه التفاسير: تفسير الثعلبي، وتفسير الكلبي والسدي وغيرها كثير.

كما أن نسبة واقتراء بعض هذه الإسرائيليات التي لا يكاد يصح شيء منها إلى بعض من آمن من أهل الكتاب، جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الإتهام والريبة. قيمة ما يروى من الإسرائيليات:

بعد سبر الروايات الإسرائيلية، وصحة إسنادها ونسبتها إلى راويها من أهل الكتاب، ينقسم خبرهم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما يُعلم صحته، بأن نقل عن النبي - ﷺ - نقلاً صحيحاً، وذلك مثل تعيين صاحب موسى عليه السلام - بأنه الخضر، فقد جاء هذا الاسم صريحاً على لسان رسول الله - ﷺ - كما عند البخاري^(١). أو كان له شاهد من الشرع يؤيده، وهذا القسم صحيح مقبول.

الثاني: ما يعلم كذبه، بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا مما جاء في كتاب الله تعالى، أو ورد عن رسول الله - ﷺ -

الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا تؤمن به ولا تكذبه، ويجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني،

(١) كتاب التفسير، تفسير سورة الكهف، باب (٤)، حديث رقم (٤٧٢٧) ٤٢٣/٨.

ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلهم... وغير ذلك.

الخلاصة :

وخلاصة ما تقدم : أنه يجوز رواية الإسرائيليات، وذلك بعد صحة إسنادها ونسبتها إلى راويها من أهل الكتاب - لأنه قد افترى الزنادقة الكثير الكثير ونسبوه إلى أهل الكتاب - ، ثم تعرض الرواية على الشرع، فإن كان في الشرع ما يوافقها علم صدقها، وإن كان في الشرع ما يخالفها علم كذبها، وإن لم يوجد فيه ما يوافقها أو ما ينفيها، تَوَقَّف فيها، ولا يُحكم لا بصدقها ولا بكذبها، ويجوز روايتها مع ذلك. والله تعالى أعلم.

ذكر بعض من اشتهر برواية الإسرائيليات :

- منهم الصحابي الجليل : أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث، أسلم عند قدوم النبي - ﷺ - المدينة، وشهد مع عمر - رضي الله عنه - فتح بيت المقدس والجاية، ووقف إلى جانب عثمان وقت الفتنة. وكان رضي الله عنه واسع العلم، وليس ذلك بالمعجب، فقد اجتمع لديه علم التوراة وعلم القرآن.

- أبو إسحاق كعب بن مائع الحميري، المعروف بكعب الأحبار، وأصله من يهود اليمن، ويقال : أنه أدرك الجاهلية، وأسلم في خلافة أبي بكر، وقيل : في خلافة عمر. وبعد إسلامه انتقل إلى المدينة، وغزا الروم في خلافة عمر، ثم تحول في خلافة عثمان إلى الشام فكنها إلى أن مات بحمص سنة (٣٢) هـ. على أرجح الأقوال، وقد بلغ مائة وأربعين سنة.

روى عن رسول الله - ﷺ - مرسلأ، وعن عمر، وصهيب، وعائشة؛ وروى عنه معاوية، وأبو هريرة، وابن عباس، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم كثير.

وكان كعب بن مائع على مبلغ عظيم من العلم، ولهذا كان يقال له : كعب الجبر، وكعب الأحبار، ولقد نقل عنه في التفسير وغيره ما يدل على علمه الواسع بالديانة اليهودية وبالإسلام، قال ابن سعد : ذكر أبو الدرداء كعباً فقال : إن عند ابن الحميري لعلماً كثيراً.

- وهب بن منبه بن سيج بن ذكتار، أبو عبد الله اليماني الصنعائي، من خيار علماء التابعين، ولد سنة (٣٤) هـ، في خلافة عثمان، ومات سنة (١١٠) هـ، وقيل غير ذلك.

روى عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجابر، وأنس، وغيرهم. وروى عنه ابنه : عبد الله وعبد الرحمن، وعمر بن دينار وغيرهم كثير.

وكان رحمه الله واسع العلم، كثير الإطلاع على الكتب القديمة، محيطاً بأخبار كثيرة وقصص تتعلق بأخبار الأول ومبدأ العالم. وكان يقول: يقولون عبد الله بن سلام أعلم أهل زمانه، وكعب أعلم أهل زمانه، أفرأيت من جمع علمهما؟ يعني نفسه.

- عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو خالد أو أبو الوليد، أصله رومي نصراني، كان من علماء مكة ومحدثيهم، وهو من أول من صنف الكتب بالحجاز، وهو قطب الإسرائيليات في عهد التابعين.

روى عن أبيه، وعطاء بن أبي رباح، وزيد بن أسلم، والزهري وغيرهم. وروى عنه ابنه: عبد العزيز ومحمد، والأوزاعي، والليث بن سعد، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وحمام بن زيد وغيرهم كثير. قال ابن سعد: ولد سنة (٨٠) هـ، وأماوفاته فمختلف فيها، فمنهم من قال سنة (١٥٠) هـ، ومنهم من قال سنة (١٥٩) هـ وقبل غير ذلك.

نقلًا وباختصار شديد. وتصرف كبير عن كتاب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ص ١٦٥ - ٢٠١، وانظر تفسير ابن كثير ٤/١، والبداية والنهاية ١٢١/٢ - ١٢٣. وفتح الباري ٤٩٨/٦ - ٤٩٩.

ترجمة وحياة المؤلف

وتتضمن الأمور التالية :

- العصر والبيئة التي عاش فيهما .
- نسبه .
- أسرته .
- مولده ونشأته .
- طلبه للعلم وعمله .
- مذهبه .
- جهاده .
- صفاته وخُلقه .
- أقوال العلماء فيه .
- آثاره .
- وفاته .

المصر والبيئة التي عاش فيها موفق الدين ابن قدامة

عاش موفق الدين - رحمه الله - في الفترة ما بين (٥٤١ - ٦٢٠) هـ، وهذه الفترة تولى الخلافة فيها من بني العباس :

- المقتضي بالله أبو عبد الله محمد المستظهر بالله الذي تولى الخلافة عام (٥٣٠) هـ، وتوفي عام (٥٥٥) هـ.

- ثم خلفه ابنه المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن محمد المقتضي بالله، الذي تولى الخلافة بعد والده عام (٥٥٥) هـ حتى عام (٥٦٦) هـ.

- ثم خلفه ابنه المستضيء بالله أبي محمد الحسن بن يوسف المستنجد بالله، الذي تولى الخلافة من عام (٥٦٦) هـ حتى عام (٥٧٥) هـ.

- وبعد المستضيء بالله تولى الخلافة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء الذي تسلم أمر الخلافة عام (٥٧٥) هـ حتى عام (٦٢٢) هـ.

وهذه الفترة مليئة بالأحداث والتقلبات السياسية، وتطور الأمور مما له أثر بالغ في الحياة الاجتماعية والعلمية والاقتصادية، ففي هذه الفترة انتهت دولة الفاطميين في مصر التي بدأت بتولي المعز لدين الله الفاطمي في عام (٣٥٩) هـ، وانتهت بوفاة العاضد عبد الله بن يوسف الحافظ أبو محمد عام (٥٦٧) هـ، ومدتها (٢٠٨) سنة. وفي نهاية الدولة الفاطمية كان موفق قد بلغ من العمر ستة وعشرين عاماً، وهي سن الشباب والحيوية والإدراك والتأثر بالأحداث عند الرجل.

كذلك شهد موفق آخر الحروب الصليبية في عهد صلاح الدين الذي كسر شوكة الصليبيين في (حطين) وحرر القدس من أيديهم في رجب عام (٥٨٣) هـ، بعد سيطرتهم عليها (٩٢) سنة.

وكانت هذه الفترة من الزمن كلها أحداث وغزوات وغارات وتناحر بين الأمراء على البلاد الإسلامية، إذ الخلافة العباسية في نهاية أمرها تحتضر. ولم تنته بعد من بغداد على أيدي التتار.

وكان في كل إقليم بل في كل مدينة أمير متسلط، ولكن قد يتخلل هذا قوة في بعض الأحيان من بعض الخلفاء أو الأمراء، كما كان من صلاح الدين، وغيره كإبن هبيرة العالم الورع الزاهد المشهور بالعدل، وقد كان وزيراً (٥٤٤ - ٥٦٠) هـ للمقتفي ثم لابنه المستجد. وكان المقتفي يثني عليه ويقول: ما وزر لبني العباس مثله.

والموفق رحمه الله قدم بغداد سنة (٥٦١) هـ لطلب العلم بعد وفاة إبن هبيرة سنة، والناس يتحدثون بمآثره وعلمه وفضله، وإبن قدامة وقتها في ريعان الشباب له عشرون سنة، يدفعه مثل هذا لمضاعفة الطلب والجهد في التحصيل.

فكل هذه المشاكل في العالم الإسلامي من سقوط دول وقيام أخرى، ومن نصر على يد صلاح الدين وأمثاله، أو ما حاق بالمسلمين على أيدي الصليبيين، كان لها أثرها وصداها في نفسه رحمه الله.

هذا من الناحية السياسية، أما من الناحية العلمية فقد عاش رحمه الله في فترة من أفضل الفترات التي غنت بالعلماء الأجلاء لا في الشام وحده بل في العالم الإسلامي كله. فإذا نظرت في صفحات كتب التراجم والسير في الفترة التي عاشها الموفق (٥٤١ - ٦٢٠) هـ. تجد الكثير من علماء المسلمين ومجتهداتهم قد عاشوا في هذه الفترة.

وقد قضى الموفق معظم حياته - رحمه الله - في دمشق العاصمة الإسلامية لبني أمية، التي كانت مليئة بالعلم والعناء، وبأهل التقى والصلاح.

وكل هذا من الواقع السياسي والحالة العلمية كان له أثره في حياة شخصية موفق الدين إبن قدامة رحمه الله تعالى.

المؤلف

نسيه: (١)

هو شيخ الإسلام الإمام الفقيه الزاهد موفق الدين، أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر بن عبد الله بن حذيفة بن محمد بن يعقوب بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، العدوي القرشي نسباً، الجُماعلي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي موطناً.

فهو منحدر من سلالة الخليفة الراشد الفاتح العادل الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، ثم من ذرية أشهر أولاده الصحابي العالم الجليل عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - ، ثم من ذرية أشرف أولاده سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رحمه الله تعالى - أحد الفقهاء النبعة، الذي كان يُشبه بأبيه في الهدى والسمت.

- أسرته:

خرج موفق الدين من أسرة كريمة مشهورة بالعلم والفضل والتقوى والصلاح.

فوالده أحمد بن محمد بن قدامة - رحمه الله تعالى - (٤٩١ هـ - ٥٥٨ هـ) هو من العلماء الصالحين، العباد، الزهاد، الفضلاء، وهو خطيب جماعيل قبل هجرته عنها. وهو عميد الأسرة في حياته، وهو نذّي درس أولاده الحديث وغيره من العلوم منذ نعومة أظفارهم.

(١) أنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٥٨ - ١٦٠، مرآة الجنان لسبط ابن الجوزي ٦٦/ ٩ - ٦٧، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١٣٣/ ٢ - ١٣٤، البداية والنهاية لابن كثير ٩٩/ ١٣ - ١٠٠، شذرات الذهب لابن العماد ٨٨/ ٥ - ٩٢، فوات الوفيات لابن شاکر الكنتي ٢٠٣/ ١ - ٢٠٤، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٦/ ٢٥٦، مرآة الجنان للياقني ٤/ ٤٧ - ٤٨، هدية العارفين للبغدادي ١/ ٤٥٩ - ٤٦٠، مقدّمه المصنف لابن قدامة لعبد القادر بدران ص ٣ - ٣٥ ومعجم المؤلفين ٣٠/ ٦.

وأخوه أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة - وهو الذي تولّى تربية الموفق ورعاه في صغره، وكان الموفق يدعو له ويثني عليه - . وشهرة أبي عمر لا تقلّ عن شهرة موفق الدين، فهو من العلماء الأجلاء، الزهاد الورعين، ومن أكثر العلماء إحياءاً للسنّة وإماتة للبدع.

فمن هذه الأسرة الكريمة العريقة في العلم والمجد خرج الشيخ موفق الدين أبو محمد.

ومن علماء هذه الأسرة.

- أبو الحسين أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، ابن أخي الموفق، وقد جمع الله له حسن الخلق والخلق والدين والأمانة والمروءة.

- وابنه، أحمد بن أحمد بن عبيد الله، العالم الفاضل، سمع من الموفق - وهو جدّه لأمه، وعمّ أبيه.

- ومنهم: العالم الجليل أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة صاحب الشرح الكبير، ولي القضاء مدة لا يأخذ شيئاً.

- ومنهم: عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد (أبو عمر)، وهو عالم فاضل.

- ومنهم: ابن الموفق عيسى بن عبد الله بن أحمد، عالم جليل ورع.

- ومنهم: ابن ابنه أحمد بن عيسى بن عبد الله، وله يد في العلم والفضل كسلفه.

- ومن هذه الأسرة الكريمة ابن خالة الموفق عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي - الإمام المعروف - ، وهو زميل الموفق، وكانت ولادتهما في سنة واحدة ليس بينهما سوى أشهر.

- مولده ونشأته :

ولد الإمام موفق الدين في شعبان سنة (٥٤١) هـ، ببلدة جماعيل - وهي بلدة من أعمال نابلس قرب بيت المقدس من أرض فلسطين المقدسة - ، وكان الصليبيون في ذلك الوقت قد استولوا على بيت المقدس وما حوله من البقاع، فهاجر والد أبو العباس أحمد بن محمد بن قدامة بأسرته إلى دمشق مع ابنه: أبي عمر، وموفق الدين عبد الله، وابن خالتهما عبد الغني حوالي سنة (٥٥١) هـ. فنزلوا في مسجد أبي صالح بدمشق ظاهر الباب الشرقي، فأقاموا فيه مدة سنتين، ونسبوا إليه فليل لهم: الصالحيون.

ثم انتقلوا إلى جبل قاسيون في صالحيّة دمشق، حيث استقرت أسرهم هناك.

- طلبه العلم وعمله :

عندما استقرت أسرة أبي العباس أحمد بن محمد بن قدامة في سفح جبل قاسيون بدأ موفق الدين بالتعلم، فحفظ القرآن، واشتغل في طلب العلم، وتلقى مبادئ علومه على أبيه، ثم تتلمذ على يد أبي المكارم بن هلال وغيره من شيوخ دمشق وعلمائها، وحفظ (مختصر الخرقى) في الفقه الحنبلي، وغيره من الكتب.

وما زال منهمكاً في طلب العلم ودرسه حتى بلغ العشرين من عمره، فرحل إلى بغداد بصحبة ابن خالته عبد الغني، سنة (٥٦١) هـ، فأقام في بداية أمره عند الشيخ عبد القادر الجيلاني - رحمه الله - بعد درسته مدة يسيرة، وكان الشيخ في التسعين من عمره، فقرأ عليه (مختصر الخرقى) قراءة فهم وتدقيق - لأنه كان قد حفظه في دمشق - .

ثم توفي الشيخ، فدرس على عدد من المشايخ في بغداد، أشهرهم أبو الفتح ابن المني - وكان إمام عصره في مذهب الحنابلة - ، وسمع فيها - أيضاً - من هبة الله الدقاق وغيره.

وبقي في بغداد أربع سنوات، ثم عاد إلى دمشق عن طريق الموصل، فأخذ عن خطيبها أبي الفضل، وأقام في أهله مدة.

ثم حج عام (٥٧٤) هـ، وأخذ عن شيخ الحنابلة في مكة الحافظ المحدث أبي محمد المبارك بن علي الطباخي البغدادي.

ثم عاد إلى بغداد، ولازم ابن المني مرة أخرى، وقرأ على عدد من المشايخ لمدة عام، ثم رجع إلى دمشق، فاشتغل بالتعليم والتأليف، وسرع في ذلك، فألف (المغني شرح مختصر الخرقى) في الفقه، وهو كتاب غاية في الإتقان والإحكام والضبط، وهو من أعظم الكتب المؤلفة في الفقه الإسلامي عامة، وفي فقه مذهب الإمام أحمد خاصة. حتى قال سلطان العلماء العزّين عبد السلام فيه: لم تطب لي الفتيا حتى كانت عندي نسخة من (المغني).

وقد عني بالتدريس إلى جانب التأليف، فكان طلبه العلم يتلقون عليه الدروس في الحديث والفقه وغير ذلك من العلوم، وقد تفقه عليه خلق كثير، منهم ابن أخيه شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد، والعماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي، وهو ابن خالة موفق، أخي الحافظ عبد الغني، وغيرهم كثير.

- مذهبه :

موفق الدين عبد الله من أبرز علماء الحنابلة، وقد سلك هذا المذهب عن علم

ودراية، فهو من المجتهدين، ولكنه في جملة آرائه حنبلي المذهب، ويخالف المذهب في بعض المسائل، ويستقل فيها برأيه، ويدلل على ذلك.

ويحتل الموفق - رحمه الله تعالى - مكانة بارزة بين فقهاء الحنابلة، فهو ضليع في المذهب الحنبلي، وقد حفظ مسائل الخرق في صغيره، واطلع على الكثير من كتب المذهب، حتى قيل: إنه حامل لواء مذهب الحنابلة في عصره.

وقد تقدّم به علمه حتى بلغ رتبة الاجتهاد، وصار علماً من أعلام الإسلام، فأراؤه وكتبه مقدّمة عند الحنابلة الذين جاؤوا بعده.

- جهاده :

ولم يكن الإمام موفق الدين ابن قدامة من العلماء الأبرار فقط، بل كان من المجاهدين الأخيار كذلك، فقد جاهد بالسيف والسنان كما جاهد بالقلم واللسان في حروب الصليبيين، تحت إمرة القائد المناضل الناصر صلاح الدين الأيوبي، الذي جند المسلمين سنة (٥٨٣ هـ)، لجهاد الصليبيين ودحرهم وقمعهم، ولتطهير الأرض المقدسة من رجسهم وذنسهم؛ فقد شارك هو وأخوه أبو عمر وكثير من تلاميذهما وبعض أفراد إيسرتهما في هذه المعارك تحت ألوية صلاح الدين المظفّرة، وكان لهما ولتلاميذهما خيمة يتنقلون بها مع المجاهدين في سبيل الله حيثما حلّوا.

وهكذا علماء الإسلام في الذروة في العلم والعمل والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسوة بأصحاب رسول الله - ﷺ -، فرحمة الله ومغفرته على أعلام الإسلام، وهداة الأنام، وفقّ الله تعالى علماء زماننا إلى الاقتداء بهؤلاء البررة الأطهار لنعود إلى مجدنا الغابر.

- صفاته وخلقه :

كان رحمه الله تعالى قوي الشخصية، متميز التفكير، نافذ البصيرة، سليم العقيدة، حسن الإتياع، شديد التمسك بالسنة، قوي على أهل الباطن، رحيم بأهل الحق، لا يجامل ولا يخضع لغير سلطان الحق والعلم، مع أدب رفيع، وفهم دقيق، وذوق سليم. وكان رحمه الله ورعاً زاهداً، كثير الحياء، عزوفاً عن الدنيا وأهلها، هيناً، ليناً، متواضعاً، محباً للمساكين. حسن الأخلاق، جواداً سخياً.

وكان كثير العبادة، غزير الفضل، ثابت الذهن، شديد الثبوت في علمه، دائم السكون، قليل الكلام، كثير العمل، يتأسس الإنسان برؤيته قبل كلامه، رحمه الله تعالى.

- بعض أقوال العلماء فيه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عنه : ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الموفق .
وقال عنه شيخه ابن المني عند خروجه من بغداد : اسكن هنا فإن بغداد مفتقرة إليك ، وأنت تخرج من بغداد ولا تخلف فيها مثلك .
وقال ابن الصلاح : ما رأيت مثل الموفق .
وقال سبط ابن الجوزي : من رأى الموفق فكأنما رأى بعض الصحابة ، وكان النور يخرج من وجهه .
ولجلالة قدره قد ألف الحافظ ضياء الدين عبد الغني المقدسي كتاباً في سيرته .
وكذلك الحافظ الذهبي .
- آثاره :

خلف ابن قدامة رحمه الله ثروة علمية ضخمة ، كان لها ورثها في العلوم الإسلامية ، ومن هذه الكتب :

- ١ - المغني شرح مسائل الخرقى ، وهو أوفى شرح لمسائل الخرقى . وعلى مسائل الخرقى أكثر من ثلاثمائة شرح ، أوفاهها المغني لابن قدامة رحمه الله ، وهو مطبوع متداول بين كثير من العلماء ، وهو قاموس في الفقه .
- ٢ - الكافي ، وهو فقه سنة مختصر مركز ، ذكر فيه من الأدلة ما يتوصل الطلبة به للعمل بالدليل .
- ٣ - المقنع ، وهو في المذهب ، مجرد من الدليل ، يذكر فيه بعض الروايات المعتمدة .
- ٤ - العمدة في الفقه ، وهو للمبتدئين ، يذكر فيه الدليل من الكتاب والسنة ، لا يستغني عنه المبتدئ ، لسهولة عبارته ، وذكر الأدلة فيه .
- ٥ - مختصر الهداية لأبي الخطاب . وأبو الخطاب شيخ شيخه عبد القادر الجيلاني .
- ٦ - روضة الناظر في أصول الفقه .
- ٧ - مختصر علل الحديث لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال .
- ٨ - مختصر في غريب الحديث .
- ٩ - قنعة الأريب في الغريب .
- ١٠ - البرهان في مسألة القرآن .

- ١١ - مسألة العلو (جزآن) .
- ١٢ - كتاب التوابين - وهو كتابنا هذا - .
- ١٣ - كتاب القدر (جزآن) .
- ١٤ - فضائل الصحابة .
- ١٥ - المتحابين في الله (جزآن) .
- ١٦ - كتاب الرقة والبكاء (جزآن) .
- ١٧ - اليقين في نسب الفرشيين .
- ١٨ - الإستبصار في سبب الأنصار .
- ١٩ - نعمة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد .
- ٢٠ - ذم التأويل .
- ٢١ - مقدمة في الفرائض .
- ٢٢ - مناسك الحج .
- ٢٣ - ذم الموسوسين .
- ٢٤ - صفة الفلق .
- ٢٥ - فضائل العشر .
- ٢٦ - مجموعة فتاوى .
- ٢٧ - مشيخة شيوخه .

وله - رحمه الله - إلى ذلك بعض الرسائل ، منها :

- ٢٨ - رسالة إلى الشيخ فخر الدين ابن تيمية في تخليد أهل البدع في النار .
- ٢٩ - جواب مسألة وردت من (صرخد) في القرآن .
- ٣٠ - مسألة في تحريم النظر في كتب أهل الكلام .

- وفاته :

توفي موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة - رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته - يوم السبت ، يوم عيد الفطر ، سنة (٦٢١) هـ ، ودفن في سفح جبل قاسيون في صالحة دمشق ، فوق جامع الحنابلة^(١) .

(١) قد ألفت في هذه الترجمة من ترجمة الأستاذ عبد القادر الأرنؤوط للموفق ومن ترجمة الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد له ، في كتبه ابن قدامة وإثارة الأصولية .

أصل التحقيق

لقد اعتمدت في تحقيقي لهذا الكتاب على نسخة مطبوعة بتحقيق الأستاذ الفاضل عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله .

وكان قد اعتمد في نسخته على مخطوطتين، ومطبوعة. وقد قارن بينها، وضبط النص ضبطاً جيداً، إلا أنه اعتمد أصلاً له مخطوطة رمز لها بـ (أ)، فإن كان هناك خلافاً بين النسخ، اعتمد الأصل (أ) وأثبتته، ونوّه في الهامش لما في المخطوطة (ب) والمطبوعة الأخرى.

وكت كثيرًا ما أجد أن الصواب إنما هو ما في المخطوطة (ب) والمطبوعة. فأثبتته وأنوّه إلى ذلك، من ذلك ما جاء في باب ذكر التوابين من ملوك الأمم الماضية، توبة ملك من الملوك، حيث جاء فيها: ثنا جوير بن أسماء. وقال الأستاذ عبد القادر في الهامش: «في (ب) والمطبوعة: جويرة». قلت: وجويرة هو الصواب، كما بيّنته في موضعه، وهناك أخطاء أخرى في الأصول الثلاثة قد نوّهت إليها في موضعها.

وقد قام الأستاذ عبد القادر حفظه الله بوضع عناوين للقصص، وشرح بعض الكلمات الغريبة، وعلّق على بعض القصص التي لا تتفق وما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ - . وقد استفدت من ذلك.

قلت: وقد استدركت بعض العناوين على الأستاذ عبد القادر، وغيّرت في بعضها لتكون أكثر تعبيراً عما في القصة.

وهذه صور وريقات من المخطوطتان التي اعتمد عنهما الأستاذ الفاضل عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى .

يَسْمَى قَالَ فَمَنْ مَعَهُ سَنَى فِي حَائِي سُدَادٍ فَلَمْ يَحْذَرْ سَلَمَهُ لِي كَيْ يَخْلُصَ
وَالْتَفَتَ فَوَلَّى سَلَامًا دَكَارًا يَسْمَى رَأَى النَّاسَ عَلَيْهِ حُلُوٌّ عَظِيمٌ يَصْرِفُهُمْ
الَّذِي أَفْكَرَ لَهُ النَّصْرَانِي مَا لَمْ يَرِ أَنْ يَشْكُو إِلَى نَصْرَانٍ خَلَّاهُ بِكَ مَدْرَهُ
الْيَوْمَ قَسَمَ فَقَالَ النَّصْرَانِي عِنْدَ ذَلِكَ كَيْدُهُ عَلَيْهِ أَنَا أَعْرِفُ وَأَنَا
أَعْلَمُ امْضِ إِلَى الشُّوْبِ ابْنِي رَطِلَ حَبْرٍ وَرَطِلَ شَوَاهِ وَرَطِلَ حُلُوٌّ أَفْكَرَ النَّصْرَانِي
عِنْدَ الْعِلْمَةِ بَارِعَتِي رَجُلًا مَعًا يَا عِلْمُ ابْنِي بَارِعَتِي مَعَكَ ذَلِكَ فَإِي
الْعِلْمُ يَدُ الْفَسَلَةِ النَّصْرَانِي إِلَى الْعَقِيرِ وَقَالَ خُذْهُ لِي مِنْ ذِكْرٍ فَاحْذَرُ
مَعَهُ الْكَمَالَ وَمَضَى مَعَهُ إِلَى الدُّوْبَةِ وَقَامَ النَّصْرَانِي عِنْدَ مَدْرِهِ
إِلَى الدُّوْبَةِ وَقَفَّ جَارِحَاتُهَا خَلْفَ طَائِفٍ حَتَّى دَخَلَ النَّصْرَانِي مَوْضِعَ
الْأَشْجَةِ وَاجْتَمَعَ الشَّيْخُ وَالْقَمَرُ أَوْ قَدْ مَوَّاهُ الطَّعَامُ فَاسْتَكْشَفَ الشَّيْخُ عَنْ
الْقَمَرِ وَقَالَ يَا قَمَرُ مَا بَقِصَتْ هَذَا الطَّعَامُ فَحَكِي لِي الْقِصَّةَ بِكَلَامٍ
مَعَالٍ الشَّيْخُ انْزِعْ زَنْ بَرِّكَ أَنْ يَأْكُلُوا الطَّعَامَ نَصْرَانِي وَحَكْمُكُمْ بِهِ دُونَ كَلَامِهِ
الْقَمَرُ وَأَمَّا كَلَامُهُ قَالَ تَدْعُو اللَّهَ لَمْ تَحْبَلْ أَكُلْ طَعَامَهُ مِنَ النَّارِ
فَلَمْ يَسْمَعْ فَلَمَّا رَأَى النَّصْرَانِي أَسْكَاهُمْ مِنْ الطَّعَامِ مَعَ جَاهِهِمْ
فَمَا كَانَ الشَّيْخُ يَزِيدُ عَلَيْهِمْ مِنْ طَعَامٍ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ

عملي في التحقيق

لقد بذلت جهدي في أن تخرج هذه الطبعة لهذا الكتاب بحلّة جديدة، ترضي قارئنا العزيز، ولذلك قمت بالخطوات التالية :

- صححت الأخطاء المطبعية والعلمية الموجودة في المطبوعة، وهي قليلة.
 - عزوت الآيات إلى السورة التي هي منها، وذكرت رقمها في هذه السورة.
 - خرجت الأحاديث تخريجاً - أمل أن يكون دقيقاً - ، وبَيَّنْتُ صحيحها من سقيمها.
- قدر الطاقة .

- ذكرت بعض الفوائد المستنبطة من الأحاديث الواردة، ليكون النفع أعمّ وأشمل.
- بيّنت صحة أو ضعف أسانيد القصص والروايات التي ذكرها المصنف، ما كان إلى ذلك سبيلاً، لا سيما القصص التي يتعلّق بها أمر مهمّ، كالقصص التي تذكر توبة الأنبياء، وتوبة الصحابة، وتوبة بعض الفضلاء.

- نفّضت وعلّقت على ما جاء في بعض القصص من مخالفة لما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ - ، ولا سيما فيما يتعلّق بأخبار توبة الملائكة وتوبة الأنبياء.

- ضبطت الأنساب بالشكل في النص، ثم ذكرت ضبطها كتابة في الهامش، وبَيَّنْتُ أصل هذا النسب، وإلى ماذا يُنسب. وقد تكرّرت بعض الأنساب كثيراً، فاكتفيت بضبطها كتابة أوّل مرة، وضبطتها بالشكل في كل انكتاب.

- شرحت الكلمات الغريبة الواردة في النصوص، وضبطت بالشكل، ما كان منها بحاجة إلى ذلك.

- ترجمت للأعلام المذكورين، ولا سيما لمن تتعلّق القصة به، ما كان إلى ذلك سبيلاً، إذ أنّ هنالك من لم أعثر له على ذكر البتّة.

- قدّمت للكتاب بذكر شيء عن التوبة وما يتعلّق بها من الأحكام، لتتم بذلك الفائدة ويعمّ النفع، لأن المصنّف أغفل هذا الأمر - والظاهر أن ذلك عمداً - لأنه يخرجّه عن مقصوده من هذا الكتاب، الذي جعله لسرد قصص التوابين لا غير.

- ذكرت نبذة عن الروايات الإسرائيلية، وحكم روايتها، وقيمتها، وذلك لأن المصنف أكثر في ذكر مثل هذه الروايات في كتابه، وقد أشرت إلى هذه الروايات في الكتاب.

- ترجمة لمؤلف الكتاب موفق الدين ابن قدامة ترجمة موجزة، يستبين القارئ منها معالم حياته الشخصية والعلمية.

هذا وما كان في صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان.
واسأل الباري - عز وجل - أن يجنبنا الشطط، وأن يهدينا للأقوم، وأن يسدّد خطانا على الصراط المستقيم.

كما أسأله تعالى أن يجعل عملي هذا في ميزان حسنتي يوم القيامة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خالد عبد اللطيف السبع العلمي
طرابلس - لبنان

كِتَابُ
التَّوْبَةِ

تأليف
الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد
ابن قدامة المقدسي
٥٤١ - ٦٢٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

قال الشيخ الامام العالم الأوحّد، الصدر الكبير، شيخ الإسلام موفق الدين، أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، رضي الله عنه:

الحمد لله الكريم الوهاب، الرحيم التواب، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، يحبّ التوابين والمتطهرين، ويغفر للمنيبين والمستغفرين، ويقبل عشرات العائرين، ويقبل اعتذار المعتذرين، فله الحمد كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لكريم وجهه، وعزّ جلاله.

وصلى الله على نبيه وصفيه محمد خاتم الأنبياء، وسيد الأصفياء، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

هذا كتاب، ذكرت فيه بعض أخبار التوابين، تشويقاً إلى أخبارهم، وترغيباً في أحوالهم، والإقتداء بهم.

بدأت فيه بذكر توبة الملائكة، ثم الأنبياء عليهم السلام، ثم ملوك الأمم الخالية، ثم الأمم، ثم الأحاد منهم، ثم أصحاب نبينا عليه الصلاة والسلام، ثم ملوك هذه الأمة، ثم سائرهم.

ونسأل الله تعالى أن يقبل توبتنا، ويغفر حوثتنا^(١)، ويسدّد ألسنتنا، ويسأل سخيمة قلوبنا^(٢).

(١) قال محمد بن أبي بكر الرازي في مختار الصحاح ص ٢٢: «الْحُوثُ: بالضم، والحاب: الإثم وقد حاب بكذا، أي: أثم... وخوثة: أيضاً - بفتح الحاء ٢٢هـ.

ويطلق الحوب أيضاً على الذنب - وهو الذي استوجب الإثم -، ولهذا قال الرمخشري في أمارات البلاغة ص ٩٨: «ما يَأْتُم الرجل إن لم يَرُاعه» أ.هـ.

ومنه قوله تعالى في سورة النساء، آية رقم (٢)، عن أكل أموال اليتامى: «إِنَّهُ كَانَ حَوِيّاً كَبِيراً» أي: ذليلاً كبيراً، وإثماً عظيماً.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٤١١: «السَخِيمَةُ: السواد، والأسخَم: الأسود، والسُخَام: بالضم - : سواد القدر، وسَخِمَ الله وجهه تسخيماً، أي: سَوَّده» أ.هـ.

وقال في أساس البلاغة ص ٢٠٥: «سَخِمْتُ سَخِيمَةً بِاللَّطْفِ وَالتَّرَفِّي، وَفِي قُلُوبِهِمْ سَخَائِمٌ ٢٢هـ. والمقصود هنا: هو سؤال الله تعالى أن يُسَلِّ - أي يَرُدَّ - سواد قلوبنا، أي: ما فيه من الحقد والحسد والضغينة وما إلى ذلك عن قلوبنا.

ذكر التّوَّابين من الملائكة عليهم السلام

١ - [قصة هاروت وماروت]^(١)

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النّور - رحمه الله - ، أنبا الأمين أبو طالب عبد القادر بن محمد اليوسفي^(٢) ، أنبا ابن المسذهب، أنبا أبو بكر القطيعي^(٣) ، ثنا

(١) ذكر المصنف في هذا الباب قصة هاروت وماروت . وقبل الدخول في هذه القصة وما فيه ، يجب أن نعلم أن حاصل هذه القصة راجع في تفصيله إلى أخبار بني إسرائيل . إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/ ١٤٦ . وقد روي قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين ، كمجاهد السّدي ، والحسن المصري ، وفائدة ، وأبي العاتية ، والزهري ، والربيع بن أنس ، ومقاتل بن حيان وغيرهم .

وقصّها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين .

وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل . إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى .

وظاهر سياق القرآن إجمال القصة ، من غير بسط ولا إطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى .

والله أعلم بحقيقة الحال . أهـ .

وأما قصتهم كما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز في سورة البقرة ، آية رقم / ١٠٢ ، حيث قال عن بعض أهل الكتاب : ﴿وَأْتَمِعُوا مَا تُلَوِّا الشَّيَاطِينَ عَلَى مَلِكٍ سُلَيْمَانَ ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ، وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ وَهَارُوتَ وَمَارُوتَ . وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ . فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ، وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ . . . الآية﴾

فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى ، من غير زيادة ولا نقصان .

(٢) اليوسفي : بصمّ الياء ، وسكون الواو ، وضّمّ الميم المهملة ، وبعدها فاء . وهذه النسبة إلى أبي يوسف الإسفراييني . خازن دار العلم ببغداد ، كذا في الباب في تهذيب الأنساب ٣/ ٤٢٠ .

(٣) القطيعي : بفتح القاف ، وكسر الطاء ، وسكون الياء ، وبعدها عين مهملة .

هذه النسبة إلى القطيعة ، وهو اسم لعدة محالّ بعدد .

منها : قطيعة الربيع مولى المنصور ، نسبت إليه لأن المنصور أقطعه إياها . . .

ومنها : قطيعة الدقيق ، نسب إليها أبو بكر أحمد بن حفص بن مالك القطيعي - قنت : وهو الرواي -

عبد الله بن أحمد، ثنا أبي^(١) رحمه الله، ثنا يحيى ابن أبي بكير، ثنا زهير بن محمد، عن موسى بن جبير، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، أنه سمع نبي ﷺ يقول: «إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَهْبَطَهُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: أَيُّ رَبَّنَا. ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟ قَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾»^(٢).
قالوا: رَبَّنَا! نحن أطوع لك من بني آدم.

قال الله تعالى للملائكة:

هَلُمُّوا مَلَائِكِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، حَتَّى نَهْطَهُمَا إِلَى الْأَرْضِ، فَتَنْظُرُوا^(٣) كيف يعملان.
قالوا: رَبَّنَا! هاروت وماروت.

فَأَهْبَطَا إِلَى الْأَرْضِ، وَتَثَلَّتْ لَهُمَا الزُّهْرَةُ امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ، فَجَاءَتْهُمَا، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا. قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ! حَتَّى تَتَكَلَّمَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنَ الْإِشْرَاقِ.
فَقَالَا: لَا وَاللَّهِ! لَا نَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا.

فَذَهَبَتْ عَنْهُمَا، ثُمَّ رَجَعَتْ بِصَبِيٍّ تَحْمِلُهُ، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا. فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ! حَتَّى تَقْتُلَا هَذَا الصَّبِيَّ. فَقَالَا: لَا وَاللَّهِ! لَا نَقْتُلُهُ أَبَدًا.

فَذَهَبَتْ، ثُمَّ رَجَعَتْ بِخَمْرٍ خَمَّرَ تَحْمِلُهُ، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا. فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ! حَتَّى تَشْرَبَا هَذَا الْخَمْرَ، فَشَرِبَا حَتَّى سَكَرَا. فَوْقَمَا عَلَيْهَا، وَقَتْلَا الصَّبِيَّ. فَلَمَّا أَفَاقَا، قَالَتْ الْمَرْأَةُ: وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُمَا شَيْئًا مِمَّا أُبَيْتُمَا إِلَّا فَعَلْتُمَا حِينَ سَكَرْتُمَا، فَخُيِّرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَاخْتَارَا - عَذَابِ الدُّنْيَا^(٤).

= هنا -، يروي عن إسحاق، وإبراهيم الحريميين، وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهم.
روى عنه الحاكم أبو عبد الله، وأبو نعيم الحافظ وغيرهما، وكان مكشراً، مات في ذي الحجة، سنة ثمان وستين وثلاثمائة...

كذا في الباب في تهذيب الأنساب ٤٨/٣.

(١) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي، تولى بغداد، أبو عبد الله، أحد الأئمة الكبار، صاحب المذهب، ثقة حافظ فقيه حجة، ولد سنة (١٦٤ هـ) وتوفي سنة (٢٤١ هـ)، وله سبع وسبعون سنة.

أنظر تهذيب الكمال ٤٣٧/١ - ٤٧٢، والتفريب ٢٤/١.

والحديث في مسنده كما سيأتي.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٣٠.

(٣) في المسند ١٣٤/٢: حَتَّى يَهْطُ بِهِمَا إِلَى الْأَرْضِ فَتَنْظُرَ.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ١٣٤/٢.

وابن حبان في صحيحه، في كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، موارد النظام حديث رقم (١٧١٧) ص ٤٢٥.

أخبرنا أبو العباس: أحمد بن المبارك بن سعد، أنا جدي لأبي أبو المعالي ثابت بن

= وابن السني في عمل اليوم والليلة، كما في المفاسد ص ٤٥٥ وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٣٨/١ وعزاء لأحمد وابن حبان، ثم قال:

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين: إلا موسى بن جبير... وهو الأنصاري... ذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل ولم يحك فيه شيئاً من هذا ولا من هذا، فهو مستور الحال.

وقد نرد به عن نافع - مولى ابن عمر - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - .
وروي له منافع من وجه آخر عن نافع: كما قال ابن مردويه، حدثنا دملج بن أحمد، حدثنا هشام بن علي بن هشام، حدثنا عبدالله بن رجاء، حدثنا سعيد بن سلمة، حدثنا موسى بن سرجس، عن نافع، عن ابن عمر سمع النبي - ﷺ - يقول، فذكره بطوله.

وقال أبو جعفر بن جرير - رحمه الله - [هو الإمام الطبري المفسر، وذكر ذلك في تفسيره ٣٦٤/١ - ٣٦٥]:

حدثنا القاسم، أخبرنا الحسين وهو: سني بن داود صاحب التفسير: أخبرنا الفرّج بن فصالة، عن معاوية بن صالح، عن نافع، قال سافرت مع ابن عمر، فلما كان في آخر الليل، قال يا نافع انظر طلعت الحمراء؟

قلت: لا، مرتين أو ثلاثاً. ثم قلت: قد طلعت.
قال: لا مَرَجَ بها ولا أهلاً. قلت: سبحان الله نجم مسخر سامع مطيع. قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله - ﷺ - .

أو قال: قال لي رسول الله - ﷺ -: إن الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ قال: إني ابتليتهم وعافيتكم، قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك، قال: فاختاروا ملكين منكم، قال: فلم يألوا جهداً أن يختاروا، فاختاروا هاروت وماروت.
وهذان أيضاً غريان جداً.

وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبدالله بن عمر، عن كعب الأحبار، لا عن النبي - ﷺ - ، كما قال عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، عن كعب الأحبار... [فذكره نحوه] أ هـ.

ثم ذكر إسناده آخر عن موسى بن عقبة عن سالم، أنه سمع عبدالله، يحدث عن كعب الأحبار فذكره.

ثم قال: «فهذا أصح وأثبت إلى عبدالله بن عمر، من الإسنادين المتقدمين، وسالم أثبت في أبيه من مولا نافع».

فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل، والله أعلم أ هـ.
والزُّهرة: هي الكوكب المعروف، وفي الحديث الذي ذكره المصنف أنها تمثلت لهاروت وماروت امرأة من أحسن البشر، لكن الحديث ضعيف كما تقدم. لكن قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٤٠/١:

«وأقرب ما ورد في ذلك، ما قال ابن أبي حاتم، أخبرنا عصام بن رواد، أخبرنا آدم، أخبرنا أبو جعفر حدثنا الربيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ... فذكر القصة =

= بمعناها، وفيه :

وفي ذلك الزمان امرأة حُسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب . .

ثم قال : وقد رواه الحاكم في مستدركه مطولاً : عن أبي زكريا العنبري . عن محمد بن عبد السلام . عن إسحاق بن راهويه ، عن حكام بن سلم الرازي - وكان ثقة - ، عن أبي جعفر الرازي به : ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

فهذا أقرب ما روي في شأن الزهرة والله أعلم ، أهـ .

قلت : قول الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . غير مسلم به ، فهذا إسناد ضعيف فيه :

١ - أبي جعفر الرازي : مشهور بكنيته ، واسمه : عيسى بن أبي عيسى ، وأصله من مرو ، صدوق سيء الحفظ ، كما في التقريب ٤٠٦/٢ .

٢ - الربيع بن أنس : صدوق له أوهام ، كما في التقريب ٢٤٣/١ .

فأش للحديث الصحة ، والله تعالى أعلم .

قلت : وملخص ما سبق ، هو ما قاله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٤٣/١ . حيث قال عن هاروت وماروت : وقد ورد في قصتهما وما كان من أمرهما ، آثار كثيرة غالبها إسرائيلية .

وروى الإمام أحمد حديثاً مرفوعاً عن ابن عمر ، وصححه ابن حبان في تقاسمه ، وفي صحته عندي نظر ، والأشبه أنه موقوف على عبدالله بن عمر ويكون مما تلقاه عن كعب الأحبار . . .

وفيه : أنه تمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر .

وعن علي وابن عباس وابن عمر - أيضاً - : أن الزهرة كانت امرأة . وأنهما لما طلبا منها ما ذُكر ، أبت إلا أن يعنماها الاسم الأعظم فعلمناها ، فثالثه ، فارتفعت إلى السماء ، فصارت كوكباً .

وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس ، قال : وفي ذلك الزمان امرأة حسننها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب . وهذا اللفظ أحسن ما ورد في شأن الزهرة .

ثم قيل : كان أمرهما وقصتهما في زمان إدريس ، وقيل : في زمان سنبعا بن داود - كما سيأتي .

وبالجملة فهو خير إسرائيلي مرجعه إلى كعب الأحبار ، كما رواه عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن ابن عمر ، عن كعب الأحبار بالقصة .

وهذا أصبح إسناداً ، وأثبت رجالاً ، والله أعلم ، أهـ .

ولكن يعكر على هذا ما قاله الحافظ ابن حجر في الفول المسدّد ص ٤٨ : دوله طرق كثيرة جمعناها في جزء مفرد يكاد الواقف عليه أن يقطع بوقوع هذه القصة لكثرة الطرق الواردة فيها ، وقوة مخارج أكثرها ، والله أعلم ، أهـ .

وأنت ترى في قول الحافظ : يكاد الواقف . . . إلخ أنه لم يقطع بصحتها ، على الرغم من كثرة طرقها وجودة أكثرها كما ذكر ، وهذا يوحي بشكّه في ذلك ، والله أعلم .

ونم احصى على هذا الكتاب لينسى لي الإضطلاع عليه ، ولكن - والله أعلم - أن كثرة الطرق وقوتها إنما هي راجعة للموقوف من أقوال بعض الصحابة وغيرهم ، وليس للمرفوع .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٣٩/١ - ١٤١ الكثير منها .

وإن ثبت ما ذهبنا إليه من قصد ابن حجر ، فيرجع بنا الحال إلى ما ذكره ابن كثير من أن من روى هذا الحديث إنما تلقى ذلك عن كعب الأحبار ، وهو نقلها عن كتب بني إسرائيل .

والله تعالى أعلم .

بندار، أنا أبو علي بن دوما، أنا أبو علي الباقري^(١)، أنا الحسن بن علوي، أنا إسماعيل، أنا إسحاق بن بشر، عن جوير، عن الضحاك، عن مكحول، عن معاذ^(٢)، قال:

= وقد ذكر عبدالله محمد الصديق في تعليقه على المقاصد الحسنة ص ٤٥٥ قول الحافظ ابن حجر، ثم قال: «وأطب السيوطي في الحبالك، وفي الدر المنثور في ذكر طرقها، حتى زاد عدة طرق على ما أورده الحافظ».

ولكنها مع ذلك قصة شاذة تخالف القرآن وقواعد العلم، ويان ذلك في كتابنا قصص القرآن، أ هـ. وأنظر المقاصد الحسنة ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

(١) الباقري: يفتح الباء والقاف، وسكون الراء، وفي آخرها الحاء المهملة.

هذه النسبة إلى باقر، وهي قرينة من نواحي بغداد.

كذا في الباب في تهذيب الأنساب ١١٢/١.

(٢) هذا إسناده ضعيف جداً عن معاذ، هذا إن لم يكن موضوعاً، فيه:

١ - إسحاق بن بشر، أبو حذيفة البخاري صاحب كتاب (المبتدأ)، قال الذهبي عنه في ميزان الاعتدال ١٨٤/١: «تركوه، وكذبه علي بن المديني». وقال ابن حبان: لا يحل حديثه إلا على جهة التعجب، وقال الدارقطني: كذاب متروك.

قلت: - أي الذهبي - : يروي العظامم عن ابن إسحاق وابن جريج والثوري.

قال إسحاق الكوسج: «قدم علينا أبو حذيفة فكان يحدث عن ابن طاووس وكبار من التابعين ممن مات قبل حميد الطويل، فقلنا له: كتب عن حميد الطويل؟ ففرغ، وقال: جئتم تسخرون بي؟ جدي لم ير حميداً. فقلنا له: فأنت تروي عن من مات قبل حميد؟ فقلنا ضغفه، وأنه لا يدري ما يقوله أ هـ.

وقال - أيضاً - في المعني في الضعفاء ٦٩/١: «مجمع على تركه، وقد اتهم بالكذب، وقال ابن المديني: كذاب أ هـ.

وأنظر الضعفاء الكبير للعقيلي ١٠٠/١. ولسان الميزان ٣٥٤/١ - ٣٥٥.

٢ - جوير، وهو ابن سعيد الأزدي، أبو القاسم البجلي، ويقال اسمه جابر، وجوير لقب.

قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٢٣/٢ - ١٢٤: «قال عمرو بن علي: ما كان يحيى ولا عبد الرحمن يحدثان عنه، وكذا قال أبو موسى». وقال أبو طالب، عن أحمد: ما كان عن الضحاك فهو أبسر، وما كان يُسند عن النبي - ﷺ - فهو منكرو.

وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه: كان وكيع إذا أتى على حديث جوير، قال: «فيان، عن رجل، لا يستيه، استضعافاً له».

وقال الدوري وغيره عن ابن معين: ليس شيء.

... وقال عبدالله بن علي بن المديني سأله - يعني أباه - عن جوير، فضغفه جداً قال: «وسمعت أبي يقول: جوير أكثر على الضحاك، روى عنه أشياء منكرو».

.. وقال النسائي، وعلي بن الجيد والدارقطني: متروك. وقال النسائي في موضع آخر: ليس بثقة.

وقال ابن عدي: «والضعف على حديثه وروايته بين».

وقال أبو قدامة السرخسي: قال يحيى القطان: تساهلوا في أخذ التفسير عن ثورم لا يوثقونهم في الحديث ثم ذكر الضحاك وجويراً، ومحمد بن السائب، وقال: هؤلاء لا يحمل حديثهم، ويكتب التفسير عنهم.

لَمَّا أَنْ أَفَاقَا جَاءَهُمَا جَبْرَيْلٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهُمَا يَبْكِيَانِ،
فَبَكَى مَعَهُمَا، وَقَالَ لَهُمَا: مَا هَذِهِ الْبَلَاءُ الَّتِي أَجْحَفَتْ بِكُمَا؟ بَلَاؤُهَا وَشَقَاؤُهَا؟
فَبَكَيَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمَا: إِنَّ رَبُّكُمَا يَخِيرُكُمَا بَيْنَ:

عَذَابِ الدُّنْيَا، وَأَنْ تَكُونَا عَنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ فِي مَشِيتِهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمَا، وَإِنْ شَاءَ
رَحِمَكُمَا.

وإِنْ شِئْتُمَا عَذَابِ الْآخِرَةِ.

فَعَلِمَا أَنَّ الدُّنْيَا مَنْقُطَةٌ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ دَائِمَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ بَعْبَادُهُ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ. فَاخْتَارَا
عَذَابِ الدُّنْيَا، وَأَنْ يَكُونَا فِي الْمَشِيتَةِ عِنْدَ اللَّهِ.

قَالَ: فَهَمَا بِيَابِلِ فَارَسٍ مَعْلُقَيْنِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فِي غَارٍ تَحْتَ الْأَرْضِ، يُعَذَّبَانِ كُلُّ يَوْمٍ
طَرَفِي النَّهَارِ إِلَى الصُّبْحَةِ.

وَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ خَفَقَتْ بِأَجْنَحَتِهَا فِي الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَوْلَدِ
أَدَمَ، عَجَبًا كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيَطِيعُونَهُ عَلَى مَا لَهُمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ!

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ (١): فَاسْتَغْفَرَتِ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ لَوْلَدِ أَدَمَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ:

وقال أحمد بن سيار المرزوي: جوهر بن سعيد كان من أهل بلخ، وهو صاحب الضحاك، وله رواية
ومعرفة بأيام الناس، وحاله حسن في التفسير، وهولاء في الرواية.
وقال ابن حبان: يروي عن الضحاك أشياء مقلوبة.

وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث.

وقال الحاكم أبو عبدالله: أنا أقرأ إلى الله من عهده، أهد.

وقال الحافظ ابن حجر في التريب ١/١٣٦: وضعيف جداً، أهد.

ونظر تهذيب الكمال ٥/١٦٧ - ١٧١.

٣ - وإسماعيل - الراوي عن إسحاق بن بشر - هو ابن عيسى البغدادي العطار، مختلف فيه، قال
الذهبي في الميزان ١/٢٤٥: وضعفه الأزدي، وصححه غيره، وهو الذي يروي (المبتدأ) عن أبي
حديفة البخاري.

وثقه الخطيب: ومات سنة ٢٣٢ هـ، أهد.

وقال ابن حجر في لسان الميزان ١/٤٢٦: «وذكره ابن حبان في الثقات».

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي وأباً زرعاً يقولان: «كُنَّا عَنْهُ» أهد.

(١) أَجْحَفَ بِكُمَا، أَي: ذَهَبَ بِكُمَا وَاسْتَأْصَلَكُمَا.

وقال في مختار الصحاح ص ٢٨٦: «أَجْحَفَ بِهِ: ذَهَبَ بِهِ» أهد.

وقال الزمخشري في أساس البلاغة ص ٥٢: «أَجْحَفَ بِهِمُ الدَّهْرُ، وَأَجْحَفَهُمْ: اسْتَأْصَلَهُمْ» أهد.

(٢) هو أبو نصر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي، صاحب التفسير، كوفي، صاحب بدعة،
منهم بالكذب، ورُمي بالرفض.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

وروي عن ابن عباس، أَنَّ الله - تعالى - قال للملائكة: انتخبوا ثلاثة من أفاضلكم. فانتخبوا عزرا، وعزراييل، وعزوريا. فكانوا إذا هبطوا إلى الأرض كانوا في حدة بني آدم وطبائعهم. فلما رأى ذلك عزرا وعرف الفتنة، علم أن لا طاقة له، فاستغفر ربه - عز وجل - واستقاله، فأقاله.

فروي أنه لم يرفع رأسه بعد حياة من الله تعالى^(٢).

= وما قاله العلماء فيه:

قول أبي حاتم: الناس مجمعون على ترك حديثه، هو ذاهب الحديث، لا يشتغل به. وقال النسائي: ليس بثقة، ولا يكتب حديثه.

وقال علي بن الجنيد، والحاكم أبو أحمد والدرافطي: متروك.

وقال الجوزجاني: كذاب ساقط.

وقال ابن حبان: وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه، روى عن أبي صالح التفسير، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، لا يحل الإحتجاج به.

وقال الساجي: متروك الحديث، وكان ضعيفاً جداً لفرطه في التشيع، وقد اتفق ثقات أهل النقل على دمه وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع.

أنظر تهذيب التهذيب ١٧٨/٩ - ١٨١، والتقريب ١٦٣/٢، واللباب في تهذيب الأنساب ١٠٤/٣ - ١٠٥.

(١) سورة الشورى آية رقم ٥.

وقصة استغفار الملائكة لولد آدم ذكرها الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٤٠/١. ضمن ذكره لقصة هاروت وماروت عن ابن عباس، حيث جاء فيها بعد الخطيئة - وبين أهل السماء - فنظرت الملائكة إلى ما وقع فيه، فمجبوا كل العجب، وعرفوا أنه من كان في غيب فهو أقل خشية، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض، فنزل في ذلك ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

وعزاه للحاكم، من طريق أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس به، ثم ذكر قول الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قلت: بل إسناده ضعيف، فيه أبو جعفر الرازي صدوق، سيء الحفظ، كما في تقريب التهذيب ٤٠٦/١ والربيع بن أنس، صدوق وله أوهام، كما في التقريب ٢٤٣/١.

وقوله تعالى: ﴿لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

المقصود هنا المؤمنين فقط، وليس كل من في الأرض ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ رَحْمَةٍ وَعِلْمًا﴾. أنظر تفسير ابن كثير ١٦٦/٤.

(٢) روى هذه القصة الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٤٠/١ من طريق ابن أبي حاتم، عن أبيه، بإسناده عن

ابن عباس أَنَّ أهل سماء الدنيا أشفقوا على أهل الأرض فرأوهم يعملون المعاصي، فقالوا: يا رب أهل الأرض كانوا يعملون بالمعاصي فقال الله: أنتم معي وهم في غيب عني. فقيل لهم: اختاروا =

قال الربيع بن أنس^(١): لما ذهب عن هاروت وماروت السكر عَرَفَا ما وقعا فيه من الخطيئة وندما، وأرادا أن يَصْعَدا إلى السماء، فلم يستطيعا، ولم يُؤْذَن لهما. فبكيا بكاء طويلاً، وضاقا ذَرْعاً بأمرهما.

ثم أتيا إدريس - عليه السلام -^(٢) وقالوا له: أَدْعُ لنا ربك، فإننا سمعنا بك تُذَكَّر بخير في السماء. فدعا لهما، فاستجيب له، وخيراً بين عذاب الدنيا والآخرة.

وروي أن الملائكة، لما قالوا لله تبارك وتعالى: ﴿أَجْعَلْ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٣)، طافوا حول العرش أربعة آلاف عام، يَعْثَرُونَ إلى الله - عز وجل - من اعتراضهم^(٤).

منكم ثلاثة. فاختاروا منهم ثلاثة على أن يهبطوا إلى الأرض، على أن يحكموا بين أهل الأرض، وجعل فيهم شهوة الأدميين، فآثروا أن لا يشربوا خمرآ، ولا يقتلوا نفساً، ولا يزنوا، ولا يسجدوا للوثن.

فاستقال منهم واحد، فأقبل.

فأقبط إثنان إلى الأرض فأتتهما امرأة من أحسن الناس... القصة.

ثم قال الحافظ ابن كثير: «وهذا السياق فيه زيادة كثيرة، وإغراب، ونكارة، والله أعلم بالصواب» أ.هـ.

(١) هو الربيع بن أنس البكري، أو الحنفي بصري، نزل خراسان، صدوق له أوهام، رُوي بالشيخ، من صغار التابعين مات سنة مائة وأربعين. أو قبلها التقريب ٢٤٣/١.

(٢) هكذا ذكره الربيع بن أنس أنه إدريس - عليه السلام.

وجاء في رواية ابن عباس - التي فيها: اختاروا ثلاثة منكم... وقد تقدمت - وأما هما - أي: هاروت وماروت - فأرسل إليهما سليمان بن داود فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة... فهنا ذكر بأنه سليمان - عليه السلام -.

وجاء في رواية مجاهد عن ابن عمر كما في تفسير ابن كثير ١٣٩/١: «وفي الأرض نبي يدعو بين الجمعيتين: فإذا كان يوم الجمعة أجيب، فقالا: لو أتينا فلاناً فسألناه، فطلب لنا التوبة، فأتياه، قال: رحمكما الله كيف يطلب التوبة أهل الأرض لأهل السماء، قال: إنا قد ابتلينا...».

وجاء في رواية عن مجاهد - ابن كثير ١٤١/١ - : «فامتضتا برجل من بني آدم، فأتياه فقالا ادع لنا ربك، فقال: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ قال: سمعنا ربك يذكرك بخير في السماء...».

فهنا فُكِّر دون تسمية.

والله تعالى أعلم بالصواب.

(٣) سورة البقرة، آية رقم / ٣٠.

(٤) لم أجد من ذكر هذه القصة، لكن المصنف - رحمه الله - أشار إلى تضعيفها، حيث صدر الكلام بقوله: رُوي - بصيغة المجهول -، وتصدر الكلام بصيغة المجهول يفيد التضعيف كما هو مقرر عند علماء الحديث.

= قلت؛ وقد ورد عن هاروت وماروت غير ما تقدم، وأنهما أنزلَا ليحكمَا في الأرض، بالعدل، بعدما طعنا على أهل الأرض في أحكامهم، ثم حدث معهما ما حدث. أنظر القصّة بتمامها في تفسير ابن كثير ١/١٤١.

قلت: وملخص ما تقدم - وقد سبقت الإشارة إلى ذلك - أن قصة هاروت وماروت رُويت عن جماعة من التابعين، وقصّها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين. وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق - عليه السلام - أنظر تفسير ابن كثير ١/١٤١.

ذكر التوابين من الأنبياء عليهم السلام

٢ - تَوْبَةُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ*

أخبرنا أبو الفضل مسعود بن عبيد الله بن النادر، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن

(*) ذكر المصنف في هذا الباب قصة آدم - عليه السلام - وأكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها.

وهذه القصة، قد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز في ثلاثة مواضع، وسأذكرها هنا حتى يظهر للقارىء ما جاء به القرآن جلياً، وما أخبر به، حتى نؤمن بما جاء فيه، وكما أخبر الله تعالى، من غير زيادة ولا نقصان.

قال تعالى في سورة البقرة الآيات (٣٥ - ٣٧): ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ، وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. خَلَقَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَثَابَ عَلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

وقال تعالى في سورة الأعراف، الآيات (١٩ - ٢٣):

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ تَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِمِنَ النَّاصِحِينَ. فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ، فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ، قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنَّ لَنَا تِغْفَرُ لَنَا وَنَرَاكَ تَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقال تعالى في سورة طه: الآيات (١١٥ - ١٢٢):

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَافِثِي وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى، فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى، إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى، فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى. فَأَكَلَا مِنْهَا، فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ، وَحَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَثَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾.

قلت: فتحن نؤمن بما جاء في كتاب الله تعالى من غير زيادة ولا نقصان، ونؤمن بما جاء به =

= النهي - ﷻ - بما صحَّ عنه، ولا حاجة بنا إلى سوى ذلك من الروايات والقصص المأخوذة عن بني إسرائيل.

وذكر المصنف هنا قصة آدم - عليه السلام - وأكله هو وزوجه من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عنها. قلت: وقد اختلف العلماء في هذه المسألة اختلافاً كبيراً - ليس في ثبوتها، فهي ثابتة بإخبار الله عز وجل ذلك -، لكن كان مثار الخلاف حول أكل آدم وزوجه من الشجرة، وقد نهاهما الله تعالى عن الأكل منها، مع عصمة آدم من افتراء الذنوب، وأن وقوع ذلك منه مخالف للعصمة.

وأجابوا عن ذلك بأجوبة كثيرة، سأذكرها موجزة مع بيان الرأي الصواب منها إن شاء الله تعالى.

١ - فقال بعضهم: إن ذلك وقع قبل النبوة، وإليه ذهب ابن فورك، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾. فذكر أن الإجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وإذا كان هذا قبل النبوة فجائز عليهم - أي الأنبياء - الذنوب وجهاً واحداً - أي عني رأي من يقول بأن الأنبياء غير معصومين قبل النبوة -.

واعترض على هذا بأنه وقع بعد صدور الأمر والنهي إليه. وقد ذكر الله تعالى في كتابه أنه خاطبه بلا واسطة وشرع له في ذلك الحطاب، فأمره ونهاه. وأحل له وحرم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً، وهذا هو معنى النبوة.

وأما قوله تعالى ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ﴾ أي: اصطفاه. وقرّبه بالحمل على التوبة والتوفيق لها. ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ فقبل توبته، ﴿وَهَدَى﴾ أي: وهداه إلى الثبات على التوبة والتثبت بأسباب العصمة.

٢ - وقال البعض أنه تأول فيما فعل، إذ فهم أن الأمر والنهي ليسا جاريتين: فظن أن الأمر أمر إرشاد، ولا ثم بتركه، أو تأول النهي للنتزيه وليس للتحريم.

واعترض بأن الله تعالى عندما نهاهما عن الشجرة قال لهما: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، والظلم والنهي عنه لا يكون من جهة الذنب، بل من جهة الوجوب، والنهي للتحريم.

٣ - أنه تأول فيما فعل: فظن أن المراد الغي، وكان المراد الجنس. أي أنه عليه السلام أقدم عليه بسبب اجتهد أخطأ فيه، فإنه ظن أن النهي لعين الشجرة فتناول من غيرها من نوعها.

وهذا منقوض بقوله عز وجل في سورة الأعراف: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾. ثم قال على لسان إبليس: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾. فقد أشار إليها وعرفها.

٤ - أن ما حصل منه هو ترك الأولى.

واعترض بأنه كيف يكون عمله تركاً للأولى، وقد زجره الله عن ذلك، ونهيه بأنه يكون من الظالمين إذا أقدم عليه.

٥ - إن المعصية منه كانت في الجنة، والعصمة تكون في الدنيا.

واعترض بأن هذه دعوى تحتاج إلى دليل. وأنه كان نبياً، والنبي معصوم قبل النبوة وبعدها عن الكِبَاثَر، فكيف يتميِّز؟!.

٦ - أن يكون ذلك منه على سبيل النسيان - أي أكلها ناسياً -، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنسِيهِ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْماً﴾.

ولكن لما كان الأنبياء - عليهم السلام - يلزمهم من التحفظ والتيقظ والحذر لكثرة معارفهم، وعلو منازلهم، وعظم قدرهم، ولعله - والله تعالى أعلم - وإن حطَّ عن الأمة العتاب في حسالة النسيان لم يحطه عن الأنبياء. كما قال - ﷻ -: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل.

الحسين، أنا أبو بكر محمد بن علي الخياط، أنا أبو عبد الله بن دوست، ثنا الحسين بن صفوان، ثنا ابن أبي الدنيا^(١)، ثنا يعقوب بن إسحاق بن دينار، ثنا محمد بن معاذ الغنيري^(٢)، عن ابن السمك قال: حدثني عمر بن ذر عن مجاهد:

إِنَّ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمَّا أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ، تَسَاقَطَ عَنْهُ جَمِيعُ زِينَةِ الْجَنَّةِ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ مِنْ زَيْتِهَا إِلَّا التَّاجُ وَالْإِكْلِيلُ. وَجَعَلَ لَا يَسْتَرُ بِشَيْءٍ مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ إِلَّا سَقَطَ عَنْهُ، فَالْتَفَتَ إِلَى حَوَاءَ بَاكِياً، وَقَالَ: اسْتَعْدِي لِلْخُرُوجِ مِنْ جِوَارِ اللَّهِ، هَذَا أَوَّلُ شَوْمِ الْمَعْصِيَةِ. قَالَتْ: يَا آدَمُ! مَا ظَنَنْتُ أَنْ أَحَدًا يَخْلِفُ بِاللَّهِ كَاذِبًا، - وَذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ قَاسَمَهُمَا عَلَى الشَّجَرَةِ -، وَآدَمُ فِي الْجَنَّةِ هَارِبًا اسْتَحْيَاءً مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَتَمَلَّقَتْ بِهِ شَجَرَةً بَعْضُ

= ولما كان النبي كأحد الناس، وكان التنبؤ والحذر - كما قلنا - في مخالفة الله لازماً، فإذا نسي عد ذلك خطيئة في حقه، وإن كان غير خطيئة في حق غيره. ولقد أحسن الجنيذ حيث قال: حسنت الأبرار سيئات المقربين.

وقال القرطبي: وهذا هو الصحيح. وقاله البيضاوي - أيضاً - ويكفي أن الله تعالى أورد في كتابه الكريم، فنكون - بحمد الله - قد فسرنا القرآن بالقرآن. والله تعالى أعلم. وهب يطرح سؤال، وهو: كيف يجوز لنبي نهاه الله - عز وجل - وحذره أن يكون من الضالين أن ينسى.

نقول - بعون الله تعالى - : بأن إبليس قد شذَّ الإغراء، وكان قد عرف نقاط الضعف التي يدخل فيها على المؤمن، أو على أي إنسان - منها حب الخلود، وحب الملك - وشيئاً آخر، هو كما قال الله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾. فغَرَّهما باليمين. قاله ابن عباس.

وكان يظن آدم أنه لا يحلف أحد بالله كاذباً، فغَرَّهما بوسوته وقسمه لهما.

وقال قتادة: حلف بالله لهما حتى خدعهما، وقد يُخدع المؤمن بالله.

وكاد بعض العلماء يقول: من خادعنا بالله خدعنا. والله تعالى أعلم وأحكم.

نقلاً - وبصرف كبير - عن رسالة: (النسوة والعصمة) لشبخي الحفص، الشيخ فواز أحمد زمرلي حفظه الله تعالى، وبسر الله طبعها.

وانظر كتاب (عصمة الأنبياء) للفرازي ص ٢٦ - ٣٢، و(النسوة والأنبياء) لمحمد علي الصابوني ص ٦٥ - ٦٨.

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، الأموي مولاهم. البغدادي، معروف: بابن أبي الدنيا، محدث حافظ، صاحب تصانيف، أديب غير واحد من أولاد الخلفاء، توفي ببغداد سنة مائتين وأحدى وثمانين، وله ثلاث وسبعون سنة.

أنظر تاريخ بغداد ٨٩/١٠ - ٩١، والفهرست لابن النديم ١٨٥/١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ١٥٥/٧ وتهذيب التهذيب ١٢/٦ - ١٣، وتقريب التهذيب ٤٤٧/١، ومعجم المؤلفين ١٣١/٦.

(٢) الغنيري: يفتح الغين، وسكون الهمزة، وفتح الباء الموحدة، وفي آخرها راء. هذه النسبة إلى العنبر بن عمرو بن معجم. ويقال لهم بلعنبر أيضاً. وينسب إليها كثير الناس. كذا في اللباب في تهذيب الأنساب ٣٦٠/٢.

أغصانها، فظن آدم أنه قد عُوجِلَ بالعقوبة، فنكس رأسه يقول: الْعَفْوُ الْعَفْوُ. فقال الله - عز وجل - : يا آدم! أفرأى مني؟ قال: بل حياة منك سيدي^(١).

فَأَوْحَى اللهُ إِلَى الْمَلَكَيْنِ: أَنْ أَخْرِجَا آدَمَ وَحَوَّاءَ مِنْ جَوَارِي، فَإِنَّهُمَا قَدْ عَصَيَانِي. فَنَزَعَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - النَّاجَ عَنْ رَأْسِهِ، وَحَلَّ مِيكَائِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الْإِكْلِيلَ عَنْ جَبِينِهِ.

فَلَمَّا هَبَطَ مِنْ مَلَكُوتِ الْقُدُّسِ إِلَى دَارِ الْجُوعِ وَالْمُسْقَبَةِ^(٢)، بَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ مِائَةَ سَنَةٍ، قَدْ رَمَى بِرَأْسِهِ عَلَى رِكْبَتِهِ حَتَّى نَبَتَ الْأَرْضُ عَشْبًا وَأَشْجَارًا مِنْ دُمُوعِهِ، حَتَّى نَفَعَ الدَّمْعُ فِي نَقْرِ الْجَلَامِيدِ^(٣) وَأَقْعَبَتْهَا.

أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي، أَنَا أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خَيْرُونَ، أَنَا أَبُو عَلِيٍّ بْنُ شَاذَانَ، أَنَا أَبُو عَلِيٍّ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ الطُّومَارِيِّ^(٤)، أَنَبَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْبَرَاءِ، أَنَبَا عَبْدَ الْمَنَعَمِ بْنِ إِدْرِيسَ، أَنَبَا أَبِي، عَنْ وَهَبِ بْنِ مُثَنَّى^(٥):

(١) أَنْظَرُ كِتَابَ (الرَّهْدِ) لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ ص ٦٣ وَتَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ٨٠/١، وَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ لَهُ ٧٢/١ - ٧٣.
(٢) الْمُسْقَبَةُ: الْمَجَاعَةُ، وَالْمُسْقَبُ: الْجُوعُ، تَقُولُ: بِهِ سَقَبٌ وَمُسْقَبَةٌ، وَسَقَابَةٌ، أَيُّ: جُوعٌ مَعَ نَمَطٍ، أَنْظَرُ مَخْتَارَ الصَّحَاحِ ص ٢٧، وَأَسَاسُ الْبَلَاغَةِ ص ٢١١.
وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَلَدِ آيَةُ رَقْمٍ ١٤: ﴿لَوْ إِنْطَعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مُسْقَبَةٍ﴾ أَيُّ: ذِي مَجَاعَةٍ.
(٣) النَّقْعُ، هُوَ: الْخَبَرُ، وَهُوَ أَيْضًا: مَا اجْتَمَعَ فِي الْبَشَرِ فِي الْمَاءِ. يُقَالُ: اسْتَنْقَعَ الْمَاءُ فِي الْغَدِيرِ: اجْتَمَعَ وَثَبَّتَ، مَخْتَارَ الصَّحَاحِ ص ٢٠٩.
فِي نَقْرِ الْجَلَامِيدِ:

نَقَرَ الشَّيْءُ: ثَقَبَهُ بِالْمَنْقَارِ، وَالْمَنْقَرَةُ: حَفْرَةٌ صَغِيرَةٌ فِي الْأَرْضِ. مَخْتَارَ الصَّحَاحِ ص ١٨٥.
وَالْجَلَامِيدُ جَمْعُ جَلْمُودٍ، وَهُوَ الصَّخْرُ. مَخْتَارَ الصَّحَاحِ ص ٩٢ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ بَكَى حَتَّى اجْتَمَعَ الدَّمْعُ فِي نَقْرِ الصَّخْرِ وَأَقْعَبَتْهَا.

(٤) قَالَ فِي الْبَابِ ٢٨٩/٢: وَالطُّومَارِيُّ: يَضُمُّ الْعَطَاءَ وَسُكُونُ الْوَاوِ، وَفَتْحُ الْمِيمِ، وَبَعْدَ الْأَلْفِ رَاءٌ. هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى الطُّومَارِ، وَهُوَ لَقَبُ رَجُلٍ. وَاشْتَهَرَ بِهَا أَبُو عَلِيٍّ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَحْمَدَ. . الطُّومَارِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، - قُلْتُ: وَهُوَ الرَّائِي هُنَا -، وَإِنَّمَا لَقِبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ اشْتَهَرَ بِصَحْبَةِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ طُومَارِ الْهَاشِمِيِّ.

... وَكَانَتْ بِلَادَتُهُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، وَمَاتَ فِي الْمَحْرَمِ، أَوْ صَفَرٍ، سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ ثَقَّةً، كَانَ مَخْلُطًا فِي رَوَايَاتِهِ أَهْلًا.

(٥) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّنَعَانِيُّ، عَالِمٌ أَهْلُ الْعَيْنِ، وَلَدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ، رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَسَبْرَاءَ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرِهِمْ.

إن آدم - عليه السلام - لبث في السَّخْطَةِ سبعة أيام: ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَطْلَعَهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ، وَهُوَ مُنْكَسٌ مُحْزُونٌ كَظِيمٍ. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا آدَمُ! مَا هَذَا الْجَهْدُ الَّذِي أَرَاكَ فِيهِ الْيَوْمَ، وَمَا هَذِهِ الْبَلِيَّةُ الَّتِي قَدْ أَجْهَفَ بِكَ بِلَاؤُهَا وَشَقَاؤُهَا^(١)!

قَالَ آدَمُ: غَطَمْتُ مَصِيبَتِي يَا إِلَهِي، وَأَحَاطْتُ بِي خَطِيئَتِي، وَخَرَجْتَ مِنْ مَلَكُوتِ رَبِّي، فَأَصْبَحْتَ فِي دَارِ الْهَوَانِ بَعْدَ الْكِرَامَةِ، وَفِي دَارِ الشَّقَاوَةِ بَعْدَ السَّعَادَةِ، وَفِي دَارِ الْعَنَاءِ وَالنَّصَبِ بَعْدَ الْخَفْضِ وَالذُّعَى، وَفِي دَارِ الْبَلَاءِ بَعْدَ الْعَافِيَةِ، وَفِي دَارِ الظُّعْنِ وَالزُّوَالِ بَعْدَ الْقَرَارِ وَالظَّمَانِيَةِ، وَفِي دَارِ الْفَنَاءِ بَعْدَ الْخُلْدِ وَالْبَقَاءِ، وَفِي دَارِ الْغُرُورِ بَعْدَ الْأَمْنِ. إِلَهِي! فَكَيْفَ لَا أَبْكِي عَلَى خَطِيئَتِي، أَمْ كَيْفَ لَا تَحْزَنُنِي نَفْسِي، أَمْ كَيْفَ لِي أَنْ أُجْتَبِرَ هَذِهِ الْبَلِيَّةُ وَالْمَصِيبَةُ يَا إِلَهِي؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: أَلَمْ اصْطَفَيْكَ لِنَفْسِي، وَأَحْلَلْتُكَ دَارِي، وَاصْطَفَيْتُكَ عَلَى خَلْقِي، وَخَضَعْتُكَ بِكَرَامَتِي، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّتِي، وَحَذَرْتُكَ سَخَطِي؟ أَلَمْ أَبَايُوكَ بِيَدِي، وَأَنْفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِي، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتِي؟ أَلَمْ تَكُ جَارِي فِي بَحْبُوحَةِ جَنَّتِي، تَتَبَوَّأُ حَيْثُ تَشَاءُ مِنْ كِرَامَتِي؟ فَعَصَيْتُ أَمْرِي، وَنَسِيتُ عَهْدِي، وَضَيَّعْتُ وَصِيَّتِي؟ فَكَيْفَ تَسْتَنْكِرُ نَقْمَتِي، فَوْعَزْتَنِي وَجَلَالِي لَوْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ رِجَالًا كُلَّهُمْ مِثْلَكَ: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٢) ثُمَّ عَصَوْنِي لِأَنْزَلْتَهُمْ مَنَازِلَ الْعَاصِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَحِمْتُ ضَعْفَكَ، وَأَقْلَلْتُكَ عُثْرَتَكَ، وَقَبِلْتُ تَوْبَتَكَ، وَسَمِعْتُ تَضَرُّعَكَ، وَغَفَرْتُ ذَنْبَكَ. فَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَعَمِلْتُ السُّوءَ، فَتُبَّ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. فَقَالَهَا آدَمُ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَعَمِلْتُ السُّوءَ، فَاعْفُ رَحْمَةً لِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. فَقَالَهَا آدَمُ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي،

وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير. فانه صرف عنايته الى ذلك وبالغ، وحديثه في الصحيحين عن أبيه همام.

وكان ثقة واسع العلم، يُنظر بكعب الأخبار في زمانه.

قال العجلي كان ثقة تابعياً على قضاء صنعا.

وعن وهب قال: يقولون: عبد الله بن سلام أعلم أهل زمانه، وكعب أعلم أهل زمانه، فرايت من جمع علمهما؟ يعني نفسه.

انظر تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٠ - ١٠١.

(١) أي ذهب بك، واستأصلك بلاؤها وشقاؤها.

(٢) سورة الأنبياء، آية رقم ٢٠.

وعملت السوء، فأرحمني إنك أرحم الراحمين^(١).

قال: وكان آدم قد اشتد بكأؤه وحُزنه لما كان من عظم المصيبة، حتى إن كانت الملائكة لتحزن لحزنه، وتبكي لبكائه. فبكى على الجنة مائتي سنة، فبعث الله إليه بخيمة من خيام الجنة، فوضعها له في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة^(٢).

٣ - توبة نوح عليه السلام^(٣)

أخبرنا أبو الحسن علي بن عساكر، أنا عبد القادر بن محمد، أخبرنا الحسن بن

(١) ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ٨١/١، وفي البداية والنهاية ٧٥/١ نحو هذا الدعاء عن ابن أبي نجيج، عن مجاهد

وابن أبي نجيج، اسمه: عبدالله، وهو ثقة، روى بالقدور، أكثر عن مجاهد، وكان يدنس عنه، وصفه بذلك النسائي، أنظر قريب التهذيب ٤٥٦/١، وطبقات المدلسين ص ٩٠.

(٢) لا تخلو هذه القصة وسابقتها، وكل ما سيذكره المصنف من قصص الأنبياء من ريادات ومبالغات، وقد تقدم ذكر قصة آدم - عليه السلام - كما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، فنحن مؤمن بما جاء من غير زيادة ولا نقصان، ولا حاجة بنا إلى روايات أهل الكتاب ونصصهم.

وأنظر مقدمتي على هذا الكتاب، فقد ذكرت فيها حكم رواية الإسرائيليات

(٣) ذكر المصنف هنا توبة نوح - عليه السلام - من سؤاله الله تعالى في اسمه وأنه من أهله

وهذه القصة كما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز.

في سورة هود، الآيات (٤٠ - ٤٧)، هكذا، قال تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا: أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ مِثْلٍ ۚ وَأَهْلِكَ إِلَّا مِنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ، وَمَنْ آمَنَ، بِمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

وقال: اركبوا فيها بسم الله فجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم. وهي تجري بهم في موج كالجبال، ونادى نوح ابنه، وكان في معزل: يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، قال ساوي إلى جبل يعصمني من الماء، قال: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، وخالف بينهما الموج فكان من المغرقين.

وقيل: يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي، وغيض الماء، وقضي الأمر، واستوت على الجودي. وقيل: بعداً للقوم الظالمين.

ونادى نوح ربه، فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يا نوح إنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح، فلا تسألني ما ليس لك به علم، إني أعظك أن تكون من الجاهلين، قال: رب إنني أعوذ بك أن أسألك، ما ليس لي به علم وإلا نفختني أو أن من الغابرين.

وقال تعالى في سورة المؤمنون، آية رقم (٢٨): ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَن اصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا، فَإِذَا-

علي، أنا أبو بكر القطيعي، ثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا عبد الرزاق، ثنا وهيب بن
الورد، قال:

لما عاتب الله تعالى نوحاً في ابنه، فأنزل عليه: ﴿إِنِّي أُعْظِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ﴾^(١)، قال: فبكى ثلاثمائة عام، حتى صار تحت عينيه مثل الجدائل من
البكاء^(٢).

= جاء أمرنا وفار التنور، فأسلت فيها من كل زوجين اثنين، وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم، ولا
تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون^(٣).

والشبهة: الواقعة هنا والتي مها تائب عليه السلام، هي: كيف حازه - عليه السلام - أن يسأل نجاة
إليه - الكافر - والله تعالى قال له: ﴿وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾، ثم قال تعالى
مؤمناً: ﴿لَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فسؤاؤه معصية؟! إذا
كانت إلقاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، عائدة لسؤاله، أي: إن سؤالك عمل غير
صالح.

والجواب: على عكس من وجهين:

١ - قال أبو محسّن حرم: وهذا لا حجة فيه، لأن نوحاً - عليه السلام - تأوّل وعذ الله تعالى أن
يخلصه وأهله، فطعن أن ابنه من أهله على ظاهر القرابة، وهذا هو فعله أحد كتاب ماحوراً، ولم يسأل
نوح تحليص من أبى أنه ليس من أهله، فتصرع على ذلك بهي أن يكون من الجاهلين، فندم عليه
السلام وفرغ، وليس هنا عمد للمعصية البتة.

٢ - قال القرطبي: قال علماءنا: وإنما سأل نوح ربه أنه تقوله: ﴿وَأَهْلِكَ﴾، وترك قوله: ﴿إِلَّا مِنْ
سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾، فيما كان عنده من أهله قال: ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي﴾، بدل على ذلك قوله:
﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا تكن ممن نكث معهم، لأنه كان عنده مؤمناً في ظنه، ولم يك نوح
يقول لربه: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ إلا وذلك عنده كذلك، إذ مُحال أن يسأل هلاك الكفار، ثم يسأل
في إنجاء بعضهم، أو أن يسأل نجاة الكافر الطالب بعد نهي الله تعالى: ﴿وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ
ظَلَمُوا﴾، وكان ابنه يسر الكفر ويظهر الإيماء، فأخبر الله تعالى نوحاً بما هو مفرد به من علم
الغيب، أي: غفمت من حال ابنك ما لم تعلمه أنت.

وقال الحسن: كان منافقاً، ولذلك استحسّل نوح أن يباده.

والله تعالى أعلم.

نقلًا - وتصرفاً - عن رسالة (النبوة والمعصية) للشيخ المفصل: هو: أحمد زمزلي حفظه الله تعالى،
وبسر الله طبعها.

وانظر (عصمة الأنبياء) للرازي ص ٣٧ - ٤٢.

(١) سورة هود، آية رقم ٤٦.

(٢) هذا الأثر رواه الإمام أحمد في الزهد ص ٦٦، قلت: وهذا إسناد صحيح عن وهيب بن الورد.
وهيب بن الورد: ثقة عابد، وهو من تابع التابعين انظر التزييد ٣٣٩/٢. فلعله أخذ الحديث عن
الحسن أو غيره ممن يروي عن أهل الكتاب، والله تعالى أعلم.

٤ - تَوْبَةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ^(*)

أخبرنا أحمد بن المبارك، أنا جدي ثابت، أنا أبو علي بن دوما، أنا مخلد بن

(*) ذكر المصنف هنا توبة موسى - عليه السلام - في طلبه رؤية الله تعالى.

وهذه القصة كما أخبر بها الله تعالى في سورة الأعراف، آية رقم (١٤٣) هكذا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قَالَ: لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: سُبْحَانَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقد تأوّل الزمخشري طلب موسى - عليه السلام - الرؤية بوجهين:

١ - أنه إنما سأل ذلك تبكيتاً لمن خرج معه من بني إسرائيل الذين طلبوا لرؤية، فقالوا: أَرَأْنَا اللهَ جهرة، فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب بالمنع.

٢ - أن معنى ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، عرفني نفسك تعريفاً واضحاً جلياً.

قال القرطبي: «وعند المبتدعة: سأل لأجل القوم، ليبين لهم أنها غير جائزة. وهذا لا يقتضي التوبة».

وبالبعث ذكر كلام الزمخشري بشكل آخر، فقالوا: إن موسى كان عالماً بأن الله لا يرى، ولكن طلب قومه أن يريهم ربّه، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾. فطلب الرؤية ليبين الله تعالى لهم أنه ليس بمرئي.

وهذا باطل، إذ لو كان كما زعموا لقال موسى: أريهم ينظروا إليك، ثم يقول له: لَنْ يَرُونِي.

- وأما التأويل الثاني للزمخشري في طلب الرؤية، بأن المقصود عرفني نفسك تعريفاً واضحاً جلياً.

فهذا أضعف وأبعد، فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له تعالى: ﴿انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ... الآية﴾.

والصواب - والله تعالى أعلم - أن موسى - عليه السلام - في لقائه في الموعد المحدد، وفي كلام الله إياه، لم يكنف بأن يكلمه الله تعالى، بل أراد أن يستكثر من الخير، كعادة الإنسان الذي لا يقف عن طلب المزيد من النعم، إذا أعطي بعضاً منها فسأل ربه في أن يظهر عليه بجلاله، وأن يمكنه من أن يراه رؤية بصرية.

فموسى - عليه السلام - في خضم تلقّيه كلام الله تعالى، وتشوق روحه واستشراقها، ينسى من هو، وينسى ما هو ويطلب ما لا يكون لبشر في هذه الأرض، وما لا يطيقه بشر في هذه الأرض... يطلب الرؤية.

ولم يدر موسى - عليه السلام - : أنه تجاوز بهذا السؤال الحدود التي يجب أن يبقى فيها مع الله تعالى جل في علاه، فليس هو مع إنسان مثله، إنما هو مع موجود متفوق في وجوده وكماله... هو مع ربّه، ربّ العالمين سبحانه وتعالى. ومهما قرّبه ربه إليه فسيظل الفرق قائماً بين طبيعة الإنسان المقرب، وخصائص الإله المعبود الأعلى.

ولذا كان ردّ المولى سبحانه على سؤال موسى هو النفي المؤكّد بقوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾. ثم قال: ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ... الآية﴾. فحدث مع موسى ما حدث - كما ذكر الله تعالى - إلى أن أفاق فقال: ﴿سُبْحَانَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قبل: ثبت عن تجاوزي للمدى في سؤالك.

جعفر، أنا الحسن بن غلوثة، أنا إسماعيل بن عيسى، أنا إسحاق بن بشر، أنا أبو إلياس،
عن وهب بن منبه^(١)، قال:

لما سمع موسى - عليه السلام - كلام ربه - عز وجل - طبع في رؤيته، فقال: ﴿رَبِّ
أُرْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قَالَ لَنْ تَرَانِي لَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾^(٢).

قال محمد بن إسحاق^(٣): حدثني بعض من لا أتهم قال: قال الله تعالى: يا ابن
عمران! إنه لا يراني أحدٌ فحيًا. قال موسى: رب لا شريك لك، إني أن أراك وأموت
أحب إلي من أن لا أراك وأحيًا، رب أجمع علي نعماك وفضلك وإحسانك بهذا الذي
أسألك، وأموت على أثر ذلك.

قال: وأخبرنا جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس^(٤)، قال: لما رأى الله - الرحيم
بخلقه - من جرح موسى على أن يعطيه سؤله، قال: انطلق فانظر الحَجَر الذي في رأس
الجبل، فاجلس عليه، فأني مهبط عليك جندي، ففعل موسى.

فلما استوى عليه، عرض الله تعالى عليه جنود سبع سموات، فأمر ملائكة سماء

- وقيل: عن مسألة انروية في الدنيا، قاله مجاهد.

وقيل: سأل من غير استئذان، فلذلك تاب.

وقيل: على جهة الإنابة إلى الله والخشوع له وعند ظهور الآيات.

وقوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. قال ابن كثير في تفسيره ٢/٢٤٥: «أي أنه لا يراك أحد، وكذا قال أبو
العالية، قد كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم
القيامة».

وهذا قول حسن له أنجاه أهد.

والله تعالى أعلم.

نقلًا - بتصرف - عن رسالة: (النبوة والعصمة) للشيخ فواز أحمد زمرلي حفظه الله تعالى.

وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٢٤٤ - ٢٤٥، والبداية والنهاية له ١/٢٦٤ - ٢٦٦ للأهمية.

(١) هذا إسناده ضعيف جداً عن وهب فيه: إسحاق بن بشر، أبو حذيفة البخاري، صاحب كتاب المبتدأ،
قال عنه الذهبي في المغني ١/٦٩: «مجمع على تركه، وقد اتهم بالكذب، وقال ابن الصديقي:
كذاب» أهد. وقد تقدمت ترجمة إضافية له أول الكتاب.

(٢) سورة الأعراف، آية رقم ١٤٣.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٢٤٥: «وقد ذكر محمد بن جرير - أي الطبري - في تفسيره
ههنا - أي: في تفسير هذه الآية: رب أُرْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ... - أشراً طويلاً فيه غرائب وعجائب عن
محمد بن إسحاق بن يسار، وكأنه نقله من الإسرائيليات، والله أعلم» أهد.

(٤) هذا إسناده ضعيف جداً عن ابن عباس، وفيه: جوير، وهو ابن سميد الأزدي، نزل الكوفة، راوي
التفسير، ضعيف جداً، كذا في التقريب ١/١٣٦، وقد تقدمت ترجمة ضافية له أول الكتاب.

الدنيا أن يعرضوا عليه. فمروا بموسى - عليه السلام - ولهم أصوات مرتفعة بالتسبيح والتهليل كصوت الرعد الشديد ثم أمر ملائكة السماء الثانية أن يعرضوا عليه ففعلوا، فمروا به على ألوان شتى، ذور وجوه وأجنحة، منهم ألوان الأسد، رافعي أصواتهم بالتسبيح. ففزع موسى منهم، وقال: أي رب! إني ندمت على مسألتني، رب! هل أنت منجى من مكاني الذي أنا فيه؟

قال له رأس الملائكة: يا موسى، اصبر على ما سألت، فقليل من كثير ما رأيت. ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى، فأقبل ما لا يحصى عددهم على ألوان شتى، ألوانهم كلهب النار، لهم بالتسبيح والتهليل رُجُلٌ^(١). فاشتد فزع موسى - عليه السلام -، وساء ظنه، ويئس من الحياة.

فقال له رأس الملائكة: يا ابن عمران، اصبر حتى ترى ما لا تصبر عليه. ثم أوحى الله تعالى إلى ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا إلى موسى بالتسبيح، فهبطوا، ألوانهم كلهب النار، وسائر خلقهم كالثلج، لهم أصوات عالية بالتسبيح والتقديس، لا تشبه أصوات الذين مروا به.

فقال له رأس الملائكة: يا موسى، اصبر على ما سألت. فكَذَلِكَ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يَنْزِلُونَ إِلَيْهِ بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَبْدَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَقْبَلَتْ مَلَائِكَةُ يَخْطِفُ نُورُهُمُ الْأَبْصَارَ وَمَعَهُمْ جِرَابٌ، الْحَرَبِيُّ: كَالنَّخْلَةِ الطَّوِيلَةِ الْعَظِيمَةِ، كَأَنَّهَا نَارٌ، أَشَدُّ ضَوْءاً مِنَ الشَّمْسِ. وَمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَبْكِي رَافِعاً صَوْتَهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، اذْكُرْنِي وَلَا تَنْسِنِي أَنَا عَبْدُكَ، مَا أَظُنُّ أَنَّ أَنْجُو مِمَّا أَنَا فِيهِ، إِنْ خَرَجْتَ احْتَرَفْتُ، وَإِنْ مَكَثْتُ مِتُّ.

قال له رأس الملائكة: قد أوشكت أن تُمَتِّلِيءَ خوفاً وينخلع قلبك، هذا الذي جلست لتنظر إليه.

قال: ونزل جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومن في سبع سماوات، وحملة العرش والكرسي، وأقبلوا عليه، يقولون: يا خاطيء ابن الخاطيء، ما الذي رفاك إلى ها هنا! وكيف اجترأت أن تسأل ربك أن تنظر إليه؟ وموسى - عليه السلام - يبكي، وقد اصططكت ركبته^(٢)، وتخلعت مفاصله.

(١) رُجُلٌ: بفتحين: الصوت، كذا في مختار الصحاح ص ٣٦٣، وانظر أساس البلاغة ص ١٨٩.

(٢) اصططكت ركبته، أي: ضربت أحدهما بالأخرى من شدة الخوف.

فلما رأى الله - عز وجل - ذلك من عبده، أراه قائمة عرشه، فتعلق فاطمأن قلبه.

فقال له إسرائيلي: يا موسى! والله - إنا لنحن رؤساء الملائكة - لم نرفع أبصارنا نحو العرش منذ خُلِقْنَا خوفاً وُفُوقاً^(١)، فما حملك أيها العبد الضعيف على هذا؟

فقال موسى: يا إسرائيلي، - وقد اطمأن - أحببت أن أعرف من عظمة ربِّي ما عرفت.

ثم أوحى الله - عز وجل - للسموات: إني متجِّلٌ للجبل. فارتعدت السماوات والأرض والجبال والشمس والقمر والنجوم والسحاب والجنة والنار والملائكة والبحار، وخرُّوا كلهم سجداً، وموسى ينظر إلى الجبل: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، وَخَرَّ مُوسَى صَمِقًا^(٢)﴾ مَيِّتاً من نور ربِّ العزة جلّ وعلا، فوقع عن الحجر، والقلب عليه، فصار عليه مثل القبة لثلا يحترق.

قال الحسن: فبعث الله تعالى جبريل - عليه السلام -، فقلب الحجر عن موسى وأقامه. فقام موسى - عليه السلام -، فقال: ﴿سبحانك! نبت إليك^(٣) ممّا سألت، ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ أي: أنا أول من آمن أنه لا يُنظر إليك أحدٌ إلا مات، وقيل: أنا أول من آمن أنه لا يراك أحدٌ في الدنيا^(٤).

٥ - توبة داود عليه السلام*

أخبرنا أحمد بن المبارك، قال: أنبأ ثابت، أنا أبو علي، أنا مُحَمَّد، أنا الحسن بن

(١) الفرق: الخوف، مختار الصحاح ص ٣٢٩.

(٢) سورة الأعراف، آية رقم ١٤٣.

(٣) سورة الأعراف، آية رقم ١٤٣.

(٤) أنظر تفسير ابن كثير ٢/٢٤٥. وقد تقدّم الكلام على هذا فيما ذكرته في الكلام على توبة موسى - عليه السلام -.

(*) ذكر المصنف هنا، قصتان عن داود - عليه السلام.

أما الأولى: فظاهرة البطلان، لا يجوز نسبتها إلى نبي أبداً، إذ فيها أنه أحب امرأة رجل، ثم سعى في قتله، ثم تزوجها بعد ذلك، وهذا مما لا يجوز نسبه لأحد المسلمين، فكيف نبي؟!.

وأما الثانية: فذكر فيها قصته - عليه السلام - مع الخصمين الذين نُسِّروا عليه المحراب، وذكر فيها أن الخصمين ملكان وإنما أتوا لابتلائه وغير ذلك.

والفصّة وكما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز ذكرها المصنف. فلا حاجة إلى ذكرها هنا.

ويكفي أن نذكر قول الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١٢/٢: «وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليّات، ومنها ما هو مكذوب لا محالة، تركنا إيرادها في كتابنا قصداً، إكتفاءً واقتصاراً على مجرد تلاوة القصة في القرآن العظيم، والله بهدي من =

علي، أنا إسماعيل، أنا إسحاق، قال: وأبنا الأوزاعي^(١)، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال:

كان داود - عليه السلام - قد قسّم الدّهر على أربعة أقسام، فيوم لبني إسرائيل يُدَارِسهم العلم ويدارسونه، ويوم للمحارب، ويوم للقضاء، ويوم للنساء.

فبينا هو مع بني إسرائيل يدارسهم، إذ قال بعضهم: لا يأتي على ابن آدم يومٌ إلا يصيب فيه ذنباً.

فقال داود في نفسه: اليوم الذي أخلو فيه للمحارب تتنحى عني الخطيئة. فأوحى الله إليه: يا داود! خذ حذرك حتى ترى بلاءك.

قال إسحاق: وأخبرنا ابن بشر، عن قتادة، عن الحسن^(٢)، قال: فبينا هو في محرابه مُتَكَبِّ على الزُّبُور^(٣) يقرؤها، إذ دخل عليه طائر من الكُوءة فوقع بين يديه، جسده من

= يشاء إلى صراط مستقيم، أهـ.

وسمائي مرید بیان لحدث ضمن تعليقنا على الفصّة.

(١) كذا في المطبوعة: أنا إسحاق، قال وأبنا الأوزاعي - هكذا بالو - وأبنا - فلعل إسحاق كان يحدث، فيقول: أبنا فلان كذا، وأبنا فلان كذا، وأبنا الأوزاعي عن يحيى كذا. أو كان يحدث عن الأوزاعي نفسه، فكان يقول: أبنا الأوزاعي عن فلان كذا، وأبنا الأوزاعي عن فلان كذا، وأبنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير كذا. والله تعالى اعلم.

والأوزاعي هو: عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو، فقيه، ثقة، جليل. مات سنة سبع وخمسين ومائة التقريب ٤٩٣/١.

(٢) قلت: هذا إسناد ضعيف جداً - متروك - عن رسول الله ﷺ - هذا إن لم يكن موضوعاً، فيه:

١ - إسحاق، وهو ابن بشر، قال عنه الذهبي في المغني ٦٩/١: «مجمع على تركه، وقد اتهم بالكذب، وقال: ابن النمدني كذاب، أهـ».

وقد تقدّمت ترجمة ضافية له أول الكتاب، باب ذكر التّوابين من الملائكة.

٢ - الإنقطاع بين يحيى بن أبي كثير، وأبي هريرة، فإنه - أي يحيى - لم يدرك أباه هريرة.

قال أبو حاتم الرازي: يحيى بن أبي كثير لم يدرك أباه هريرة. وقال مرة أخرى: يحيى بن أبي كثير لم يدرك أحداً من أصحاب النبي ﷺ - إلا أنساباً فإنه راه رؤية، ولم يسمع منه.

أنظر المراسيل لابن أبي داود ص ٢٤٠ - ٢٤٤.

(٣) هذا إسناد ضعيف جداً - متروك - عن الحسن، فيه:

١ - إسحاق، وهو ابن بشر: مجمع على تركه، كما تقدّم.

٢ - ابن بشر، واسمه: محمد: قال عنه الحاكم أبو عبد الله: ليس بالقوي. ميزان الاعتدال ٤٩١/٣.

(٤) أي ملازمٌ للزُّبُور لا يفارقه يقرؤه، أنظر أساس البلاغة ص ٣٨٤.

والزُّبُور: هو الكتاب الذي أنزل على داود عليه السلام، قال تعالى في سورة الإسراء آية رقم (٥٥):

ذهب، وجناحه من ديباج مُكَلَّل بالدرّ، ومنقاره زَبْرُجَد، وقوائمه فيروزج.

فوقع بين يديه، فنظر إليه، فحسب أنه من طير الجنة، فجعل يتعجب من حسنه، وكان له ابن صغير - ، فقال: لو أخذت هذا فنظر إليه ابني. فأهرى إليه فتباعد منه، ويُطعمه أحياناً من نفسه حتى تكاد تقع يده عليه، فتباعد منه أيضاً. فما زال كذلك يذنو ويتباعد حتى قام من مجلسه وأطبق الزبور.

فطلبه^(١) فوق في الكوة، فطلبه في الكوة، فرمى بنفسه في ستان، فاطلع داود فإذا بامرأة تغتسل.

قال قتادة^(٢)، عن بلال بن حسان: فأخرج رأسه من الكوة، فإذا هو بامرأة تغتسل، فنظر إلى أحسن خلق الله. ونظرت المرأة وإذا وجه رجل، فنشرت شعرها فغطت جسدها.

رجع إلى حديث الحسن قال: فزاده ذلك بها إعجاباً. فرجع إلى مكانه وفي نفسه منها ما في نفسه.

فبعث لينظر من هي؟ فرجع إليه الرسول فقال: هي تشابع ابنة خاندان، وزوجها أوريا ابن صورا - وهو في البلقاء، مع ابن أخت داود محاصرين قلعة - .

فكتب داود إلى ابن أخته كتاباً: إذا جاءك كتابي هذا فمُرْ أوريا بن صورا فليحمل التابوت وليتقدم أمام الجيش - وكان الذي يتقدم لا يرجع حتى يُقتل أو يفتح الله عليه - .

فدعا صاحب الجيش أوريا فقرأ عليه الكتاب، فقال: سمعاً وطاعة، فحمل التابوت وسار أمام أصحابه فقتل.

وكتب ابن أخت داود بذلك إلى داود.

فلما انقضت عدة المرأة أرسل إليها داود فخطبها فترّوجها^(٣).

= «واتينا داود زبوراً».

(١) أي: طلب الطير.

(٢) هو موصول بالإسناد السابق، أي عن إسحاق بن بشر، عن محمد بن بشر، عنه، وهذا إسناد ضعيف جداً كما تقدم.

(٣) هذه القصة - وكما تقدم - ظاهرة البطلان، ويكفيها ردّها لها، أنها لم تثبت من ناحية الإسناد، فهي كلها تعود إلى إسحاق بن بشر، وفيه من الكلام ما قد عرفت.

قال الإمام ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ١١٥.

وما زوي من أنه نظر إلى المرأة فهو بها، وتقدم زوجها للفضل، فإنه وجه لا يجوز على الأنساء، لأن =

قال^(١): وأخبرنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قال: إن داود لما تزوج نسايع بنت حنانا، وكان يخلو للعبادة في المحراب، فبينما هو في الحراب، إذ سمع صوتاً عالياً، ثم تسور عليه رجلان حتى اقتحما عليه، فلما رآهما فرغ منهما قالا: ﴿لا تخف، خصمان ينفي بعضنا على بعض﴾ يعني، اعتدى بعضنا على بعض فظلمه، ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ يعني: لا تجر، ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ - يعني إلى قصد السبيل.

فقال داود: قضا علي قضتكما قال: ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة، فقال: أكفلنيها وعزني في الخطاب﴾ يعني: فهرني وظلمي، وأخذ نعجتي فضمتها إلى نعاجه ﴿وعزني في الخطاب﴾ - يعني: إذا نكلم كان أبلغ في المخاطبة مني، وإذا دعا كان أسرع إجابة مني، وإذا أخرج كان، - يعني: أكثر تبعاً مني - .

فقال داود: ﴿لقد ظلمك بسؤل نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخطأء ليبيي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾^(٢).

قال: فضحك المدعى عليه. فقال داود: تظلم وتضحك؟ ما أحوجك إلى قدوم يرض^(٣) منك هذه وهذه، يعني: جهته وفاه.

قال الملك: بل أنت أحوج إلى ذلك منه، وارفعنا.

وفي رواية قال: فتحولا في صورتهم، وعرجا وهما يقولان: قضى الرجل على نفسه^(٤).

= الأنبياء لا يأتون المعاصي مع العلم بها، أهد.

وقال الرازي في (عصمة الأنبياء) ص ١٠٠: إن الذي حكاه المفسرون عن داود، وهو أنه عشق امرأة أوربى، فاحتال حتى قتل زوجها، لا يليق بالأنبياء، بل لو وصف به أقبل الممولى لكان منكراً أهد. وقد تقدم قول الحافظ ابن كثير الذي ذكره في البداية وانتهاء ١٢/٢ أنه قد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيلية، ومنها ما هو مكذوب لا محالة. أهد.

(١) أي: يسحق بن بشر، وهو متروك، كما تقدم بالإسناد ضعيف حدث عن الحسن.

(٢) سورة ص، آية رقم / ٢٢. وتام هذه الآية، مع سابقها - آية رقم / ٢١ - ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب، إذ دخلو على داود ففرغ منهم، قالوا لا تخف خصمان﴾ الآيات.

(٣) سورة ص، آية رقم / ٢٣.

(٤) سورة ص، آية رقم / ٢٤. وتام هذه الآية مع ما بعده - آية رقم / ٢٥ - ﴿وظن داود أنما قتله فاستغفر ربه، وخر راكعاً وأواب، فغفرنا له ذلك، وإن له عندنا لرزقاً وحسن مآب﴾.

(٥) أي: يكسر ويقطع منك هذه وهذه، أنظر مختار الصحاح ص ٢٣٤.

(٦) ما تقدم يظهر أن الخصمين هما ملكان. وقد رد الإمام ابن حزم هذا، فيما ذكره في كتابه الفصل.

= فقال - رحمه الله - بعد أن ذكر الآيات : وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزون الكاذبون المتعنفون بخرافات وكذبا اليهود - وإنما كان ذلك الخصم ثوماً من بني آدم بلا شك، مختصمين في نجاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدهما على الآخر على نص الآية

ومن قال أنهم كانوا ملائكة مُعْرِضِينَ بأمر النساء.

- (قلت : هناك قصة أخرى غير التي ذكرها المصنف من زواج داود بزوجة أوريا، وهي باختصاره أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضاً أن يتزل عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبت، وكانت لهم عادة في ذلك لا يتكرونها، فاتفقت أن وقعت عين داود عليه السلام على امرأة رجل فأعجبت، فسأله النزول عنها، فعزل، وتزوجها داود عليه السلام وكان لداود عليه السلام تسع وتسعون زوجة غيرها فأنزله الله من مكان بصورة رجلين يسألانه عن النجاج، بشكل تعريض لما حدث معه، أي : أن تسع وتسعون نعمة إشارة تسع وتسعون زوجة التي لداود عليه السلام، والنعمة الأخرى إشارة إلى زوجة الرجل الذي لم يكن عنده غيرها.. وبالتالي فحكمه لصالح صاحب النعمة الواحدة، على صاحب النجاج التسع والتسعون، كان حكماً على نفسه بأنه قد ظلم الزوجة الواحدة. فعلم داود عليه السلام، فخر راعياً وأباً.

هذه هي القصة. وهي من الروايات الإسرائيلية التي لا يثبت فيها شيء عن النبي - ﷺ - ومبني نقصه من الإمام ابن حزم

يعود الكلام إلى الإمام ابن حزم : ومن قال أنهم كانوا ملائكة مُعْرِضِينَ، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذب الله عز وجل، وفر على نفسه الحيلة أنه تكذب على الملائكة. لأن الله تعالى يقول : ﴿ هل أتاك نيا الخصم... ﴾، فقال هو : لم يكونوا قط خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعمة، ولا كان للآخر نعمة واحدة، ولا قيل له أكفيتها. فأعجب لما يقيمون فيه أهل الباطل أنفسهم، ونعوه بالله من الخذلان، ثم كل ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجردة.

ثم قال : وأما استغفاره بخروجه ساجداً ومغفرة الله تعالى له، فالأنبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة. والاستغفار فعل خير لا ينكر من مثل ولا نبي ولا من مذهب ولا من غير مذهب، فالنبي يستغفر الله لمذبي أهل الأرض والملائكة. كما قال الله تعالى : ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ونههم عذاب الجحيم ﴾ ويحتمل أنه حصل منه على سبيل الإنقطاع إلى الله تعالى والخصوع والتأثر بالعبادة والسجود : كما حكى الله سبحانه عن إبراهيم عليه السلام يقول : ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾.

وأما قوله تعالى : ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾، فالمعنى إننا قبلناه منه وأنشأه عنه، فأخرجه على لفظ الجزاء. وتابع ابن حزم فقال : وأما قوله تعالى عن داود - عليه السلام - : ﴿ وظن داود أنما فتناه ﴾، وقوله ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾، فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما أتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فنة.

= فقد كان يدعو رسول الله ﷺ في أن يثبت الله قلبه على دينه - فاستغفر الله تعالى في هذا الظن، =

وعَلِمَ داود أنه إنما عُنِيَ به هو. فخرَّ ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة لا بدَّ منها، ثم يعود فيسجد، لا يأكل ولا يشرب، وهو يكي حتى نبت العشب حول رأسه، وهو ينادي ربه - عز وجل - ويسأله التوبة^(١).

وكان يقول في سجوده: سبحان خالق النور الحائل بين القلوب، سبحان خالق النور؛ إلهي خلّيت بيني وبين عدوّي إبليس فلم أقم لفنته إذ نزلت بي، سبحان خالق النور؛ إلهي لم أفارق الزُّبُور، ولم أتعط بما وعظت به غيري. إلهي أمرتني أن أكون لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزَّوج الرحيم، فسيئ عهدك، سبحان خالق النور، إلهي! بأيّ عين أنظر إليك يوم القيامة، وأما ينظر الظّالمون من طرف خفي، سبحان خالق النور، إلهي! الويل لداود من الذَّنْب العظيم الذي أصاب، سبحان خالق النور، إلهي الويل لداود إذا كُشِفَ عنه الغطاء، فيقال: هذا داود الخاطيء سبحان خالق النور، إلهي أنت المغيث وأنا المستغيث، فمن يدعوا المستغيث إلا المغيث؟ سبحان خالق النور؛ إلهي إليك قرّرت بذنوبي، واعترفت بخطيئتي، فلا تجعلني من القانطين، ولا تُخزني يوم الدين - في مناجاة كثيرة.

قال: فاتاه نداء: أجاجع أنت فتطعم؟ أظمان أنت فتسقى؟ أمظلوم أنت فتنصر؟ ولم يجبه في ذكر خطيئته.

قال: فصاح صيحة هاج ما حوله، ثم نادى: يا ربّ! الذَّنْب الذي أصبْتُ؟ فتُودِي: يا داود! ارفع رأسك فقد غفرتُ لك.

= فغفر الله تعالى له هذا الظن. إذ لم يكن ما أتاه الله تعالى من ذلك فتنة، أهد. نفلاً عن رسالة (النُوبة والمعصية) لشيخ المفضل، فواز أحمد زمرلي حفظه الله تعالى، وشر الله طبعها.

وقال الحافظ بن كثير في تفسير ٣١/٤: وقوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ أي: ما كان منه، مما يقال فيه: إن حسنات الأبرار سيئات المقربين، أهد.

وكان قد قال - رحمه الله تعالى - : وقد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب إتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح مسنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي، عن أنس رضي الله عنه - ، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يُرَدَّ علمها إلى الله - عز وجل - فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضاً، أهد.

وقد تقدّم ذكر ما قاله - رحمه الله تعالى - في البداية والنهاية.

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣١/٤: وقد ذكر - بصيغة المجهول - أنه استمر ساجداً أربعين صباحاً، أهد.

وأنظر الزهد للإمام أحمد ص ٩٠ - ٩١.

قال^(١): وأخبرنا أبو إلياس، عن وهب بن مُنَبِّه. أن داود أتى قبر أوريا، فقام عنده وجعل التراب على رأسه، ثم نادى فقال: الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور؛ الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود إذا نصبت الموازين، سبحان خالق النور؛ الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود يوم يُقْتَصُّ للمظلوم من الظالم، سبحان خالق النور؛ الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود يوم يُسْحَب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور؛ الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود!

قال: فأتاه نداء من السماء: يا داود! قد غفرت لك ذنبك، ورحمت بكاءك، وأقلت عثرتك.

قال: يا رب! كيف تعفو عني وصاحبي لم يعف عني؟

قال: يا داود أعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه، فأقول: رضي عبدي؟ فيقول: يا رب! من أين لي هذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول له: هذا عوض من عبدي داود، فأستوهبك منه، فيهلك لي.

قال: يا رب! الآن عرفت أنك قد غفرت لي^(٢).

(١) أي: إسحاق بن بشر، وهو: مجمع على تركه، فالإسناد ضعيف جداً عن وهب.

(٢) أنظر الزهد للإمام أحمد ص ٩٠ - ٩١.

وبكفيها في هذه القصة أن نقرأ القرآن، ونردّ علمها إلى الله تعالى، إذ أن القرآن حقّ وما تضمنه فهو حقّ، كما ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره.

وقال - رحمه الله - في البداية والنهاية ١٢/٢: وكما تقدّم -: «وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيلية، ومنها ما هو مكذوب لا محالة، تركنا إيرادهما في كتابنا فصدّ، إكتفاءً واقتصاداً على مجرد تلاوة الفصة من القرآن العظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» اهـ.

[٦] توبة سليمان عليه السلام*

قال إسحاق: وأخبرنا جُوَيْر، عن الضَّحَّاك، عن ابن عباس^(١)، قال: كان سليمان - عليه السلام - رجلاً غزاً، يغزو في البر والبحر، فسمع بملك في جزيرة من جزائر البحر، فركب سليمان الرِّبْع وجنوده من الجن والإنس، حتى نزل تلك الجزيرة، فقتل ملكها، وسبى من فيها، وأصاب جارية لم ير مثلاً حُسنًا وجمالاً، وكانت ابنة ذلك الملك، فاصطفاه لنفسه. فكان يجد بها ما لا يجد بأحد، وكان يؤثرها على جميع نسائه.

فدخل عليها يوماً، فقالت: إني أذكر أبي وملكه، وما أصابه، فيحزني ذلك، فإن رأيت أن تأمر بعض الشياطين فيصوّرون لي صورة أبي في داري فأراه بكراً وعُشياً، رَجَوْتُ أن يذهب عني حزني، ويسلي عني بعض ما أجد في نفسي.

فأمر سليمان صَخْرًا المارد، فمثل لها أباه في هيئته في ناحية دارها، لا تنكر منه شيئاً، إلا أنه لا روح فيه.

فعمدت إليه فزئته وألبسته حتى تركته في هيئة أبيها ولباسه، فإذا خرج سليمان - عليه السلام - من دارها تغدو عليه كل غدوة مع جواربها قطنيّة، وتُسجّد له،

(*) ذكر المصنف هنا قصة سليمان عليه السلام. مع إحدى زوجاته التي عبدت الأصنام في داره دون علمه، وذكر قصته كذلك مع صَخْر، ذلك المارد الذي أخذ منه الخاتم، فسلب بذلك سليمان مملكته.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٦/٤: «وقد رويت هذه القصة مطوّلة عن جماعة من السلف - رضي الله عنهم - كعبد بن السيب وزيد بن أسلم، وجماعة أخرى، وكلها متلفاة من قصص أهل الكتاب، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب» أهـ.

وقال في البداية والنهاية ٢٤/٢: «ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف، وأكثرها أو كلها متلفاة من الإسرائيليات. وفي كثير منها نكارة شديدة...» أهـ.

وقال الرازي في (عصمة الأنبياء) ص ١١٨: «وأما الذي يذكره الأكثرون من القصص من حديث الخاتم وأصف، فتلك الحكاية باطلة لم يدل على صحتها شيء، فلا يجوز الإلفات إليها» أهـ.

وقال النسفي في تفسيره ٤٢/٤٥: «وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان، وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام - فمن أباطيل اليهود» أهـ.

(١) هذا إسناد ضعيف جداً عن ابن عباس، وفيه:

١ - إسحاق، هو: ابن بشر، أبو حذيفة البخاري، قال عنه في المغني ٦٩/١: «مجمع على تركه، وقد اتهم بالكذب، وقال ابن المديني: كذاب» أهـ.

٢ - جُوَيْر وهو: ابن سعيد الأزدي: راوي التفسير، ضعيف جداً، التقريب ١٣٦/١.

وقد تقدمت ترجمة صافية له ولإسحاق أول هذا الكتاب، باب ذكر التوابين من الملائكة

وَتُسَجِّدُ جَوَارِيهَا، وَتَرْجُحُ بِمِثْلِهِ، - وَسَلِيمَانُ لَا عِلْمَ لَهُ بِذَلِكَ - .

حتى أتى لذلك أربعون يوماً، وبلغ الناس، وبلغ آصف بن برخيا - وكان صديقاً له - ، فدخل عليه، فقال: يا نبي الله! قد أحييت أن أقوم مقاماً أذكر فيه من مضى من أنبياء الله، وأنتي عليهم بعلمي فيهم.

قال: فجمع سليمان الناس، فقام فيهم فذكر من مضى من أنبياء الله، وأنتي على كل نبي بما فيه، وذكر ما فضلهم الله به، حتى انتهى إلى سليمان، فذكر فضله وما أعطاه الله في أحداثه سنة وصغره ثم سكت. فامتلاً سليمان غيظاً. فلما دخل، أرسل إليه قائلاً: فقال: يا آصف! ذكرت من مضى من أنبياء الله، فأثبتت عليهم بما كانوا عليه في زمانهم كله، فلما ذكرتني جعلت تنني عليّ بخير في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري، وما الذي أحدثت في كبري؟.

قال: أحدثت أن غيّر الله يُعَبِّدُ في دارك منذ أربعين يوماً في هوى امرأة.

قال: في داري؟ قال: في دارك.

قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، عرفتُ، ما قلتَ هذا إلا عن شيء يَلْفُكُ. ثم رجع إلى داره، وكسر ذلك الصِّمَّ، وعاقب تلك المرأة وولادها. ثم دعا بثياب الطُّهْرِ فلبسها، ثم خرج إلى فلاة من الأرض، ففرش له الرماد. ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى، فجلس على ذلك الرماد يتممك فيه^(١) متذللاً متضرعاً، يبكي ويستغفر الله ويقول: يا رب! ما هذا يلاؤك عند آل داود أن يعبدوا غيرك، وأن يقرؤا في دارهم وأهلهم عبادة غيرك؟ فلم يزل كذلك حتى أمسى. ثم رجع.

وكانت له حارية سمّاها: الأمانة. وكان إذا أتى الخلاء، أواراد إتيان امرأة، وضع خاتمها عندها، وكان لا يمسه إلا وهو طاهر، وكان الله تعالى جعل ملكه في خاتمها.

قال وهب: فجاء يوماً يريد الوضوء، فدفع الخاتم إليها. وجاء صخر المارد، فبو سليمان فدخل المتوضأ، فدخل سليمان لحاجته، وخرج الشيطان على صورة سليمان يفضض لحيته من الوضوء، لا تنكر من سليمان شيئاً. فقال: خاتمي يا أمانة! فناولته إياه. لا تحسب إلا أنه سليمان، فجعله في يده. ثم جاء حتى جلس على سرير سليمان، وعكف عليه^(٢) الطير والجن والإنس.

(١) يتممك فيه، أي: يتمرغ فيه. مختار الصحاح ص ٣٤٢.

(٢) وعكف عليه، أي: أقبل عليه مواظباً، وبابه: دخل وجلس: قال الله تعالى: ﴿وَيَمْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِ﴾.

وخرج سليمان، فقال للأمانة: خاتمي، قالت: ومن أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود. - وقد تغير عن حاله، وذهب عنه بهاؤه. - قالت: كذبت، إن سليمان قد أخذ خاتمه، وهو جالس على سريره في ملكه. فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته.

قال الحسن: فخرج سليمان هارباً مخافاً على نفسه. فمضى على وجهه بغير خذاء ولا قلنسوة، في قميص وإزار.

فمرّ بباب شارع على الطريق^(١). - وقد جهده الجوع والعطش والحر. - فأتى الباب فقرعه، فخرجت امرأة، فقالت: ما حاجتك؟ فقال: ضيافة ساعة، فقد تمرين ما أصابني من الحرّ والرّمضاء^(٢)، قد احترقت رجلاي، وبلغ مجهودي من الجوع والعطش.

قالت المرأة: زوجي غائب، وليس يسعني أن أدخل رجلاً غريباً عليّ. فأدخل البستان، فإن فيه ماءً وثماراً، فأصب من ثماره، وتبرّد فيه، فإذا جاء زوجي استأذنته في ضيافتك، فإن أذن لي فذاك، وإن أبى أصبت ما رزق الله ومضيت.

فدخل البستان فاغتسل، ووضع رأسه فنام. - فأذاه الذباب. - فجاءت حية سوداء، فأخذت ريحانة من البستان بفيها، وجاءت سليمان، فجعلت تذبّ عنه الذباب^(٣)، حتى جاء زوج المرأة، فقصّت عليه القصة، فدخل إلى سليمان، فلما رأى الحية وصنعها، دعا امرأته فقال لها: تعالي فانظري إلى العجب! فنظرت، ثم مشى إليه فأيقظاه، ثم قال له: يا فتى! هذا منزلنا، لا يسعنا شيء يعجزك، وهذه ابنتي قد زوجتكها، - وكانت من أجمل نساء زمانها. - فتزوجها، وأقام عندهم ثلاثاً، ثم قال: لا يسعني إلا طلب المعيشة لي ولاهلي.

فانطلق إلى الصيادين، فقال لهم: هل لكم بي رجل يكون معكم بعينكم، وترضخون له^(٤) من صيدكم، وكلّ يأتيه الله برزقه؟.

= لهم.

مختار الصحاح ص ٣٠٢.

(١) أي: مخرج على الطريق، انظر مختار الصحاح ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٢) الرّمضاء: شدة وقع الشمس على الرمل وغيره، والأرض رمضاء بوزن حمراء وقد رمض يوماً اشتدّ حرّه. - ورمضت قدمه أيضاً من الرّمضاء، أي: احترقت.

كذا في مختار الصحاح ص ٢٣٥.

(٣) تذبّ عنه الذباب، أي: تدفعه عنه.

(٤) ترضخون له، أي: تعطونه قليلاً. انظر مختار الصحاح ص ٨٤.

فَقَالُوا: قَدْ انْقَطَعَ عَنَّا الصَّيْدُ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا فَضْلٌ نَعْطِيكَ.

فمضى إلى غيرهم، فقال لهم مثل هذه المقالة. فقالوا له: نعم، وكرامة^(١)؛
نواسيك بما عندنا.

فأقام عندهم يختلف كل ليلة إلى أهله بما أصاب من الصيد حتى أنكر الناس قضاء سليمان وفعاله. فلما رأى الخبيث أن الناس قد فطنوا له، انطلق بالخاتم فألقاه في البحر. قال الحسن: أمسك الخاتم أربعين يوماً. ورؤي أنه قعد على كرسي سليمان، فاجتمع له الجن والإنس والشياطين. ومثل كل شيء كان يملكه سليمان - عليه السلام -، إلا أنه لم يُسلط على نائه.

وخرج سليمان يسأل الناس ويتضيقهم، ويقوم على باب الرجل والمرأة، ويقول: أطمعوني فأني سليمان بن داود. فيطردونه، ويقولون له: ما يكفيك ما أنت فيه حتى تكذب على سليمان، وهذا سليمان على ملكه حتى أصابه الجهد واشتد عليه البلاء.

فلما تم عليه أربعون يوماً، قال أصف: يا معشر بني إسرائيل! هل رأيتم من خلاف حكم ابن داود ما رأيتم؟ قالوا: نعم فعمد عند ذلك الخبيث فألقى الخاتم في البحر.

فاستقبله جرئ^(١٢) فابتلع الخاتم، فصار في جوفه مثل الحريق من نور الخاتم. فاستقبل جرئة^(١٣) الماء، فوقع في شباك الصيادين الذين كان سليمان معهم. فلما أمسوا قَسَمُوا السَّمَك، فأسقطوا الجرئ فجعلوه لسليمان. فذهب به إلى أهله، فأمرهم أن يصنعوه. فلما شقوا بطنه أضاء البيت نوراً من خاتمه. فدعت المرأة سليمان، فأرته الخاتم، فتختم به، وخرَّقه ساجداً، وقال: إلهي! لك الحمد على قديم بلائك، وحسن صنعك إلى آل داود. إلهي! أنت ابتدأتهم بالنعم، وأورثتهم الكتاب والحكم والنبوة، فلك الحمد. إلهي! تجود بالكبير، وتلطف بالصغير، فلك الحمد؛ نعمائك ظهرت فلا تخفى، وبَطَنْتَ^(١٤) فلا تُخْضِي، فلك الحمد. إلهي! لم تَسْلَمْنِي بِذُنُوبِي، فلك الحمد تغفر الذنوب، وتستجيب الدعاء، فلك الحمد إلهي! لم تَسْلَمْنِي بِجِرِيرَتِي، فلك الحمد

ولم تخذلني بخطيئتي، فلك الحمد. إلهي فأتيت نعمتك عليّ، واغفر لي ما سلف، وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي. فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ (١).

وَرُوي عن عكرمة، أن سليمان، لما أصاب المُنْث، أمر بحمل أهل ذلك البيت، فوضعهم في وسط المملكة، ولم يكن سليمان - عليه السلام - نال تلك المرأة حتى ردَّ الله عليه ملكه (٢).

(١) سورة ص، آية رقم ٣٤.

(٢) روى هذه القصة بنحوها ابن كثير في تفسيره ٢٤/٤ - ٣٦ من وجوه وطرق وقد تقدم ذكر أقوال العلماء في هذه القصة، وأن مآلها إلى بني إسرائيل، قال الحافظ ابن كثير ٣٥/٤: «وأرى هذه كلها من الإسرائيليات، أهد».

وهنا نذكر الردَّ على بعض ما جاء في هذه القصة من الإفتراءات. قال عبد الوهاب السجاري في كتابه (فصوص الأنبياء) بعدما ذكر شيئاً من هذه القصص وهذه أنوال لم يرد بها قرآن، ولا نقل صحيح عن رسول الله - ﷺ - ولا تنطبق على عقل ولا على حكمة. فهي خربة بالردِّ، وقد ردَّ عليها العلماء بوجوه.

الأول: إن الشيطان لو قدر على التشبه في الصورة والهيئة بالأنبياء، فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع، فلعل هؤلاء الذين زعم الناس في صورة محمد وموسى وعيسى - عليهم الصلاة والسلام - ما كانوا أولئك، بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة، لأجل إغواء الناس وإضلالهم. ولما كان ذلك باطلاً لأنه يؤدي إلى إبطال الذين بالكلية كان ما أدى إليه باطلاً بالكلية.

الثاني: لو قدر - الشيطان - على سليمان أن يعاينه هذه المعاملة، لقدر على مثلها من العلماء والزهاد، فيقتنهم، ويمزق كتبهم ويمحوها، ويشت فيها، شيئاً آخر، ولما كان المشاهد خلاف ذلك، وإنه لم يقدر من أحد منهم على هذا، فوجب أن يكون سليمان ممن لا يقدر عليهم بالأولى.

الثالث: لو قلنا إن المرأة عبدت صورة أبيها، فلا يحلو الأمر لها أن يكون ذلك بامر سليمان، وحينئذ يكون كافراً، وهذا محال.

وأما أن يكون بدون أمره وعلمه، وحينئذ لا جريرة صدرت منه، ولا عقاب عليه.

الرابع: يقولون إن الشيطان لما جلس على كرسي سليمان جتمعت عليه نظير والإس والجني. وقيل هذا في غفلة عما جاء في كتاب الله الكريم من أن تمحير الجن لسليمان إنما كان بعد الفتنه لا قبلها، بذليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ، وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ، قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لأحدٍ من بعدي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. نَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ يَنَاقٍ وَغَوَاصٍ، وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ أهد.

وقد ذكر المفسرون في تفسير آية توبته عليه السلام غير ذلك، نرى هنا موضع ذكرها، فليستر في التفسير وغيرها من الكتب التي تكلمت على حياة الأنبياء عنهم الصلاة والسلام.

[٧] تَوْبَةُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ*

قال إسحاق بن بشر: وأخبرنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن^(١) أن يونس - عليه السلام - كان مع نبي من أنبياء بني إسرائيل، فأوحى الله إليه أن أبعث يونس إلى أهل نينوى يحذّرهم عقوبيتي.

قال: فمضى يونس على كرهٍ منه، وكان رجلاً خديداً شديد الغضب.

قال: فأتاهم فحذّرهم وأنذرهم، فكذبوه وردّوا عليه نصيحته، ورمّوه بالحجارة وأخرجوه، فانصرف عنهم.

فقال له نبي بني إسرائيل: إرجع إلى قومك، فرجع إليهم، فرمّوه بالحجارة وأخرجوه. فقال له النبي: إرجع إلى قومك، فرجع فكذبوه، وأوعدهم العذاب، فقالوا: كذّبت. فلما كذبوه وكفروا بالله وجحدوا كتابه، دعا عند ذلك ربّه على قومه، فقال: يا ربّ! إنّ قومي أبوا إلا الكفر، فأنزل عليهم نقماتك. فأوحى الله تعالى إليه: إني أنزل بقومك العذاب.

قال^(٢): فخرج عنهم يونس، وأوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام. وأخرج أهله وانطلق، فصعد جبلاً ينظر إلى أهل نينوى، ويتربّع العذاب.

(*) ذكر المصنف هنا قصة يونس - عليه السلام - في دعوته للقوم الذين أرسله الله إليهم، ثم دعائه عليهم، ثم سفره في السفينة وإنقاذ الحوت له.

وهذه القصة مما اتفق عليها المفسرون، وقد أوردها الحافظ ابن كثير في تفسيره من غير تعليق عليها، ونقضي لها كالموافق لها، لكن في قصة المصنف ههنا الكثير الكثير من الزوائد والتوسعات ويكتفينا ردّها عليها ضعف سندها كما سيأتي.

وانظر هذه القصة على الشكل الصحيح في تفسير الحافظ ابن كثير ٣/ ١٩١ - ١٩٣، و٤/ ٢٠ - ٢٢، والبداية والنهاية ١/ ٢١٦ - ٢٢١.

وهذه القصة كما ذكرها الله تعالى في كتابه - سورة الأنبياء آية رقم (٨٧ - ٨٨) - ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ، فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال تعالى في سورة الصافات، آية رقم (١٣٩ - ١٤٧):

﴿وَإِنْ يُونُسَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ. فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ. فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. فَبَدَّلْنَا بِالْعَمَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ، وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ. وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ الْقَبْرِ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

(١) هذا إسناد ضعيف جداً عن الحسن، فيه إسحاق بن بشر: مجمع على تركه وبعضهم اتهمه بالكذب، كما سبق مراراً.

(٢) أي: الحسن.

فجاءهم العذاب وعاینوه، فتأبوا إلى الله تعالى، فكشف عنهم العذاب.

فلما رأى ذلك، جاءه إبليس، فقال: يا يونس! إنك إن رجعت إلى قومك آتَهُمْوْكَ
وكذبوك. فذهب مغاضباً لقومه.

فانطلق حتى أتى شاطئ دجلة، فركب سفينة، فلما توسطت به الماء، أوحى الله
إليها أن أركدي، فركدت السفينة، والسفن تمرّ يمينا وشمالاً. فقالوا: ما بال سفيتكم؟
فقالوا: لا ندري. قال يونس: أنا أدري. قالوا: فما حالها؟ قال: فيها عبدٌ أبى من ربه،
فلا تسير حتى تلقوه في الماء. قالوا: ومن هو؟ قال: أنا. وعرفوه. قالوا: أما أنت فليس
نُلقيك، والله ما نرجو النجاة منها إلا بك. قال: فاقترعوا، فمن قرع فألقوه في الماء.
قال: فاقترعوا، ففرعهم يونس. فأبوا أن يلقوه، قال: فاقترعوا الثانية، ففرعهم. فقال:
فاقترعوا الثالثة، ففرعهم. قال: ألقوني في الماء.

وفي رواية قال: يا قوم! اطرحوني في الماء وانجوا. فقام القوم، فاحتملوه شبه
المشفقين عليه. فقال: اتنوا بي صدر السفينة. ففعلوا، فلما أشرفوا ليلقوه، فإذا الحوت
فاتح فاه. فلما رأى ذلك، قال: يا قوم! ردوني إلى مؤخر السفينة. ففعلوا، فلما أشرفوا،
ذهبوا يطرحونه، فاستقبله الحوت فاتحاً فاه. فلما رأى جوفه وهولته، قال: يا قوم! ردوني
إلى وسط السفينة. ففعلوا، فاستقبله، فقال: ردوني إلى الجانب الآخر. فاستقبله فادحاً
فاه ليأخذه. فقال: اطرحوني وانجوا، فلا منجى من الله. فطرحوه، والتفمه الحوت قبل أن
يبلغ الماء، ونصوب به^(١).

رجع الحديث إلى الحسن، قال: فانطلق به الحوت إلى مسكنه من البحر، ثم
انطلق به إلى قرار الأرض، فطاف به البحار أربعين يوماً. فسمع يونس تسبيح الحصى
وتسبيح الحيتان.

قال: فجعل يسبح ويهلل ويقدس؛ وكان يقول في دعائه: سيدي! في السماء
مسكنك، وفي الأرض قدرتك وعجائبك. سيدي! من الجبال أهبطني، وفي البلاد
مبّرنتي، وفي الظلمات الثلاث حبستي. إلهي سجتني بسجن لم تسجن به أحداً قبلي.
إلهي! عاقبتني بعقوبة لم تعاقب بها أحداً قبلي. فلما كان تمام أربعين يوماً وأصابه الغم:
﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) قال: فسمعت

(١) الصُّوب، في الأصل: نزول المطر، كما في مختار الصحاح ص ٣٠، والمقصود هنا، نزل به إلى
قعر الماء.

(٢) سورة الأنبياء، آية رقم ٨٧.

الملائكة بكاءه وعرفوا صوته، وبكت الملائكة لبكائه يونس، وبكت السماء والأرض والحيتان.

فقال الجبار: يا ملائكتي! مالي أراكم تكونون؟ قالوا: ربنا! صوت ضعيف حزين نعرفه في مكان غريب. قال: ذلك عبيدي يونس عصاتي فحبسته في بطن الحوت في البحر. فقالوا: يا رب! اتعبد الصالح الذي كان يَصُعدُ له في كل يوم وليلة العمل الصالح الكثير؟

قال ابن عباس: قال الله تعالى: نعم. قال: فشفعت له الملائكة والسموات والأرض. فبعث الله تعالى جبريل - عليه السلام - ، فقال: إنطلق إلى الحوت الذي حبست يونس في بطنه، فقل له: إن لي في عبيدي حاجة، فانطلق به إلى الموضع الذي ابتدعته فيه فأقذفه به.

فانطلق جبريل إلى الحوت فأخبره. فانطلق الحوت بيونس، وهو يقول: يا رب! استأنست في البحر يستريح عبدك، واستأنست به دواب البحر، وكنت أركى شيء به، وجعلت بطني له مصلًى يقدسك فيه، ففدست به وما حولي من البحار. فتخرجه عني بعد أس ثمان به؟

قال الله تعالى: إني أقلته عثرته، ورجمته، فألقه.

قال: فحاء به إلى حيث أبتلعه يبلد على شاطئ دجلة. فدنا جبريل من الحوت وقرب فاه من فم الحوت، فقال: السلام عليك يا يونس، رب العزة يقرئك السلام. فقال يونس: مرحباً بصوت كنت خشيت أن لا أسمعه أبداً، مرحباً بصوت كنت أرجوه قريباً من سيدي.

ثم قال جبريل للحوت: إقذف يونس بإذن الله الرَّحْمَن، فاقذفه مثل الفرج الممعوطة الذي ليس عليه ريش، فأحتضنه جبريل - عليه السلام - .

قال الحسن: فأثبت الله عليه شجرة من يقطين، وهو الدُّبَّاءُ، فكان لها ظل واسع

(١) يقال: اسقط شعره أي نطق. انظر مختار الصحاح ص ٢٥٢ والمقصود هنا - وكما في النقص - قذفه مثل الفرج الذي ليس عليه ريش.

(٢) الدُّبَّاءُ، هو: الفرج، والفرج: حمل - أي: ثمر - اليقطين. انظر مختار الصحاح ص ٢٧٤، وأساس البلاغة ص ١٢٥.

وقد فسّر اليقطين بالدُّبَّاء الذي هو الفرج غير واحد، قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢٢/١ عن قوله تعالى ﴿وَأَبْنَيْتُا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقِطِينَ﴾ قال: «قال ابن مسعود، وابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبر، وأبو إسحق، وهلال بن إساف، وعبد الله بن طائوس، وأبيدي،

يستظل به، وأمرت أن تُرْصِعَهُ أَعْضَانَهَا، فكان يرضع منها كما يرضع الصبي.

وعن الحسن، قال: بعث الله إلى يونس وعِثَّةً من وُغُول^(١) الجبل، يدرّ ضرعها لبناً، حتى جاءت إلى يونس، وهو مثل الفرح، ثم رِيضَتْ^(٢)، وجعلت تُذْبِها في في يونس. فكان يمصّه كما يمصُّ الصبي، فإذا شبع انصرفت. فكانت تختلف إليه حتى اشتدّ، ونبت عليه شعره خلقاً جديداً، ورجع إلى حاله قبل أن يقع في بطن الحوت.

فمرت به مائة فكسوه كساء. فبينما هو ذات يوم نائم، إذ أوحى الله إلى الشمس أن احرقني شجرة يونس، فأحرقتها. فأصاب الشمس جلده فأحرقته، فقال: يا رب! نجّني من الظلمات، ورزقني ظل شجرة كنت أستظل بها، فأحرقتها، أفتحرقني؟ يا رب؟ وبكى.

فأتاه جبريل - عليه السلام -، فقال: يا يونس! إن الله تعالى يقول: أنت زرعناها أم أنت أنبتها؟ قال: لا. قال: فكاؤك حين تعلم أن الله قد أعطاكها، فكيف دعوت على مائة ألف وزيادة عشرين ألفاً أردت أن تهلكهم؟.

وقال ابن عباس: قال له جبريل: أتبكي على شجرة أنبتها الله لك، ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم في غداة واحدة؟! فعند ذلك عرف يونس ذنبه، واستغفر ربّه فغفر له.

وعن الزهري، قال: لما قوي يونس، كان يخرج من الشجرة يميناً وشمالاً، فأتى

= وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني: وغير واحد: هو القرع.

ثم تابع الحافظ قوله، فقال: قال بعض العلماء: في إنبات القرع عليه جنم جمه، منها: إن ورقه في غاية النعومة، وكثير، وقليل، ولا يفرقه ذباب، ويؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره نياً ومطبوخاً، وبشره وبزره أيضاً، وفيه نفع كثير وتقوية للدماغ وغير ذلك. أ هـ. وأنظر التفسير له - رحمه الله - ٢١/٤ - ٢٢.

(١) قال في مختار الصحاح ص ٣٩٢: والْوَعْل - بكسر العين - : الأروى - قلت: وهو نوع من الحيوانات التدية، أي: ذات الشدي، وجمعه: وُغُول وأوعاله أ هـ. وأنظر مختار الصحاح أيضاً ص ٥١٠.

وذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢١٩/١ نحو هذه القصة عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، حيث ذكر عنه أنه قال: طُرح بالنعام، وأنبت الله عليه اليفطية، قال شجرة الثّباء. قال أبو هريرة. وهما الله له أروية وحشية تأكل من حشاش الأرض، أو قال: حشاش الأرض. قال: فتفتش عليه، فترويه من لبنها كل عشية وبكرة، حتى تَبَتْ.

ثم قال الحافظ بن كثير ٢٢٠/١: وهذا غريب - أيضاً - من هذا الوجه. أ هـ.

(٢) أي: بركت، أنظر مختار الصحاح ص ٢٢٤.

(٣) في المطبوعة: أفتحرقني، وهو خطأ، والمثبت هو الموافق لسباق الكلام، والله تعالى أعلم.

على رجل يصنع الجرار، فقال يونس: يا عبد الله ما عملك؟ قال: أصنع الجرار وأبيعها وأطلب فيها فضل الله. فأوحى الله إلى يونس: أن قل له يكسر جراره، فقال يونس ذلك له، فغضب الجرار، وقال: إنك رجل سوء تأمرني بالفساد، وتأمرني أن أكسر شيئاً صنعته، وعملت، ورجوت خيره.

فأوحى الله إلى يونس: ألا ترى إلى هذا الجرار كيف غضب حين أمرته بكسر ما صنع؟ وانت تأمرني بهلاك قومك! فما الذي عليك أن يصلح من قومك مائة ألف أو يزيدون! قال الله سبحانه: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ يعني من المصلين من قبل أن تنزل البلية^(١)، ﴿لَئِذَا فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢).

قال ابن عباس: من كان ذاكرًا لله في الرخاء، ذكره الله في الشدة واستجاب له، ومن يغفل عن الله في الرخاء وذكره في الشدة، لم يستجب له. وقال الله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣). فقال الله - عز وجل -: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤). يقول الله تعالى: كذلك تفعل بالصالحين، إذا وقعوا في الخطيئة، ثم تابوا إلىي، قبلت منهم.

قال ابن عباس: قال رسول الله - ﷺ: «دعا أخي يونس بهذه الدعوة في الظلمات،

(١) قال المحافظ ابن كثير ٢١/٤ في تفسير الآية: وقيل: لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء، قاله الضحاك بن قيس، وأبو العالية، ووهب بن منبه وقتادة وغير واحد، واختاره ابن جرير. وقد ورد في الحديث: ما يذل على ذلك إن صحَّ الخبر، وفي حديث ابن عباس: تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة.

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وسعيد بن جبير، وعطاء بن السائب، والسدي، وقتادة: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ يعني: المصلين.

وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك

وقال بعضهم: كان من المصلين في جوف أبيه.

وقيل: المراد ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ هو قوله - عز وجل -: ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانه أني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغم، كذلك تنجي المؤمنين﴾، قاله سعيد بن جبير وغيره، أ هـ.

(٢) سورة الصافات، آية رقم ١٤٣.

(٣) سورة الأنبياء، آية، رقم ٨٧.

(٤) سورة الأنبياء، آية رقم ٨٨.

فأنجاه الله . فلا يدعو بها مؤمن مكروب إلا كشف الله - عز وجل - ذلك عنه . إنها عدة من الله لا خُلف لها^(١).

(١) رواه عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - مرفوعاً بلفظ: دعوة ذي النون إذا دعا به في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ . فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له .

الترمذي في كتاب الدعوات، باب (٨٢)، حديث رقم (٣٥٠٥) ٥/٥٢٩ . واللفظ له .

والنسائي في كتاب (عمل اليوم والليلة)، باب ذكر دعوة ذي النون، حديث رقم (٦٥٦) ص ٢١٦ .

وأحمد في المستدرك ١/١٧٠ ضمن حديث طويل:

والحاكم في المستدرك ١/٥٠٥ و ٢/٣٨٣ .

قال الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/١٦٩: صحيح . أ . هـ .

ورواه عن سعيد بن أبي وقاص - أيضاً - مرفوعاً بلفظ: كنا جلوساً عند رسول الله - ﷺ - قال: ألا أخبركم أو أحدثكم شيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلاء الدنيا دعاه فرج عنه؟ فقبل له: بلى، قال: دعاء ذي النون: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

النسائي في (عمل اليوم والليلة) . باب دعوة ذي النون، حديث رقم (٦٥٥) ص ٢١٥ . وإسناده ضعيف .

ورواه ابن السني أيضاً بهذا اللفظ في (عمل اليوم والليلة) له رقم (٣٤٥)، وإسناده ضعيف جداً، فيه عمرو بن الحُصَيْن: متروك، كما في التفریب ٢٠/٦٨ .

ذكر التوابين من ملوك الأمم الماضية

٨ - [توبة طالوت]

أخبرنا أحمد بن المبارك، أنا ثابت، أنا أبو علي بن دوما، أخبرنا مُحَمَّد بن جعفر، أنا الحسن بن علوية، أنا إسماعيل بن عيسى، أنا إسحاق بن بشر: أنا أبو إلياس، عن وهب بن مُنَبِّه: "أن داود - عليه السلام - لما قتل جالوت، وانصرف طالوت بني إسرائيل مظفرًا، فزوّج ابنته من داود، وقاسمه نصف ملكه، واجتمعت بنو إسرائيل، وقالوا: نخلع طالوت ونجعل علينا داود، فإنه من آل يهوذا وهو أحق بالملك. فلما أحسّ طالوت بذلك، وخاف على ملكه، أراد أن يقتل داود فيقتله.

فأشار عليه بعض وزرائه: إنك لا تقدر على قتله إلا أن تساعدك ابنتك. فدخل طالوت على ابنته، فقال لها: يا بنية! إنني أريد امرأً وأحب أن تساعدني عليه. قالت: وما ذلك؟ قال: أريد أن أقتل داود، فإنه قد فرّق عليّ الناس.

فقالت: يا أبت إن داود له صولة، شديد الغضب، فلست آمن عليك إن لم تستطع

(١) هذا إسناد ضعيف جداً، عن وهب بن منبه، فيه: إسحاق بن بشر، قال عنه الذهبي في المعني ٦٩/١: «مجمع على تركه، وقد اتهم بالكذب»، وقال ابن المديني: «كذاب» أ. هـ. وقد تقدمت ترجمة ضافية له أول هذا الكتاب، باب ذكر التوابين من الملألكة.

وذكر هذه القصة الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٨/٢ - ٩. مختصرة، وعزاها لابن جرير في تاريخه، من طريق السدي بإسناده.

قلت: والسدي، واسمه محمد بن مروان: متهم بالكذب، كما في التفريب ٢٠٦/٢ فلا تقوم به حجة.

قلت: فعدم ثبوت إسناد هذه القصة يرد ما جاء فيها من غير تكلف. وهذا خبري بها، إذ أن فيها إتهام لملك اختاره الله تعالى ليكون على رأس بني إسرائيل في قتال جالوت، بالحق والسعي في قتل نبي الله داود وغير ذلك.

ولهذا قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٩/٢: «وفي بعض هذا نظر ونكارة، والله أعلم» أ. هـ.

وانظر التفسير له ٣٠٣/١ حيث ذكر أول هذه القصة، وأبدأ كلامه - رحمه الله - بقوله: «ذكروا في الإسرائيليات...»

قتله أن يظفر بك فيقتلك، فإذا أنت قد لقيت الله قاتلاً لنفسك مستحلاً لداود، وعجب منك ومما أعرف من حلمك، وسداد رأيك، كيف أسلمك إلى هذا الرأي القصير، وهذه الحيلة الضعيفة بالتقدم إلى داود، وأنت نعلم أنه أشد أهل الأرض نقساً، وأبسلهم عند الموت؟!

فقال طالوت: إني لا أسمع قول مفتونة بزواج، قد منعها حياءً إياه أن تقبل من أبيها وتناصحهُ، وأعلمي إني لم أدعك إلى ما دعوتك إليه إلا وقد وطئت نفسي على قطع صهري^(١). إِمَّا أَنْ أَقْتُلَكَ، وإِمَّا أَنْ تَقْتُلَنِي.

قالت: فأَمِهْلَنِي حتى إذا وجدت فرصة أعلمتك.

قال^(٢): وأخبرنا جوير، عن الضحّاك، عن ابن عباس، أنها انطلقت فأخذت زُفّاً^(٣)، ثم ملأته خمرًا، ثم طيّه بالملك والنعير وأنواع الطيب، ثم أضجعت الزُفَّ على سرير داود، ولحفته بلحاف داود، وأقشيت^(٤) إلى داود ذلك، وأدخلته المُخْدَع^(٥)، وأعلمت طالوت، وقالت: هلّم إلى داود فاقتله.

فجاء حتى دخل البيت ومعه السيف. ثم قالت: هو ذلك، فشأتك وشأنه. فوضع السيف على قلبه، ثم اتكأ عليه حتى أنفذه، فانتضح الخمر، ونفخ منه ريح المسك والطيب.

وقال: يا داود! ما أطيبك ميتاً، وكنت وأنت حي أطيب منك ميتاً، وكنت طامعاً نقيّاً.

ونديم، فبكي، وأخذ السيف فأهوى به إلى نفسه ليقتلها، فأحتضته ابنته، وقالت: يا أبت مالك؟ قد ظفرت بعدوك وقتلته، وأراحك الله منه، وصفا لك الملك. قال: يا بنية! قد علمت أن الحسد والغيرة حملاني على قتله، وصدّت من أهل النار، وإن بني

(١) في المطبوعة: على قطع صهره، وهو خطأ، والمقصود هنا: إلا وقد وطئت نفسي على قتل داود صهري.

والصهر والصهورة، هو: حرمة الزواج. وفلان صهر فلان: لمن يتزوج إليه. وهم أصهار بني فلان. لأهل بيت من تزوج إليهم، وقد يقال لأهل بيت الزوجين جميعاً. أنظر أساس البلاغة ص ٢٦٠.

(٢) أي: إسحاق بن بشر، وهو مجمع على تركه، كما تقدم. وفي الإسناد أيضاً: جوير، وهو ابن سعيد: ضعيف جداً، كما في التقرير ١/١٣٦.

فهذا إسناد لا يصح عن ابن عباس - رضي الله عنه.

(٣) الزُفَّ، هو: السقاء، وهو المعروف اليوم بالجرّة. أنظر مختار الصحاح ص ٣١٩ و ص ٥١٤.

(٤) أي: أخبرته بالأمر.

(٥) المُخْدَع: بضم الميم، وكسرها: الحزاة. وأصله الضم إلا أنهم كسروه استغناءً.

إسرائيل لا يرضون بذلك، فأنا قاتل نفسي. قالت: يا أبت أفكان يسرك أن لم تكن قتلت؟ قال: نعم. قال: فأخرجت داود من البيت، فقالت: يا أبت! إنك لم تقتله، وهذا داود. قال: ونبدم طائوت.

قال إسحاق: وأخبرنا ابن سميان، عن مكحول، قال: زعم أهل الكتاب أن طائوت طلب التوبة إلى الله تبارك وتعالى، وجعل يتمس التصل من ذنوبه، وإنه أتى عجوزاً من عجائز بني إسرائيل كانت تحسن الإسم الذي به يدعى الله فيجيب. فقال لها: إني قد أخطأت خطيئة لا يخبرني عن كفارتها إلا إلهي، فهل أنت منطلقة بي إلى قبره فتدعين الله - عز وجل - ليغفره حتى أسأله عن خطيئتي ما كفارتها؟ قالت: نعم. فانطلق بها حتى أتى قبره. قال: فصلت ركعتين، ثم دعت الله - عز وجل -، فخرج إليه إلهي، فقال: يا طائوت! ما صنعت خطيئتك أن أخرجني من مضجعي الذي أنا فيه؟!.

قال: يا نبي الله، ضاق عليّ أمري فلم يكن لي بدّ من مالتك عنه. قال: فإن كفارة خطيئتك أن تحاهد بنفسك، وأهل بيتك، حتى لا يبقى منكم أحد. ثم رجع إلهي إلى مضجعه. وفعل ذلك طائوت حتى قُتل هو وأهل بيته.

٩ - [توبة ابن ملك من ملوك بني إسرائيل]

أخبرنا أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن صابر السلمي، أنا أبو القاسم عني بن إبراهيم بن العباس الحسيني، أنا أبو الحسن رشاد بن نظيف المقرئ، أنا أبو

(١) هو ابن بشر الشجع على تركه. كما تقدم.

(٢) كذا في رواية إسحاق بن بشر أنه إلهي، وكذا في رواية السدي، ورواية محمد بن إسحاق، كما في التذية والتهذيب ٩/٢، لكن ذكر الشافعي. أنها أنت له إلى قبر أشعويل، فعابه على ما صنع بعده من الذنوب. ذكره في التذية والتهذيب ٩/٢، ثم قال: وهذا نسب، ولعله إنما رآه في النوم لا أنه فم من القبر. وقد جاء ما يكون معجزة للنبي، ونسب المرأة لم تكن بيته، والله أعلم. أهد.

(٣) الحسيني. روح الله، والسيد المخلص، وهي امرأة بن.

وهذه النسب. إلى حسن وامرأة وفهم.

أما التذية، فلهذا الحسين بن عيسى بن أبي طالب - رضي الله عنهم - نسب إلى جده كثير من العلويين.

والشافعي. الحسين بن عبد الله بن الحسن بن أبي الحسن البصري، نسب إلى جده الحسن بن الحسين.

وأما إسرائيل، فهي: حنة أم شرجيل بن حسنة، ونسب إليها جماعة.

وأما التذية، فهي: حنة، من أعمال البيضاء في بلاد فارس.

كذا في الكتاب في تهذيب الإسماعيل ٣٦٦/١.

محمد الحسن بن إسماعيل الضُّرَاب^(١)، أنا أبو بكر أحمد بن مروان المالكي، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، ثنا مروان بن معاوية بن عمرو، ثنا أبو بكر العنجني، ثنا أبو عقيل الدُّورقي^(٢)، عن بكر بن عبد الله المزني، قال:

كان رجل من ملوك بني إسرائيل، قد أُعطي طول عمر، وكثره أموال، وكثرة أولاد وكان أولاده إذا كبر أحدهم لبس ثياب الشُّعر^(٣)، ولحق بالجبال، وأكل من الشُّجر، وساح في الأرض حتى يأتيه الموت. ففعل ذلك جماعتهم رجل بعد رجل، ثم تنابح بنوه على ذلك.

وأصاب ولدٌ بعد كبر، فدعا قومه، فقال: إني قد أصبت ولداً بعد ما كبرت، وترون شفقتي عليكم، وإني أخاف أن يتبع هذا سُنَّة إخوته. وأنا أخاف عليكم إن لم يكن عليكم أحد من ولدي بعدي أن تهلكوا، فخذوه الآن في صغر سنِّه، فحببوا إليه الدنيا، فعسى أن يبقى من بعدي عليكم. فبنوا له حائطاً قَرَسَخاً في قَرَسَخ، فكان فيه دهرٌ من دهره.

ثم ركب يوماً، فإذا عليه حائطٌ مُضْمَت^(٤)، فقال: إني أحسب أن خلف هذا الحائط ناساً وعالماً آخر، فأخرجوني أَرَدِّدُ علماً وألقى الناس.

فقبل ذلك لأبيه، ففزع، وَخَشِيَ أن يتبع سُنَّة إخوته، فقال: اجتمعوا عليه كلُّ لهو ولعب، ففعلوا ذلك.

ثم ركب في السَّنَةِ الثانية، فقال: لا بدَّ من الخروج. فأخبر بذلك الشَّيخ، فقال: أخرجه.

فجعل على عَجَلَةٍ^(٥) وكلَّل بالزُّرْجَد والذهب، وصار حوله حافَتان من الناس. فبينما هو يسير إذا هو برجل مبتلى. فقال: ما هذا؟ قالوا: رجلٌ مبتلى. فقال: أليصيب ناساً دون ناس، أو كلُّ خائف له؟ قالوا: كلُّ خائف له. قال: وأنا فيما أنا فيه من السُّلطان؟ قالوا:

(١) الضُّرَاب، قال في اللباب ٢/٢٦٢: «يفتح المضاد، وتشديد الراء، وفي آخرها أثناء الموحدة» هذه السِّبَّة إلى ضرب الدنانير والدراهم» أ. هـ.

(٢) الدُّورقي: يفتح الدال، وسكون الواو، وفتح الراء، وفي آخرها قاف. وقد تقدَّم التعريف بهذا النسب وأبو عقيل اسمه: بشير بن عفة ثقة. كما في التقريب ١/١٠٣.

(٣) أي: المصنوع من الشعر. أنظر أساس البلاغة ص ٢٣٦، وهذا إشعاراً بالرهق، والتحلي عن زخارف الدنيا وزينتها.

(٤) حائطٌ مُضْمَت، أي: لا خوف له، كذا في أساس البلاغة ص ٢٥٨. والحائط اليستان. والمقصود هنا: أنه علا يوماً، وأطلَّ من مكانه فوجد حوله بستاناً خالياً لا أحد فيه، فقال...

(٥) قال في مختار الصحاح ص ٣٧١: «العَجَلَةُ - يفتح - التي يجرها الثور» أ. هـ. أي: مركبة يجرها الثور.

نعم. قال: أَفَ لَعَيْشِكُمْ هَذَا، هَذَا عَيْشُ كَذْرَاءٍ^(١). فَرَجَعَ مَغْمُومًا مَحْزُونًا.

فَقِيلَ لِأَبِيهِ، فَقَالَ: انْشَرُوا عَلَيْهِ كُلَّ لَهْوٍ وَبَاطِلٍ حَتَّى تَنْزَعُوا مِنْ قَلْبِهِ هَذَا الْحُزْنَ وَالْغَمَّ.

فَلَبِثَ حَوْلًا، ثُمَّ قَالَ: أَخْرِجُونِي. فَأَخْرَجَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأَوَّلِ. فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ هَرَمَ، وَلِعَابُهُ يَسِيلُ مِنْ فِيهِ^(٢). فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: رَجُلٌ قَدْ هَرَمَ. قَالَ: يَصِيبُ نَاسًا دُونَ نَاسٍ، أَوْ كُلِّ خَائِفٍ لَهُ إِنْ هُوَ عُمُرٌ؟ قَالُوا: كُلِّ خَائِفٍ لَهُ. قَالَ: أَفَ لَعَيْشِكُمْ هَذَا، هَذَا عَيْشُ لَا يَصْفُرُ لِأَحَدٍ.

فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ أَبَوْهُ، فَقَالَ: أَحْشَرُوا عَلَيْهِ كُلَّ لَهْوٍ وَبَاطِلٍ. فَحَشَرُوا عَلَيْهِ.

فَمَكَثَ حَوْلًا، ثُمَّ رَكِبَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ إِذَا هُوَ بِسَرِيرٍ تَحْمِلُهُ الرِّجَالُ عَلَى عَوَاتِقِهَا. فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: رَجُلٌ مَاتَ.

قَالَ لَهُمْ: وَمَا الْمَوْتُ؟ [يَتَوَنَّى بِهِ^(٣)]: فَأَتَتْهُ بِهِ. فَقَالَ: أَجْلِسُوهُ. فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يَجْلِسُ. قَالَ: كَلِّمُوهُ. قَالُوا: إِنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ. قَالَ: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهِ؟ قَالُوا: نَدْفِنُهُ تَحْتَ الثَّرَى.

قَالَ: فَيَكُونُ مَاذَا بَعْدَ هَذَا؟ قَالُوا: الْخَشَرُ. قَالَ لَهُمْ: وَمَا الْخَشَرُ؟ قَالُوا: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤)، فَيَجْزِي كُلِّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ.

قَالَ: وَلَكُمْ دَارٌ غَيْرُ هَذِهِ تُجَاوِزُونَ فِيهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَرَمَى بِنَفْسِهِ مِنَ الْفَرَسِ، وَجَمَلَ يُعْفَرُ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ^(٥). وَقَالَ لَهُمْ: مِنْ هَذَا كُنْتُ أَخْشَى، كَادَ هَذَا يَأْتِي عَلَيَّ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ بِهِ، أَمَّا رَبِّي يُعْطِي وَيُنْخَشِرُ وَيُجَازِي، إِنَّ هَذَا آخِرُ الْعَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَلَا سَبِيلَ لَكُمْ عَلَيَّ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ.

فَقَالُوا: لَا نَدْعُكَ حَتَّى نَرُدَّكَ إِلَى أَبِيكَ.

قَالَ: فَرَدُّوهَ إِلَى أَبِيهِ، وَكَادَ يَتَرَفَّ دَمُهُ. فَقَالَ: يَا بَنِيَّ! مَا هَذَا الْجَزَعُ^(٦)؟ قَالَ: جَزَعِي

(١) المكدر: صَدَّ الصَّفْوَى، أَي: هَذَا عَيْشُ حُزْنٍ وَبُؤْسٍ وَشَقَاءٍ. انظر مختار الصحاح ص ١٧٨.

(٢) أي: مِنْ فِيهِ.

(٣) أي: بِالْمَيْتِ.

(٤) سورة المطففين، آية رقم ٦/.

(٥) أي: يُنْفَخُ وَجْهَهُ بِالتُّرَابِ، قَالَ فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ ص ١٦٦: «عَفَرَهُ فِي التُّرَابِ تَعْفِيرًا، أَي: مَرَّغَهُ أَرْضًا».

(٦) أي: الْحُوفُ.

ليوم، يعطى فيه الصغير والكبير مجازاتهما ما عملا من الخير والشر.

فدعا بشباب فلبسها، وقال: إني عازمٌ في الليل أن أخرج. فلما كان في نصف الليل، أو قريباً منه، خرج. فلما خرج من باب القصر، قال: اللهم! إني أسألك أمراً ليس لي منه قليل ولا كثير، قد سبقت فيه المقادير: إلهي! لوذذت أن الماء كان في الماء، وأن الطين كان في الطين، ولم أنظر بعيني إلى الدنيا نظرة واحدة.

قال بكر بن عبد الله: فهذا رجلٌ خرج من ذنّب واحد لا يعلم ماذا عليه، فكيف بمن يذنب وهو يعلم ما عليه فيه، ولا يتحرّج ولا ينجزع ولا يتوب؟!!

١٠ - [توبة صاحب الخورنق]^(١)

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن، أنا علي بن إبراهيم، أنا رشا، أنا الحسن بن إسماعيل، أنا أحمد بن مروان، قال: ثنا محمد بن عبد العزيز، ثنا أبي، عن يهلول بن حسان، عن إسحاق بن زياد، عن شبيب بن شبة، عن خالد بن صفوان بن الأهم، قال: إن ملكاً من الملوك خرج إلى الخورنق والسدير^(٢) في عام قد بكر وسميه وتابع وليه^(٣)، وأخذت الأرض فيه زخرفها وزينتها. وكان قد أعطي بسطة في الملك مع الكثرة والغلبة والقهر.

فنظر فأبعد النظر، فقال لجلسائه: لمن هذا؟ قالوا: للملك. قال: فهل رأيتم أحداً أعطي مثل ما أعطيت؟

قال: وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة، ولم تخل الأرض من قائم لله بحجته في عبادته، فقال: أيها الملك! إنك قد سألت عن أمر، أفتأذن لي بالجواب عنه؟ قال: نعم.

قال: أرايت ما أنت فيه، أشيء لم تزل فيه. أم شيء صار إليك ميراثاً، وهو زائل عنك، وصائرٌ إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: كذلك هو.

(١) الخورنق: اسم قصر بالعراق، بنه النعمان الأكبر وهو فارسي معرب. كذا في مختار الصحاح ص ٣١٤.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ١٤٨: «السدير: نهر، وقيل: قصر» أ. هـ. وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان: «السدير: نهر، وقيل: قصر قريب من الخورنق، كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك الأعاجم» أ. هـ.

(٣) الوشبي: مطر الربيع الأول، سمي بذلك لأنه يسيم الأرض بالنبات، أنظر مختار الصحاح ص ٤٣٥. قوله: وتابع وليه: أي الذي يليه ويأتي بعده.

قال: فلا أراك إلا أعجبت بشيء يسير، لا تكون فيه إلا قليلاً، وتثقل عنه طويلاً، فيكون غداً عليك حساباً. قال: ويحك! فأين المهرب وأين المطلب؟ وأخذته القشعريرة. قال: إنما أن تقسم في ملكك، فتعمل فيه بطاعة الله على ما ساءك وسرك وأمضك^(١) وأزمضك^(٢)، وأما أن تتخلع عن ملكك وتضع تاجك وتلقي عليك أطمارك^(٣)، وتعبد ربك في هذا الجبل، حتى يأتيك أجلك.

فقال: إني مفكر الليلة، وأوافيك في السحر، فأخبرك بإحدى المنزلتين. فلما كان في السحر قرع عليه بابه، فقال: إني اخترت هذا الجبل، وفلوات الأرض، وقفر البلاد، وقد لبست عليّ أمساخي^(٤)، ووضعت تاجي، فإن كنت رقيقاً فلا تخالف.

فلزما والله الجبل حتى أتاهما أجلهما جميعاً.

وهو الذي يقول فيه أخو بني تميم: عدي بن زيد العبادي^(٥):

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُغَيِّرُ بِالْهَذْ	رَأَيْتَ الْمُبْرَأَ الْمَوْفُورَ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيْدِ	أَمْ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورٌ
مَنْ رَأَيْتَ السَّمْنُونَ خُسْلَذْنَ أَمْ مَنْ	ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرٌ
أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوِشِرَ	وَأَنْ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورٌ
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الدِّ	رُومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورٌ

(١) أي: أوجعك، تقول: أمضه الجرح: أوجعه. والمضض: وجع المصيبة. انظر مختار الصحاح ص ٢٤١.

(٢) أي: أحرقك، وأذاك، والرَّمَضُ - بفتحين - : شدة وقع الشمس على الرمل وغيره. تقول: رمض يومنا: اشتد حره، ورمضت قدمه: أي احترقت. انظر مختار الصحاح ص ٢٣٥.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ١٥٩: ... الطمر - بالكسر - : الثوب الخلق. والجمع أطماره أها.

(٤) أي لباسي وثيابي. انظر مختار الصحاح ص ٨٠ - ٨١.

(٥) هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن مناة بن تميم، شاعر فصيح من شعراء الجاهلية، ولا يُعَدُّ من الفحول، قال ابن قتيبة: وكان يسكن الحيرة، ويدخل الأرياف، فتقل لسانه، واحتمل عنه شيء كثير جداً. وعلمناؤنا لا يروون شعره حجة. وله أربع قصائد غرر.

انظر ترجمته في الأغاني ٩٧/٢ - ١٥٦.

والشعر والشعراء ١٧٦/١ - ١٨٠. والأبيات المذكورة موجودة في الأغاني ١٣٨/٢ - ١٣٩، وفي الشعر والشعراء ١٧٦/١ - ١٧٧.

نقلنا عن هامش المطبوعة، وغالب ما سيأتي من تعليق على الأشعار والشعراء مأخوذ من هامش المطبوعة.

وَأَخُو الْخَضِرِ^(١) إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِدًّا
لَمْ يَهْنِهِ زِينُ الْمُنُونِ فَبَادَا
وَتَذَكَّرَ رَبَّ الْخَوَزَنْقِ إِذْ أَشَدَّ
مَرَّةً مَالُهُ وَكَثُرَتْ مَا يَمُ
فَارْغَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ وَمَا عِبُ

لَهُ تُجَنِّي إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ^(٢)
سَاءَ فَلْلَطِيرِ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
مُلْكُ عَنْهُ فَبَابَهُ مَهْجُورُ
رَفَ يَوْمًا وَلِلْهَدَى تَفْكِيرُ
مِلْكُ وَالْبَحْرُ مُغْرَضًا وَالسُّدَيْرُ
طَلَّةٌ حَيٌّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ

قال أحمد بن مروان: وحدثنا أحمد بن يوسف، حدثنا محمد بن سلام الجُمُحِيُّ^(٣)،
عن الأَضْمَعِيِّ^(٤)، أَنَّ التَّعْمَانَ بن امرئ القيس الأكبر، وهو الذي بنى الْخَوَزَنْقَ، ركب
يومًا، فأشرف على الْخَوَزَنْقِ، فنظر إلى ما حوله فقال لمن حضره: هل علمتم أحدًا أوتي
مثل ما أوتيت؟ فقالوا: لا. إلا رجل منهم ساكت لا يتكلم، وكان من حكمائهم. فقال له:
مالك لا تتكلم؟ فقال: أيها الملك، إن أذنت لي تكلمت. فقال: تكلم.

قال: أرايت ما جمعت، شيء هو لك لم يزل ولا يزول، أم هو شيء كان لمن كان
قبلك وزال عنه وصار إليك، وكذلك يزول عنك؟ قال: لا بل كان لمن قبلي فزال عنه
وصار إليّ، وكذلك يزول عني.

قال: فسورت بشيء، تزول عنك لذته غدا، وتبقى ثبته عليك، تكون فيه قليلاً،
وتزول عنه كثيراً طويلاً.

قال: فبكى. وقال له: أين المَهْرَبُ؟

قال: إلى أحد أمرين: إما أن تقيم فتعمل بطاعة ربك، وإما أن تلقي عليك
أُتْسَاحًا، ثم تلحق بجبل، وتفر من الناس، وتقيم وحدك، وتبعد ربك، حتى يأتبك
أجلك.

(١) الخضر، بفتح الخاء، وسكون الصاد: مدينة بارزة تكريت، كانت مبنية بالحجارة المهندمة
المزخرفة.

(٢) الخابور، اسم لنهر كبير في أرض الجزيرة.

(٣) الجُمُحِيُّ، قال في اللباب ٢٩١/١: «بضم الجيم، وفتح الميم، وفي آخرها الحاء المهملة. هذه
النسبة إلى بني جُمَحٍ وهم بطن من قريش».

واشتهر بهذه النسبة: محمد بن سلام بن سالم، -قلت: وهو الرازي هنا-، أبو عبدالله الحُحُمِي،
الأخباري الأدب... كان صدوقاً، قيل: إنه كان قدرياً. وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين أهد.

(٤) هو عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع أبو سعيد، الباهلي، الأَضْمَعِيُّ البصري،
صدوق سني، مات سنة ست عشرة بعد المائتين، وقيل غير ذلك، وقد قارب التسعين، كذا في
التقريب ٥٢١/١ - ٥٢٢. وانظر اللباب في تهذيب الأنساب ٧٠/١.

قال: فإذا فعلت ذلك فما لي؟ فقال: حياة لا تموت، وشباب لا يهرم، وصحة لا تسقم، ومُلْكٌ جديد لا يلى.

فقال له: أيها الحكيم! فكل ما أرى إلى فناء وزوال؟ قال: نعم. قال: فأي خير فيما يقنى؟ والله لأطلبن عيشاً لا يزول أبداً.

قال: فَأَنْخَلِعْ من ملكة، ولبس الأمانح، وسار في الأرض، وتبعه الحكيم. فعبداً الله جميعاً حتى ماتا.

وهو الذي يقول فيه عدي بن زيد الشاعر:

وَتَذَكَّرُ رَبَّ الْخَوَزَنِيِّ إِذْ أَثَرُ
سَرُّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُدُّ
فَارْعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ وَمَا غِبُّ
وفيهم يقول الأسود بن يعفر^(١):

مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ
أَقْلُ الْخَوَزَنِيِّ وَالسُّدِيرِ وَبَارِقِ
تَزَلُّوا بِأَنْقَرَةَ^(٢) يَسِيلُ عَلَيْهِمْ
أَرْضُ تَحْيَرِهَا لَطِيبٌ مَقِيلُهَا
جَرَّتِ الرِّيَّاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ
فَازَى النِّعِيمَ وَكُلَّ مَا يُلْهَى بِهِ
تَرَكُّوا مَنَازِلَهُمْ وَنَعَدَ إِيَادِ
وَالْقَصْرِ ذِي الشُّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ^(٣)
مَاءُ الْفَرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ^(٤)
كَعْبِ بْنِ مَامَةَ وَابْنِ أُمِّ دُوَادِ^(٥)
فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَنَفَادِ

١١ - [توبة ملك من الملوك]

وذكر محمد بن أحمد بن البراء - في كتاب: الروضة - قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ

(١) هو الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل، التميمي، وهو أحد العشي، هو أعشى بني نهشل، يكنى أبا الحراج، شاعر جاهلي مقدّم، فصيح فحل، كان يشاد النعمان بن المنذر، ولما أسن كفت بصره.

والآيات من قصيدة طويلة رائعة، معدودة من مختار أشعار العرب وحكمها، وهي في المفصليات ص ٢١٦ - ٢٢٠، ومنتهى الطنب ١/ ٨١ - ٨٢ وشعراء الجاهلية ص ٤٨٠ - ٤٨٣.

(٢) سنداد: نهر أسفل الحيرة.

(٣) أنقرة: بكسر القاف وضعتها: بلد بالحيرة، بالقرب من الشام، وهي غير أنقرة التي في بلاد الروم.

(٤) الأطواد: الجبال.

(٥) كعب بن مامة، هو: الإيادي، أحد أجواد العرب في الجاهلية.

وابن أم دؤاد. نقل الإيادي عن أحمد بن عبيد أنه يعني به أبا دؤاد الإيادي، وهو الشاعر المعروف.

إبراهيم، جَوَيرِيَّة بن^(١) أسماء، عن أبي معدان، عن عون بن عبدالله بن عتبة^(٢)، قال: حَدَّثْتُ عمر بن عبد العزيز بحديث - فكانَ معناه وقع منه -

حَدَّثْتُهُ أَنَّ مَلَكًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَنَا ابْنِي بَيْتَةٍ فَتَنَّقُ^(٣) فِي بَنَاتِهَا، ثُمَّ صَنَعَ طَعَامًا وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ، وَأَقْعَدَ عَلَى أَبْوَابِهَا نَاسًا يَسْأَلُونَ كُلَّ مَنْ خَرَجَ: هَلْ رَأَيْتُمْ عِيًّا؟ فَيَقُولُونَ: لَا. حَتَّى جَاءَ نَاسٌ فِي آخِرِ مَا جَاءَ، - عَلَيْهِمُ الْكُتْبَةُ -، فَسَأَلُوهُمْ: هَلْ رَأَيْتُمْ عِيًّا؟ قَالُوا: عَيَّيْنِ اثْنَيْنِ.

قال: فَجَبَسُوهُمْ، وَدَخَلُوا عَلَى الْمَلِكِ فَقَالُوا: قَدْ دَخَلَ النَّاسُ فِائِسَانَهُمْ، فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا عِيًّا، حَتَّى جَاءَ قَوْمٌ عَلَيْهِمُ اكْسِيَّةٌ - أَظْنَهُ قَالَ: شِبَابٌ - فَسَأَلْنَاهُمْ، فَقَالُوا: رَأَيْنَا عَيَّيْنِ اثْنَيْنِ. قال: مَا كُنْتَ أَرْضَى بِوَاحِدٍ، فَاتَّوْنِي بِهِمْ.

قال: فَأَدْخَلْنَاهُمْ عَلَيْهِ، قال: هَلْ رَأَيْتُمْ عِيًّا؟ قَالُوا: عَيَّيْنِ اثْنَيْنِ. قال: وَمَا هُمَا؟ قَالُوا: تَخْرُبُ، وَيَمُوتُ صَاحِبُهَا.

قال: وَهَلْ تَعْلَمُونَ دَارًا لَا تَخْرُبُ وَلَا يَمُوتُ صَاحِبُهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قال: وَمَا هِيَ؟ قَالُوا: دَارُ الْآخِرَةِ، قال: فَدَعُوهُ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ.

قال: فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ جِئْتُ مَعَكُمْ عِلَالِيَّةً لَمْ يَدْعُنِي أَهْلُ مَمْلَكَتِي، وَلَكِنْ مِيعَادَكُمْ مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا.

قال: فَكَانَ مَعَهُمْ زَمَانًا. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ: عَلَيْكُمْ السَّلَامُ. قال: فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ أَرَأَيْتَ مِنَّا شَيْئًا تَكْرَهُهُ؟ قال: لَا، قَالُوا: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ قال: أَنْتُمْ تَعْرِفُونِي، فَأَنْتُمْ تَكْرُمُونِي لِحَالِي الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا.

قال: فَكَانَ مَعَنَاهُ وَقَعَ مِنْ عَمْرِ مَوْقِعًا، فَذَهَبَتْ إِلَى مُسْلِمَةَ^(٤) فَأَخْبَرَتْهُ.

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ: جَوِيرِيَّة. وَهُوَ خَطَأٌ. إِنَّمَا هُوَ جَوِيرِيَّةُ بِنِ اسْمَاءَ بِنِ عُبَيْدٍ، تَضْبِيحِي، الْبَصْرِي، صَدُوق، مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ التَّقْرِيبِ ١٣٦/١.

وَانْظُرْ تَهْدِيبَ الْكَمَالِ ١٧٢/٥، وَتَهْدِيبَ التَّهْذِيبِ ١٢٤/٢ - ١٢٥، وَالْكَاشَفُ ١٥٠/١.

وَهُوَ عَلَى الصَّوَابِ: أَيُّ جَوِيرِيَّةَ، فِي مَخْطُوطَةٍ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مُحَقِّقُ الْمَطْبُوعَةِ.

(٢) هُوَ: عَوْنُ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ عُبَيْدٍ بِنِ مَسْعُودِ الْهَذَلِيِّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الْكُوفِيُّ، ثَقَفٌ عَابِدٌ، مِنَ التَّابِعِينَ، مَاتَ قَبْلَ سَنَةِ عَشْرِينَ وَمِائَةٍ، التَّقْرِيبُ ٩٠/٢.

(٣) بَيْتَةٍ - بِضَمٍّ وَكَسْرٍ الْبَاءِ - : بِنَاءٌ - فَتَنَّقُ، أَيُّ: فَتَانَقَ.

أَنْظُرْ أَسَاسَ الْبَلَاغَةِ ص ٣١، وَمَخْتَارَ الصَّحَاحِ ٣٣٣.

(٤) هُوَ مُسْلِمَةُ بِنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِنِ مَرْوَانَ بِنِ الْحَكَمِ الْأُمَوِيِّ، ابْنُ عَمِّ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. ذَكَرَهُ ابْنُ سَبِيحٍ فِي الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ تَابِعِي أَهْلِ الشَّامِ. وَقَالَ الْبَزْزِيرِيُّ بِكَارٍ: وَكَانَ مِنْ رَجُلَتِهِمْ - أَيُّ الْإِسْذَلَةِ.

قال: فدخل مسلمة على عمر وقد كان حدثه بهذا الحديث.

قال: فقال: ويحك يا مسلمة! أرايت رجلاً حُمِلَ مالا يطيق ففرَّ إلى ربه - عز وجل - ، فهل ترى عليه بذلك بأساً؟

قال: فاتق الله يا أمير المؤمنين في أمة محمد ﷺ ، فوالله لئن فعلت ليقْتُلنَ بأسيا فھم .

قال: ويحك يا مسلمة! حَمَلتَ مالا أطيق! فردَّدها وجعل مسلمة ينأشده حتى سكن .

١٢ - [توبة امرئ القيس الكندي]^(١)

وروى المَرْزُبَانِي^(٢)، عن الْأَزْدِيِّ، قال: كان امرؤ القيس الكندي، وهو مخرق الأول، طويل المصاحبة للهو واللذات، كثير العكوف على اللعب، فركب يوماً إِمَاماً مُتَبَدِّئاً^(٣)

المعروفين - وكان يلقب: الحرادة الصفراء، وله آثار كثيرة في الحروب، ومكانة في الروم، وقال غيره: ولأه أخوه يزيد إمرة العراقين، ثم أرمية. مات سنة عشرين ومائة في المحرم، وقيل: سنة إحدى وعشرين ومائة. تهذيب التهذيب ١٠/١٤٤.

(١) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني أكل المرار. الشاعر الجاهلي المعروف، بيماني الأصل، ولَّد بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن، واشتهر بلقبه، واختلف النسابون في اسمه، وقيل: لقبه اسمه. وكان أبوه مملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، وعنه أخذ الشعر، ثم ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، ونار لأبيه من بني أسد وقال في ذلك شعراً كثيراً، وكانت حكومة فارس ساخطة على بني أكل الدار، فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرئ القيس فطلبه، فأبتعد، وانتهى إلى السموال، فأحارَه، ثم رأى. أن يستعين بالروم على الفرس، فسار إلى قصر الروم بومستيناس في القسطنطينية، فوعده ومطله. ثم ولَّاه أمة فلسطين، فرحل يريدُها، فراه. أمله بأنقرة، مسموماً على الأرحح، وقد جمع بعض ما ينسب إليه من الشعر في ديوان صغير.

أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي ١/٣٥١-٣٥٢، والأغاني للأصفهاني ٧٧/٩-١٠٧، وكشف الظنون لحاجي خليفة ص ٧٧٦، والذباية والنهاية لابن كثير ٢/٢٠٣. ومعجم المؤلفين ٢/٣٢٠.

(٢) المَرْزُبَانِي: قال في اللباب ٣/١٩٥: يفتح الميم وسكون الراء، وضم الزاي، وفتح الباء الموحدة، وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى المَرْزُبَان، وهو جد المتنب إليه وفيهم كثرة منهم... وأبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن عبيد - قلت: وأظن أنه الراوي هنا -، الكاتب المَرْزُبَانِي، بغدادِي، صاحب أخبار ورواية للأدب، وله تصانيف كثيرة حسنة... ولد سنة ست وتسعين ومائتين، ومات سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في شواله أ. هـ.

(٣) مُتَبَدِّئاً، أي: ذاهباً إلى اليادية، قاصداً لها، أنظر مختار الصحاح ص ٤٨٩.

وَأَمَّا مَتَصِيدًا، فَانْقَطَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ جَالِسٍ قَدْ جَمَعَ عِظَامًا مِنْ عِظَامِ الْمَوْتَى وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَقْلِبُهَا.

فَقَالَ: مَا قَصَصْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ، وَمَا بَلَغَ بِكَ إِلَى مَا أَرَى مِنْ سُوءِ الْحَالِ، وَشُسُوفِ الْجِسْمِ^(١)، وَتَلْوِيحِ اللَّوْنِ، وَالْإِنْفِرَادِ فِي هَذِهِ الْغَلَاةِ؟.

فَقَالَ: أَمَّا ذَلِكَ فَلَأَنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ بَعِيدٍ، وَبِي مُوَكَّلَانُ مَزْعِجَانِ يَخْذَوَانِ^(٢) بِي إِلَى مَتَزَلٍّ ضَنْكِ الْمَحَلِّ، مَظْلَمِ الْفَقِيرِ، كَرِيمِ الْمَقْرَرِ. ثُمَّ يَسْلُمَانِي إِلَى مَصَاحِبَةِ الْبَلَى، وَمَجَاوِرَةِ الْهَلَكِى، تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى، فَلَوْ تَرَكْتُ بِذَلِكَ الْمَنْزِلَ مَعَ جَفَائِهِ وَضَيْقِهِ وَوَحْشَتِهِ، وَأَرْتَمَاءِ خَشَاشِ^(٣) الْأَرْضِ فِي لَحْمِي وَعَصْبِي، حَتَّى أَعُودَ رُقَاتًا، وَتَصِيرَ أَعْظَمِي رَمْعًا، كَانَ لِلْبَلَاءِ انْقِضَاءٌ، وَلِلشَّقَاءِ نَهَايَةٌ؛ وَلَكِنِّي أَدْفَعُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى صِيْحَةِ الْحَشْرِ وَارِدِ لِهَوْلِ مَوَاقِفِ الْجَزَاءِ، ثُمَّ لَا أَدْرِي إِلَى أَيِّ الدَّوَارَيْنِ يُؤَمِّرُ بِي، فَأَيُّ حَالٍ يَلْتَذُّ بِهِ مَنْ يَكُونُ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ مُصِيرَهُ.

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ كَلَامَهُ أَلْقَى نَفْسَهُ عَنْ فَرْسِهِ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ! لَقَدْ كَدَّرَ مَقَالِكَ عَلَيَّ صَفْوُ عَيْشِي، وَمَلَكَ الْإِشْفَاقُ قَلْبِي، فَأَعِذْ عَلَيَّ بَعْضَ قَوْلِكَ، وَاسْرُحْ لِي دِينَكَ.

فَقَالَ لَهُ: أَمَّا تَرَى هَذِهِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيَّ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ عِظَامُ مَلُوكٍ غَرَبَتْهُمْ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا، وَاسْتَحْوَذَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِغُرُورِهَا، فَالْهَتَمُ عَنْ التَّأَهُبِ لِهَذِهِ الْمَصَارِعِ، حَتَّى فَاجَأَتْهُمْ الْأَجَالُ، وَخَذَلَتْهُمْ الْأَمَالُ، وَسَلَبَتْهُمْ بِهَاءِ النِّعَةِ. وَسَتُنَشَّرُ هَذِهِ الْعِظَامُ فَتَعُودَ أَجْسَادًا، ثُمَّ تَجَاوِزُ بِأَعْمَالِهَا، فَيَأْتِي إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، وَإِنَّمَا إِلَى مَحَلِّ الْبَوَارِ.

ثُمَّ اخْتَلَسَ الرَّجُلُ^(٤) فَلَمْ يُرَ لَهُ أَثَرٌ، وَتَلَاحَقَ أَصْحَابُ الْمَلِكِ، وَقَدْ أَمْتَقَعَ لَوْنُهُ، وَتَوَاصَلَتْ عِبْرَاتُهُ، وَرَكِبَ وَفِيذًا^(٥)؛ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ، نَزَعَ مَا عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ الْمُلْكِ،

(١) شَتَفَ، أَي: نَحَلَ وَهَزَلَ، أَنْظِرْ أَسَاسَ الْبَلَاغَةِ ص ٢٣٥.

(٢) أَصْلُ الْحَدْوِ: الْغَنَاءُ لِلْإِبِلِ لَكِي تَسِيرُ سَرِيعًا، وَاسْتَعْمَلَهَا هُنَا فِي الْمَجَازِ، وَالْمَقْصُودُ: يَبْعَثَانِ بِي، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ ص ٧٧: «وَمِنْ الْمَجَازِ: ... وَحَدَوْتُهُ عَلَيَّ كَذَا: بَعَثَهُ أَهْلُ».

(٣) الْإِرْتِمَاءُ: مِنَ الرَّعْيِ. وَخَشَاشِ الْأَرْضِ هِيَ: صَغَارُ الطَّيْرِ وَالِدَوَابِّ أَنْظِرْ أَسَاسَ الْبَلَاغَةِ ص ١١١. وَالْمَقْصُودُ: تَأْكُلُ مِنْ حَشَرَاتِ الْأَرْضِ وَدِيدَانِهَا.

(٤) أَصْلُ الْإِخْتِلَاسِ: الْإِمْتِلَابُ، تَقُولُ: فَلَانِ اخْتَلَسَ فَلَانٌ: أَيِ اسْتَلَبَهُ. أَنْظِرْ مَخْتَارَ الصَّحَاحِ ص ٢٠٣، وَأَسَاسَ الْبَلَاغَةِ ص ١١٨. وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ الرَّجُلَ اخْتَلَسَ غِفْلَةً أَمْرًا الْقَيْسَ عَنْهُ، فَذَهَبَ، فَلَمْ يُرَ لَهُ أَثَرٌ.

(٥) أَي: مَرِيضًا عَلِيلًا، وَذَلِكَ مِنْ أَثَرِ كَلَامِ الرَّجُلِ.

وليس طمريقاً، وخرج تحت الليل، فكان آخر العهد به^١.

١٣ - [توبه ملك من ملوك اليمن]

وروي أنه احترق مئيكين من ملوك اليمن، فغلب أحدهما صاحبه وقتله وشرّد أصحابه، ورُئيت له السرر ودار الملك، وتلقاه الناس ليُدخل، فبينما هو في بعض السكك يقصد دار الإمارة بها، وقف له رجل - كان يُنَبِّ للجنون - ، فأشده:

تَسْمَعُ مِنَ الْأَيَّامِ إِنْ كُنْتُ حَازِماً فَإِنَّكَ فِيهَا بَيْنَ نَاهٍ وَأَمِيرٍ
فَكَمْ مَلِكٌ قَدْ رُكِمَ التُّرْبُ فَوْقَهُ وَعَهْدِي بِهِ بِالْأَمْسِ فَوْقَ الْمُنَابِرِ
إِذَا كُنْتُ فِي الدُّنْيَا بَصِيراً فَأَنْمَأَ بِلَاغِكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ الْمُسَافِرِ
إِذَا أَبْقَيْتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا قَلِيلٌ بِضَائِرِ

فقال له: صدقت، ونزل عن فرسه، وفارق أصحابه، ورقي الجبل، وأقسم على أصحابه أن لا يتبعه أحد، فكان آخر العهد به.

وبقيت اليمن شاذرة^٢ أياماً حتى اختير لها من عقدوا له الملك عليها.

١٤ - [توبه ملك من ملوك بني إسرائيل]

وقرأت في «الملتقط» عن عبد الواحد بن زيد، قال: كان في بني إسرائيل عابد لم يكن له إلا جبة صوف، وقربة يستقي فيها الماء للناس.

فلما حضره الموت، قال لأصحابه: إني لم أذع من الدنيا شيئاً إلا جيتي في هذه القربة [و] ما أطيق حملها يوم القيامة، فإذا مت فادفعوها إلى فلان المليك ليحملها مع ما تحمّل من دنياه^٣.

فلما مات العابد أخبروا المليك بما قاله.

فقال الملك: هذا العابد عجز عن حمل جبة وقربة، وأنا تحمّلت من الدنيا ما

^١ - والوقت: هو الصبر حتى الاسترخاء، والإشراف على الموت، أنظر مختار الصحاح ص ١٢٠، وأمنس البلاغة ص ٥٠٦.

(١) قال في مختار الصحاح ص ١٥٩: الطير - بالكسر - : الثوب الخلق. والجمع أطماره أهد.
(٢) كذا ذكرها في وفاته، أنه ذهب ثانياً ولم يعرف عنه شيئاً بعد ذلك، وقد تقدم في ترجمته كيف مات، وهو الأرجح والله أعلم.

(٣) أي: خالية. مختار الصحاح ص ١٥٤.

(٤) في المطبوعة: حملها. فادفعوها ليحملها، هكذا بالإنفراد والمثت هو الموفق لسياق الكلام، حيث أن الكلام عن حبة وقربة، وهما مثني، والله تعالى أعلم.

نَحْمَلْتُهُ! فَأَخَذَ الْحَبَّةَ فَنَبَسَهَا وَأَخَذَ الْقُرْبَةَ، وَخَرَجَ مِنْ مُلْكِهِ، فَجَعَلَ يَسْتَقِي لِلنَّاسِ الْمَاءَ.

* * *

١٥ - [توبة ملك من ملوك بني إسرائيل]

أخبرنا شيخ الإسلام محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح بن عبدالله الجيلي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن المظفر بن سوسن التمار، أنا أبو علي بن شاذان، أنا أبو بكر محمد بن العباس بن نجيج البزاز، ثنا يعقوب بن يوسف القزويني، ثنا محمد بن سعيد، ثنا عمرو بن أبي قيس، عن سمك، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبي، عن عبدالله بن مسعود، عن رسول الله ﷺ، قال:

(١) قُتِلَ: هَذِهِ قِصَّةٌ لَا تَصُحُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. - وهذا إسناده ضعيف جداً، فيه:

١ - يزيد - واثق عبد الرحمن - وهو ابن معاوية بن أبي سفيان.

قال عنه الحافظ بن حجر في التقریب ٢/٣٧١: «وُلِيَ الْخِلَافَةَ سِتَّةَ سِنِينَ، وَمَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، وَلَمْ يَكْمُلِ الْأَرْبَعِينَ، وَنَاسٌ يَأْهَلُ أَنْ يَرَوِيَ عَنْهُ أَهْلٌ».

٢ - وفيه أيضاً عمرو بن أبي قيس، قال عنه في التقریب ١/٧٧: «وَصَدُوقٌ لَهُ أَوْهَامٌ أَهْلٌ» وقال الذهبي في التكاثر ٢/٢٩٣: «وَقَوٌّ، وَلَهُ أَوْهَامٌ أَهْلٌ».

فلعل رفع الحديث إلى النبي ﷺ - من أوهام عمرو، أو من ضعف يزيد، إذ أن الحديث يروى عن عبدالله بن مسعود من قوله: «رواه الإمام أحمد في المسند ١/٤٥١».

قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أنا المسعودي، عن سمك بن حرب، عن عبد الرحمن بن عبدالله، عن أبيه عبدالله بن مسعود، قال: بينما رجل فيمن كان قبلكم كان في مملكته فتفكر، فعلم أن ذلك منقطع عنه، وأن ما هو فيه قد شغله عن عبادة ربه، فتسرب فأنساب ذات ليلة من قصره، فأصبح في مملكة غيره، وأتى ساحل البحر، وكان به بضرب اثنين بالأجر، فبأكل ويتصدق بالفضل، فلم يزل كذلك حتى رقي أمره إلى ملكهم وعبدته، وفضله، فأرسل ملكهم إليه أن يأتيه، فأبى أن يأتيه، فأعد، ثم أعاد إليه، فأبى أن يأتيه، وقال: ما عساني، قال: فركب الملك، فلما رآه الرجل وأبى هارباً، فلما رأى ذلك الملك ركض في إثره، فلم يدركه، قال: فناداه، يا عبدالله إنه ليس عليك مني بأس، فأقام - حتى أدركه، فقال له: من أنت وحمك الله؟ قال: أنا فلان بن فلان صاحب ملك كذا وكذا، تفكرت في أمري فعلمت أن ما أنا فيه منقطع، فبأنه قد شغفني عن عبادة ربي، فتركت وجهت ههنا أعد ربي - عز وجل -، فقال: ما أنت أحوج إلي ما صنعت مني. قال: ثم نزل عن دابته، فسيها، ثم تبعه، فكانا جميعاً بعد أن الله عز وجل -، فدعوا الله أن يجمعهما جميعاً، قال: فماتاً، قال عبدالله: لو كنت برميلة مصر لأريتكم قبورهما بالنعمة الذي نعت لنا رسول الله ﷺ.

قلت: وهذا ميثاق أحسن من ميثاق المصنف.

وهذا إسناده رجاله ثقات إلا أنه منقطع، إذ أن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود لم يسمع من أبيه إلا أربعة أحاديث فقط نص عليها العلماء، وهذا ليس منها.

«إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَخْلَفُوا خَلِيفَةً عَلَيْهِمْ بَعْدَ مُوسَى، فَقَامَ يَصْلِي فِي الْقَمَرِ فَوْقَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالَ: فَذَكَرَ أُمُورًا كَانَ يَصْنَعُهَا. قَالَ فَخَرَجَ فَتَذَلَّى بِسَبَبٍ، فَاصْبَحَ السُّبُّبُ مَتَعَلِّقًا فِي الْمَسْجِدِ وَقَدْ ذَهَبَ.

قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قَوْمًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ بِدِيَارِ مِصْرَ، فَوَجَدَهُمْ يَصْنَعُونَ لِبْنًا، فَسَأَلَهُمْ كَيْفَ يَأْخُذُونَ هَذَا اللَّبْنَ؟ قَالَ: فَأَخْبَرُوهُ، فَلَبَّنَ مَعَهُمْ، وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، فَإِذَا كَانَ حِينَ الصَّلَاةِ تَطَهَّرَ فَصَلَّى، فَرَفَعَ ذَلِكَ الْعَمَلُ إِلَى قَهْرَمَانِهِمْ^(١) أَنَّ فِينَا رَجُلًا يَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَهُ بِنَفْسِهِ، يَسِيرُ عَلَى دَابَّتِهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ فَرَّ، وَاتَّبَعَهُ فَسَبَقَهُ، فَقَالَ: انْظُرْنِي أَكَلَمْتُكَ، قَالَ: فَقَامَ حَتَّى كَلَّمَهُ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ خَبْرَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ مُلْكًا، وَأَنَّهُ فَرَّ مِنْ رَهْبَةِ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، قَالَ: إِنِّي لَاظُنُّ أَنِّي لَأَحِقُّ بِكَ.

قَالَ: فَلَحَقَهُ فَعَبِدَا اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - حَتَّى مَاتَا بِـ «رَمِيلَةَ» مِصْرَ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنِّي لَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَاهْتَدَيْتُ إِلَى قَبْرَيْهِمَا، مِنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي وَصَفَ.

١٦ - [توبة حفيد نبي هو ولد عابد]

أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُعَالِي بْنِ بِنْدَارٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ النَّعَالِيُّ^(١)، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ حَيٍّ، أَنَا الْحَسَنُ، أَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيسَى، أَنَا إِسْحَاقُ بْنُ بَشَرَ، أَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢)، قَالَ:

كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَابِدٌ قَدْ أُعْجِبُوا بِهِ، فَذَكَرُوهُ يَوْمًا عِنْدَ نَبِيِّهِمْ، فَأَثَرُوا عَلَيْهِ،

= أَنْظِرْ تَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ ٢١٥/٦ - ٢١٦، وَالتَّقْرِيبَ ٤٨٨/١، وَطَبَقَاتُ الْمَدْلِسِينَ ص ٩١ - ٩٢.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَأَنْظِرْ الْبَدَايَةَ وَالنِّهَايَةَ ١٣١/٢

(١) أَي: إِلَى رَبِّهِمْ.

(٢) النَّعَالِيُّ: بَكْرُ النَّوْنِ، وَفَتْحُ الْعَيْنِ، نَسَبُهُ إِلَى عَمَلِ النَّعَالِ، وَاشْتَهَرَ بِهَا جَمَاعَةٌ. أَنْظِرِ السَّابِقَ ٣١٦/٣.

(٣) هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ جَدًّا - مَتْرُوكٌ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فِيهِ:

١ - إِسْحَاقُ بْنُ بَشَرَ: قَالَهُ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ فِي الْمَغْنِيِّ فِي الضَّعْفَاءِ ١٦٩/١ - ١١ مَجْمَعٌ عَلَى تَرْكِهِ، وَقَدْ أَتَاهُمْ بِالْكَذِبِ: وَقَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ: كَذَّابٌ أَهْلٌ.

٢ - عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، قَالَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي التَّقْرِيبِ ٣٩/٢: «صَدُوقٌ بِخَطِيءٍ وَبِصَرٍّ أَهْلٌ. أَي: وَبِصَرٍّ عَلَى خَطَاؤِهِ إِذَا نَصَحَ.

فقال: إنه لَكُمْ تقولون، لكنه تارك لشيء من السنة.

فبلغ العابد، فقال: فعلام أذُيب^(١) نفسي؟!.

قال: فهبط من مكانه، فأتى النبي وعنده الناس، والنبي لا يعرفه ببوجهه. فسلم عليه، ثم قال: يا نبي الله! بلغني أنني ذُكرتُ عندك، فقلت: إنه لكذلك، لولا أنه تارك لشيء من السنة، فقيم أذُيب نفسي بالليل والنهار، واعتزل الناس، وإنما اطلب سنة الرب - عز وجل - .

قال: أنت فلان؟ قال: نعم.

قال: أما والله ما هو شيء أحدثته في الإسلام، ولكنك لم تتزوج، قال له العابد: وليس إلا هذا؟ قال: لا.

قال فلما رأى النبي استهاتته، قال: رأيت لو فعل الناس مثل الذي فعلت من كان ينقي العدو عن المسلمين، ومن كان يأخذ للمظلوم من الظالم؟ قال: وذكر الصلاة.

قال له العابد: صدقت يا نبي الله، ما أحرمه، ولكنني أكره أن أتزوج امرأة مسلمة وأنا فقير فأعطيها^(٢)، وليس عندي ما أنفق عليها، وأما الأغنياء فلا يزوجوني.

فقال له النبي: ما بك إلا هذا؟ قال: فما بي إلا هذا، قال: أنا أزوجه ابنتي، قال: قد فعلت. قال: فزوجه، فولدت له غلاماً.

قال ابن عباس: فوالله ما وُلد في بني إسرائيل مولود ذكر قط كانوا أشد فرحاً به من ذلك الغلام.

قال: قالوا: ابن نبينا وابن عابدنا! إنا لنرجو أن يبلغ بنا ما بلغ رجل.

قال: فلما بلغ الغلام انقطع إلى عبدة الأوثان، وانقطعا إليه، وكثروا عنده، قال: فبيناهم عنده يوماً، إذ قال: إني أراكم كثيراً، فما بال هؤلاء النجوم قاهرين لكم.

فقالوا: إن لهم رأساً يجمعهم وليس لنا رأس. قال: فما يمنعكم إلا هذا؟ قالوا: نعم. قال: فإنا رأسكم. قالوا: وتفعل؟ قال: نعم. قال: فخرج وخرجوا معه.

قال: فبلغ ذلك النبي، وبلغ أباه، فاجتمع بنو إسرائيل إلى النبي وأبوه معهم،

(١) أي: أتعيبها، قال في مختار الصحاح ص ٢٣: «دَاب في عمله: جَدَّ وتعَب أهد.

(٢) أي: فاضيق عليها، قال الزمخشري في أساس البلاغة ص ٢٠٥: «عَضَلْتُ عَلَى فلان: ضَيْقْتُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَحَلَلْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُ. وَمِنْهُ: «وَلَا نَعْضَلُوهُمْ»، أهد.

وأنظر مختار الصحاح ص ٣٧٣.

فأرسل إليه يذكره بالله، وأن يرجع إلى الإسلام، فأبى.

فخرج إليه النبي، وخرج أبوه معه، فالتقى القوم واقتتلوا حتى كثرت الدماء فيهم، وقُتل النبي وقُتل أبوه مع النبي. وانهزم بنو إسرائيل، واتبعهم يفتيهم ويبعث في آثارهم يقتلهم.

قال: فلحق أحبارهم بالجبال، واستقام له الناس. قال: فجعلت نفسه لا تدعه، وظن أن ذلك الملك لا يستقيم له حتى يُفني بني إسرائيل. قال: فجعل يبعث في طلبهم في الجبال يقتلهم، فاستقام له الناس، واشتد ملكه.

فلما رأى أحبار بني إسرائيل ما يفعل لهم، قالوا: خلينا عن هذا الرجل وعن ملكه، وليس يدعنا، لقد بؤنا^(١) بغضب من الله، فررنا عن نبينا وعابدنا حتى قُتلا وليس يدعنا، فتعالوا نتوب إلى الله - عز وجل -، ونلقى هذا الرجل فنقاتل ونحن تائبون.

قال: فولوا رجلاً منهم أمرهم، وبايعوا له، وهبطوا وقد وطنوا أنفسهم على الموت، وتابوا إلى الله - عز وجل -.

قال: فخرج إليهم، فاقتلوا أول يوم من أول النهار حتى حال بينهم الليل، ثم غدوا فاقتلوا حتى كثرت الدماء في الفريقين، حتى حال بينهم الليل.

قال ابن عباس: فغدوا اليوم الثالث وقد ضبروا أنفسهم الله فاقتلوا قتالاً شديداً، وقال لهم صاحبهم: إني لأرجو أن يكون الله قد تاب عليكم وقبل توبتنا، فإني أرى الصبر قد أنزل علينا، وصارت الریح لنا، فإن ظفرتكم به، فإن استطعتم أن تأخذوه سليماً فلا تقتلوه.

قال: فاقتلوا إلى قريب من الليل، لا هؤلاء يفرّون ولا هؤلاء يهربون. فلما كان في آخر النهار، وعرف الله منهم الصدق، أنزل عليهم النصر، فهزمهم بإذن الله، وقتلهم، وأخذوه سليماً، فأتوا به.

قال: فاجتمع بنو إسرائيل إلى صاحبهم، فقال لهم: ما جزاء رجل من أنفسنا قتل نبينا، وقتل والده، وأدخل علينا عبدة الأوثان حتى قتلونا، وشرّدونا في البلاد؟ فقائل يقول: أحرّقه. وقائل يقول: قطعوه. وقائل يقول: عذبوه. فكلما قالوا له شيئاً من هذا قال: هذا يأتي على نفسه. قالوا: فانت أعلم.

قال: فإني أرى أن نأخذَه فنصلبه حيّاً، ولا نطعمه، ولا نسقيه، ولا نقتله. وتدعه

(١) أي: رجعنا. أنظر مختار الصحاح ص ٧ - ٨.

حتى يموت. قالوا له: إفعِل، فُصِّلب حَيًّا وجعلوا عليه الحَرَس.

قال: فمكث يومه، ومن الغد، واليوم الثالث، حتى أمسى، فلما أمسى رأى الموت. فدعا آلهته التي كان يعبد من دون الله - عز وجل - . قال: فبدأ بأفضلها في نفسه، فبدعوه، فإذا لم يجبه، جاوزه ودعا الآخر فأتى على آلهته جميعاً يدعوهم فلا يجيبونه، وذلك في جوف الليل.

قال: اللَّهُمَّ إله جَدِّي وأبي! إني قد ظلمت نفسي، ودعوتُ هذه الآلهة التي كنت أعبدُها من دونك، فلو كان عندها خير لإجابتي، فاغفر لي، وخلّصني مما أنا فيه، فتحلّلت عنه العُقْد فإذا هو في أسفل الجذع.

وفي حديث آخر، قال: فجعل يدعو صنماً صنماً، فلا يجيبه أحد، قال: فنظر إلى السماء، وقال: يا حنان! يا منان! أشهد أن كلَّ معبود من لدُنْ عرشك إلى قِرار أرضك باطل إلا وجهك الكريم أنت فأغثني.

قال: فبعث الله - عز وجل - ملكاً، فحلّه عن خشبته فأنزله.

قال ابن عباس: فأخذته الحَرَس فأتوا به أصحابهم، واجتمع بنو إسرائيل، فقال: ما تأمرون في هذا؟ قالوا: ما ترى فيه، الله - عز وجل - حلّه، وتقول لنا: ما تأمرون فيه؟! قال: صدقتم، ولكن أحببت أن أستمركم. قال: فخلّوا عنه.

قال سعيد بن جبير: سمعت ابن عباس يقول: والله ما كان في بني إسرائيل بعده رجل خيراً منه ولا أفضل.

١٧ - [توبة ملك من الملوك وقوم لا يعبدون الله].

أخبرنا الإمام أبو الحسين عليّ بن عساكر بن المرحّب البطّانحي المقرئ^(١)، أنبا أبو طالب اليُوسُفي^(٢)، أنبا أبو بكر القطيحي، ثنا عبدالله بن أحمد، ثنا هُذَبة، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت وحميد، عن بكر بن عبدالله المزني^(٣)، قال:

(١) هو عليّ بن عساكر بن المرحّب بن العوّام البطّانحي، أبو الحسن، ضريحه، مقبرته، عارف بالعربية، من أهل العراق، توفي سنة (٥٧٢) هـ. في شعبان. له كتاب في الفرائد. أنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي (ج ١٢، ق ٢٧٦ - ٢٧٧)، وطبقات الفراء لابن الجزري ٥٥٦/١. ومعجم المؤلفين ١٥٠/٧.

(٢) اليُوسُفي: بضم الياء، وسكون الواو، وضَمّ السين المهملة، وبعدها فاء، هذه النسبة إلى أبي يوسف الأسفرائيني، خازن دار العلم ببغداد. الباب ٤٢٠/٣.

(٣) هذا اسناد صحيح عن بكر بن عبدالله المزني. ولعله تلقى هذه القصة عن بعض أهل الكتاب، أو عن =

كان فيمن كان قبلكم ملك، وكان متمرّداً على ربه - عز وجل - ، فغزاه المسلمون، فأخذوه سليماً، فقالوا: بأيّ قتلة يقتله؟ فأجمع رأيهم على أن يجعلوا قُمُماً عظيماً، ويؤججوا تحته النار، ولا يقتلوه حتى يذيقوه طعم العذاب، ففعلوا ذلك به.

قال: فجعل يدعو آلهته واحداً واحداً: يا فلان! بما كنت أعبدك به، وأصلي لك، وأمسح وجهك، فأيقظني مما أنا فيه، فلمّا رأهم لا يغنون عنه شيئاً، رفع رأسه إلى السماء، وقال: لا إله إلا الله؛ ودعا مخلصاً فضبّ الله عليه مُعَبِّاً^(١) من السماء، فأطفأ تلك النار.

وجاءت ريح فاحتملت ذلك القُمُماً، فجعلت تدور بين السماء والأرض، وهو يقول: لا إله إلا الله، فقدّفه الله إلى قوم لا يعبدون الله - عز وجل - ، وهو يقول: لا إله إلا الله؛ فاستخرجوه، فقالوا: ويحك، ما لك؟ فقال: أنا مثلك بي فلان، كان من أمري، وكان من أمري...، فقصّ عليهم القصة، فامتوا.

١٨ - [توبة ملك يقال له: كنعان، وقومه من بعده].

أخبرنا أحمد بن المبارك، أنا ثابت، أنا أبو عليّ بن دوما، أنا مخلد، أنا الحسن، ثنا إسماعيل بن عيسى، أنا إسحاق بن بشر قال: وحدثت عن ابن سمعان، عن بعض أهل العلم بالكتب:

أنّ ذا الكفل كان إليسع بن خطوب الذي كان مع إلياس، وليس باليسع الذي ذكر الله تبارك وتعالى في القرآن، وإليسع ذو الكفل كان قبل داود^(٢).

= بعض من اطلع عن كتبهم، والله أعلم

(١) أي: ماء عربياً مميلاً من السماء. تقول: ثعبت السماء. فحترته، والثعب سبيل الماء. انظر مختار الصحاح ص ١٨، وأساس البلاغة ص ٤٤ - ٤٥.

(٢) هذا إسناد ضعيف جداً، به.

١ - إسحاق بن بشر، قال في المعجمي ٦٩/١: «مجمع عنى شركه، وقد اتهم بالكذب. وكان ابن العديني كذاباً هادراً. وقد تقدمت ترجمة صافية له أو الكذب، تاب ذكر التوابين من الملائكة».

٢ - الإصطاع يسه ويس ابن سمعان، وهذا ظاهر من سياق النص. وحدثت عن ابن سمعان. وهو في روايات أهل الكذب كما هو ظاهر جلياً من قوله: عن بعض أهل العلم بالكتب. أي بالكتب القديمة.

(٣) كذا قال: ومقتضى أن ذا الكفل كان اسمه إليسع بن خطوب، وهو الذي كان مع إلياس وليس هو باليسع الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، وأن ذا الكفل كان قبل داود.

وقد روى إسحاق بن بشر بإسناد عن الحسن البصري ما يخالف هذا، كما في البداية والنهاية ٥/٢. حيث ذكر عنه أنه قال: كان عبد إلياس اليسع عليهما السلام...، فمكث ما شاء الله أن يمكث، =

وذلك أن ملكاً جبّاراً يقال له: كنعان، وكان لا يُطاق في زمانه لظلمه وطغيانه، وكان ذو الكفل يعبد الله سرّاً منه، ويكتم إيمانه وهو في مملكته، فقبل للملك: إن في مملكتك رجلاً يُفسد عليك أمرك، يدعو الناس إلى غير عبادتك، فبعث إليه ليقتله، فأُتي به، فلمّا دخل عليه، قال له الملك: ما هذا الذي بلغني عنك أنك تعبد غيري؟

فقال له ذو الكفل: أسمع مني ونفهم ولا تغضب، فإن الغضب عدو للنفس، يحول بينها وبين الحق، ويدعوها إلى هواها، وينبغي لمن قدر ألا يغضب، فإنه قادر على ما يريد.

قال: تكلم.

قال: فبدأ ذو الكفل وافتتح الكلام بذكر الله - عز وجل -، والحمد لله، ثم قال ذو الكفل: أترغم أنك إله؟ فإنه من تملك؟ أو إله جميع الخلق؟ فإن كنت إله من تملك، فإن لك شريكاً فيما لا تملك، وإن كنت إله الخلق، فمن إلهك؟

قال له: ويحك، فمن إلهي؟

قال: إله السماء والأرض، وهو خالقهما، وهذه الشمس والقمر والنجوم، فأتق الله، واحذر عقوبته، فإن أنت عبدته ووحدته، رجوت لك ثواباً، والخلود في جواره.

قال له الملك: أخبرني، من عبد إلهك فما جزاؤه؟ قال: الجنة إذا مات.

قال: وما الجنة؟ قال: دار خلقها الله - تبارك وتعالى - بيده، فجعلها مسكناً لأوليائه، يبعثهم يوم القيامة شباباً مُردّاً أبناء ثلاث وثلاثين سنة، فيدخلهم الجنة في نعيم وخلود شباب لا يهرمون، مقيمون لا يظعنون^(١)، أحياء لا يموتون، في نعيم وسرور وبهجة.

قال: فما جزاء من لم يعبد وعصاه؟

قال: النار: مقرونين مع الشياطين، مُغلغلين بالأصفاد^(٢)، لا يموتون أبداً، في

^(١) يدعوهم إلى الله متمسكين بهاج اليأس وشريعته حتى قبضه الله - عز وجل - ثم حلف فيهم الخوف، وعظمت فيهم الأحداث والخطايا، وكثرت الجسارة، وقتلوا الأنبياء، وكان فيهم منك غير طاع، ويقال: إنه الذي تكفل له ذو الكفل أن هو ثابت ورجع دخل الجنة، فسمي ذا الكفل.

وهذا إسناد ضعيف جداً أيضاً بسبب إسحاق لكن المقصود أنه ذكر هنا أن البيع النبي جاء بعد اليأس، وذا الكفل جاء بعدهما، وليس كما ذكر في القصة الأولى. والله تعالى أعلم.

وانظر البداية والنهاية ٢١٠/١ - ٢١٢، و٤/٢ - ٥.

(١) ظعن: سار، كذا في مختار الصحاح ص ٤٦٠، والمقصود هنا: لا يخرجون منها.

(٢) أي: بالقيود: مختار الصحاح ص ١٠٢.

عذاب مقيم، وهَوَانٌ^(١) طويل، تضربهم الزَّبَانِيَّةُ^(٢) بِمَقَامِعٍ^(٣) من حديد، طعامهم الزُّقُومُ^(٤) والضَّرِيعُ^(٥) وشرابهم الحَمِيمُ^(٦).

فَرَّقَ الْمَلِكُ وبكى لما كان قد سَبَقَ له. فقال له: إِنْ أَنَا آمَنْتُ بِاللَّهِ فَمَا لِي؟ قَالَ: الْجَنَّةُ. قَالَ: فَمَنْ لِي بِذَلِكَ؟ قَالَ: أَنَا لَكَ الْكَفِيلُ، وَأَكْبَ لَكَ عَلَى اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كِتَابًا، فَإِذَا أَتَيْتَهُ تَقَاضَيْتَهُ بِمَا فِي كِتَابِكَ، وَفَى لَكَ، فَإِنَّهُ قَادِرٌ قَاهِرٌ يُوَفِّيكَ وَيَزِيدُكَ.

فَفَكَّرَ الْمَلِكُ فِي ذَلِكَ، - فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ - فَقَالَ لَهُ: أَكْتُبْ لِي عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - كِتَابًا.

فَكُتِبَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابُ كِتْبِهِ فَلَانَ الْكَفِيلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لَكِنَّمَا الْمَلِكُ، ثِقَةٌ مِنْهُ بِاللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، إِنْ اللَّهُ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا^(٧)، وَلَكِنَّمَا عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِكَفَالَةِ فَلَانَ، إِنْ تَابَ وَرَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ، أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةُ، يَوْمَهُ^(٨) مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ، وَإِنْ لَمْ يَتُوبْ عَلَى اللَّهِ مَا لِإَوْلِيَائِهِ، وَأَنْ يَجْبِرَهُ مِنْ عَذَابِهِ، فَإِنَّهُ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَاسِعٌ الرَّحْمَةِ، سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبِهِ. ثُمَّ خَتَمَ الْكِتَابَ، وَدَفَعَهُ إِلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَرَشِدْنِي كَيْفَ أَصْنَعُ، قَالَ: قُمْ فَاغْتَسِلْ، وَابْسِ ثِيَابًا جَدِّدًا، فَفَعَلَ. ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَشْهَدَ، بِشَهَادَةِ الْحَقِّ، وَأَنْ يَبْرَأَ مِنَ الشُّرْكِ، فَفَعَلَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: كَيْفَ أُعْبِدُ رَبِّي؟ فَعَلَّمَهُ الشَّرَائِعَ وَالصَّلَاةَ، فَقَالَ لَهُ: يَا ذَا الْكُفْلِ! اسْتَرِ هَذَا الْأَمْرَ وَلَا تَنْظُرْهُ حَتَّى الْحَقُّ بِالنُّسَاكِ.

قَالَ: فَخَلَعَ الْمُلُوكَ، وَخَرَجَ سِرًّا، فَلَحِقَ بِالنُّسَّاكِ، فَجَعَلَ يَسِيحُ فِي الْأَرْضِ.

(١) أي: دَلٌّ وضعف واستخفاف، مختار الصحاح ص ٤٧٥.

(٢) الزَّبَانِيَّةُ: سَمِّيَ بِذَلِكَ بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ لِدَفْعِهِمْ أَهْلَ النَّارِ، وَأَصْلُ الزَّيْنِ الدَّفْعُ كَذَا فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ ص ٤٥٣.

(٣) قَالَ فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ ص ٢٧٥: «الْمَقْمَعَةُ - بِالْكَسْرِ، وَاحِدَةُ الْمَقَامِعِ - مِنْ حَدِيدٍ، كَالْمَحْجَرِ، يَضْرِبُ بِهَا عَلَى رَأْسِ الْفِيلِ» أ.هـ.

(٤) قَالَ فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ ص ٤٦١: «الزُّقُومُ: اسْمُ طَعَامٍ لَهُمْ، فِيهِ: تَمْرٌ وَرَبْدٌ، قَالَ ابْنُ عِيَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَنْبِيَاءِ﴾، قَالَ أَبُو جَهْلٍ: التَّمْرُ بِالتَّزْيِيدِ تَزْفَعُهُ، أَيْ تَنْقُصُهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾» أ.هـ.

(٥) أي: الشُّوكُ. قَالَ فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ ص ٢٧١: «الضَّرِيعُ يَبْسُ الشُّبْرُقَ» أ.هـ.

(٦) أي: الْمَاءُ الْحَارُّ. انْظُرْ مَخْتَارَ الصَّحَاحِ ص ٤٠٣.

(٧) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْكَهْفِ، آيَةِ رَقْمِ / ٣٠: ﴿إِنَّا لَا نُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.

(٨) قَالَ فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ ص ٨: «يَوْمَهُ مِثْلُ نَزْلِهِ. وَيَوْمًا لَهُ مِثْلُهُ، وَيَوْمًا مِثْلُهَا هَبَاءٌ وَمِثْلُهَا فِيهِ» أ.هـ.

وفقدته أهل مملكته فطلبوه، فلمّا لم بقدرُوا عليه، قالوا: أَطْلُبُوا ذَا الْكَفْلِ! فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي غَرَّ إِلَهَنَا. قال: فَذَهَبَ قَوْمٌ فِي طَلَبِ الْمَلِكِ، وَتَوَارَى ذُو الْكَفْلِ. فَقَدِرُوا عَلَى الْمَلِكِ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ مِنْ بِلَادِهِمْ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ قَائِمًا يَصَلِّي خَرُّوا لَهُ سَجْدًا، فَانصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَتَسْجُدُونَ لِلَّهِ، وَلَا تَسْجُدُونَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ؟ فَإِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، فَوَعَّظْتُهُمْ وَخَوَّفْتُهُمْ.

قال: فَعَرَضَ لَهُ وَجَعٌ، وَحَضَرَهُ الْمَوْتُ. فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَا تَبْرَحُوا، فَإِنَّ هَذَا آخِرَ عَهْدِي بِالدُّنْيَا، فَإِذَا مِتُّ فَادْفِنُونِي.

وَأَخْرَجَ كِتَابَهُ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَفَظُوهُ، وَعَلِمُوا مَا فِيهِ، وَقَالَ لَهُمْ: هَذَا كِتَابُ كِتَبِهِ لِي عَلَى رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ -، أَسْتَوْفِي مِنْهُ مَا فِيهِ، فَادْفِنُوا هَذَا الْكِتَابَ مَعِي. فَلَمَّا مَاتَ جَهَّزُوهُ، وَوَضَعُوا الْكِتَابَ عَلَى صَدْرِهِ، وَدَفَنُوهُ، فَبَعَثَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مَلَكًا، فَجَاءَ بِهِ إِلَى ذَا الْكَفْلِ، فَقَالَ: يَا ذَا الْكَفْلِ! إِنَّ رَبَّكَ قَدْ وَفَّى لَكَتَعَانِ بِكَفَالَتِكَ، وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي كَتَبْتَهُ لَكَ، وَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ: هَكَذَا أَفْعَلْ بِأَهْلِ طَاعَتِي.

فَلَمَّا أَنْ جَاءَهُ الْمَلِكُ بِالْكِتَابِ، ظَهَرَ لِلنَّاسِ، فَأَخَذُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ الَّذِي غَرَّرْتَ^(١) مَلِكَنَا وَخَذَعْتَهُ؟ فَقَالُوا لَهُمْ: لَمْ أَغْرَهُ وَلَمْ أَخْذَعْهُ، وَلَكِنْ دَعَوْتُهُ إِلَى اللَّهِ، وَتَكَفَّلْتُ لَهُ بِالْجَنَّةِ، وَقَدْ مَاتَ مِلْكُكُمْ الْيَوْمَ فِي سَاعَةِ كَذَا وَكَذَا، وَدَفَنَهُ أَصْحَابُكُمْ. وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي كُنْتَ كَتَبْتَهُ لَكَ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِالْوَفَاءِ، وَقَدْ وَفَّاهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - حَقَّهُ. وَهَذَا الْكِتَابُ تَصَدِيقٌ لِمَا أَقُولُ لَكُمْ. فَانْتَظَرُوا حَتَّى يَرْجِعَ أَصْحَابُكُمْ.

فَحَبَسُوهُ حَتَّى قَدِمَ أَصْحَابُهُمْ فَسَأَلُوهُمْ، فَقَصَّوْا عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ.

فَقَالُوا لَهُمْ: تَعْرِفُونَ الْكِتَابَ الَّذِي دَفَنْتُمُوهُ مَعَهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَأَخْرَجُوهُ إِلَيْهِ، فَقَرَأُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي كَانَ مَعَهُ، وَدَفَنَاهُ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا. فَنَظَرُوا وَحَسَبُوا، فَإِذَا ذُو الْكَفْلِ كَانَ قَدْ قَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ وَأَعْلَمَهُمْ بِمَوْتِ الْمَلِكِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ. فَآمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، فَبَلَغَ مِنْ آمَنَ بِهِ مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةُ وَعِشْرِينَ أَلْفًا.

وَتَكَفَّلَ لَهُمْ مِثْلَ الَّذِي تَكَفَّلَ لِمَلِكِهِمْ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، فَسَمَّاهُ اللَّهُ: ذَا الْكَفْلِ^(٢).

(١) أي: خدعت. تقول: منه اغتر الرجل، واغتر بالشيء: خدع به مختار الصحاح ص ١٧٠.

(٢) سبق أن هذا الإسناد ضعيف جداً، فلا تقوم فيه حجة على ما ذكر هنا. وقد ذكر الحافظ ابن كثير البداية والنهاية ١/ ٢١٠ - ٢١١ أسباباً أخرى لتسميته بذي الكفل.

ذكر التّوّابين من الأهم

١٩ - [توبة قوم موسى عليه السلام]

وبه^(١) عن إسحاق بن بشر، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن^(٢)، قال :

أقبل موسى - عليه السّلام - يسأل ربّه - عزّ وجلّ - أن يتوب على قومه من عبادة العجل، فقال: يا موسى ! لا توبة لهم إلا أن يقتلوا أنفسهم .

فرجع موسى - عليه السّلام - إلى قومه، فقال: يا قوم ! إنّ الله أبى أن يقبل منكم توبتكم إلا أن تقتلوا أنفسكم، فبئس توبتكم: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾^(٣) - يعني : خالفكم .

فألوا: يا موسى ، نصبر لأمر الله - عزّ وجلّ - ونُديم القوم على ما صنعوا .

فأخذ موسى - عليه السّلام - منهم الميثاق ليُضَيَّرَ للقتل والقضاء، فقالوا نعم .

فأصبحوا غدوة^(٤) بأفنية البيوت، كل بني أب على جبالهم^(٥) .

(١) وبه: أي بالإسناد السابق في القصة السابقة .

(٢) هذا إسناد ضعيف جداً عن الحسن، فيه :

١ - [إسحاق بن بشر، مجمع على تركه، وقد نُهِيَ بالكذب، وقيل ابن المديني : كذاب، كذا في المعني في الضعفاء للذهبي ٦٩/١ .

جوير، وهو ابن سعيد: ضعيف جداً، كذا في التقريب ١٣٦/١

لكن ورد نحو هذه القصة عن غير واحد من التابعين .

أنظر نفس راين كثير ٩٢/١ - ٩٣، والبداية والنهاية ٢٦٩/١ - ٢٧١ . وهي من باب الرواية عن أهل الكتاب وكتبهم .

(٣) سورة البقرة آية رقم ٥٤، ونص هذه الآية : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ، فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ .

(٤) قال في مختار الصحاح ص ٥٣٠ : «الغدوة: ما بين صلاة الغداة - أي : الفجر - وطلوع الشمس»

(٥) قال في مختار الصحاح ص ٣٥٦ : «قعد حياله وحياله، أي : بإزائه» أهـ . والمقصود: أن أهل كل

فأمر موسى الذين لم يكونوا عبدوا المعجل من بني إسرائيل أن يأخذوا السيوف فيقتلوا من لقوا. فَمَشَوْا فِي الْعَسْكَرِ، فَقَالُوا: رَحِمَ اللَّهُ مَنْ يَحُلُّ خَبْثَتَهُ^(١)، ولم يرفع بصره، ولم يمتنع بيده ولا رجله، ولم يقم من مجلسه حتى يقضي الله قضاءه.

قال: فَفَتَّلُوا، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَأْتِي قَوْمَهُ وَهُمْ بِأَقْبِيَةِ بَيْتِهِمْ جُلُوسٍ، فيقول: إِنْ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكُمْ أَنْتُمْ شَاهِرِينَ السُّيُوفِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْبِرُوا، فَإِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ وَمَلَائِكَتَهُ عَلَى رَجُلٍ خَلَّ خَبْثَتَهُ، أَوْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ، أَوْ حَدَّدَ إِلَيْهِمْ طَرْفَهُ، أَوْ اتَّفَاهِمَ بِيَدٍ أَوْ رِجْلٍ، فيقولون: آمين.

وعن ابن عباس^(٢)، قال: قال القوم حين أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً: يا رسول الله، كيف نقتل الآباء والأبناء والإخوة؟ قال: فأنزل الله عليهم ظلمة لا يرى بعضهم بعضاً فقتلهم.

فقالوا: يا موسى! ما آية توبتنا؟ قال: أن تقوم السيوف والسلاح فلا تقتل، وترفع عنكم الظلمة.

قال: فقتلوا حتى بلغت الدماء المثرز، وخاضوا فيها، وصاح الصبيان إلى موسى يقولون: يا موسى! الْمَقُوفُ الْغَفُورُ! وبكى موسى إلى الله - عز وجل - ، فأنزل الله عز وجل الرِّحْمَةَ وقام السلاح.

ونادى موسى أن ارفعوا عن إخوانكم، فقد نزلت الرِّحْمَةُ، وارتفعت عنهم الظلمة، فتكشفت عن القتلى.

قال ابن عباس: فقتلهم شهداء، وأحيواهم مغفور لهم^(٣).

٢٠ - [توبة قوم يونس عليه السلام].

قال إسحاق: وأخبرنا جويد ومقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس^(٤)، قال:

= بيت اجتمعوا قرب بعضهم.

(١) الخبث: الرُّخْف. تقول: حبا الصبي يخبو: إذا زحف. إساس البلاغة ص ٧٢ - ٧٣، ومختار الصحاح ص ٤٩٦ والمنصور هنا: من لم يحاول الهرب.

(٢) أنظر تفسير ابن كثير ٩٢/١.

(٣) وذكر هذا القول عن قتادة أيضاً، أنظر تفسير ابن كثير ٩٢/١.

(٤) هذا إسناده ضعيف جداً عن ابن عباس، فيه:

١ - إسحاق، وهو ابن بشر، مجمع على تركه ومنهم من اتهمه بالكذب، كما تقدم مراراً.

٢ - جويد، وهو ابن سعيد ضعيف جداً. كما تقدم مراراً كذلك، لكن تابعه عليه مقاتل. فينبغي

عنه، إلا أن يكون وهو مقاتل بن سليمان - وهو الأرجح - فقد كذبه وهجره، التقريب ٢٧٢/٢.

لَمَّا أَيْسَ يُونُسَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ إِيْمَانِ قَوْمِهِ دَعَا رَبَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : يَا رَبُّ ! إِنْ قَوْمِي أَبَوْا إِلَّا الْكُفْرَ ، فَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ نَقْمَتَكَ^(١).

فَأَوْحَى اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَيْهِ : إِنِّي أَنْزِلُ بِقَوْمِكَ الْعَذَابَ . قَالَ : فَخَرَجَ عَنْهُمْ يُونُسَ وَأَوْعَدَهُمُ الْعَذَابَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَأَخْرَجَ أَهْلَهُ وَمَعَهُ ابْنَاهُ صَغِيرَانِ ، فَاْنْطَلَقَ حَتَّى خَرَجَ عَنْهُمْ ، فَصَبَدَ جِبِلًّا يَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ «نَيْنَوَى» وَيَتَرَقَّبُ الْعَذَابَ .

وَبَعَثَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - جَبْرِيلَ ، فَقَالَ : اَنْطَلِقْ إِلَى مَالِكِ - خَازِنِ النَّارِ - فَقُلْ لَهُ يُخْرِجُ مِنْ سُمُومِ جَهَنَّمَ عَلَى قَدَرٍ مِثْقَالَ شَعِيرَةٍ ، ثُمَّ اَنْطَلِقْ بِهِ فَاحْطُ بِهِ أَهْلَ مَدِينَةِ «نَيْنَوَى» .

قَالَ : فَاْنْطَلَقَ جَبْرِيلُ فَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ رَبُّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَعَايَنَ قَوْمَ يُونُسَ الْعَذَابَ لَمَّا هَبَطَ لِلْوَقْتِ لَهُمْ يُونُسَ .

قَالَ أَبُو الْجَلَدِ^(٢) : إِنَّ الْعَذَابَ لَمَّا هَبَطَ عَلَى قَوْمِ يُونُسَ فَجَعَلَ يَحُومُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ مِثْلَ قَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَلَمَّا اسْتَبَقَتُوا بِالْعَذَابِ ، سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ^(٣) ، وَعَلِمُوا أَنَّ يُونُسَ قَدْ صَدَّقَهُمْ ، فَطَلَبُوهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ . فَقَالُوا : نَجْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ .

قَالَ : فَخَرَجُوا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ : تَلَّ الرَّمَادِ ، وَتَلَّ التَّوْبَةِ .

= وَفَصَّةٌ تَوْبَةُ قَوْمِ يُونُسَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ، وَسَبَّحَهَا الْمُصَنِّفُ قَرِيبًا فَلَا دَاعِيَ إِلَيَّ ذِكْرُهَا هُنَا .

(١) أَيُ : عَقَابِكَ . اَنْظُرْ مُخْتَارَ الصَّحَاحِ ص ٤٣٤ .

(٢) يَفْتَحُ الْجَبِيمَ وَسَكُونُ السَّلَامِ . وَهُوَ : جِبِلَّانُ بْنُ أَبِي فُرُوَّةِ الْأَسَدِيِّ الْبَصْرِيِّ ، وَيُقَالُ : ابْنُ فُرُوَّةَ ، ذَكَرَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ الْكَبِيرِ ٢٥١/٢/١ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ جَرَحًا وَلَا تَعْدِيلًا .

وَذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي الثَّقَاتِ ١١٩/٤ . وَقَالَ : وَكَانَ يَقْرَأُ الْكِتَابَ ، رَوَى عَنْهُ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ ، أَهـ .

وَذَكَرَهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي الْجَرَجِ وَالتَّعْدِيلِ ٥٤٧/٢ . وَقَالَ : «صَاحِبُ كِتَابِ الثُّرَوَاتِ وَنَحْوِهَا» رَوَى عَنْ قَتَادَةَ وَأَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ .

وَتَمَّ نَقْلُ يَأْسِنَادِهِ عَنْ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ عَنْهُ : ثِقَّةٌ أَهـ .

وَأَنْظُرْ لِسَانَ الْحَمْرَانِ ١٤٤/٢ .

قُلْتُ : فَهُوَ كَمَا تَقْدِرُ . وَكَأَنَّكَ تَعْنِي بِهَذَا أَهْلَ الْكِتَابِ .

(٣) أَيُ : تَذَمُّوا ، وَهَذَا مِنَ الْمَحْذُورِ ، إِذْ لَيْسَ السَّقُوطُ : الْوُقُوعُ وَنَحْوُهَا وَلَيْسَ التَّذَمُّ . قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ ص ٢١٤ . وَهُوَ الْمُجَازُ . . . وَسَقَطَ فِي يَدِهِ ، وَاسْقَطَ وَسَقَطَ - عَلَى الْمَجْنِيِّ لِلْقَاعِلِ - : تَذَمُّ ، وَهُوَ سَقُوطٌ فِي يَدِهِ ، وَسَاقَطَ فِي يَدِهِ : تَذَمُّ أَهـ .

وإنما سُمِّيَ: تل الرماد، لأنهم خرجوا جميعاً: الرُّجال والنِّساء والعَوَاتِق^(١)،
وأخرجوا معهم أنعامهم وبهائمهم، فمَيَّزُوا بين المراضع وأولادها، والبهائم وأولادها،
وجعلوا الرَّمَاد على رؤوسهم، ووضعوا الشُّوك من تحت أرجلهم، ولبسوا المَسُوح
والصُّوف، ثُمَّ اسْتَجَارُوا بِالله، ورفعوا أصواتهم بالبكاء والدُّعاء، فعلم الله - عزَّ
وجلَّ - منهم الصُّدُق.

فَقَالَتِ الْمَلَأَكَةُ: يَا رَبِّ! رَحِمَتِكَ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَهَؤُلَاءِ الْأَكَابِرُ مِنْ وَلَدِ آدَمَ
تَعَذَّبُهم، فَمَا بِإِلِ الْأَصَاغِرِ وَالبِهَائِمِ؟ فَقَالَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - : يَا جَبْرِيلُ! ارْفَعْ عَنْهُمْ
العَذَابَ، فَقَدْ قَبِلْتَ تَوْبَتَهُمْ، يَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَمَّعَهَا إِيمَانُهَا
إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا آَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى
حِينٍ﴾^(٢).

أخبرنا علي بن عساکر، أنا أبو طالب، أنا أبو علي التيمي، أنا أبو بكر القطيعي،

(١) قال البخاري ص ٢٩٣: «هي عاتق من العواتق: للشابة أول ما أدركت، أ. هـ».

(٢) سورة يونس، آية رقم ٩٨.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٣٢/٢ - ٤٣٣: «يقول الله تعالى فهلاً كانت قرية آمنت بكمالها من
الأمم السالفة الذين بعثنا إليهم الرسل بل ما أرسلنا من قبلك يا محمد من رسول إلا كذبه قومه أو
أكثرهم، كقوله تعالى: ﴿يَا خَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ﴾،
﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ﴾، ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ
قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفِّعُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾.
وفي الحديث: عرض علي الأنبياء، فجعل النبي يمرّ ومعه الغنم من الناصر، والنبي يمرّ معه الرجل،
والنبي معه الرجلان، والنبي ليس معه أحد؛ ثم ذكر كثرة أتباع موسى عليه السلام - ثم ذكر كثرة
أمة - صلوات الله وسلامه عليه - سَدَّتِ الْخَافِقِينَ الشَّرْقِيِّ وَالْغَرْبِيِّ.

والغرض أنه لم توجد قرية آمنت بكمالها بينهم ممن سلف من القرى إلا قوم يونس، وهم أهل
نِيْنُو، وما كان إيمانهم إلا خوفاً من وصول العذاب الذي أنذروهم به رسولهم بعد ما عاينوا أسبابه
وأخرج رسولهم من بين أظهرهم، فعندما جأروا إلى الله واستغاثوا به ونصَّروا له، واستكانوا،
وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم، وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذروهم به
نبيهم، فعندها رحمهم الله وكشف عنهم العذاب، وأخروا، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا
آَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

واختلف المفسرون هل كشف عنهم العذاب الآخرون مع النيسوي، أو إنما كشف عنهم في الدنيا
فقط؟ على قولين: .

أحدهما: إنما كان ذلك في الحياة الدنيا، كما هو مقيد في هذه الآية.

والثاني: فيهما، لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، فَأَمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾،
«فأطلق عليهم الإيمان، والإيمان مفقود من العذاب الآخروي وهذا هو الظاهر، والله أعلم» أ. هـ.

ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا أبي، ثنا هاشم^(١)، ثنا صالح، عن أبي عمران الجوني^(٢)، عن أبي الجلود^(٣)، قال:

إن العذاب لما هبط على قوم يونس فجعل يحوم على رؤوسهم مثل قطع الليل المظلم، فمشى ذوو العقول منهم إلى شيخ من بقة علمائهم، فقالوا: إنا قد نزل بنا ما ترى، فعلمنا دعاء ندعوه، عسى الله أن يرفع عنا العقوبة.

فقال: قولوا: يا حيّ حين لا حيّ، ويا حيّ محيي الموتى، ويا حيّ لا إله إلا أنت.

قال: فكشف الله - عز وجل - عنهم.

وعن الحسن، أن يونس - عليه السلام - بعد ما أُنجاه الله من بطن الحوت رجع فمرّ برأع من رعاة قومه، وهو من برقة يروى غنماً، فقال يونس للراعي: من أنت يا عبد الله؟ قال: أنا من قوم يونس بن متى. قال يونس: فما فعل يونس؟ قال: لا ندري ما حاله، غير أنه كان خير الناس، وأصدق الناس، أخبرنا عن العذاب، فجاءنا على ما قال، فَبُنّا إلى الله فرحماً، فنحن نطلب يونس، ولا ندري أين هو، ولا نسمع له بذكر.

(١) في المصنوعة: ثنا هاشم، وهو خطأ، والمثبت كما في كتاب الزهد للإمام أحمد ص ٤٤ ويؤكد أن الذي أنشأه هو الصواب، أن الذي يروى عن صالح، وهو المرّي إمام هاشم، وليس هاشم. انظر تهذيب الكمال ١٦/١٣ - ١٧.

وهاشم، هو: ابن القاسم بن مسلم الليثي مولا هاشم، البغدادي، أبو التضر، مشهور بكنيته، وفقه: قصير، ثقة ثبت، مات سنة سبع ومائتين، وله ثلاث وسبعون - التقريب ٣١٤/٢.

(٢) هو: عبد الملك بن حبيب، مشهور بكنيته، تابعي ثقة، التقريب ٥١٨/١.

(٣) تقدم قريباً أنه كان يقرأ التوراة وكتب أهل الكتاب

وروى هذا الأثر الإمام أحمد في الزهد ص ٤٤ - ٤٥ وإسناده ضعيف، فيه: صالح، وهو: ابن شير بن وادع الثوري.

قال عنه يحيى بن معين: ليس به بأس، وقال مرة أخرى: ضعيف وقال ثالثة: ليس بشيء. وقال رابعة: كان قاصداً، وكان كل حديث يحدث به عن ثابت باطلاً.

وقال ابن المدبني: ليس بشيء، ضعيف ضعيف.

وقال عمرو بن علي: ضعيف الحديث، يمد بأحاديث منكر عن قوم ثقات.

وقال الجوزجاني: كان قاصداً، وأهمل الحديث

وقال البخاري: مبك الحديث.

وقال أبو سعيد الأجرى: قلت لأبي داود: يكتب حديث صالح الثوري؟ قال: لا.

وقال النسائي: ضعيف الحديث، له أحاديث منكرة، وقال في موضع آخر: متروك الحديث

انظر تهذيب الكمال ١٦/١٣ - ٢٣ - تهذيب التهذيب ٣٨١/٤، وقال عنه في التقريب ٣٥٨/١: زاهد، ضعيف، أهد.

قال يونس: هل عندك من لبن؟ قال: لا، والذي أكرم يونس ما مطرت السماء ولا أغشيت الأرض منذ فارقتنا يونس. قال: ألا أراكم تحلفون بإله يونس؟ قال: لا نحلف بغير إله يونس، من فعل في مدينتنا فحلف بغير إله يونس نزع لسانه من قفاه. فقال له يونس: متى استحدثتم هذا؟ قال: لما كشف الله عنا العذاب.

قال يونس: انتني بنعجة، قال: فاتاه بنعجة مَسْلُوباً^(١)، فمسح يده على بطنها، ثم قال لها: دري بإذن الله، فدرت، فاحتلبها يونس، فشرب يونس والراعي.

فقال الراعي: إن كان يونس حيّاً فأنت هو.

قال: أنا يونس، فأب قومك فأقرتهم مِنِّي السَّلام. قال: إنَّ الملك قال: من أتاني فأعلمني أنَّه رأى يونس، وجاءني ذلك بيزهان، خلعت له ملكي، وجلعت مَكَاني، ولحفت بيونس، فلا أستطيع [أن] أبلغه ذلك إلاَّ بحجَّة، فأني أخاف أن يُقال لي: إنَّما قلتَ هذا لقول الملك، وطمعت في ملكه وكذَّبت، وليس أحدٌ منا يكذب اليوم كذبة إلاَّ قتلوه، وأنت أعظم في أعينهم من ذلك أن أجبتهم بما يكذبوني ويقتلونني.

قال يونس: تشهد لك الشاة التي شربنا منها لبناً، وهو مستند إلى صخرة، فقال للصخرة: اشهدي له.

قال ابن سميان: إنَّ يونس قال للرَّاعي: إنَّطلق إلى قومك فبلِّغهم عني السَّلام، وأخبرهم أنَّك قد رأيتني، قال: فانطلق الرَّاعي فأخبرهم، فكذبوه. فلما شهدت الصخرة والشاة، اجتمعوا فبكوا على ذكْر يونس ولم يروه.

وقالوا للرَّاعي: أنت خيرنا وسيِّدنا حين رأيت يونس فملَّكوه عليهم، وقالوا: لا ينبغي أن يكون فينا أحدٌ أرفع منك، ولا نعصى لك أمراً بعدما رأيت يونس رسول الله. فكان ذلك آخر العهد بيونس.

قال: وملكهم الرَّاعي أربعين سنة.

٢١ - [توبة قوم نبي من الأنبياء]

أخبرنا عبد الرحمن بن جامع الفقيه، أنا أحمد بن أحمد المتوكلي، أنا أبو بكر الخطيب^(٢)، أنا محمد بن موسى بن الفضل، أنا محمد بن عبد الله الصفار، أنا ابن

(١) أي: ضاربة، ليس فيها حليب.

(٢) هو الإمام أحمد بن حنبل، المصروف بالخطيب البغدادي، مُحدث، مؤرخ، أصولي، ولد بدير زيجان من قرى العراق سنة (٣٩٢) هـ. وقيل: سنة (٣٩١). ونشأ في بغداد، ورحل سمع

الدنيا، أن^(١) سعيد بن سنان الحمصيّ، قال:

أوحى الله - عز وجل - إلى نبي من الأنبياء: إن العذاب حاق^(٢) بقومك.

قال: فذكر ذلك النبي لقومه، وأمرهم أن يخرجوا أفاضلهم فيتوبوا. قال: فخرجوا.

فأمرهم أن يخرجوا ثلاثة من أفاضلهم وفداً إلى الله تعالى.

قال: فخرج^(٣) الثلاثة أمام القوم.

قال: فقال أحد الثلاثة: اللهم إنك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عبدك موسى

أن لا نرد السؤال إذا قاموا بأبوابنا، وإنا سؤال من سؤالك قمنا بباب من أبوابك فلا ترد سؤالك.

وقال الثاني: اللهم إنك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عبدك موسى أن نغفو

عمن ظلمنا، وإنا ظلمنا أنفسنا فاعف عنا.

وقال الثالث: اللهم إنك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عبدك موسى أن نعتق

أرقاءنا، وإنا عبيدك وأرقاؤك فأوجب لنا عتقنا.

فأوحى الله إلى نبيه أنه قبل منهم، وعفا عنهم.

= الحديث، ووفى بغداد سنة (٤٦٣) هـ.

له تصانيف كثيرة منها: تاريخ بغداد، الكفاية في معرفة علم الرواية، الفقيه والمتفقه، الجامع لأدب الراوي والسامع، وشرف أصحاب الحديث، وغيرهم كثير.

أنظر في ترجمته: تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/٣١٢. ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/٣٣٠-٣٣١، البداية والنهاية لاس كثير ١٢/١٠١-١٠٣، والكم في التاريخ لابن الأثير ١٠/٢٣-٢٤، ومعجم المؤلفين ٣/٤-٥.

(١) في المطبوعة: أنا سعيد بن سنان، ومعناها أي: أن ابن أبي الدنيا سمع من سعيد بن سنان وهذا غير مسلم به، إذ أن سعيد بن سنان توفي سنة ثلاث أو ثمان وسنين بعد المائة، كما في التقريب ١/٢٩٨.

وابن أبي الدنيا، واسمه عبدالله بن محمد بن عقيد، مات سنة إحدى وثماني ومائتين، وله ثلاث وسبعون كما في التقريب ١/٤٤٧، فيكون مولده سنة ثمان ومائتين فأتى له أن سمع منه، والله تعالى أعلم.

وسعيد بن سنان قال عنه في التقريب ١/٢٩٨: «الحفي، أو الكندي، أبو مهدي الحمصي، متروك، ورماه الدارقطني وغيره بالوضع» أ هـ.

وابن أبي الدنيا، هو الحافظ المعروف صاحب التصانيف وقد سبقت ترجمته فيما مر.

(٢) أي: حاط بهم، ونازل بهم، مختار الصحاح ص ٣١٤.

(٣) في المطبوعة: فخرجت، والمثبت هو الموافق لسبق الكلام، والله أعلم.

ذكر التوابين من آحاد الأسم الماضية

٢٢ - [توبة أصحاب الغار]

أخبرنا أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق البوسفني، أنا أبو الحسن بن العلاف، أنا أبو القاسم بن بشران، أنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن علي الكندي، أنا أبو بكر محمد بن جعفر السامري، ثنا نصر بن داود بن مهران، ثنا داود بن عبد الرحمن العطار، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ:

بينما ثلاثة نفر يمشون إذ أخذهم المطر، فاوؤا إلى غار في جبل، فانحطت عليهم في غارهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم باب الغار.

فقال بعضهم لبعض: أنظروا أعمالاً عملتموها صالحة فادعوه بها. فذعوا الله عز وجل.

فقال بعضهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وامرأة وسبيان، فكنيت أرمي عليهم، فإذا رحت إليهم حليت فبدأت بوالدي أسقيهما قبل بني. وإني نأى بي طلب الشجر^(١)، فلم آت حتى أمست، فوجدتهما قد ناما. فعلمت كما كنت احلب، فحنت فقامت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما، وأكره أن أبدأ بالصبيبة فبيلهما فجعلوا يتضاغون^(٢) عند قدمي. فلم أزل كذلك ذاتي ودأبهم حتى طلع الفجر. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج^(٣) عنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله - عز وجل - لهم فرجة.

وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم فأحببتها كأشد ما يحب الرجل النساء

(١) أي: بعد بي طلب المرعى. أي: أنه استطرد مع غنمه في الرعي، إلى أن بعد عن مكانه زيادة على العادة، ولذلك أبداً انظر فتح الباري ٥٠٨/٦.

(٢) يتضاغون: أي: يصحون ويكفون، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٠٦/٦: واصفاء - بالمد - الصباح بيكاء، أهد.

(٣) قال في الفتح ٥٠٨/٦: «فأفرج: بوزل - أي: بهمزة وصل - وضم الراء، من الثلاثي، وضبطه بعضهم بهمزة، وكسر الراء من الرباعي - أي فأفرج: أهد.

والفرجة: الفتحة، وأفرج لنا: فافتح لنا.

فطلبتُ إليها نفسها، فأبَتْ عليَّ حتَّى آتيتها بمائة دينار. فسعيتُ حتَّى جمعت مائة دينار، فحبتها بها. فلما قعدتُ بين رجليها، قالت: يا عبد الله! اتقِ الله، ولا تُفَضِّ الخاتمَ إلَّا بحمته^(١). ففُتَّت عنها. فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فأقرِّج لنا فرجةً نرى منها السَّماء! ففرج الله لهم فرجة.

وقال الآخر: اللهمَّ إِنِّي استأجرتُ أجيراً، فلما قضى عمله قال: اعطني حقِّي. فعرضته عليه فتركه ورغب عنه، فتمَّرت. حتَّى اشتريت به بقراً ورعاءها. فجاءني بعد حين، فقال: اتقِ الله ولا تظلمني حقِّي، فقلت: انطلق فخذ تلك ورعاءها، فقال: اتقِ الله ولا تستهزئ بي. فقلت: إِنِّي لا أستهزئ بك. فخذ تلك البقر ورعاءها. فأخذها وذهب. فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فأقرِّج لنا ما بقي.

ففرجها الله عنهم^(٢).

(١) قال الحافظ زين حجر في الفتح ٥٠٩/٦: «ولا تُفَضِّ. أي: لا تكسر، والخاتم: كتابة عن عذرتها، وكأنها كانت بكراً، وكنت عن الإفضاء بالكسر، وعن الفرج بالخاتم، لأن في حديث الثعلمان - وهو أحد الصحابة الذين رَووا الحديث كما سيأتي بيانه - ما يدلُّ على أنها لم تكن بكراً...» وقولها: بحمته، أرادت به الحلال، أي: لا أحلُّ لك أن تقربني إلَّا بتزويج صحيح... أ. هـ.

(٢) للحديث طرق عن ابن عمر: - فرواه من طريق موسى بن عقبة، عن نافع عن ابن عمر نحوه: البخاري في كتاب البيوع، باب (٨ م) إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي - حديث رقم (٢٢١٥) ٤٠٨/٤ - ٤٠٩.

وفي كتاب الحرق والمزاعة، باب (١٣) إذا زرع بمال قوم بغير إذنه، وكان في ذلك صلاحٌ لهم، حديث رقم (٢٣٣٣) ١٦/٥.

ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب (٢٧) قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بمصالح الأعمال، حديث رقم (٢٧٤٣) ٢٠٩٩/٤ - ٢١٠٠.

والنسائي في كتاب الرفائق، من سننه الكبرى، كما في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ٢٣٦/٦ للحافظ المعزي.

- ورواه من طريق عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر نحوه: البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٣) حديث الغار، حديث رقم (٣٤٦٥) ٥٠٥/٦ - ٥٠٦. ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار باب (٢٧) قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بمصالح الأعمال، حديث رقم (٢٧٤٣) ٢١٠٠/٤.

- ورواه من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر نحوه: البخاري في كتاب الأدب، باب (٥) إجابة دُعاه من بَرٍّ وألديه، حديث رقم (٥٩٧٤) ٤٠٤/١٠. - ورواه من طريق محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر نحوه:

= السخاوي في كتاب الإحارة، باب (١٢) من استأجر أجنبياً فترك أجره، فعمل فيه المستأجر فإدا، أو من عمل في مال غيره فاستعقل، حديث رقم (٢٢٧٢) ٤/٢٤٩ - ٤٢٠

ومسلم في كتاب التذكر والدعاء، واتوبة والإستعجال، باب (٢٧) قصة أصحاب لغز الثلاثة، والتوسل بمصالح الأعمال، حديث رقم (٢٧٤٣) ٤/٢٦٠ - ٢٦١.

* قال الحافظ بن حجر في الفتح ٦/٢٦١: «تنبه» ثم سخر الشيخان هذا الحديث إلا من رواية ابن عمر، وجاء بإسناد صحيح عن أبي أخرجه الطبراني في الدعاء من وجه آخر حسن وبإسناد حسن عن أبي هريرة، وهو في صحيح ابن حبان، وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن أبي هريرة وعن النعمان بن بشير، من ثلاثة أوجه حسنة، أحدها عبد أحمد والبراء، وكبها عند الطبراني. وعن علي، وعقبة بن عامر، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وابن أبي نوى بإسناد ضعيف. وقد استوعب طرقه أبو عوانة في صحيحه، والطبراني في الدعاء.

وافقت الروايات كلها على أن القصص الثلاثة في الأخير والمرأة والأبوين، إلا حديث عقبة بن عامر ففيه بدل لأجير أن الثالث قال: كنت في غنم أرحامها، فحضرت الصلاة فقامت أصلي، فجاء الذئب، فدخل الغنم فكرهت أن أقطع صلاتي، فصبوت حتى فرغت، فلو كان إسناده قوياً لحمل على تعدد القصص. - قلت: لكن إسناده ضعيف، كما سبق ذكره.

ووقع في رواية آيات من طريق عبدالله النمري - قلت: هو عبدالله بن عمر، قد تقدم ذكر روايته، عن نافع، تقديم الأجير، ثم الأبوين، ثم المرأة، وخالفه موسى بن عقبة من الوجهين، فقدم الأبوين ثم المرأة، ثم الأجير، ووافقت رواية سالم.

وفي حديث أبي هريرة المرأة، ثم الأبوين، ثم الأجير.

وفي حديث أنس: الأبوين، ثم الأجير، ثم المرأة.

وفي حديث النعمان: الأجير، ثم المرأة، ثم الأبوين.

وفي حديث علي وابن أبي أوفى معاً: المرأة، ثم الأجير، ثم الأبوين.

وفي اختلافهم دلالة على أن الرواية بالمعنى عندهم سائغة شائعة، وأن لا أثر لتقديم رتأجير في مثل ذلك.

وأرجحها في نظري رواية موسى بن عقبة لموافقة سالم لها، فهي أصح طرق هذا الحديث، وهذا من حيث الإسناد.

وأما من حيث المعنى فستقر أني الثلاثة كان أشنع لأصحابه، والذي يظهر أنه الثالث، لأنه هو الذي أمكنهم أن يخرجوا بدعائه، وإلا فالأول أهدأ أخرجه من الطلبة.

والثاني أفاد الزيادة في ذلك وإسكان التوسل إلى الخروج شأن يرمز مثلاً هناك من يعالج لهم والثالث هو الذي نهياً لهم الخروج بسببه، فهو أشنعهم لهم، فينبغي أن يكون عمل الثالث أكثر فصلاً من عمل الآخرين.

ويظهر ذلك من الأعمال الثلاثة:

فصاحب الأبوين فضيلته مقصورة على نفسه، لأنه أفاد أنه كان باراً بآبويه.

وصاحب الأجير نفعه متعدي، وأفاد بأنه كان عظيم الأمانة.

وصاحب المرأة أفضلهم، لأنه أفاد أنه كان من قلة خشية ربه، وقد شهد الله لمن كان كذلك -

٢٣ - [توبة الكفل]

قال محمد بن جعفر: وأخبرنا عبد الرزاق بن منصور الضري، ثنا أسباط بن محمد، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعد مولى طلحة، عن ابن عمر قال: لقد سمعت من رسول الله - ﷺ - حديثاً، قال:

كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عياله. فأتته امرأة فأعطاهما ستين ديناراً علي أن يظاهما. فلما فعد منها مقعد الرجل من امرائه ارتعدت وبكت. فقال لها: ما يبكيك؟ أكرهتني؟ قالت: لا، ولكن هذا عمل لم أعمله قط.

قال: فسم تفعلين هذا ولم تكوني فعلتيه قط؟

قالت: حملتني عليه الحاجة.

قال: فتركها، ثم قال: إذهي والدنانير لك. ثم قال: والله لا يعصي الله الكفل أبداً. فسأت من ليته، فأصبح مكتوماً على بابه. غفر الله للكفل.

الحبة. حب نخل. ووقفاً من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى. و قد أضاف هذا الرجل إلى ذلك ترك الذهب الذي أعطاه للمرأة، فأضاف إلى النسخ القصير النسخ المتعدي. ولا سيما وقد قال: إنها كانت بنت عمه، فتكون فيه صلة رحم أيضاً، وقد تقدم أن ذلك كان في سنة الحظ، فتقدم الحاجة إلى ذلك أخرى.

فترجع عن روايته حديثه، عن نافع. وقد جاء قصة امرأة أيضاً أخيرة في حديث أبي الله أعظم أهل.

وكان قد قرأ من الحديث الم حصر - رحمه الله تعالى ٥٠٩/٦ - ٥١٠ فيما يروى من هذا الحديث من القوي. وفي هذا الحديث: استحباب الدعاء في الكربة، والتفريق إلى الله تعالى بذكر صالح العمل، واستحباب رعيه سبحانه، واستيفاء بعض الفقهاء استحباب ذكر ذلك في الاستسقاء.

وبه فصل (الإحسان في العمل، وفصل بر الوالدين، وخدمتهما، وبشرهما على الوعد والأهل وتحسين المشقة لأجلها).

وفيه فصل (العمل، ولا يكون، عن الحرام مع القصد، وإن ترك المعصية يمحى مقدمات طلبها، وأن التوبة تحب ما فعلها).

وفيه: حاشية (الحرام، بالصحة، المعلوم بين المتأخرين، وفصل أداء الأمانة وإثبات الكرامة للصالحين، واستدراك على حوار بين المعصية).

وفيه: أن المستوفى هذا العمل، في مال التوبة كان الربح لصاحب التوبة. أهـ.

(١) رواه الترمذي في كتاب (القيامه)، باب (٤٨) حديث رقم (٧٤٩٦) ٦٥٧/٤ - ٦٥٨، وفي أوله أن ابن عمر قال: سمعت النبي - ﷺ - يحدث حديثاً لم أسمع إلا مرة أو مرتين، حيث عد سبع مرات، إلخ سمعته أن من ذلك، سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: كن الكفل. فذكره نحوه ثم قال الترمذي، عقبه: وهذا حديث حسن، قد رواه شيخان وغير واحد عن الأعمش نحوه هذا ورفعوه، وروى بعضهم عن الأعمش، منهم يرفعه، وروى أبو بكر بن عياش هذا الحديث عن الأعمش فأخطأ =

٢٤ - [توبة العابد والمرأة البغي]

أبنانا الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ الإمام^(١)، أنا عبد الملك بن أبي القاسم، قال: أنا محمد بن عليّ بن عمير، أنا محمد بن محمد بن عبد الله القاسمي^(٢)، أنا

فيه، وقال: عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر، وهو غير محفوظ. وعبد الله بن عبد الله الرازي، هو كوفي، وكانت جدته سُرّة لعليّ بن أبي طالب، ورؤى عن عبد الله بن عبد الله الرازي عبيدة الضبي، والحجاج بن أرطاة، وغير واحد من كبار أهل العلم، أهد وزاد المحافظ المزي في تحفة الأشراف ٤٢٠/٥ - ٤٢١ أنه قال: «وقال أبو أسامة، عن الأعمش؛ طلحة مولى سعد، والأول أصح» أهد. والحاكم في المستدرک ٢٥٤/٤ - ٢٥٥، ثم قال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» أهد. ووافقه الذهبي.

ورواه ابن حبان في صحيحه، في كتاب التوبة، باب (٤) في انتدم على الذنب والتوبة منه، موارد الظمان حديث رقم (٢٤٥٣) ص ٦٠٨، من طريق أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر قال: سمعت النبي - ﷺ - أكثر من عشرين مرة يقول: . . . أما رواية ابن حبان فضعيفة، إذ أن أبو بكر أخطأ فيها، فقال: عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جبير عن ابن عمر؛ والمحفوظ عن عبد الله بن عبد الله، عن سعد مولى طلحة، عن ابن عمر، كما قال الترمذي كما سبق.

وأما رواية الترمذي والحاكم، فضعيفة أيضاً، فيها سعد مولى طلحة، قال في التقريب ٢٩٠/١: «سعد مولى طلحة، أو سعيد، ويقال: طلحة مولى سعد: مجهول» أهد.

(١) هو الإمام جمال الدين عبد الرحمن بن عليّ القرشي، التيمي، البكري، البغدادي، الحنبلي، المعروف بابن الجوزي، أبو الفرج، محدث، حافظ، مفسر، فقيه، واعظ، أديب، مؤرخ، مشارك في أنواع العلوم، ولد ببغداد سنة (٥١٠) هـ. تقريباً وقيل: سنة (٥٠٨) هـ، وقيل: سنة (٥٠٩) هـ. وتوفي بها، ودفن بباب حرب.

له مؤلفات كثيرة جداً، قال في شذرات الذهبي: مثل ابن الجوزي عن عدد تصانيفه؟ فقال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفًا، منها ما هو عشرون مجلدًا أو أقل.

من مؤلفاته: المتنبي في عاوم القرآن، زاد السير في علم التفسير، تذكرة الأريب في اللغة، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، المنتظم في تاريخ الأمم، وبستان الواعظين ورياض السامعين، وغيرها كثير، وما ذكرناه غيض من فيض.

أنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٣١/٤، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٧، البداية والنهاية لابن كثير ٢٨/١٣ - ٣٠، شذرات الذهب لابن العماد ٣٢٩/٤ - ٣٣١، الكامل لابن الأثير ٦٧/١١. ومعجم المؤلفين ١٥٧/٥ - ١٥٨.

(٢) منه النسبة إلى شيشين:

الأول: نسبة إلى بيع الفواكه اليابسة، ويقال لبائعها: البقال أيضاً.

الثاني: نسبة إلى غامية، قرية من قرى واسط من ناحية قم الصلح.

أنظر اللباب في تهذيب الأنساب ٤١٠/٢.

محمد بن أحمد المرواني، قال: حَدَّثَنِي محمد بن المنذر شُكْر، قال: حَدَّثَنِي الفضل بن عبد الجبار البَاهِلِي، أَنَا إبراهيم بن الأشعث، ثنا معتمر بن سليمان، عن أبي كعب - صاحب الحرير -^(١)، عن الحسن^(٢)، قال:

كانت امرأة بغي، لها ثلث الحسن، لا تُمكن من نفسها إلا بمائة دينار. وإنه أبصرها عابداً فأعجبته. فذهب فعمل بيديه وعالج فجمع مائة دينار. ثم جاء إليها، فقال: إنك أعجبتني فانطلقت فعملت بيدي، وعالجت حتى جمعت مائة دينار. فقالت له: أدخل. فدخل، وكان لها سرير من ذهب، فجلست على سريرها، ثم قالت له: هلم. فلما جلس منها مجلس الخاتن^(٣)، ذكر مقامه بين يدي الله، فأخذته رعدة. فقال لها: اتركني أخرج ولك المائة دينار. قالت: ما بدا لك وقد زعمت أنك رأيتني فأعجبتك، فذهبت فعالجت وكذذت حتى جمعت مائة دينار، فلما قدّرت عليّ فعلت الذي فعلت؟ فقال: فرقاً^(٤) من الله، ومن مقامي بين يديه، وقد بغضت إليّ، فانتِ أبغض الناس إليّ.

فقالت: إن كنت صادقاً فما لي زوج غيرك. فقال: دعيني أخرج. فقالت: لا، إلا أن تجعل لي أن تزوج بي. قال: لا، حتى أخرج. قالت: فلي عليك إن أنا أتيتك أن تزوجني؟ قال: لعل.

فتنقح بشوبه، ثم خرج إلى بلده. وارتحلت نائبة نادمة على ما كان منها حتى قدمت بلده. فسألت عن اسمه ومنزله، فدلّت عليه فقيل له: إن المَلِكَةَ قد جاءتك. فلما رآها شهِقَ شَهْقَةً فمات، وسقط في يدها. وقالت: أما هذا فقد فاتني، فهل له من قريب؟ قالوا: أخوه رجل فقير. قالت: فإني أتزوجه حباً لأخيه. فتزوجته، فنشر الله منهما سبعة أنبياء.

٢٥ - [توبة القصاب]

أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن جامع بن غنيمه بن البناء، حدثنا أبو السّادات أحمد بن أحمد المتوكليّ، أَنَا أبو بكر الخطيب^(١)، أَنَا أبو سعيد محمد بن

(١) هو: عبد ربه بن عُبد الإزدي، أبو كعب، ثقة، التفرّب ٤٧١/١.

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، الإمام المعروف.

(٣) أي: مجلس الزوج، والتقاء الختانين، أنظر مختار الصحاح ص ٤٤٩.

(٤) أي: خوفاً.

(٥) هو الإمام المعروف: بالخطيب البغدادي، صاحب التصانيف المفيدة، منها: تاريخ بغداد وغيره كثير، وقد تقدمت ترجمة ضافية له.

موسى بن الفضل، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصَّفَّار^(١)، أنا أبو بكر بن أبي الدنيا، ثنا الحسن بن الصباح، ثنا زيد بن الحُبَاب، ثنا محمد بن نشيط الهَلَالِي^(٢)، ثنا بكر بن عبد الله المُرْزِي^(٣).

أن قضاياً وُلِعَ بجارية لبعض جيرانه. فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى، فتبعها، فراودها عن نفسها. فقالت: لا تفعل، لانا أشدَّ حباً منك لي، ولكنني أخاف الله. قال: فأنت تخافينه وأنا لا أخافه؟! فرجع تائباً، فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه. فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل، فسأله، قال: ما لك؟ قال: العطش. قال: تعال حتى ندعوك الله حتى تظللنا سحابة حتى ندخل القرية. قال: ما لي من عمل. قال: فأنا ادعوك وأمن أنت. قال: فدعا الرسول، وأمن هو. فأظلتهم سحابة حتى انتهوا إلى القرية.

فأخذ القصاب إلى مكانه، ومالت السحابة، فمالت عليه. فرجع الرسول، فقال: زعمت أن ليس لك عمل، وأنا الذي دعوتُ وأنت الذي أمنت، فأظلتنا سحابة ثم تبعتك، لتُخبرني ما أمرك. فأخبره، فقال الرسول: التائب إلى الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه.

٢٦ - [توبة صاحب الرُّغيف]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان، أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد، ثنا أبو نعيم الحافظ^(٤)، ثنا عبد الله بن محمد بن شبل، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة،

(١) الصَّفَّار: قال في الباب ٢/٢٤٣ - ٢٤٤: «يفتح الصاد، وتشديد الفاء، وفي آخرها الراء، هذه اللفظة تفال لمن يبيع الأواني، وفي آخرها الراء. اللفظة تفال لمن يبيع الأواني الصفرية، واشتهر بها جماعة، منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الزاهد - قلت: وهو الراوي هنا -، الأصبهاني، الصَّفَّار، من أهل أصبهان، سكن بنيسابور، كان زاهداً حسن الميرة ورعاً. سمع أبا إسماعيل الترمذي، وأسيد بن عاصم، وأحمد بن مهدي وغيرهم، روى عنه الحاكم أبو عبد الله، وأبو علي الحسين بن علي النيسابوري الحافظ وغيرهما، وصُفَّ كتباً في الزهد، وتوفي في يوم الإثنين لثمان بقين من ذي العقدة، سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة» أ.هـ.

(٢) هو: محمد بن نشيط الفارسي، أبو النعمان الهَلَالِي. ذكره ابن حبان في الثقات ٧/٤٢٩ - ٤٣٠. وقال الإمام البخاري في التاريخ الكبير ١/١/٢٥٤: «قال زيد بن الحباب: حدثنا محمد بن نشيط الهَلَالِي، سمع بكر بن عبد الله. مرسل» أ.هـ.

(٣) هذا إسناده ضعيف عن بكر بن عبد الله، بسبب الإنقطاع بين محمد بن نشيط وبينه، نص عليه الإمام البخاري في تاريخه الكبير، كما تقدّم في الترجمة السابقة، والتصريح بالتحديث هنا هي وهم من أحد الرواة، أو من محمد بن نشيط فهو غير معروف العدالة، لم يؤثقه إلا ابن حبان، والله أعلم.

(٤) هو الإمام أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، الشافعي، محدث، مؤرخ، زاهد، ولد سنة =

ثنا مُعْتَمِر بن سليمان، عن أبيه، ثنا أبو عثمان، عن أبي بردة، قال:

لما حضرت أبا موسى السّوفاة، قال: يا بَنِي! اذكروا صاحب الرّغيف، كان رجل يتعبّد في صومعة، أراه سبعين سنة لا ينزل إلّا في يوم واحد. قال: فشبهه - أو شَبَّ - الشيطان في عينه امرأة، فكان معها سبعة أيام أو سبع ليالٍ، ثم كُشف عن الرجل غطاؤه، فخرج ثائباً.

وكان كلّما خطا خطوة صُلّى وسجد. فأواه الليل إلى دكان عليه اثنا عشر مسكيناً. فأدركه المياء، فرمى بنفسه بين رجلين منهم. وكان ثمّ راهبٌ يبعث إليهم كلّ ليلة أرغفة فيعطى كلّ إنسان رغيفاً. فجاء صاحب الرّغف، فأعطى كلّ إنسان رغيفاً، ومرّ على ذلك الرجل الذي خرج ثائباً فظنّ أنّه مسكين فأعطاه رغيفاً، فقال له المتروك: مالك لم تعطني رغيفي؟ فقال: تراني أمكّت عنك؟ سلّ هل أعطيتُ أحداً منكم رغيفين؟ قالوا: لا. فقال: والله أعطيتك الليلة شيئاً! فعمد الثائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه، فدفعه إلى الرجل الذي ترك، فأصبح الثائب ميتاً، قال: فوزت البعون بالبيع لبالٍ فرجحت الليلي. فوزن الرغيف بالسبع ليالٍ فرجح الرغيف.

فقال أبو موسى: يا بَنِي! اذكروا صاحب الرغيف.

٢٧ - [توبة راهب من بني إسرائيل]

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن عساكر البطّائحي، أنا الأمين أبو طالب اليوسفي، أنا ابن المذهب، أنا القطيعي، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن مُعَيْث بن سُمَيٍّ^(١)، قال:

تعبد راهب من بني إسرائيل في صومعة ستين سنة، فنظر يوماً في غبّ سماء، فأعجبه الأرض. فقال: لو نزلت فمشيت في الأرض ونظرت فيها.

قال: فترّل معه برغيف. فعرضت له امرأة فتكشّفت له، فلم يملك نفسه أن وقع عليها.

١ - (٣٣٦) هـ.، وقيل: سنة (٣٣٤) هـ. وتوفي بأصبهان سنة (٤٣٠) هـ. من مؤلفاته: حنية الأولياء، تاريخ أصبهان، دلائل النبوة، معرفة الصحابة، والمسنّح على الصحيحين وغيرهم.

أنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ٢٧٥ - ٢٧٩، شذرات الذهب لابن العماد ٣/ ٢٤٥، البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٤٥، لسان الميزان لابن حجر ١/ ٢٠١ - ٢٠٢. طبقات الشافعية للمسبكي ٣/ ٧ - ١١ معجم المؤلفين ١/ ٢٨٢ - ٢٨٣.

(١) هو: تابعي ثقة. التقريب ٢/ ٢٦٨. وهذا إسناد صحيح عنه.

فأدركه الموت على تلك الحال.

قال: وجاء سائل فأعطاه الرغيف ومات.

قال: فجيء بعمل ستين سنة فَوَضَعَ فِي كَفَّةٍ. قال: وجيء بخطيئته فَوُضِعَتْ فِي كَفَّةٍ، فَرَجَحَتْ بِعَمَلِهِ.

قال: وجيء بالرغيف فَوُضِعَ مَعَ عَمَلِهِ، فَرَجَحَ بِخَطِيئَتِهِ^(١).

٢٨ - [توبة عابد من العبدية]

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الخطيب الأنباري^(٢)، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا أبو علي بن صفوان، أنا ابن أبي الدنيا، ثنا المشي بن معاذ العنبري، ثنا أبي^(٣)، عن شعبة، عن منصور، عن إبراهيم^(٤):
أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعِبَادِ كَلَّمَ امْرَأَةً، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخْذِهَا. فَذَهَبَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي النَّارِ حَتَّى نَشَتْ^(٥).

٢٩ - [توبة ذي الرجل]

أخبرنا محمد، أنا علي بن محمد، أنا علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا الحسين بن صفوان، أنا عبد الله بن محمد، حدثني محمد بن الحسين، عن موسى بن داود، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه^(٦)، قال:

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، موارد الظمان حديث رقم (٨٢٠) ص ٢٠٩ - ٢١٠. عن أبي ذر مرفوعاً بنحوه. وفي إسناده: طالب بن وزير، لم أجد من ترجم له فيما بين يدي من مراجع ومصادر الرجال، وهي كثيرة. والله أعلم.

(٢) هذه النسبة إلى ثلاثة أماكن:

الأول: نسبة إلى بلدة قديمة على الفرات، على عشرة فراسخ من بغداد.

الثاني: نسبة إلى سكة الأسار، وهي سكة بأعلى البلدان بمرو.

الثالث: نسبة إلى الأنبار، قرية من قرى حوز جاثاني واثراوي هما مسوب إلى هذه القرية.

أنظر الفئاد في تهذيب الأسان ٨٦/١

(٣) هو: معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري، أبو المشي البصري، الفاضل، ثقة متقن، التقريب ٢٥٧/٢.

(٤) هذا إسناده صحيح عن إبراهيم، وهو: ابن يزيد النخعي، أبو عمران الكوفي، ثقة فقيه، التقريب ٤٦/١.

(٥) أي: احترقت، وجفت.

(٦) هذا إسناده صحيح عن زيد بن أسلم، فيه: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ضعفه أحمد. وقال: روى حديثاً منكراً: أحلت لنا ميتتان ودينان.

كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومعته، فمكث بذلك زمناً طويلاً. فأشرف يوماً، فإذا هو بامرأة فافتيّن بها وهمّ بها. فأخرج رجله لينزل إليها، فأدركه الله بسابقة. فقال: ما هذا الذي أريد أن أصنع؟ ورجعت إليه نفسه، وجاءته العصمة، فندم.

فلما أراد أن يعيد رجله في صومعته، قال: هيهات! هيهات! رجل خرجت تريد أن تعصي الله، تعود معي في صومعتي؟ لا يكون والله ذلك أبداً! فتركها والله معلقة من الصّومعة تصيبها الرياح، والأمطار، والشمس، والثلج، حتى تقطعت فسقطت. فشكر الله - عز وجل - له، فأنزل في بعض الكتب: «وذو الرجل»، يذكره بذلك.

٣٠ - [توبة برخ العابد]

وذكر ابن البراء في «الروضة»: أنبأنا الفضل بن حازم، حدثني يوسف بن عزولا، حدثني مخلد بن ربيعة الرّبيعي، عن كعب، قال:

فحطت بنو إسرائيل على عهد موسى - عليه السلام -، فسألوه أن يستسقي لهم. فقال: أخرجوا معي إلى الجبل. فخرجوا، فلما صعد الجبل، قال موسى: لا يتبعني رجل أصاب ذنباً. فأنصرف أكثر من نصفهم. ثم قال الثانية: لا يتبعني من أصاب ذنباً، فأنصرفوا جميعاً إلا رجلاً واحداً أعوز يقال له: برخ العابد.

فقال له موسى: ألم تسمع ما قلت؟ قال: بلى. قال: فلم تصب ذنباً؟ قال: ما

= وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء.

وقال البخاري وأبو حاتم: ضعفه علي بن المديني جداً.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: ذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً، فقال: إذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح.

وقال ابن حبان: كان بقلب الأخيار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل، واستاد الموقوف، فاستحق الترك.

وقال ابن سعد: كان كثير الحديث، ضعيف جداً.

وقال ابن خزيمة: ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه، فهو رجل صناعته العبادة والتشّيف ليس أهلاً للحديث.

وقال الحاكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة.

وقال ابن الجوزي: أجمعوا على ضعفه.

أنظر تهذيب التهذيب ٧٧/٦ - ١٧٩. وقال عنه في التقریب ١/٢٨٠: «ضعيفه أهد».

وأما والده زيد، فهو: زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر، أبو عبدالله، وأبو أسامة، مدني، ثقة عالم، من التابعين مات سنة ست وثلاثين بعد المائة. التقریب ١/٢٧٢.

اعلمه، إلا شيئاً أذكره، فإن كان هذا ذنباً رجعتُ. قال: ما هو؟

قال: مررت في طريق، فإذا باب حجرة مفتوح، فلمحتُ بعيني هذه الذاهبة شخصاً لا أعلم ما هو^(١). فقلت لعيني: أنت من بين يدي سارتُ إلى الخطيئة، لا تصحيني بعدها، فأدخلت أصبعي فقلعتُها، فإن كان هذا ذنباً رجعتُ. فقال موسى: ليس هذا ذنباً.

قال له: استسقي يا بُرخ، فقال: قدوس، قدوس، ما عندك لا يفد، وخزائنك لا تفتى، وأنت بالبخل لا ترمي، فما هذا الذي لا تُعرف به؟ اسقنا الغيث الساعة الساعة. قال: فانصرفا يخوضان الوحل.

٣١ - [توبة العبد العاصي]

وروي^(٢) أنه لحق بني إسرائيل فحط على عهد موسى - عليه السلام، فاجتمع الناس إليه، فقالوا: يا كليم الله، أدع لنا ربك أن يسقينا الغيث، فقام معهم، وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً ويزيدون. فقال موسى - عليه السلام - : إلهي! إسقنا غيثك، وانشر علينا رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرضع، والبهائم الرثع، والمشايخ الرُكع. فما زادت السماء إلا تقشعاً، والشمس إلا حرارة.

فقال موسى: إلهي إن كان قد خُلِقَ^(٣) جامي عندك، فبجاه النبي الأمي محمد ﷺ - الذي تبعته في آخر الزمان. فأوحى الله إليه: ما خُلِقَ جاهك عندي، وإنك عندي وحيه، ولكن فيكم عبدٌ يبارزني منذ أربعين سنة بالمعاصي، فناد في الناس حتى يخرج من بين أظهركم، فيه منعتكم.

فقال موسى: إلهي وسيدي! أنا عبدٌ ضعيف، وصوتي ضعيف، فأين يبلغ وهم سبعون ألفاً أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه: منك النداء، ومني البلاغ.

فقام منادياً، وقال: يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله منذ أربعين سنة، أخرج من بين أظهرنا، فبك منعتنا المعطر.

فقام العبد العاصي، فنظر ذات اليمين وذات الشمال، فلم يرَ أحداً خرج، فعلم أنه

(١) أي: لم أميزه، أرجل كان أم امرأة، أو غير ذلك.

(٢) هذه الصيغة، صيغة المبني للسجود: روي، تفيد التضعيف عند علماء الحديث، فكأن المصنف أشار إلى ذلك بهذه اللفظة، والله أعلم.

(٣) أي: بلي وذهب، انظر أساس البلاغة ص ١١٨ - ١١٩.

المطلوب، فقال في نفسه: إِنَّ أَنَا خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ هَذَا الْخَلْقِ افْتُضِّحْتُ عَلَى رُؤُوسِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنْ قَعَدْتُ مَعَهُمْ مُنِعُوا لِأَجْلِي. فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ فِي ثِيَابِهِ نَادِماً عَلَى فِعَالِهِ، وَقَالَ: إِلَهِي وَسَيِّدِي! عَصَيْتُكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَمَهَلْتَنِي، وَقَدْ أَتَيْتُكَ طَائِعاً فَأَقْبَلْتَنِي. فَلَمْ يَسْتَمِ الْكَلَامُ حَتَّى ارْتَفَعَتْ سَحَابَةٌ بَيضاء، فَأَمْطَرَتْ كَأَفْوَاهِ الْقُرْبِ^(١).

فَقَالَ مُوسَى: إِلَهِي وَسَيِّدِي! بِمَاذَا سَقَيْتَنَا وَمَا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرْنَا أَحَدٌ؟ فَقَالَ: يَا مُوسَى، سَقَيْتُكُمْ بِالَّذِي بِهِ مَنَعْتُكُمْ.

فَقَالَ مُوسَى: إِلَهِي! أَرْنِي هَذَا الْعَبْدَ الطَّائِعَ. فَقَالَ: يَا مُوسَى! إِنِّي لَمْ أَفْضَحْهُ وَهُوَ يَعْصِيَنِي، أَفْضَحْهُ وَهُوَ يَطِيعُنِي؟! يَا مُوسَى، إِنِّي أَبْغَضُ النَّامِينَ، فَأَكُونُ نَعَاماً؟!!

٣٢ - [تُوبَةُ شَابٍ مُشْرِفٍ عَلَى نَفْسِهِ].

وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ:

كَانَ فِي زَمَنِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - شَابٌّ غَاتٍ مُشْرِفٍ عَلَى نَفْسِهِ، فَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَيْنِهِمْ لِسُوءِ فِعْلِهِ، فَحَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فِي خَرِيبَةٍ عَلَى بَابِ الْبَلَدِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : إِنَّ وَلِيَّكَ مِنْ أَوْلِيَائِي حَضْرَةَ الْمَوْتِ، فَاحْضِرْهُ وَغُلِّهِ وَصِّلْ عَلَيْهِ، وَقُلْ لِمَنْ كَثُرَ عَصِيَانُهُ يَحْضُرُ جَنَازَتَهُ لِأَغْفِرَ لَهُمْ، وَاحْمِلْهُ إِلَيَّ لِأَكْرِمَ مَنَوَاهُ.

فَنَادَى مُوسَى فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَكَثُرَ النَّاسُ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ عَرَفُوهُ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! هَذَا هُوَ الْفَاسِقُ الَّذِي أَخْرَجْنَاهُ. فَتَعَجَّبَ مُوسَى مِنْ ذَلِكَ. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: صَدَّقُوا وَهُمْ شُهَدَائِي، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فِي هَذِهِ الْخَرِيبَةِ نَظَرَ يَمَنَةً وَبَشَرَةً فَلَمْ يَرَحِمِيماً وَلَا قَرِيباً، وَرَأَى نَفْسَهُ غَرِيبَةً وَحِيدَةً ذَلِيلَةً، فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ، وَقَالَ: إِلَهِي! عَبْدٌ مِنْ عِبَادِكَ غَرِيبٌ فِي بِلَادِكَ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ عَذَابِي يَزِيدُ فِي مَلِكِكَ، وَعَفْوُكَ عَنِّي يَنْقُصُ مِنْ مَلِكِكَ لَمَّا سَأَلْتُكَ الْمَغْفِرَةَ، وَلَيْسَ لِي مَلْجَأٌ وَلَا رَجَاءٌ إِلَّا أَنْتَ وَقَدْ سَمِعْتُ فِيمَا أَنْزَلْتَ أَنَّكَ قُلْتَ: إِنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، فَلَا تَحْبِيبَ رَجَائِي، يَا مُوسَى! أَفَكَانَ يَحْسَنُ بِي أَنْ أَرُدَّهُ، وَهُوَ غَرِيبٌ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، وَقَدْ تَوَسَّلَ إِلَيَّ بِي وَتَضَرَّعَ بَيْنَ يَدَيَّ؟! وَعَزَّنِي، لَوْ سَأَلْتَنِي فِي الْمَذْنِبِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ جَمِيعاً لَوَقَّهْتُهُمْ لَهُ، لِذَلِكَ غَرَبْتُ، يَا مُوسَى، أَنَا كَهْفُ الْغَرِيبِ وَحَبِيبِهِ وَطَبِيبِهِ وَرَاحِمِهِ.

(١) أَي: أَمْطَرَتْ مَاءً غَزِيراً كَأَنَّهُ مَصْبُوبٌ مِنْ أَفْوَاهِ الْقُرْبِ.

٣٣ - [توبة رجلين من بني إسرائيل]

أخبرتنا شهيدة ابنة أحمد بن الفرج الإسرقي^(١)، قالت: أنا أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة، أنا أبو الحسن محمد بن عبيدالله الجعاني^(٢) أنا ابن السماك، أنا أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم الخنلي^(٣)، أنا علي بن مسلم، ثنا سيار، ثنا جعفر، ثنا مالك بن دينار، عن عبد الجهنّي، عن أبي العوام - سادس بيت المقدس -^(٤)، عن كعب الأحرار، قال:

انطلق رجلان من بني إسرائيل إلى مسجد من مساجدهم، فدخل أحدهما، وجلس الآخر خارجاً، فجعل يقول: ليس مثلي يدخل بيت الله وقد عصيت الله، فكتب صدقاً.
قال: وأصاب رجل من بني إسرائيل ذنباً، فحزن عليه، وجعل يجيء ويذهب ويجيء، ويقول: بم أرضي ربي؟ بم أرضي ربي؟ فكتب صدقاً.

٣٤ - [توبة عاص من العصاة]

أخبرنا الشيخ أبو الفرج^(٥)، فيما كتب إلي به، أنا عبد الملك بن أبي القاسم، أنا محمد بن علي بن عمير، أنا محمد بن محمد بن عبدالله القاضي، ثنا محمد بن أحمد المرواني، قال: حدثني محمد بن المنذر، أنا الربيع بن سليمان، أنا عبدالله بن وهب، قال: حدثني ابن زيد، عن ربيعة بن عثمان التيمي^(٦)، قال:

(١) الإسرقي، بكسر الالف، وفتح الباء المقنونة بواحدة، وفي آخرها الراء المهملة، هذه النسبة إلى بيع الإبر وعملها، وهي جمع إبر، وهي التي يُخاط بها، كذا في اللباب في تهذيب الأنساب ٢٥/١.

(٢) الجعاني: بكسر الحاء، وفتح التاء المشددة، وبعد الالف ياء هذه النسبة إلى بيع الحناء، واشتهر بها جماعة، كذا في اللباب ٣٩٥/١.

(٣) قال السمعاني صاحب الأنساب: الخنلي، بعضهم يقول: هي نسبة إلى خنلان. وهي بلاء مجتمعة وراء بلخ، وهي بضم الحاء، والتاء المشددة، من فوقها المشددة. حتى رأيت الخنل - بضم الحاء، والتاء -، وهي: قرية على طرف خراسان. إذا خرجت من بغداد بواحي الدوسكة.

قال ابن الأثير: قلت: الصحيح أن النسبة إلى الولاية التي بخراسان - قلت: أي: إلى خنلان - هو المراد متى أطلق، ولا ينافسه كون بعض من ينسب الخنلي أن يقال: بغدادي، فإنه يكون أصلاً خنلياً من خراسان، ثم أقام ببغداد أو ولد بها، أو بالعكس، وهذا كثير الوقوع جداً. أنظر اللباب في تهذيب الأنساب ٤٢١/١.

(٤) أي: خادم بيت المقدس، أنظر مختار الصحاح ص ٤٥٥.

(٥) أي: ابن الجوزي، الإمام المعروف، وقد تقدمت ترجمة ضافية له رحمه الله تعالى.

(٦) هو: ربيعة بن عثمان بن عبدالله بن الهذير، القرشي التيمي، أبو عثمان المدني، صدوق له أوهام، تابع تابعي، مات سنة أربع وخمسين، وهو ابن سبع وسبعين كذا في التقريب ٢٤٧/١، وأنظر تهذيب الكمال ١٣٢/٨ - ١٣٦، وتهذيب التهذيب ٢٥٩/٣ - ٢٦٠.

كان رجل على معاصي الله تعالى، ثم إن الله أراد به خيراً وتوبة. فقال لزوجته:
إني لملتزم شفيعاً إلى الله تعالى.

فخرج إلى الصحراء، فجعل يصيح: يا سماء إشفعي لي، يا جبال اشفعي لي، يا
أرض اشفعي لي، يا ملائكة اشفعي لي.

فأدركه الجهد فخرّ مغشياً عليه، فبعث الله إليه ملكاً، فأجلسه ومسح رأسه، وقال
له: أبشّر، فقد قبل الله توبتك.

قال: رحمك الله! من كان شفيعي إلى الله عز وجل؟ قال: خشيتك شفعت لك إلى
الله تعالى.

٣٥- [توبة الخارج من القرية الظالمة]

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن ثابت، أنا طراد بن محمد الزُّبَيْدِيُّ^(١)، أنا أبو الحسين بن
بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد ابن منصور، أنا عبد الرزاق^(٢)، أنا
مُعَمَّر، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود^(٣) رضي الله عنه - قال:

(١) الزُّبَيْدِيُّ قال في الباب ٨٧/٢ - ٨٨ «يفتح الزاي، وسكون الياء، وفتح النون، وفي آخرها ياء
موحدة، هذه النسبة إلى زينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس.

... ينسب إليها كثير، منهم: أبو نصر محمد، وأبو الفوارس طراد - وهو الراوي معناه ابن محمد بن
علي بن أبي تمام بن ... بن علي بن عبدالله بن العباس.

... روى طراد عن هلال الحفار وأبي الحسين بن بشران وغيرهما، وروى عنه ابنه محمد وعلي
وغيرهما أهد.

(٢) هو: الإمام عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعائي، الحميري، اليمني، أبو بكر، ولد سنة
(١٢٦) هـ. محدث، حافظ، فقيه، أخذ عنه الإمام البخاري، توفي في نصف شوال، سنة

(٢١١) هـ. وله من العمر (٨٥) سنة، له مصنفات كثيرة، منها: السنن في الفقه، المغازي، تفسير
القرآن، الجامع الكبير في الحديث المعروف بالمصنّف، وتزكية الأرواح عن مواقع الإفلاح.

أنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي ٣٣١/١، وميزان الاعتدال له ١٢٦/٢ - ١٢٩، البداية
والنهاية لابن كثير ٢٦٥/١٠، وشذرات الذهب لابن العماد ٢٧/٢.

(٣) هذا إسناد ضعيف عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، فيه: أبي إسحاق، وهو: عمرو بن عبدالله
السبيعي، ثقة عابد، اختلط بآخره، أنظر التقريب ٧٣/٢، والإغتياب بمعروفة من رمي بالاختلاط
ص ٨٧ (تحقيق فواز أحمد زمرلي).

وهو إلى ذلك مشهور بالتدليس، كما في طبقات المدلسين لابن حجر ص ١٠١، وقد عتبه. فلذلك
الإسناد ضعيف.

والقصة الواردة هنا هي بمعنى الحديث المرفوع الآتي وهو صحيح.

وأبو الأحوص - هو الجُشَعي، واسمه: عوف بن مالك بن نضلة، الكوفي، مشهور، يكنى، تابعي =

كانت قرينان: إحداهما صالحة، والأخرى ظالمة، فخرج رجل من القرية الظالمة يريد القرية الصالحة، فأتاه ملك الموت حيث شاء الله عز وجل، فاختصم فيه الملك والشيطان، فقال الشيطان: والله ما عصاني قط! فقال الملك: إنه خرج يريد التوبة، ففضي بينهما أن يُنظر إلى أيهما هو أقرب، فوجدوه أقرب إلى القرية الصالحة بشبر، فغفر له.

٣٦ - [توبة من قتل مائة نفس]

أخبرنا أبو بكر بن النور، أنا أبو طالب اليوسفي، أنا أبو علي بن المذهب، أنا أبو بكر القطيعي، ثنا عبدالله بن أحمد، ثنا أبي، ثنا يزيد، ثنا همام بن يحيى، ثنا قتادة، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري، قال: لا أحدثكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ - سمعته أذناي، ووعاه قلبي:

أن عبداً قتل تسعة وتسعين نفساً، فعرضت له التوبة، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فذُلَّ على رجل^(١)، فأتاه، فقال: إني قتلْتُ تسعة وتسعين نفساً، فهل لي من توبة؟ فقال: بعد قتل تسعة وتسعين نفساً؟!

قال: فانتضى سيفه فقتله به، فأكمل به المائة.

ثم عرضت له التوبة، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فذُلَّ على رجل، فأتاه فقال: إني قتلْتُ مائة نفس، فهل لي من توبة؟ قال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ أخرج من القرية الخبيثة التي أنت فيها إلى القرية الصالحة^(٢). [قرية كذا وكذا فاعبد ربك فيها]. قال: فخرج إلى القرية الصالحة^(٣) فعرض له أجله في الطريق.

قال: فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، قال: فقال إبليس: أنا أولى

= ثقة، قتل في ولاية الحجاج على العراق، التبريد ٩٠/٢.

(١) في رواية عند مسلم: فسأل عن أعلم أهل الأرض، فذُلَّ على راهب، وفي رواية البخاري: فأنى راهباً.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥١٧/٦: وفيه إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسى - عليه السلام -، لأن الرهبانية إنما ابتدئها أتباعه كما نصَّ عليه في القرآن الكريم: أهـ. قلت: إشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾.

(٢) قال في الفتح ٥١٧/٦: «ووقعت لي تسمية القرينتين المذكورتين، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعاً في المعجم الكبير للطبراني، قال فيه: إن اسم الصالحة: نصره، واسم القرية الأخرى: كفره. أهـ.

(٣) زيادة من مسند الإمام أحمد.

به، إنه لم يعصني ساعة قط، قال: فقالت ملائكة الرحمة: إنه خرج ثائباً.

قال همام: فحدثني حميد الطويل، عن بكر بن عبدالله المزني، عن أبي رافع، قال فبعث الله - عز وجل - [له] ملكاً، فاختصموا إليه.

ثم رجع إلى حديث قتادة، قال: فقال: انظروا إلى أي القرينتين كان أقرب إليها، فألحقوه بأهلها.

قال قتادة: فحدثنا الحسن أنه لما عرف الموت، احتفز بنفسه^(١) فُقُرب الله منه القرية الصالحة، وباعد منه القرية الخبيثة، فألحقوه بأهل القرية الصالحة^(٢).

(١) زيادة من مسند الإمام أحمد.

(٢) أي: دفع نفسه إلى الإمام، نحو القرية الصالحة، أنظر مختار الصحاح ص ١٩٢.

(٣) رواه هكذا الإمام أحمد في المسند ٢٠/٣ - ٢١.

وابن ماجه في كتاب الدييات، باب (٢) هل لقاتل مؤمن توبة، حديث رقم (٢٦٢٢) ٨٧٥/٢.

ورواه نحوه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٤)، حديث رقم (٣٤٧٠) ٥١٢/٦.

ومسلم في كتاب التوبة، باب (٨) قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله، حديث رقم (٢٧٦٦) ٢١١٨/٤ - ٢١١٩.

وأحمد في المسند ٧٢/٣.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥١٧/٦ - ٥١٨: وفي الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى قتل النفس، ويحمل على أن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضا خصمه.

وفيه: أن المظني قد يجيب بالخطأ، وغفل من زعم أنه إنما قتل الأخير على سبيل التأول لكونه أفتاه بغير علم، لأن السياق يقتضي أنه كان غير عالم بالحكم حتى استمر يستفتي، وأن الذي أفتاه استبعد أن تصح توبته بعد قتله لمن ذكر أنه قتله بغير حق، وأنه إنما قتله بناء على العمل بفتواه، لأن ذلك اقتضى عنده أن لا نجاة له، فبئس من الرحمة، ثم تداركه الله فقدم على ما صنع فرجع يسأل.

وفيه إشارة إلى قلة فطنة الراهب، لأنه كان من حقه التحرز ممن اجترأ على القتل حتى صار له عادة، بأن لا يواجهه بخلاف مراده، وأن يستعمل معه المعارض مداراة عن نفسه، هذا لو كان الحكم عنده صريحاً في عدم قبول توبة القاتل، فضلاً عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظنوناً.

وفيه: أن الملائكة الموكلين ببني آدم يختلف اجتهداهم في حقهم بالنسبة إلى من يكتبونه مطيعاً أو عاصياً، وأنهم يختصمون في ذلك حتى يقضي الله بينهم.

وفيه: فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية كما يغلب به - بل العادة على قتل ذلك، أما تذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه، ولهذا قال له الأخير: ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والنحوك منها كلها، والإشتغال بغيرها. وفيه: فضل العالم على العابد، لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له، غلبت عليه العبادة، فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير، وأما الثاني فعلم عليه العلم، فأفتاه بالصواب، ودله على طريق النجاة.

٣٧ - [توبة لصّ من بني إسرائيل]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد الحدّاد، أنا أحمد بن عبدالله بن إسحاق، ثنا أبو محمد بن حيان، ثنا أحمد بن الحسين، ثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد بن يزيد بن خنيس^(١)، عن وهيب بن الأزد^(٢)، قال:

بلغنا أن عيسى - عليه السلام - مرّ هو ورجل من بني إسرائيل من حوارية بلصّ في قلعة له، فلما رآهما اللصّ ألقي الله في قلبه التوبة، قال: فقال لنفسه: هذا عيسى بن مريم - عليه السلام -، روح الله وكلمته، وهذا حوارية، ومن أنت يا شقيّ، لصّ بني إسرائيل، قطعت الطريق، وأخذت الأموال، وسفكت الدماء، ثم هبط إليهما تائباً نادماً على ما كان منه.

فلما لحقهما، قال لنفسه: تريد أن تمشي معهما؟ لست لذلك بأهل إمّش خلفهما

قال عياض: وفيه أن التوبة تنفع من القتل، كما تنفع من سائر الذنوب، وهو إن كان شرعاً لمن قبلنا وفي الإحتجاج به خلاف، لكن ليس هذا من موضوع الخلاف، لأن موضوع الخلاف إذا لم يرد في شرعنا تقريره وموافقة، أما إذا ورد فهو شرع لنا بلا خلاف، ومن الورد في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وحديث عبادة بن الصامت، ففيه بعد قوله: ولا تقتلوا النفس، وغير ذلك من المنهيات، فمن أصاب من ذلك شيئاً فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذّبه، متفق عليه.

قلت - أي ابن حجر -: ويأخذ ذلك - أيضاً - من جهة تخفيف الأصار عن هذه الأمة بالنسبة إلى من قبلهم من الأمم، فإذا شرع لهم قول توبة القاتل فمشرعنا فيها لنا بطريق الأولى. وسباني البحث في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ الآية في التفسير إن شاء الله تعالى.

واستدل به على أن في بني آدم من يصلح للحكم بين الملائكة إذا تنازعوا - قلت: وفي تصدير هذه الجملة بقوله: واستدل، يدلّ على تضعيفه لهذا الرأي، كيف لا وفي رواية أحمد أنه ملك أرسله الله تعالى بصورة آدمي، وكذلك في رواية مسلم -.

وفيه: حجة لمن أجاز التحكيم، وأن من رضي الفريقان بتحكيمه فحكمه جائز عليهم..

وفيه: أن للحاكم إذا تعارضت عنده الأحوال وتعددت البيانات أن يستدل بالفرائض على الترجيح - أ هـ.

(١) هو: محمد بن يزيد بن خنيس المخذومي مولاهم، المكي، أبو عبدالله، قال أبو حاتم: كان شيخاً صالحاً، كتبنا عنه بمكة، وكان ممنوعاً من الحديث، أدخلني عليه است.

وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان من خيار الناس، ربّما أخطأ، يجب أن يُعتبر حديثه إذا بين السماع في خبره كذا في تهذيب التهذيب ٥٢٣/٩ - ٥٢٤، وأنظر الكاشف ٩٦/٣: وقال عنه في التقریب ٢١٩/٢: «مقبول» أ هـ.

أي: إذا توبع على روايته، فإن لم يتابع فلين الحديث.

(٢) هو: وهيب بن الأزد، الفرشي مولاهم، المكي، أبو عثمان، أو أبو أمية، يقال: اسمه عبد الوهاب، ثقة عابد. التقریب ٣٣٩/٢.

كما يمشي الخطاء المذنب مثلك!

قال: فالتفت إليه الحواريّ فعرفه، فقال في نفسه: انظر إلى هذا الخبيث الشقي ومشييه ورائعنا، قال: فاطلع الله سبحانه وتعالى على ما في قلوبهما من ندامته وتوبته ومن ازدراء الحواريّ إياه وتفضيله نفسه عليه.

قال: فأوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم أن مرّ الحواريّ ولصّ بني إسرائيل أن يأتفقا العمل جميعاً، أما اللصّ فقد غفرت له ما مضى لندامته وتوبته؛ وأما الحواريّ فقد حبّط عمله لعجبه بنفسه، وازدراؤه هذا التّوّاب.

٣٨ - [توبة ثلاث بنات من البغايا وغواة قرية]

أخبرنا المبارك بن علي، أنا أحمد بن الحسين بن قريش، أنا إبراهيم بن عمر البرمكي^(١)، أنا أبو بكر محمد بن زكريا الدقاق، ثنا عبد الله بن سليمان، ثنا عبد الملك بن محمد بن عبد الله، ثنا ابن عائشة، ثنا سعيد بن عامر قال: حدثني حسن أبو جعفر، قال:

كان لقمان الحبشيّ عبداً لرجل جاء به إلى السوق يبيعه. قال: فكان كلما جاء إنسان يشتريه قال له لقمان: ما تصنع بي؟ فيقول أصنع بك كذا وكذا. قال: حاجتي إليك أن لا تشتريني، حتى جاء رجل، فقال: ما تصنع بي؟ قال: أصيرك بواباً على بابي، قال: أنت اشتريني. قال: فاشتراه وجاء به إلى داره.

قال: وكان لمولاه ثلاث بنات يبيعن في القرية، وأراد أن يخرج إلى ضيعة له، فقال له: إني قد أدخلت إليهنّ طعامهنّ وما يحتجنّ إليه، فإذا خرجت فاعلق الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه حتى أجيء.

قال: فقلنّ له: افتح الباب، فأبى عليهنّ، فشججنّه^(٢)، ففسل الدم وجلس. فلما قدم سيده لم يخبره.

(١) قال في اللباب ١٤٢/١ - ١٤٣: والبرمكي: بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء، وفتح النيم، وفي آخرها الكاف هذه النسبة إلى اسم وموضع.

أما الاسم: فهم أولاد أبي علي يحيى بن خالد بن برمك... وأما الموضع: فالمنسب إليه أبو إسحاق إبراهيم بن عمر - قلت: وهو الراوي عند المصنف - بن أحمد البرمكي، البغدادي؛ كان سلفه قديماً يسكنون محلة ببغداد تعرف بالبرامكة، وقيل: بل كانوا يسكنون قرية تسمى البرمكية، فسبوا إليها، روى عنه أبو بكر الخطيب، والفاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي وغيرهما، توفي سنة خمس وأربعين وأربعمائة أ هـ.

(٢) أي: فضرّبه على رأسه حتى شججه، فسال الدم منه، أنظر أساس البلاغة ص ٢٢٩، ومختار الصحاح ص ٦٤.

ثم عاد مولاه بعد الخروج، فقال: إني قد أدخلت إليهن ما يحتجن إليه، فلا تفتحن الباب.

فلما خرج، خرجن إليه، فقلن له: افتح الباب، فأتى. فشججنه ورجعن. فجلس، فلما أن جاء مولاه لم يخبره بشيء.

قال: فقالت الكبيرة: ما بال هذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله - عز وجل - مني؟ والله لا أتوبن؟ قال: فتأيت.

فقالت الصغرى: ما بال هذا العبد الحبشي وهذه الكبرى أولى بطاعة الله - عز وجل - مني؟ والله لا أتوبن؟ فتأيت.

فقالت الوسطى: ما بال هاتين وهذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله - عز وجل - مني؟ والله لا أتوبن؟ فتأيت.

قال: فقال غواة القرية: ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان أولى بطاعة الله منّا؟ فتأبوا إلى الله - عز وجل - وكانوا عوايد القرية.

٣٩ - [توبة صاحب فاحشة]

أخبرنا أبو منصور جعفر بن الدامغاني^(١): أنا محفوظ بن أحمد الكلوذاني، أنا أبو علي الجازري^(٢)، أنا المعافى بن زكريا الجريري^(٣)، ثنا الحسين بن القاسم الكوكبي^(٤)،

(١) الدامغاني: بفتح الدال، وسكون الالف، وفتح الميم والعين المعجمة، وسكون الالف، وبعدها نون، هذه النسبة إلى دامغان، وهي مدينة من بلاد قوس، ينسب إليها كثير من العلماء.

الكتاب في تهذيب الأنساب ٤٨٦/١.

(٢) قال في الباب ٢٥١/١: «الجازري: بفتح الجيم، وبالنون المكسورة بعد الالف، وبعدها راء، هذه النسبة إلى جازية، وهي قرية من قرى الهروان، من أعمال المعافى، ينسب إليهما أبو علي - وهو الراوي عند المصنف - محمد بن الحسين بن محمد بن عبي بن بكران الجازري، روى كتاب الجنيس والأيسر عن الفاني أبي الفرج المعافى بن زكريا الجريري، روى عنه الأمير أبو نصر بن مأكولا، والخطيب أبو بكر الحافظ؛ ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، ومات في شهر ربيع الأول سنة اثنين وخمسين وأربعمائة هـ.

(٣) قال في الباب ٢٧٥/١ - ٢٧٦: «الجريري: بفتح الجيم، وانياء المعجمة باثنين من تحتها الساكنة، بين الرأيس المهملتين. هذه النسبة إلى جرير بن عبدالله البجلي، وإلى اتباع مذهب محمد بن جرير الطبري، فأما المنتسب إلى جرير بن عبدالله فهو...»

وأما المنتسب إلى مذهب محمد بن جرير الطبري، فجماعة منهم أبو الفرج المعافى بن زكريا - وهو الراوي عند المصنف - الجريري النهرواني: المعروف بابن طراد، الإسم المشهور، روى عن البغوي وابن صاعده هـ.

(٤) قال في الباب ١١٩/٣: «الكوكبي: بفتح الكاف، بينهما واو ساكنة، وفي آخرها ياء موحدة اشتهر =

ثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القاضي، ثنا يحيى بن صالح الوُحَاظِي (١)، ثنا إسماعيل بن عياش، عن صفوان بن عمرو، عن شُرَيْح بن عُبَيْد الحَضْرَمِي، عن كعب الأحبار (٢) :

أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَتَى، فَاحْشَهُ، فَدَخَلَ نَهْرًا يَغْتَسِلُ فِيهِ. فَتَدَااهَ الْمَاءُ: يَا فُلَانُ! أَمَا تَسْتَحْيِي؟ أَلَمْ تَتَّبِعْ مِنْ هَذَا الذَّنْبِ، وَقُلْتَ: إِنَّكَ لَا تَعُودُ فِيهِ؟! فَخَرَجَ مِنَ الْمَاءِ فَرَعًا، وَهُوَ يَقُولُ: لَا أَعْصِي اللَّهَ.

فَأَتَى جِبَلًا فِيهِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - . فَلَمْ يَزَلْ مَعَهُمْ حَتَّى قَحِطَ مَوْضِعُهُمْ.

فَنَزَلُوا يَطْلُبُونَ الْكَلَالَ، فَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ النَّهْرِ. فَقَالَ لَهُمُ الرَّجُلُ: أَمَا أَنَا فَلَسْتُ بِذَاهِبٍ مَعَكُمْ. قَالُوا: لِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ لَمْ مِنْ قَدْ أَطْلَعَ مِنِّي عَلَى خَطِيئَةٍ، فَأَنَا أَسْتَحْيِي مِنْهُ أَنْ يَرَانِي.

فَتَرَكُوهُ وَمَضُوا، فَتَدَااهُمُ النَّهْرُ: يَا أَيُّهَا الْعُبَادُ! مَا فَعَلَ صَاحِبُكُمْ؟ قَالُوا: زَعَمَ أَنَّ لَهُ

- بهذه النسبة جماعة، منهم: أبو علي - وهو الراوي عند المصنف - الحسين بن القاسم بن جعفر بن محمد بن خالد بن بشر الكاتب الكوكبي صاحب أخبار وحكايات، حدث عن أبي أبي الدنيا، وأحمد بن أبي خيثمة، ومحمد بن موسى الدولابي، وأبي العلاء محمد بن القاسم وغيرهم، روى عنه الدارقطني، والمعافي بن زكريا وغيرهم، وثق في ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثلاثمائة هـ.

(١) قال في الباب ٣/٣٥٤: «الوُحَاظِي: بضم الواو، وفتح الحاء، وسكون الالف، ومدها طاء معجمة، هذه النسبة إلى وخاطة بنت سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن... نسب إليها جماعة، منهم: أبو زكريا - وهو الراوي هنا - يحيى بن صالح الوحَاظِي الحمصي، يروي عن سنيما بن بلال، وأبي شعبة بن يونس بن عثمان، روى البخاري عن إسحاق ومحمد غير منسويين عنه، وروى عن موسى بن قريش عنه، وكان صدوقاً ثقة. وروى عنه أبو زرعة الدمشقي، وأبو حاتم الرازي وغيرهما» هـ.

(٢) هذا إسناده ضعيف عن كعب الأحبار، فيه: إسماعيل بن عياش الحمصي. صدوق في روايته عن أهل بلده، مخطئ في غيرهم، كما في التقریب ٧٣/١. وهذه الرواية واحدة من أهل بلده فصوان بن عمرو حمصي كذلك، فما تقدم لا يصح، إلا أنه أي: إسماعيل بن عياش، كان يَدُلُّس، كما قال الحافظ ابن حجر في طبقات المدلسين ص ٨٢، وقد عجمه فبذلك ضعف الإسناد وكعب الأحبار، هو: كعب بن مائع الحميري، أبو إسحاق، معروف بكعب الأحبار، ثقة مخضرم، كان من أهل اليمن فسكن الشام، مات في خلافة عثمان، وقد زاد عنى المائة، التقریب ١٣٥/٢. فنت. وهو من المكشورين جداً من الرواية عن كتب أهل الكتاب ولهذا قال عنه الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ ٥٢/١: «من أوعية العلم، ومن كبار علماء أهل الكتاب أسلم في زمن أبي بكر» هـ.

ها هنا من قد أطلع منه على خطيئته، فهو يستحي منه أن يراه. قال: يا سبحان الله! إن أحدكم يغضب على ولده أو على بعض قراباته، فإذا تاب ورجع إلى ما يحبّ أحبه، وإن صاحبكم قد تاب ورجع إلى ما أحبّ، فأنسا أحبه. فأتوه فآخبروه، واعبدوا الله على شاطئه.

فآخبروه، فجاء معهم، فأقاموا يعبدون الله زماناً. ثم إن صاحب الفاحشة توفي. فناداهم النهر: يا أيها العباد، والعبد الزهاد، غلّوه من مائي، وادفنوه على شاطئ، حتى يبعث يوم القيامة من قربي. ففعلوا ذلك به، وقالوا: نبيت ليلتنا هذه على قبره نبكي، فإذا أصبحنا سرنا.

فباتوا على قبره ليكون، فلما جاء وجه الشحر غشيهم النعاس، فأصبحوا وقد أنبت الله على قبره اثني عشرة سرّوة، وكان أول سرّوة أنبت الله - عزّ وجلّ - على وجه الأرض. فقالوا: ما أنبت الله هذا الشجر في هذا المكان إلا وقد أحب الله عبادتنا فيه. فأقاموا يعبدون الله - عزّ وجلّ - على قبره، كلما مات رجل دفنوه إلى جانبه. فماتوا بأجمعهم.

قال كعب: فكان بنو إسرائيل يحجون إلى قبورهم^(١).

(١) وهذا مما لا يجوز لا في شرعهم، ولا في شرعنا، ويدلّ على ذلك قوله - ﷺ - . لعن الله يهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد متفق عليه.
وقوله - ﷺ - عندما ذكرت أم حبيبة وأم سلمة كيسة رأيتها بالحبيشة، فيها تصوير.
قال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات بنوا على قبره مسجداً، وضُوروا فيه تلك الأسور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة، متفق عليه.

اخبار التابعين من اصحاب رسول الله ﷺ

٤٠ - [توبة أبي خيثمة - رضي الله عنه -]^(١)

أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن منصور بن هبة الله الموصلي، أنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، أنا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر، أنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان، أنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن المغلس، أنا أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموي قال: حدثني أبي، قال: قال ابن إسحاق:

تخلف أبو خيثمة - أحد بني سالم - ، عن رسول الله - ﷺ في غزوة تبوك، حتى إذا سار رسول الله - ﷺ - رجع أبو خيثمة ذات يوم إلى أهله في يوم حار. فوجد امرأتين له في عريشين له في حائط لهما، قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيات له طعاماً.

فلما دخل، قام على باب العريش ينظر، ثم قال: رسول الله ﷺ في الضح والريح والحر، - يعني بالضح: الشمس - ، وأبو خيثمة في ظل وماء بارد، وطعام مهيا، وامرأة حسنة. ما هذا بالنصف، والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ - فهيتا لي زاداً. ففعلتا، ثم قدّم ناصحه فارتحلته، ثم خرج في طلب رسول الله - ﷺ - فأدركه حين نزل تبوك.

قال: وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمير بن وهب الجمحي^(٢) في الطريق يطلب رسول الله - ﷺ - ، فترافقا حتى إذا ذموا من نبوك قال أبو خيثمة لعُمير بن وهب: إن لي ذنباً فلا

(١) هو أبو خيثمة الأنصاري السلمي، وقع ذكره في حديث كعب بن مالك الطويل - وهو الذي بعد هذا - في قصة توبته، وقد قال الواقدي: إن اسم أبي خيثمة هذا عبد الله بن خيثمة، وإنه شهد أحدًا، وبقي إلى خلافة يزيد بن معاوية. انظر الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر ٢٥٤/٤ والإستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر ٥١/٤ - ٥٣.

(٢) هو عُمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي، يكنى أبا أمية أسلم بعد معركة بدر الكبرى، فأدرك أحدًا فشهدا، وما بعدها، وشهد الفتح، وله في سبب إسلامه قصة ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣٦/٣ - ٣٧.

عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله - ﷺ - . ففعل، ثم سار حتى انتهى إلى رسول الله - ﷺ - وهو يتبوك .

فلما طلع قال الناس : هذا راكب مُقبل . فقال رسول الله - ﷺ - : كن أبا خيثمة ، فلما دنا، قال الناس : يا رسول الله ! هذا والله أبو خيثمة . فلما أناخ سلم على رسول الله - ﷺ - ، فقال رسول الله ﷺ : أُولَى لَكَ ، أبا خيثمة ؛ ثم أخبره الخبر، فقال له خيراً ، ودعا له^(١) .

٤١ - [توبة مخشي بن حُمير]^(٢)

قال : وقد كان رهط من المنافقين، منهم مخشي بن حُمير^(٣) - رجل من أشجع . ، حليف لبني سلمة، مع رسول الله - ﷺ - وهو منطلق إلى تبوك . قال : أتحبسون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم؟ والله لكأننا غداً مُقرنون في الجبال، فأطلع الله تعالى نبيه عليهم، فأتوا رسول الله - ﷺ - يعتذرون .

وقال مخشي بن حُمير : يا رسول الله ! قَعَدَ بي اسمي واسم أبي . فعفا الله عنه بقوله : ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾^(٤) . قال : وهي الطائفة التي عفا عنها . فسُمي عبد الرحمن بن حُمير .

قال : وسأل الله تعالى أن يُقتل شهيداً لا يُعلم مكانه . فأصيب يوم اليمامة ولم يوجد له أثر .

٤٢ - [توبة كعب بن مالك رضي الله عنه]^(٥)

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي ، أنا أبو الفضل جعفر بن يحيى المكي ، أنا

(١) ذكر هذه القصة عن ابن إسحاق ابن عبد البر في الإستيعاب ٥٢/٤ - ٥٣ ورواه الطبراني بتحواها، كما في فتح الباري ١١٩/٨ .

(٢) في المطبوعة : مُخَشِي بن حُمير، وهو خطأ، وما أثبتاه من الإصابة ٣٧٢/٣، حيث قال : وَمُخَشِي : مكون الخاء، بعدها شين معجمة، ابن حُمير : مصغراً بالثقل، الأشجعي .

له ذكر في مغازي ابن إسحاق في غزوة تبوك، وفي تفسير ابن الكلبي بسنده إلى ابن عباس، ويسند آخر إلى ابن مسعود أنه ممن نزل فيه : ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، قال فكان ممن عفى عنه مخشي بن حُمير فقال : يا رسول الله، غير اسمي واسم أبي، فسماه : عبدالله بن عبد الرحمن، فدعا مخشي ربه أن يقتل شهيداً حيث لا يُعلم به، فقتل يوم اليمامة ولم يعلم له أثر .

(٣) سورة التوبة آية رقم ٦٨ .

(٤) هو : الصحابي الجليل كعب بن مالك بن أبي كعب، أبو عبدالله الأنصاري السلمي، ويقال : أبو =

محمد بن الحسين بن يوسف الأصفهاني، أنا محمد بن أحمد بن البَغَوِي^(١)، أنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبَرِي^(٢)، أنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، قال: أخبرني ابن كعب بن مالك، عن أبيه، قال:

لم أتخلف عن رسول الله - ﷺ - في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك إلا بدرأ. ولم يعاتب النبي - ﷺ - أحداً تخلف عن غزوة بدر، إنما خرج يريد العير، فخرَجَتْ قريش مغوثين لعيرهم، فالتقوا على غير موعد كما قال الله تعالى. ولعمري إنَّ أشرف مشاهد رسول الله - ﷺ - في الناس لبُدر، وما أحبُّ أني كنتُ شهدتها مكان بيعتي ليلة العقبة حيث توافقتنا على الإسلام.

ثم لم أتخلف بعدُ عن رسول الله - ﷺ - في غَزَاة غزاها، حتى إذا كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزاة غزاها، وأذن النبي - ﷺ - الناس بالرحيل، وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوهم، وذلك حين طابت الظلال وطابت الثمار، وكان قلماً أراد غزوة إلا ورى غيرها، وكان يقول: «الحربُ خِدْعَةٌ»، إلا غزوة تبوك، فإنَّه جُلِيَ للناس أمرهم. فأراد النبي - ﷺ - في غزوة تبوك أن يتأهب الناس أَهْبَتَهُ^(٣). وأنا أيسر ما كنتُ، قد جمعت راحلتين، وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحاذ^(٤)، وأنا في ذلك أصغي إلى الظلال وطيب الثمار.

فلم أزل كذلك حتى قام رسول الله - ﷺ - غادياً بالغداة، وذلك يوم الخميس، وكان يحبُّ أن يخرج يوم الخميس فأصبح غادياً. فقلت: أنطلقُ غداً إلى السوق فأشتري

= بشر، ويقال: أبو عبد الرحمن، وكان شاعراً مشهوراً، شهد العقبة، وباع بها، وتخلف عن بدر، وشهد أحداً وما بعدها، وتخلف في تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم... قال ابن حبان: مات أيام قُتِل علي بن أبي طالب، وقال ابن حاتم، عن أبي: ذهب بصره في حلافة معاوية، واقتصر البخاري في ذكر وفاته على أنه رثا عثمان، ولم نحد له في حرب علي ومعاوية خبراً، وقال البغوي: بلغني أنه مات بالشام في خلافة معاوية... الإصابة ٢٨٥/٣ - ٢٨٦.

(١) هذه النسبة إلى بلد من بلاد خراسان بين مرو وأهرة، يقال لها: بخ وبغشور، كذا في اللباب ١٦٤/١.

(٢) قال في اللباب ٤٨٩/١: والدَّبَرِي: بفتح الدال المهملة والياء، وبعدها راء، هذه النسبة إلى ذُبَر، وهي قرية من قُرَى صنعاء اليمن، منها أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدَّبَرِي، راوي كتب عبد الرزاق عنه، روى عنه الطبراني وغيره. أهد.

(٣) الآية: بضَمِّ الهمزة وسكون الهاء، ما يحتاج إليه في السفر والحرب، فتح الباري ١١٧/٨.

(٤) أي: خِفَّة الظَّهْرِ والحال، مختار الصحاح ص ١١٨ وانظر فتح الباري ١١٨/٨.

جهازى ثم ألحق بهم، فانطلقت إلى السوق من الغد، فمسر عليّ بعض شائي، فرجعت.
فقلت: أرجع غداً إن شاء الله فألحق بهم، فمسر عليّ بعض شائي أيضاً. فقلت: أرجع
غداً إن شاء الله، فلم أزل كذلك حتى ألبس بي الذئب، وتخلّفت عن رسول الله - ﷺ - .

فجعلت أمشي في الأسواق وأطوف بالمدينة، فيحزني أني لا أرى أحداً تخلّف إلا
رجلاً مغموصاً^(١) عليه في النفاق. وكان ليس أحدٌ تخلّف إلا رأى أن ذلك سيخفى له،
وكان الناس كثيراً لا يجمعهم ديوان، وكان جميع من تخلّف عن النبي ﷺ بضعةً وثمانين
رجلاً.

ولم يذكرني النبي - ﷺ - حتى بلغ تبوك، قال: ما فعل كعب بن مالك؟ قال رجل
من قومي: خلّفه يا رسول الله، بُرداه^(٢)، والنظر في عطفه^(٣). فقال معاذ بن جبل: بشي ما
قلت، والله يا نبي الله ما علمنا عليه إلا خيراً.

قال فينما هم كذلك إذا هم برجل يزول به الشراب. فقال النبي ﷺ: كن أبا
خيشمة. فإذا هو أبو خيشمة.

فلما قضى النبي - ﷺ - غزوة تبوك، وقفل^(٤)، ودنا من المدينة، جعلت أتذكر بماذا
أخرج به من سخط النبي - ﷺ - ، وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، حتى إذا
قيل: النبي - ﷺ - هو مصبحكم غداً بالغداة، زاح عني الباطل، وعرفت أني لا أنجو إلا
بالصدق.

فدخل النبي - ﷺ - ضحى، فصلّى في المسجد - وكان إذا جاء من سفر فعل
ذلك - ، دخل المسجد فصلّى فيه ركعتين، ثم جلس، فجعل يأتيه من تخلّف، فيحلفون

(١) قال في الفتح ١١٨/٨: «مغموصاً... أي: مطعوناً عليه في دينه منهما بالنفاق». وقيل: معناه
مستحقراً، تقول: غمصت فلاناً إذا استحقرتاه. أهـ.

وانظر أساس البلاغة ص ٣٢٨ - ٣٢٩. ومختار الصحاح ص ٢٢٧.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٨٩: «البردة: كس، أسود مرتع فيه صفرة، تلبسه الأعراب، والجمع برد
يفتح الراء» أهـ.

والمقصود ببرده: الرداء والإزار، أو الرداء والتفصيل.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٣١٢: «عطف الرجل: حباؤه من لندن رأسه إلى وركيه، وكذا عطف كل
شيء جانباه» أهـ.

وهذا كتابه عن العجب والإفتخار والتكبر. قال في هامش المطبوعة: قال القرطبي: وكان هذا القائل
كان في نفسه حقد على كعب، ولعله كان منافقاً، فسب كعباً إلى الزهري والكبر، وكانت نسخة دطقة،
بذليل ردّ العدل الفاضل معاذ بن جبل - رضي الله عنه - .

(٤) أي: رجع.

له ويعتذرون إليه، فيستغفر لهم ويقبل علاتهم، ويكفل سرائرهم إلى الله عز وجل.

فدخلت المسجد، فإذا هو جالس، فلما رأيته تيسم تيسم المغضب؛ فجلت فجلست بين يديه. فقال: ألم تكن ابتعت ظهرك؟^(١) فقلت: بلي، يا نبي الله. قال: فما خلقتك؟ فقلت: والله لو بين يدي أحد من الناس غيرك جلست لخرجت من سخطه عليّ بعذر، ولقد أوتيت حذلاً، ولكن قد علمت يا نبي الله أنني إن أخبرتك اليوم بقول تجد عليّ فيه، وهو حق. فإني أرجو فيه عفى الله، وإن حدثتك اليوم حديثاً ترضى عني فيه، وهو كذب، أوشك الله أن يطيلحك عليّ، والله يا نبي الله ما كنت قط أبسر ولا أخف حاداً^(٢) مني حين بخأفتك.

قال: «أما هذا فقد صدقكم الحديث، فقم حتى يقضي الله عليك».

فقمته. فثار على إثري أناس من قومي يؤنبوني. فقالوا: والله ما نعلمك أذنت ذنباً قط قبل هذا، فهلاً اعتذرت إلى نبي الله - ﷺ - بعذر يرضى عنك فيه، وكان استغفار رسول الله - ﷺ - سيأتي من وراء ذنبك، ولم تقف نفسك موقفاً لا تدري ماذا يقضى لك فيه. فلم يزالوا يؤنبوني حتى همت أن أرجع فأكذب نفسي.

فقلت: هل قال هذا القول أحد غيري؟ قالوا: نعم قاله هلال بن أمية^(٣)، ومراة بن ربيعة^(٤). فذكروا جلين صالحين قد شهدا بدرأ، لي فيهما أسوة. فقلت: والله لا أرجع إليه في هذا أداً ولا أكذب نفسي.

قال: وبهى النبي - ﷺ - الناس عن كلامنا أيها الثلاثة، قال: فجعلت أخرج إلى

(١) أي اشترت ظهرك، أي اشترت ظهراً تركته من الإبل أو الفرس أو غير ذلك مما يركب.

(٢) أي. حالاً، كما تعلم.

(٣) هو هلال بن أمية بن عامر الأنصاري الواقفي، شهد بدرأ وما بعدها وتخلّف عن غزوة تبوك وهو أحد الثلاثة الذين سب عليهم، الإصابة ٥٧٤/٣.

وروى أبو حنيفة بإسناده عن الحسن مرسلًا سب تخلفه. وهو أنه كان له أهل تفرقوا، ثم اجتمعوا، فقال: لم أقممت هذا العام عندهم، فلما تذكرت قال: اللهم لك عليّ أن لا أرجع إلى أهل ولا مال، سطر فتح الباري ١١٩/٨ - ١٢٠.

(٤) هكذا هنا. مراة بن ربيعة، وهو كذلك عند مسلم، والمشهور في اسمه. مراة بن الربيع.

قال: الحافظ ابن حجر في الفتح ١١٩/٨ - ١٢٠ «مراة بن الربيع، هو المشهور، ووقع في رواية لمسلم. ابن ربيعة، وفي حديث مجمع بن جارية عند ابن مردويه. مراة بن ربيعة، وهو خطأ. وكذا وقع عند ابن أبي حاتم من مرسل الحسن من تسميته: ربيع بن مراة، وهو مقلوب.

ودكر في هذا المرسل أن سب تخلفه أنه كان له حائط حين زهي، فقال في نفسه: قد غزوت قبلها، فلو أمنت عامي هذا، فلما تذكر ذنبه قال: اللهم إني أشهدك أنني قد تصدقت به في سبيلك أهد.

وسطر الإصابة ٣٧٦/٣.

السوق فلا يكلمني أحد. وتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذين نعرف، وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالحيطان التي نعرف. وتنكرت لنا الأرض حتى ما هي بالأرض التي نعرف. وكنت أقوى أصحابي، فكنت أخرج وأطوف في السوق، وأتي المسجد، فأدخل وأتي النبي ﷺ، فسلم عليه، فأقول: هل حرك شفتيه بالسلام؟ إذا قممت أصلي إلى السارية فأقبلت قبل صلاتي نظر إليّ بمؤخر عينيه، وإذا نظرت إليه أعرض عني.

قال: واستكان أصحابي فجعلوا يكيان الليل والنهار، ولا يطلعان، رؤوسهم.

فبينما أنا أطوف في السوق إذا رجل نصراني جاء بطعام له يبيعه، يقول: من يبدل على كعب بن مالك؟ فظفوق الناس يشيرون له إليّ. فأتاني بصحيفة من ملك عسان، وإذا فيها: أما بعد، فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك^(١)، ولست بدور مضيفة ولا هوان، فألحق بنا نوايك.

قال: فقلت: هذا أيضاً من البلاء والشر. فأسجرت^(٢) لها النور وأحرقتها.

فلما مضت أربعون ليلة إذا رسول من النبي - ﷺ - قد أتاني. فقال: اعتزل امرأتك. فقلت: أطلقها؟ قال: لا ولكن لا تقربها.

وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك. فجاءت امرأة هلال بن أمية، فقالت: يا رسول الله! إن هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف، فهل تأذن لي أن أخدمه؟ قال: نعم ولكن لا يقربنك؟ قالت: يا نبي الله! والله ما به من حركة لشيء، ما زال مكتشياً^(٣) يكي الليل والنهار منذ كان من أمره ما كان.

قال كعب: فلما طال عليّ البلاء اقتحمت على أبي قتادة^(٤) حائطه^(٥). وهو ابن عتي - ، فسلمت عليه فلم يرّد عليّ. فقلت: أئشدك الله^(٦)، يا أبا قتادة! أتعلم أنني أحب الله ورسوله؟ فسكت. ثم قلت أيضاً: يا أبا قتادة! أتعلم أنني أحب الله ورسوله؟ فسكت.

(١) في المطبوعة: رؤوسها، وهو خطأ، والمثبت هو الموافق لسبوق الكلام.

(٢) أي: أمددك.

(٣) أي: أوقفت. انظر فتح الباري ٢/٢٨١.

(٤) أي: حزيناً.

(٥) هو: الأنصاري، اسمه: أنصارت ويقال: أنصرت. من أمية بن ثعلبة، السلمي، المدني، شهد أحداً وما بعدها، ولم يصح شهوده مدراً. ومات سنة ٤٠٠ هـ. وقيل: سنة ثمان وثلاثين، والأول أصح وأشهر. التقریب ٢/٤٦٣.

(٦) أي: يستانه.

(٧) أي: أسألك به، أصل: "بلاغه" من ٤٥٦.

ثم قلت: أَتُشَدِّك الله، يا أبا قتادة! أتَعلِّم أنِّي أحب الله ورسوله؟ قال: الله ورسوله أعلم.
قال فلم أملك نفسي أن بكيتُ، ثم اقتحمتُ الحائط خارجاً.

حتى إذا مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي - ﷺ - النَّاسَ عن كلامنا صلَّيتُ على ظهر بيت لنا صلاة الفجر. ثم جلستُ وأنا في المنزل التي قال الله عزَّ وجلَّ، قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبتُ^(١)، إذ سمعت نداءً من دُرَّةٍ سلج^(٢):
أبشر يا كعب بن مالك، فخررتُ ساجداً، وعرفتُ أنَّ الله تعالى قد جاء بالفرج. ثم جاء رجل يركض على فرس يبشرني، فكان الصوت أسرع من فرسه، فلما جاءني الذي سمعت صوته أعطيته ثوباً بشاراً، وليست ثوبين آخرين. قال: وكانت ثوبتنا نزلت على النبي - ﷺ - ثلث الليل، فقالت أم سلمة: يا نبيَّ الله! ألا نبشر كعب بن مالك؟ قال: إذا يحطمكم النَّاسَ ويمعنونكم النَّومَ سائر الليلة.

قال: وكانت أم سلمة محسنة في شأني تحزن بأمرني. فانطلقتُ إلى النبي - ﷺ - ، فإذا هو جالس في المسجد، وحوله المسلمون، وهو يستير كاستنارة القمر، وكان إذا سرَّ استار، فجئتُ فجلستُ بين يديه، فقال: أبشِّر، يا كعب بن مالك بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك. ، قال: قلت، يا نبيَّ الله أمِنَ عند الله، أم من عندك؟ قال: بل من عند الله. ثم تلا عليهم ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ حتى بلغ ﴿التَّوَّابِ الرَّحِيمِ﴾^(٣). قال: وفيما نزلت: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٤).

قال: فقلتُ: يا نبيَّ الله! إن من ثوبي أن لا أُحدِّث إلا صدقاً، وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله. فقال: أمسك بعض مالك فهو خير لك. فقلت: فإني أملك سهمي الذي بخير.

قال: فما أنعم الله عليَّ نعمةً بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ - حين صدقته أنا وصاحبائي أن لا نكون كذبناه فهلكتنا كما هلكوا، وإني لأرجو أن

(١) ينال بذلك قوله تعالى في سورة التوبة، آية رقم (١١٨): ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ... الآية﴾.

(٢) سلج: جبل بالمدينة المنورة - شرفها الله تعالى - معروف ودُرَّةُ الشَّيْءِ: أعاليه، أنظر مختار الصحاح ص ٥٠٥. وفتح الناري ١٢١/٨.

(٣) سورة التوبة - آية رقم ١١٦/ - ١١٨، ونسألهما: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ، إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَأَنْ لَا يَدْخُلَ مِنْهُمْ إِلَّا إِلَهُ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

(٤) سورة التوبة، آية رقم ١١٨: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ الْغَالِيَّ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ، وَجَعَلَ قُلُوبَهُمْ قُلُوبًا، وَخَلَقَ النَّفْسَ الْوَارِثَةَ، وَخَلَقَ الْأَبْصَارَ، وَخَلَقَ الْأَبْصَارَ، وَخَلَقَ الْأَبْصَارَ... الآية﴾.

لا يكون ابتلى الله أحداً في الصدق مثل الذي ابتلاني، ما تعمّدت لكذبة بعد، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي^(١).

(١) روى قصة نوبة كعب بن مالك هذه، بعضهم مطولاً، وبعضهم مختصراً، وبعضهم بإجزاء منه، ومن طرق كثيرة عن كعب.

البخاري في كتاب الوصايا، باب (١٦) إذا تصدّق أو وقف بعض رقيقه أو داوّه فهو جائز، حديث رقم (٢٧٥٧) ٣٨٦/٥. ببعضه من آخره.

وفي كتاب الجهاد، باب (١٠٣) من أراد غزوة فورى غيرها، ومن أحب الخروج يوم الخميس حديث رقم (٢٩٤٧ - ٢٩٤٨ - ٢٩٤٩ - ٢٩٥٠) ١١٢/٦ - ١١٣ بأوله فقط.

وباب (١٩٨) الصلاة إذا قُدم من سفر حديث رقم (٣٠٨٨) ١٩٣/٦، ببعضه.

وفي كتاب المناقب، باب (٢٣) حصة النبي - ﷺ - حديث رقم (٣٥٥٦) ٥٦٥/٦ ببعضه وفي كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٢) وفود الأنصار إلى النبي - ﷺ - بمكة وبيعة العقبة حديث رقم (٣٨٨٩) ٢١٩/٧.

وفي كتاب المغازي، باب (٣) قصة غزوة بدر، حديث رقم (٣٩٥١) ٢٨٥/٧ ببعضه.

وفي كتاب المغازي، باب (٧٩) حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾، حديث رقم (٤٤١٨) ١١٣/٨ - ١١٦ بتمامه وليس فيه: الحرب خدعة.

وفي كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة، باب (١٤) قوله تعالى ﴿سَيُخَلِّقُونَ بِاللّٰهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾... الآية، حديث رقم (٤٦٧٣) ٣٤٠/٨ ببعضه.

وباب (١٧) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ...﴾ الآية، حديث رقم (٤٦٧٦) ٣٤١/٨ - ٣٤٢ ببعضه.

وباب (١٨) قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا...﴾ الآية، حديث رقم (٤٦٧٧) ٣٤٣/٨ - ٣٤٢ مختصراً.

وباب (١٩) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، حديث رقم (٤٦٧٨) ٣٤٣/٨، ببعضه.

وفي كتاب الاستئذان، باب (٢١) من لم يُسَلِّمْ على من اقترف ذنباً، ومن لم يرُدّ سلامه حتى تبيّن توبته...، حديث رقم (٦٢٥٥) ٤٠/١١ ببعضه.

وفي كتاب الأيمان والنذور، باب (٢٤) إذا أهدى ماله على وجه النذر والتوبة، حديث رقم (٦٦٩٠) ٥٧٢/١١، ببعضه من آخره.

وفي كتاب الأحكام، باب (٥٣) هل للإمام أن يمنع المجرمين وأهل المعصية من الكلام معه، والزيادة ونحوه، حديث رقم (٧٢٢٥) ٢١٦/١٣ ببعضه.

ومسلم في كتاب التوبة، باب (٩) حديث نوبة كعب بن مالك - رحمه الله -، حديث رقم (٢٧٦٩) ٢١٢٠/٤ - ٢١٢٩ بتمامه.

وليس فيه: الحرب خدعة.

وفي كتاب صلاة المسافرين، باب (١٢) استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أوّل قدومه، حديث رقم (٧١٦) ٤٩٦/١ ببعضه.

وأبو داود في كتاب الطلاق، باب (١١) فيما عني به الطلاق والنيات، حديث رقم (٢٢٠٢) ٢٦٢/٢ =

بعضه .

وفي كتاب الجهاد، باب في أي يوم يستحب السفر، حديث رقم (٢٦٠٥) ٣/٢٥٠ بعضه .

وباب المكر في الحرب، حديث رقم (٢٦٣٧) ٣/٤٣ بعضه .

وباب (١٦١) في إعطاء البشير، حديث رقم (٢٧٧٣) ٣/٨٨ - ٨٩ .

وباب (١٦٦) في الصلاة عند القدوم من السفر، حديث رقم (٢٧٨١) ٣/٩١ بعضه .

وفي كتاب الأيمان والندور، باب (٢٩) فيمن نذر أن يتصدق بماله، حديث رقم

(٣٣١٧ - ٣٣١٨ - ٣٣١٩ - ٣٣٢٠ - ٣٣٢١) ٣/٢٤٠ - ٢٤١ بعضه والترمذي في كتاب التفسير،

باب (١٠) تفسير سورة التوبة، حديث رقم (٣١٠٢) ٥/٢٨١ - ٢٨٣ مختصراً .

والنسائي في كتاب الطلاق، باب (١٨) الحقي بأهلك، ولا يريد الطلاق .

وفي كتاب الصلاة، باب (١٥٩) الرخصة في الجلوس في المسجد والخروج منه بغير صلاة .

وفي كتاب الأيمان والندور، باب (٣٦) إذا أهدى ماله على وجه النذر

وباب (٣٧) هل تدخل الأرضون في المال إذا نذر؟ .

وفي كتاب السير في سنة الكبرى، باب (١١٨) الوقت الذي يستحب له أن يدخل .

وباب (١١٩) ما يفعل الإمام إذا أراد الغزو .

وباب (١٢٤) اليوم الذي يستحب فيه السفر

وفي كتاب التفسير من سنة الكبرى، كما في الصفحة ٨/٣١٨ .

وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب (١٩٢) ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر، حديث رقم

(١٣٩٣) ١/٤٤٦، بعضه : لما ناب الله عليه خير مناجداً .

ذكر بعض الفوائد المأخوذة من هذا الحديث .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/١٢٣ - ١٢٥ : «وفي قصة كعب من القوائد :

جواز طئ أموال الكفار من ذوي الحرب .

وجواز الغزو في الشهر الحرام .

والنصريح بجهة الغزو إذا لم تقتض المصلحة مشره .

وأن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفي ولحق اللوم بكل فرد لو تخلف، وقال السهيلي : إنما

اشد الغضب على من تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية، لكنه في حق الأنصار خاصة فرض

عين، لأنهم تابعوا على ذلك، ومصدق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق :

نحن الذين تابعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

فكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة، لأنها كانتكث لبيعتهم كذا قال ابن بطال . قال السهيلي :

ولأعرف له وجهاً غير الذي قال .

قلت - أي ابن حجر - : وقد ذكرت وجهاً غير الذي ذكره ولعله أقعد، وبزيده قوله تعالى : ﴿ما كان

لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ الآية . وعند الشافعية وجه : أن

الجهاد كان فرض عين في زمن النبي - ﷺ - ، فعلى هذا فيتوجه العتاب على من تخلف مطلقاً .

وفيها : أن العاجز عن الخروج بنفسه أو بماله لا لوم عليه، واستخلاف من يقوم مقام الإمام على أهله

والضعفة .

وفيها : ترك قتل المنافقين، ويستنبط منه ترك قتل الزنديق إذا أظهر التوبة، وأجاب من أجازه بأن الترك =

= كان في زمن النبي - ﷺ - لمصلحة التأليف على الإسلام .

وفيها: عظم أمر المعصية . .

وفيها: أن القوي في الدين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ الضعيف في الدين .

وجواز أخبار المرء عن تقصيره وتفريطه، وعن سبب ذلك، وما آل إليه أمره تحذيراً ونصيحة لغيره .

وجواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة، وتسلية نفسه بما لم يحصل له بما وقع للنظير .

وقضل أهل بدر والعقبة، والحلف للتأكيد من غير استحلاف، والتورية عن المقصد، ورد الغيبة،

وجواز ترك وطء الزوجة مدة .

وفيه: أن المرء إذا لاحث له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا يتردد بها، لئلا يحرمها .

وفيها: جواز تنسئ ما فات من الخير، وأن الإمام لا يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور، بل يذكره

ليراجع التوبة .

وجواز الطعن في الرجل بما يغلب على اجتهاد الطاعن عن حمية لله ورسوله، وفيها: جواز الرد على

الطاعن إذا غلب على ظن الراي وهم الطاعن أو غلطه .

وفيها: أن المتخبط للقاء أن يكون على وضوء، وأن يبدأ بالمسجد قبل بيته، فيصلي، ثم يجلس لم

يسلم عليه، ومشروعية السلام على القادم وتلقيه، والحكم بالظاهر، وقبول المعاذير، واستحباب

بكاء العاصي أسفاً على ما فاته من الخير .

وفيها: إجراء الأحكام على الطهر ووكول السرائر إلى الله تعالى .

وفيها: ترك السلام على من أذنب، وجواز هجر أكثر من ثلاث، وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث

فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً .

وأن التيسر قد يكون عن غضب كما يكون عن تعجب، ولا يختص بالسرور .

ومعاقبة الكبير أصحابه ومن يمز عليه، دون غيره . .

وفيها: فائدة الصدق، وشؤم عاقبة الكذب . .

وفيها: تبريد حرّ المعصية بالناسي بالنظر .

وفيها: عظم مقدار الصدق في القول والفعل، وتعليل سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به . . .

وفيها: جواز دخول المرء دار جاره وصديقه بغير إذنه ومن غير الباب إذا علم رضاه .

وفيها: أن مصادقة النظر في الصلاة لا تقدر في صحتها . وإيثار طاعة الرسول على مودة القريب .

وخدمة المرأة زوجها، والإحتياط لمجانبة ما يخشى الوقوع فيه .

وجواز تحريق ما فيه اسم الله للمصلحة .

وفيها: مشروعية سجود الشكر، والإستباق إلى البشارة بالخير، وإعطاء البشير أنفس ما يحضر الذي

يأتيه بالبشارة، وتهنئة من تجددت له نعمة، والقيام إليه إذا أقبل .

واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة، وسروره بما يتر أنبأه .

ومشروعية العارية، ومصافحة القادم والقيام له .

والتزام المداومة على الخير الذي يتفجع به، واستحباب الصدقة عند التوبة، وأن من نذر الصدقة بكل

ماله لم يلزمه إخراج جميعه، أ هـ .

٤٣ - [توبة أبي لبابة رضي الله عنه]^(١)

قال الزهري: وكان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي - ﷺ - في غزوة تبوك، فربط نفسه بسارية، ثم قال: والله لا أحل نفسي منها ولا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله علي.

فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شرباً حتى كاد يخر مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه. فقبل له: قد تيب عليك، فقال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله - ﷺ - هو الذي يحلني بيده.

قال: فجاء النبي - ﷺ - فحلّه بيده. ثم قال أبو لبابة: يا رسول الله! إن من توبتي أن أهجّر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله. قال: يجزئك الثلث، يا أبا لبابة^(٢).

أخبرنا أبو صالح سعد الله بن نجاة بن الوادي^(٣)، أنا القاضي أبو بكر محمد بن

(١) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، اختلف في اسمه على أقوال كثيرة ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة ١٦٧/٤.

أمّره النبي - ﷺ - على المدينة في بدر، وقيل: أنّه أمّره عليها حين خرج إلى غزوة السويق، وشهد مع رسول الله - ﷺ - أحداً وما بعدها من المشاهد، وكانت معه راية بني عمرو بن عوف في الفتح يقال: مات في خلافة علي، وقال خليفة: مات بعد مقتل عثمان، ويقال: عاش إلى بعد الخمسين. انظر الإصابة ١٦٧/٤، والإستيعاب ١٦٧/٤ - ١٦٨.

(٢) قال ابن عبد البر في الإستيعاب ١٦٧/٤: واختلف في الحال التي أوجبت فعل أبي لبابة هذا بنفسه - وكان قد ذكر ربطه لنفسه بالجل حتى ذهب سمعه، فما يكاد يسمع، وكاد أن يذهب بصره، وفيه: وكانت ابتته تحله إذا حضرت الصلاة، أو إذا أراد أن يذهب لحاجة، وإذا فرغ أعادته إلى الرباط.

وأحسن ما قيل في ذلك، ما رواه معمر، عن الزهري قال: كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي - ﷺ - في غزوة تبوك... فذكر هذه القصة، ثم قال: وروي عن ابن عباس من وجوه في قول الله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا عَتَرُفُوا بِذُنُوبِهِمْ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرُ سَيِّئًا﴾ الآية.

أنها نزلت في أبي لبابة، ونفر معه سبعة أو ثمانية أو تسعة سواء، تخلفوا عن غزوة تبوك، ثم ندموا وتابوا وربطوا أنفسهم بالسواري، فكان عملهم الصالح توبتهم، وعملهم السيئ تخلفهم عن الغزو مع رسول الله - ﷺ - أهر.

(٣) قال في اللباب ٣/٣٤٥: وهذه النسبة إلى وادي القرى، وهي مدينة قديمة بالحجاز مما يلي الشام، ينسب إليه جماعة.

والوادي - أيضاً: اسم لجذ أبي صالح سعد الله بن نجاة بن الوادي، البغدادي الحنبلي، سمع أبا الفضل محمد بن ناصر، وأبا بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وغيرهما، وكان من أبناء الأربعمين، =

عبد الباقي، أنا أبو محمد الجَوْهَرِيُّ، أنا أبو عمر بن حَيَّوَيْه، أنا عبد الوهاب بن أبي حَيَّة، عن محمد بن شجاع البَلْخِيِّ، أنا محمد بن عمر الواقدي، قال: فحدثني ربيعة بن الحارث، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن السائب بن أبي لبابة، عن أبيه^(١)، قال: لَمَّا أُرْسِلْتُ قُرَيْظَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَرْسِلَنِي إِلَيْهِمْ - حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَصْرُ - دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى حَلْفَائِكَ فَإِنَّهُمْ أَرْسَلُوا إِلَيْكَ مِنْ بَيْنِ الْأَوْسِ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَصَارُ. فَهَشُوا^(٢) إِلَيَّ، وَقَالُوا: يَا أَبَا لَبَابَةَ! نَحْنُ مَوَالِيكَ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ. فَقَامَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، فَقَالَ: أَبَا بَشِيرُ! قَدْ عَرَفْتَ مَا صَنَعْنَا فِي أَمْرِكَ وَأَمْرَ قَوْمِكَ يَوْمَ الْحُدَاثِ، وَيَوْمَ بُعَاثَ، وَكُلَّ حَرْبٍ كُنْتُمْ فِيهَا، وَقَدْ اشْتَدَّ عَلَيْنَا الْحَصَارُ وَهَلَكْنَا، وَمُحَمَّدٌ يَأْتِي أَنْ يَفَارِقَ حَصَنَتَنَا حَتَّى نَنْزِلَ عَلَى حَكْمِهِ، فَلَوْ زَالَ عَنَّا لَحَقْنَا بِأَرْضِ الشَّامِ أَوْ خَيْرٍ، وَلَمْ نَكُنْ عَلَيْهِ جَمْعًا أَبَدًا، فَمَا تَرَى فَإِنَّا قَدْ اخْتَرْنَاكَ عَلَى غَيْرِكَ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ آتَى إِلَّا أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حَكْمِهِ. قَالَ: نَعَمْ، فَانْزِلُوا. وَأَوْمَأَ إِلَى حَلْقِهِ: فَهُوَ الذَّبِيحُ^(٣).

قال: فَنَدِمْتُ فَاسْتَرْجَعْتُ. فَقَالَ كَعْبُ: مَا لَكَ يَا أَبَا لَبَابَةَ؟ فَقُلْتُ: خَنَتِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ. فَتَزَلْتُ وَإِنَّ لِحْيَتِي لَمَبْتَلَةٌ بِالْدمُوعِ وَالنَّاسِ يَنْتَظِرُونَ رَجُوعِي إِلَيْهِمْ، حَتَّى أَخَذْتُ مِنْ وَرَاءِ الْحَصَنِ طَرِيقًا آخَرَ، حَتَّى أَتَيْتُ الْمَسْجِدَ فَارْتَبَطْتُ. وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ذَهَابِي وَمَا صَنَعْتُ. فَقَالَ: دَعَاكَ حَتَّى يُخْبِرَكَ اللَّهُ فِيهِ مَا يَشَاءُ، لَوْ كَانَ جَاءَنِي اسْتَغْفَرْتُ لَهُ، فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَأْتِنِي وَذَهَبَ فَدَعَاكَ^(٤).

قال: فَحَدَّثَنِي مَعْمَرُ بْنُ الزَّهْرِيِّ. قَالَ: وَارْتَبَطَ أَبُو لَبَابَةَ سَبْعًا فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، لَا

= [توفي] سنة سبع وثلاثين وخمسمائة هـ.

(١) ذكر المصنف هنا سبباً آخر لتوبة أبي لبابة، وقد تقدّم أن القصة الأولى أحسن ما قيل في سبب توبه رضي الله عنه.

وهذا إسناد ضعيف جداً عن أبي لبابة، فيه: محمد بن عمر بن واقد الواقدي، الأسلمي، القاضي متروك مع سعة علمه، التفريب ١٩٤/٢. وأنظر ميزان الاعتدال ٦٦٢/٣ - ٦٦٦ حيث ذكر أقوال العلماء فيه، ثم قال: «واستقر الإجماع على وهن الواقدي» هـ.

(٢) المقصود هنا، أنكم إذا نزلتم على ذلك فهو الذبيح والقتل، كما سيأتي واضحاً في القصة التي ذكرها ابن عبد البر، أنظر الهامش الآتي.

(٣) ذكر ابن عبد البر هذه القصة مختصرة جداً في الإسنيعاب ١٦٨/٣، مضعفاً لها، بعد أن حُسن القصة السابقة عليها، كما تقدم.

قال - رحمه الله - : «وقيل: إن الذنب الذي أتاه أبو لبابة، كان إشارته إلى حلفائه من بني قُرَيْظَةَ أَنْ الذَّبِيحَ إِنْ نَزَلْتُمْ عَلَى حَكْمِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ، وَأَشَارَ إِلَى حَلْفِهِ، فَتَزَلْتُ: هِيَ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ»، ثم تاب الله عليه. هـ.

بأكل ولا يشرب. وقال: لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا أو يتوب الله عليّ. قال: فلم يزل كذلك حتى يسمع الصوت من الجهد، ورسول الله - ﷺ - ينظر إليه بكرة وعشبة. ثم تاب الله عليه، فتودّي: إن الله قد تاب عليك. وأرسل رسول الله - ﷺ - إليه ليطلق عنه رباطه، فأبى أن يطلقه عنه أحد غير رسول الله - ﷺ - ، فجاء رسول الله - ﷺ - .

قال الزهري: فحدثني هند بنت الحارث^(١)، عن أم سلمة^(٢) زوج النبي - ﷺ - ، قالت: رأيت رسول الله - ﷺ - - يحل رباطه، وإن رسول الله - ﷺ - ليرفع صوته يكلمه ويخبره بتوبته، وما يدري كثيراً مما يقول له من الجهد والضعف. ولقد كان الرباط حز في ذراعه، وكان من شغره، وكان يداويه بعد ذلك دهرًا.

٤٤ - [توبة أبي هريرة - رضي الله عنه^(٣) - عن فتواه في امرأة زانية]

وقرأت في «تبيه الغافلين»^(٤) عن أبي هريرة^(٥)، قال: خرجت ذات ليلة بعد ما

(١) هي: هند بنت الحارث الفراسية - بكسر الفاء، ويقال: الفرشية تابعة ثقة. التقريب ٦١٧/٢.

(٢) هي: أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، تزوجها النبي - ﷺ - سنة أربع، وقيل: ثلاث. وعاشت بعد ذلك نحو ستين سنة، ماتت سنة اثنتين وستين، وقيل: سنة إحدى وستين، وقيل: قبل ذلك، والأول أصح، التقريب ٦١٧/٢.

(٣) هو أبو هريرة الدوسي، الصحابي الجليل، حافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه، فقيل: عبد الرحمن بن صخر، وقيل: ابن غصن، وقيل: . . . وقيل: . . .

واختلف في أبيها الأرجح، فذهب الأكثرون إلى الأول وذهب جمع من السابيين إلى: عمرو بن عامر، مات سنة سبع وقيل: سنة ثمان، وقيل: تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، التقريب ٤٨٤/٢، وانظر الإصابة ٢٠٠/٤ - ٢٠٨.

(٤) ص ٥٨ منه، وهو كتاب في المواعظ والرهدة والرقائق، تصنيف أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، وهو فقيه، مفسر، حافظ، توفي في (١١) جمادى الآخرة، سنة (٣٧٣). له تصانيف كثيرة منها: النوازل في فروع الفقه الحنفي، تفسير القرآن، خزانة الفقه على مذهب أبي حنيفة، وبيان العارفين في الآداب الشرعية.

انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١٦٩/٣. ومعجم المؤلفين ٩١/١٣.

(٥) هذه القصة لا تصح عن أبي هريرة، ذكرها السمرقندي في تبيه الغافلين غير سند. وقد رواه العقيلي في الضعفاء ٣٨٠/٣ من طريق إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان - مولى بني البذل - ، عن فليح، عن عبيد بن أبي عبيد، عن أبي هريرة. فذكره. قال العقيلي: «فليح لا يتابع على حديث هذا وعبيد بن أبي عبيد مجهول، أهد.

وعزه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٢٨/٣ للطبراني وابن جرير من طريق إبراهيم بن المنذر به، ثم قال: وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي رجاله من لا يعرف، والله أعلم أه.

وعزه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢١٤/٨ لابن مردويه - أيضاً - في تفسيره، من طريق أحمد بن الحسين الذهبي، عن عيسى بن شعيب به.

صَلَّيْتُ العشاءَ مع رسول الله - ﷺ - ، فإذا أنا بامرأة منتقبة قائمة على الطريق . فقالت : يا أبا هريرة ! إني قد ارتكبتُ ذنباً عظيماً ، فهل لي من توبة ؟ فقلت : وما ذنبك ؟ قالت : إني زنت وقاتلت ولدي من الزنا . فقلت لها : هلكت - وأهلكك ، والله مالك من توبة . فشبهتُ شهقةً خَرَّتْ مغشياً عليها ، ومضت .

فقلتُ في نفسي : أفتي ورسول الله - ﷺ - بين أظهرنا ؟ فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله - ﷺ - ، وقلت : يا رسول الله ! إن امرأة استفتني البارحة بكذا وكذا . فقال رسول الله - ﷺ : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أنت والله هلكت وأهلكك ، أين كنت عن هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأُولَئِكَ يَبْذُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [١٢٣] .

قال : فخرجت من عند رسول الله - ﷺ - وأنا أعدو في سكك المدينة ، وأقول : من يدُلُّني على امرأة استفتني البارحة كذا وكذا ؟ والصبيان يقولون : جُنَّ أبو هريرة ؛ حتى إذا كان الليل ، لقبتها في ذلك الموطن ، فأعلمتها بقول رسول الله - ﷺ - : وَأَنَّ لَهَا التَّوْبَةَ . فشبهت شهقة من السرور ، وقالت : إِنَّ لي حديقة وهي صدقة للمساكين لذنبي .

٤٥ - [توبة ثعلبة بن عبد الرحمن رضي الله عنه] (١)

أخبرنا الشيخ الصالح أبو عبد الله بن أحمد بن النُّصُور (٢) ، أنا أبو الحسن علي بن

- وعيسى بن شعيب هذا ، لم يوثقه إلا ابن حبان حيث ذكره في الثقات ، ولهذا قال عنه الحافظ ابن حجر في التقریب ٩٨/٢ : « فيه لين » أ. هـ . وقال عنه في الميزان ٣١٣/٣ ولا يعرفه أ. هـ . وهناك خلاف على فليح ، هل هو : ابن سليمان ، أم هو الشَّمار ، أم هما واحد ، أنظر تهذيب التهذيب ٢١٤/٨ - ٢١٥ .

قال الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال ٣١٤/٣ عن هذه القصة : « وهذا خير موضوع ، رواه إبراهيم بن المنذر الحزامي ، عن عيسى هذا أ. هـ . والله تعالى أعلم .

(١) سورة الفرقان ، الآيات ٦٨ - ٧٠ ، ونسألهما : ﴿ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ ذَلِكَ إِثْمًا ، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُذْ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ .

(٢) هو ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري ، يقال : إنه كان يخدم النبي - ﷺ - . أنظر الإصَابَة ٢٠١/١ - ٢٠٢ .

(٣) كذا في المطبوعة : أبو عبدالله بن محمد بن أحمد بن النُّصُور ولعل الصواب : أبو عبدالله محمد بن أحمد النُّصُوري . وهو شيخ روى عنه جماعة ، أنظر اللباب ٣٢٣/٣ وهذه النسبة إلى نُّصُور ، قال في اللباب : « وطني أنها من قُرَى صنعاء اليمن » أ. هـ .

محمد بن العَلَّاف، أنا أبو القاسم بن بَشْرَان، أنا أحمد بن إبراهيم الكِنْدِي، أنا أبو بكر محمد بن جعفر السَّامَرِيُّ، قال: حدثني أحمد بن جعفر بن محمد، ثنا إبراهيم بن علي الأطْرُوش، ثنا سُلَيْم بن منصور بن عَمَّار، قال: حدثني أبي، عن المنكدر بن محمد بن المنكدر، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال:

(١) الكِنْدِي: أبكر أولها، وسكون النون، وكسر الدال المهملة هذه النسبة إلى كِنْدَة، وهي قبيلة كبيرة مشهورة من اليمن. كذا في اللباب ١١٥/٣.

(٢) السَّامَرِيُّ: بفتح السين، وسكون الألف، وفتح الميم وفي آخرها راء مشددة، هذه النسبة إلى مدينة: سُرْمَنْ رَأَى، بالمعراق فوق بغداد، وهي مشهورة فخرها الناس وقالوا: سامراً، بناها المعتصم، وخربت عن قريب عن عمارتها ينسب إليها جماعة، كذا في اللباب ٩٤/٢.

(٣) الأطْرُوش: بضم الألف، وسكون الطاء المهملة، وضم الراء، وفي آخرها الشين المعجمة، هذا يقال لمن بأذنه أدنى صمم. اللباب ٧٣/١.

(٤) هذا إسناد ضعيف عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - فيه:

١ - سُلَيْم بن منصور بن عَمَّار، قال في ميزان الاعتدال ٢٣٢/٢: «قال ابن أبي حاتم، قلت لأبي: أهل بغداد يتكلمون فيه، فقال: مه، سألت ابن أبي الثلج عنه، فقلت: يقولون كتب عن ابن علبه وهو صغير؟ قال: لا، أهد. وانظر لسان الميزان ١١٢/٣.

٢ - منصور بن عَمَّار - وأندلسي -، قال في ميزان الاعتدال ١٨٧/٤ - ١٨٨: «زاهد شهير، وإليه كان انتمت في بلاغة الوعظ، وترقيق القلوب، ونحريك الهمم، وعظ ببغداد والشام ومصر، وبعد صباه، واشتهر اسمه.

قال أبو حاتم: ليس بالقوي.

وقال ابن عدي: منكر الحديث.

وقال القبلي: فيه نَجْهٌ.

وقال الدارقطني: يروي عن ضعفاء أحاديث لا يتابع عليها.

... ثم قال الذهبي: وساق له ابن عدي أحاديث تدل على أنه واه في الحديث، أهد.

٣ - المنكدر بن محمد بن المنكدر: لئن الحديث، كما في التفریب ٢٧٧/٢.

وقال في ميزان الاعتدال ١٩٠/٤ - ١٩١: «اختلف اجتهاد يحيى وأحمد في تضعيفه وتقويته.

وقال أبو حاتم: كان رجلاً صالحاً كثير الخطأ.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال ابن حبان: قطعته العبادة عن مراعاة الحفظ.

وقال أبو زرعة: ليس بقوي، وكذا قال النسائي في مكان آخره أهد.

والى تضعيف هذه الرواية ذهب ابن منده والحافظ ابن حجر، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة

٢٠١/١ - ٢٠٢. بعدما عزي هذه القصة لابن شاهين ولأبي نعيم من جهة سُلَيْم بن منصور، قال:

«قال ابن منده بعد أن رواه مختصراً: تفرد به منصور.

قلت - أي ابن حجر - : وفيه ضعف، وشيخه - أي والده - أضعف منه، وفي السياق ما يدل على وهن

الخبر، لأن نزول: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ كان قبل الهجرة بلا خلاف أهد.

أسلم فتى من الأنصار يقال له: ثعلبة بن عبد الرحمن. قال: وكان يخدم النبي - ﷺ - ويخف له. وإن رسول الله - ﷺ - بعثه في حاجة له، فمرّ باب رجل من الأنصار، فرأى امرأة من الأنصار تغسل. وخاف أن ينزل السوحى على رسول الله - ﷺ - بما صنع، فخرج هارباً على وجهه. فأتى جبلاً بين مكة والمدينة فولجها.

ففقده النبي - ﷺ - أربعين يوماً. وإن جبريل - عليه السلام - نزل على النبي - ﷺ - فقال: يا محمد! إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إن رجلاً من أمتك بين هذه الجبال يتعوذ بي. فقال النبي - ﷺ -: يا عمر، ويا سلمان! انطلقا فأتاني بشعبة بن عبد الرحمن.

فخرجا من أنقاب المدينة فلقيا راعياً من رعاة المدينة، يقال له: ذفافة. فقال له عمر: هل لك علم بشاب بين هذه الجبال، يقال له: ثعلبة؟ قال: لعلك تريد الهارب من جهنم. فقال له: وما علمك بأنه هارب من جهنم؟ قال: لأنه إذا كان جوف الليل خرج علينا من بين هذه الجبال، واضعاً يده على أم رأسه، وهو ينادي: يا ليتك قبضت روحي في الأرواح، وجسدي في الأجساد، ولم تجردني لفصل القضاء. فقال عمر: إياه نريد. فانطلق بهما.

فلما كان في جوف الليل خرج عليهم من بين تلك الجبال، واضعاً يده على أم رأسه، وهو ينادي: يا ليتك قبضت روحي في الأرواح، وجسدي في الأجساد، ولم تجردني لفصل القضاء.

قال: فغدا عليه عمر فاحتضنه. فقال: يا عمر! هل علم رسول الله - ﷺ - بذني؟ قال: لا علم لي، إلا أنه ذكرك بالأمس، فأرسلني وسلمان في طلبك.

قال: يا عمر! لا تأتني عليه إلا وهو في الصلاة. فأتته در عمر وسلمان الصنف. فلما سمع ثعلبة قراءة النبي - ﷺ - خر مغشاً عليه.

فلما سلم النبي - ﷺ - قال: يا عمر! يا سلمان! ما فعل ثعلبة؟ قالوا: ها هوذا، يا رسول الله! فقام النبي - ﷺ - فحركه فأنبه.

فقال له رسول الله - ﷺ -: وما غيبتك عني؟ قال: ذنبي، يا رسول الله. قال:

(١) عند أبي شاهين وابن نعيم، زيادة: وهي الأيام التي قالوا: رُدَّعه ربه وقلاه، كذا في الإصابة ٢٠١/١.

«أفلا أدلك على آية تمحو الذنوب والخطايا؟» قال: بلى، يا رسول الله. قال: «قل: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾»^(١).

قال: ذنبي، يا رسول الله، أعظم. قال: «بل كلام الله أعظم». ثم أمره بالإنصراف إلى منزله.

فمرض ثمانية أيام، ثم إن سلمان أتى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله! هل لك في ثعلبة، فإنه لما به قد هلك. فقال رسول الله - ﷺ - : «قوموا بنا إليه».

فدخل عليه فأخذ رأسه فوضعه في حجره، فأزال رأسه عن حجر رسول الله - ﷺ - فقال له: «لم أزل رأسك عن حجري؟» قال: لأنه ملآن من الذنوب. قال: «ما تشتهي؟» قال: مثل ديب التمل بين عظمي ولحمي وجلدي. قال: «ما تشتهي؟» قال: مغفرة ربي.

قال: فنزل جبريل - عليه السلام، فقال: يا محمد! إن ربك يقرئك السلام، ويقول لك: لو أن عذبي هذا أقبني بقراب الأرض^(٢) خطيئة، لقبته بقرابها مغفرة. قال: فأعلمه النبي - ﷺ - . قال: فصاح صيحة فمات.

٤٦ - [توبة عمرو بن مالك الرؤاسي رضي الله عنه]^(٣)

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنا محمد بن أحمد، أنا أحمد بن عبد الله الحافظ، ثنا محمد بن محمد، ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا سفيان بن وكيع، حدثني أبي، عن جدي، عن طارق، عن عمرو بن مالك الرؤاسي، عن أبيه^(٤):

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢٠١.

(٢) أي: ما يقارب ملاها.

(٣) هو عمرو بن مالك بن قيس بن ثعلبة بن رؤاس الرؤاسي، العامري، الكلبي، وقد هو وأبوه مالك على النبي - ﷺ - . فأسلمنا أنظر الإصابة ٣/٣١٣ و ٣٣٣ وأنظر الاستيعاب ٣/٣٦٥.

(٤) هذا إسناد به خطأ، أحاط فيه سفيان بن وكيع، فجعل القصة عن مالك الرؤاسي، وإنما حصلت مع عمرو بن مالك.

ويبان ذلك ما قاله الحافظ ابن حجر في الإصابة ١٤/٣ بعدما عزا هذه القصة للبخوي والطبراني وأبي يعين من طريق عن عثمان بن أبي شيبة، عن وكيع، عن أبيه، عن شيخ يقال له: طارق، عن عمرو بن مالك الرؤاسي قال: أتيت النبي - ﷺ - فقلت: يا رسول الله أرض عني. . . القصة.

قال الحافظ: «وأخرجه البزار في مسنده عن إبراهيم بن زياد الصائغ عن وكيع هكذا، وقال: لا يصلح دوى عمرو بن مالك إلا هذا الحديث».

قال أبو موسى: «وإن غير واحد هكذا عن وكيع».

. . . لهم سفيان بن وكيع، فرواه عن أبيه، عن جده، عن طارق، عن عمرو بن مالك، عن أبيه. =

أنه أغار هو وقوم من بني كلاب على قوم من بني أسد، فقتلوا فيهم ونَحَبُوا بالنساء. فبلغ ذلك النبي - ﷺ - فدعا عليهم ولعنهم.

فبلغ ذلك مالكا فغل يده، ثم أتى النبي - ﷺ - ، فقال: يا رسول الله! إرض عني رضي الله عنك. فأعرض عنه النبي - ﷺ - . ثم دار إليه، فقال: إرض عني رضي الله عنك. فأعرض عنه. ثم أتاه الثالثة، فقال: إرض عني رضي الله عنك، فوالله إن الرب ليرضى فيرضى.

فأقبل عليه النبي - ﷺ - فقال: تبب مما صنعت واستغفرت الله؟ قال: نعم. قال: واللهم! تب عليه وارض عنه.

٤٧ - [توبة غني من أغنياء الصحابة]

أخبرنا الإمام أبو الحسن المقرئ، أنا أبو طالب اليوسفي، أنا أبو علي النعماني، أنا أبو بكر القطيعي، ثنا عبد الله، قال: حدثني أبي، ثنا يزيد، أنا أبو الأشهب، قال: حدثني سعيد بن أيمن - مولى كعب بن سور - ، قال:

بينما رسول الله - ﷺ - يحدث أصحابه، إذ جاء رجل من الفقراء، فجلس إلى جنب

= قلت: - أي ابن حجر - : سفيان بن وكيع ضعيف في أبيه وغيره، وقد خط في السند. وزاد فيه: عن جده، وزاد بعده: عن أبيه.

ورواية عبد الرحمن بن مطرف وهو من الثقات، تشهد لرواية عثمان بن أبي شيبة وهو من الحفاظ. أ هـ.

ورواية عبد الرحمن بن مطرف التي أشار إليها كان قد ذكرها ١٣/٣. فقال: وأخرج ابن أبي عاصم في الوجدان، وابن أبي خيثمة في التاريخ، وابن السكن عنه، جميعاً عن عبد الرحمن بن مطرف، قال: حدثنا ابن عمي وكيع بن الجراح عن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، عن مافع جد علقمة، قال: كنت في القوم فأتى عمرو بن مالك الرؤاسي إلى النبي - ﷺ - ، ثم رجع إلى قومه فدعاهم، فأبوا أن يجيبوه حتى يدرکوا بنأرهم من بني عقيل... وفيه ذكر قتل عمرو لربيعة بن المستنق... ثم مجئيه إلى رسول الله - ﷺ - وقد غل يده نادماً تائباً أ هـ.

فهذا الإسناد يشهد لذلك بأن القصة حدثت مع عمرو بن مالك الرؤاسي، وليس مع أبيه، كما قال المحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - .

(١) هو: جعفر بن حيّان السعدي أبو الأشهب العطاردي، البصري، مشهور بكنيته، ثقة، مات سنة خمس وستين ومائة، وله خمس وتسعون سنة، التقريب ١٣٠/١، وانظر التهذيب ٨٨/٢.

(٢) هذا إسناده مرسل لسعيد بن أيمن تابعي ولم يدرك القصة.

وسعيد بن أيمن هذا ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٥٥٠/١/٢ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وكذلك ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/٤ - ٣ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات ٢٧٧/٤.

رجل من الأغنياء . فكأنه قبض من ثيابه عنه .

وتغيّر رسول الله - ﷺ . فقال رسول الله - ﷺ : يا فلان! أخشيت أن يعدو غناك عليه ، أو أن يعدو فقره عليك؟ قال : يا رسول الله ! وشر الغنى ؟ .

قال : نعم ، إن غناك يدعوك إلى النار وإن فقره يدعوه إلى الجنة .

قال : فما ينجيني منه ؟ قال : تؤاسيه منه . قال : إذا أفعل . فقال الآخر : لا أرب لي فيه . قال : فاستغفر لأخيك وادع له .

٤٨ - [توبة أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه]^(١)

أخبرنا سعد الله بن نجا ، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، أنا الحسن بن عليّ الجوهريّ ، أنا أبو عمر بن حيوية ، أنا عبد الوهاب بن أبي حنّة ، أنا محمد بن شجاع البلّخيّ ، ثنا محمد بن عمر الواقديّ ، حدّثني سعيد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن سابط وغيره^(٢) ، قال :

كان أبو سفيان بن الحارث : أخا رسول الله - ﷺ - من الرضاعة ، أرضعته حليلة ، وكان يألّف رسول الله - ﷺ - ، وكان له تربة^(٣) .

فلما بُعث رسول الله - ﷺ - عاداه عداوة لم يعاد أحد قطّ مثلها ، وهجا رسول الله - ﷺ - وأصحابه . فمكث عشرين سنة عدواً لرسول الله - ﷺ - يهجو المسلمين ويهجونه ؛ ولا يتخلّف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله - ﷺ - . ثم إن الله ألقي في قلبه الإسلام .

(١) هو : أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ، ابن عم رسول الله - ﷺ - . وأخوه من الرضاعة ، أرضعتهما حليلة السعدية .

وكان قبل إسلامه ممن يؤذي النبي - ﷺ - ويهجوهم ويؤذي المسلمين ، وأسلم في الفتح ، لقي النبي - ﷺ - وهو متوجه إلى مكة فأسلم . شهد حيناً فكان ممن ثبت مع النبي - ﷺ - . وتوفي رضي الله عنه سنة خمس عشرة في خلافة عمر ، فصلّى عليه ، ويقال : سنة عشرين ، ذكره الدراقطي في كتاب الإخوة .

أنظر الإصابة ٩٠/٤ - ٩١ ، والإستيعاب ٨٣/٤ - ٨٥ .

(٢) وهذا إسناد ضعيف جداً ، فيه : محمد بن عمر الواقدي : متروك مع سعة علمه ، كما في التفریب ١٩٤/٢ .

وعبد الرحمن بن سابط ، تابعي ثقة ، كما في التفریب ١/٨٨٠ فلم يدرك القصة ، فالحديث مرسل ، وبعضه شواهد .

(٣) التراب : بكسر التاء - اللدة والسين ، ومن ولد معك ، أنظر مختار الصحاح ص ١٧ .

قال أبو سفيان: فقلت: من أصحاب ومع من أكون؟ قد ضرب الإسلام بِجُرْأَتِهِ^(١). فجئت زوجتي وولدي، فقلت: تهيئوا للخروج، فقد أظَلُّ قَدُومُ مُحَمَّدٍ. قالوا: قد آن لك أن تبصر أن العرب والعجم قد تبع محمدًا، وأنت مُوضِعٌ^(٢) في عداوته، وكنت أولى الناس بنصره.

فقلت لغلامي مَذْكُورٌ^(٣): عَجَلْ بِأَبْعَرَةٍ وفرس. قال: ثم سرنا حتى نزلنا: الأَبْوَاءُ^(٤). وقد نَزَلَتْ مقدمة رسول الله - ﷺ -: الأَبْوَاءُ، فتنكَّرتُ وخِفتُ أن أقتل. وكان رسول الله - ﷺ - قد نذر دمي.

فخرجت على قدمي نحواً من ميل، وأقبل الناس رَسَلاً رَسَلاً^(٥)، فتنحَّيتُ فَرَقاً^(٦) من أصحابه.

فلما طلع في موكبه تصدَّبتُ له تلقاء وجهه، فلما ملا عينيه مني أعرض عني بوجهه إلى الناحية الأخرى، فتحوَّلت إلى ناحية وجهه الأخرى، فأعرض عني مراراً، فأخذني ما قُرْبَ وما بَعْدَ؛ وقلت: أنا مقتول قبل أن أصل إليه! وأتذكر برّه ورُحمه، فيمسك ذلك مني، وقد كنتُ لا أشكُ أن رسول الله - ﷺ - وأصحابه سيفرحون بإسلامي فرحاً شديداً، لقرايتي برسول الله - ﷺ -، فلما رأى المسلمون إعراض رسول الله - ﷺ - عني أعرضوا عني جميعاً، فلقيني ابن أبي قحافة^(٧) معرضاً عني، ونظرتُ إلى عمر يُغري بي رجلاً من الأنصار، فقال لي: يا عدو الله! أنت الذي كنت تؤذي رسول الله - ﷺ - وتؤذي أصحابه، قد بلغت مشارق الأرض ومغاربها في عداوته. فرددت بعض الردّ عن نفسي، واستطال عليّ ورفع صوته، حتى جعلني في مثل الحرجة من الناس يُسَرُّون بما يفعل بي.

قال: فدخلت على عتي العباس، فقلت: يا عم! قد كنت أرجو أن يفرح رسول الله - ﷺ - بإسلامي لقرايتي وشرفي، وقد كان منه ما رأيت، فكلمه في لي رضي عني.

(١) أي: قد انتشر، وذاع صيته، أنظر أساس البلاغة ص ١٥.

(٢) أي: خاسر في عداوته قال في مختار الصحاح ص ٢٨١: وأَوْضَع - على مالم يسم فاعله - : أي خسر، أهد.

(٣) هو اسم الغلام.

(٤) بلد بين مكة والمدينة.

(٥) أي: جماعة بعد جماعة، أنظر أساس البلاغة ص ١٦٢.

(٦) أي: خوفاً.

(٧) هو أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه -، واسمه عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر النخعي الفرشي.

قال: لا والله لا أكلّمه كلمة أبداً بعد الذي رأيت، إلا أن أرى وجهاً. إني أجلّ رسول الله - ﷺ - وأهابه.

فقلت: يا عم! إلى من نكلتني؟ قال: هو ذاك.

قال: فلقيتُ عليّاً، فكلّمته، فقال لي مثل ذلك.

فرجعت إلى العباس، فقلت: يا عم! فكفّ عني الرجل الذي يشتمني. قال: صفا لي. فقلت: هو رجل آدم، شديد الأذمة^(١)، قصيرٌ ذُحْدَاح^(٢)، بين عينيه شحّة^(٣). قال: ذاك نُعَيْمان بن الحارث النّجاري^(٤). فأرسل إليه، فقال: يا نُعَيْمان! إنّ أبا سفيان ابن عم رسول الله - ﷺ - وابن أخني، وإن يكن رسول الله - ﷺ - ساخطاً عليه فسيرضى عنه، فكفّ عنه. فبعد لأيٍ ما^(٥) كفّ. وقال: لا أعرضُ له^(٦).

قال أبو سفيان: فمخرجتُ فجلستُ على باب منزل رسول الله - ﷺ - حتى راح إلى الجحفة^(٧) وهو لا يكلمني ولا أحد من المسلمين. وجعلت لا ينزل منزلاً إلا أنا على بابي ومعي ابني جعفر قائم. فلا يراني إلا أعرض عني.

فمخرجتُ على هذه الحال حتى شهدت معه فتح مكة، وأنا في خيله التي تلازمه حتى نزل الأبطح^(٨)، فدنوت من باب قُبّة، فنظر إليّ نظراً هو ألين من ذلك النّظر الأول، ورجوت أن يتبسّم.

ودخل عليه نساء بني عبد المطلب ودخلت معهن زوجتي، فرقّفته عليّ.

وخرج إلى المسجد وأنا بين يديه لا أفارقه على حال، حتى خرج إلى هوازن،

(١) أي: أُنْسِر شديد الشّمة، مختار الصحاح ص ٣٩٤.

(٢) الذّحْدَاح: المحتلّء البطن، والمقصود هنا: أنه قصير مربوع، أي: ليس بالرفيع ولا بالثخين، بل متوسط، والله أعلم.

(٣) هكذا في المطبوعة: شحّة، ولم أجد من شرحهما، ولعلها شحّة بالجيم،

(٤) هو النّعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري، له صحبة، مات في زمن معاوية، الإصابة ٥٤٠/٣.

(٥) اللّأي: الشّدة، والجهد، والمشقة، انظر مختار الصحاح ص ٥٣٨، والمقصود: فبعد جهد ومشقة طويلة، كفّ عن ذلك.

(٦) أي: لا أعرضُ له.

(٧) هي موضع بين مكة والمدينة، وهي ميقات أهل الشام، وكان اسمها مهيعة، فأجحف - أي فذهب - السيل بأهلها، فسميت جحفة، مختار الصحاح ص ٢٨٦.

(٨) الأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى - أي صفارها - والجمع الأباطح، والبطاح، ومنه بطحاء مكة، مختار الصحاح ص ٦٩.

فخرجت معه، وقد جمعت العرب جَمْعاً لم تجمع مثله قط، وخرجوا بالنساء والذرية والماشية. فلما لقيتهم، قلت: اليوم يرى أثري إن شاء الله.

فلما لقيناهم حملوا الحملة التي ذكر الله: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾^(١). وثبت رسول الله - ﷺ - علي بغلته الشهباء، وجرد سيفه؛ فاقتحمت عن فرسي وبيدي السيف صلتاً^(٢) قد كسرت جفنة^(٣)، والله يعلم أنني أريد الموت دونه، وهو ينظر إليّ.

وأخذ العباس بلجام البغلة، فأخذت بالجانب الآخر. فقال: من هذا؟ فقال العباس: أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث، فارض عنه أي رسول الله؛ قال: قد فعلت، فغفر الله له كلّ عداوة عادانيها. فأقبل رجله في الركاب، ثم التفت إليّ، فقال: أخي لعمرى.

ثم أمر العباس فقال: ناد يا أصحاب سورة (البقرة)، يا أصحاب الثمرة^(٤)، يا للمهاجرين، يا للأَنْصار، يا للخزرج؛ فأجابوا: ثبّيك داعي الله.

وكرّوا كرة رجل واحد، قد حطّموا الجُفُون، وشَرَعوا الرِّمَاح، وخَفَضُوا عِوَالِي الْأَسِنَّةِ^(٥)، وأَرْقَلُوا إِرْقَالَ الْفُحُولِ^(٦).

فرايتني ولاني لأخاف على رسول الله - ﷺ - شروع رماحهم، حتى أحرقوا برسول الله - ﷺ - وقال لي رسول الله - ﷺ -: «تقدّم فضارب القوم، فحملت حملة أزلتهم عن موضعهم، وتبعني رسول الله - ﷺ - قُدْماً في تحوّر القوم، ما يالو ما تقدّم. فما قامت لهم قائمة حتى طردتهم قَدْرَ فَرَسَخٍ^(٧)، وتفرّقوا في كل وجه.

(١) سورة التوبة، آية رقم ٢٦/.

(٢) أي: مُجَرَّداً، قد أبرزته للقتال. أساس البلاغة ص ٢٥٧.

(٣) أي: غَمَدَه، مختار الصحاح ص ٤٤٥.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ١٥١: «الثمرّة - بضم الميم - : من شجر الصلح، والجمع ثمرأه. والمقصود هنا سداة من نايح تحت الشجرة، وهي بيعة الرضوان.

(٥) الأسنة: جمع سنان، وهو نصل الرمح، مختار الصحاح ص ٤٥٦.

(٦) أي: أسرعوا إسماع الفحول، أساس التلاعة ص ١٧٤.

(٧) الفرسخ، ثلاثة أميال، والهيل: ألف باع، وهو في اللغة: منتهى مدّ البصر، والباع: أربعة أذرع، والذراع: أربعة وعشرون أصبعاً، والأصبع: أربع شعيرات بطن ليطن، والشعيرة: ست شعيرات من ذيل بغل.

ولقد قال بعضهم في ذلك شعراً:

إن البيريد من الفراسخ أربع وللفرسخ فثلاث أميال ضموا
والهيل ألف أي من الباعات قل، والباع: أربع أذرع فثنيع =

وروي عن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - ^(١)، قال: لقد رأيت النبي - ﷺ - يومئذ وما معه إلا أبو سفيان بن الحارث، فأتيته حتى أخذت بحكمة ^(٢) بقلته، وكنت رجلاً ضيقاً، فقال رسول الله - ﷺ -: يا عباس! اصرخ: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السُّرة.

فناديت: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السُّرة. قال: فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت إلى أولادها، يقولون: يا ليك! يا ليك!

وروي أنهم عطفوا عطفة البقر على أولادها، قد شرعوا الرُمَاح، حتى إنني لأخاف

- ثم الذراع من الأصابع أربع من بعدها المشرون، ثم لأصبع ست شعيرات فظهر شعيرة منها إلى نطي لأخرى توضع ثم الشعيرة ست شعيرات فقط من ذيل نطي ليس عن ذا مرجع نقلاً عن هامش المطبوعة.

(١) روى قول العباس - رضي الله عنه - هذا:

مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب (٣٨) غزوة حنين، حديث رقم (١٧٧٥) ١٣٩٨/٣ - ١٤٠٠، بلفظ: شهدت مع رسول الله - ﷺ - يوم حنين، فنزلت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، رسول الله - ﷺ -. فلم نفارقه، ورسول الله - ﷺ - على بغلة له بيضاء، أهداها له فزوة من نقاته الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار، ولّى المسلمون مذبرين فقطق رسول الله - ﷺ - يركض بغلته قبل الكفار.

قال عباس: وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله - ﷺ -، أكفها، إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله - ﷺ -، فقال رسول الله - ﷺ -: أي عباس، ناد أصحاب السُّرة. فقال عباس - وكان رجلاً ضيقاً - : فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السُّرة؟ قال: فوالله لكان عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا ليك، يا ليك.

قال: فاقبلوا والكفار، والدعوة في الأنصار، يقولونه: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، قال: ثم قُصرت الدعوت على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج.

فانظر رسول الله - ﷺ - وهو على بغلته كالمتناول عليها إلى قتالهم. فقال رسول الله - ﷺ -: هذا حين خبي الوطيس. قال: ثم أخذ رسول الله - ﷺ - حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال: انهزموا ورب محمد.

قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى خدّهم كثيراً - أي: قوتهم ضعيفة - وأمرهم مذبراً.

وفي رواية، قال: وكأني أنظر إلى النبي - ﷺ - يركض خلفهم على بغلته.

ورواه أيضاً النسائي في كتاب السير، من سننه الكبرى، باب (٥٦) رمي الحصى في وجوه القوم.

(٢) أي بلجام بغلته، كما في رواية مسلم.

على رسول الله - ﷺ - رماحهم، أشد من خوفي رماح المشركين، يؤثرون^(١) الصوت، ويقولون: يا لبيك! يا لبيك!

قال: والتفت رسول الله - ﷺ - يومئذ إلى أبي سفيان بن الحارث، وهو مقنع بالحديد، وهو أخذ بشعر بقلة النبي - ﷺ -، قال: من هذا؟ قال: ابن أمك يا رسول الله. ويقال: إنه قال: أخوك، فذاك أبي وأمي، أبو سفيان بن الحارث^(٢).

فقال رسول الله - ﷺ -: نعم أخي، ناولني حصي من الأرض، فتأوله^(٣)، فرمى بها في وجوه القوم وقال: شأبت الوجوه^(٤)، فمرت كأنها عانة^(٥)، فدخلت في أعينهم كلهم فانهزموا.

وذكر ابن عبد البر بإسناده عن عائشة - رضي الله عنها -، قالت: مر علينا أبو سفيان بن الحارث، فقال لي رسول الله - ﷺ -: هلقي يا عائشة، حتى أريك ابن عمي الشاعر الذي كان يهجونني، أول من يدخل المسجد وآخر من يخرج منه، لا يجاوز طرفه شراك نعله.

وروي أنه كان لا يرفع رأسه إلى النبي - ﷺ - حياة منه^(٦).

وقال عند موته: لا تبكوا علي، فما تنطفت بخطيئة^(٧) منذ أسلمت^(٨).

وبكى على النبي - ﷺ - كثيراً ورثاه، فقال^(٩):

أرقتُ ديات^(١٠) ليلي لا يسزل وليل أخي المصيبة فيه طول

(١) أي: بقصدون.

(٢) من قوله: والتفت رسول الله - ﷺ - يومئذ إلى أبي سفيان... إلى هنا، ليس في رواية مسلم، كما تقدم.

(٣) في رواية مسلم أن النبي - ﷺ - هو الذي أخذ الحصيات. كما تقدم.

(٤) أي: قبحت.

(٥) أي: سحابة.

(٦) ذكر هذا القول الحافظ ابن حجر في الإصابة ٩١/٤ بصيغة التمريض كما هنا، فقال: ويقال: إنه لم يرفع رأسه إلى رسول الله - ﷺ - حياة منه. أ.هـ.

(٧) أي: ما تلطخت بخطيئة، انظر أساس البلاغة ص ٤٦١.

(٨) ذكر هذا القول ابن عبد البر في الاستيعاب ٨٤/٤، بصيغة التمريض، فقال: ويروي عنه أنه لما حضرته الوفاة قال: لا تبكوا علي فإني لم أتطف بخطيئة منذ أسلمت. أ.هـ.

(٩) ذكر هذه الأبيات ابن عبد البر في الاستيعاب ٨٤/٤ - ٨٥.

(١٠) في الاستيعاب ٨٤/٤: ديات.

وَأَسْمَعْنِي^(١) الْبِكَاءَ وَذَاكَ فِيمَا
لَقَدْ عَظُمَتْ مَصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ
فَأُضْحِتْ^(٢) أَرْضُنَا مِمَّا غَرَّاهَا
فَقَذَانَا السَّوْحَى وَالْتَنَزِيلَ فِينَا
وَذَاكَ أَحَقُّ مَا سَأَلْتُ عَلَيْهِ
نَبِيٌّ كَانَ يَجْلُو الشُّكَّ عَنَّا
وَيَهْدِينَا فَلَا يَخْشَى عَلَيْنَا
أَفَاطَمُ إِنْ جَزَعْتَ فِذَاكَ عَذْرُ
فَقَبْرِ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرِ

أَصِيبُ الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ
غَيْبَةُ قَيْلٍ قَدْ قَبِضَ الرَّسُولُ
تَكَادُ بَنَاتُ جَوَانِبِهَا تَمِيلُ
بِرُوحٍ بِهِ وَيَسْعَدُو جِبْرِئِيلُ
نُفُوسُ النَّاسِ أَوْ كَادَتْ تَسِيلُ
بِمَا يُوْحَى إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ
ضَلَالًا وَالرُّسُولُ لَنَا دَلِيلُ^(٣)
وَأَنْ لَمْ تَجْزِعِي فَهِيَ^(٤) السَّبِيلُ
وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ

٤٩ - [توبة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه]^(٥)

وهرب يوم الفتح هُبيرة بن أبي وهب المخزومي زوج أم هانئ بنت أبي طالب،
وعبد الله بن الزبير، إلى نجران. وكانا شاعرين يهجون المسلمين.
ويقال: إن ابن الزبير أشعر شعراء قريش^(٦).
فأرسل حسان بن ثابت أبياتا يريد بها ابن الزبير، أشدنيها ابن أبي الزناد^(٧):

(١) في الاستيعاب ٨٤/٤: فأسمعني.

(٢) في الاستيعاب ٨٥/٤: وَأُضْحِتْ.

(٣) هذا البيت كما في الاستيعاب ٨٥/٤ هكذا:

ويهدينا فلا نخشى ضلالاً علينا والرسول لنا دليل
(٤) في الاستيعاب ٨٥/٤: ذاك، بدل: فهو.

(٥) هو عبد الله بن الزبير - بكسر الزاي والموحدة، وسكون المهمل، بعدها راء مقصورة - بن قيس بن
عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي، أمه عاتكة بنت عبد الله بن عمرو بن وهب، وكان من أشعر
قريش. وكان شديداً على المسلمين، ثم أسلم عام الفتح. بعد أن هرب يوم الفتح إلى نجران،
انظر الإصابة ٣٠٠/٢، والاستيعاب ٣٠٠/٢ - ٣٠٣.

(٦) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣٠١/٢: وقال محمد بن سلام: بمكة شعراء، فأبرعهم شعراً
عبد الله بن الزبير.

قال الزبير: كذلك يقول رواية فريش إنه كان أشعرهم في الجاهلية، وأما ما سقط إلينا من شعره وشعر
ضرار بن الخطاب، فضرار عدي أشعر منه، وأقل سقطاً أهد.
وانظر الإصابة ٣٠٠/٢.

(٧) كذا هنا، أنه أرسل أبياتا إلى ابن الزبير، وهو كذلك في الإصابة ٣٠٠/٢، أن حسان قال في ذلك
أبياتا، وذكر منها البيت الأول، لكن قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣٠١/٢: «رماه حسان بيت
واحد فما زاده عليه، فذكر البيت الأول» أهد.

لَا تَعُدْ مَنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بُغْضَهُ نَجْرَانُ فِي عَيْشٍ أَحَدٌ^(١) لَيْسَ
بَلَيْتٌ قَسَاتُكَ فِي الْحُرُوبِ فَأَلْفَيْتُ خَمَانَةٌ^(٢) جَوْفَاءَ ذَاتٍ وَصُومٌ^(٣)
غَضِبَ الْإِلَهِ عَلَى الزُّبَيْرَى وَابْنِهِ وَعَذَابٌ سَوْءٌ فِي الْحَيَاةِ مُقِيمٌ

فلما جاءه شعر حَنَانٍ تَهَيَّأَ لِلخُرُوجِ . فقال له هُبَيْرَةُ : أَيْنَ تَرِيدُ يَا ابْنَ عَمِّي ؟ قال :
أردت والله محمداً . قال : أتريد أن تُتَّبِعَهُ ؟ قال : إِي وَاللَّهِ . قال هُبَيْرَةُ : يَا لَيْتَ أَنِّي رَافَقْتُ
غَيْرَكَ ! والله مَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُتَّبِعُ مُحَمَّدًا أَبَدًا ؟ .

قال ابن الزُّبَيْرَى : فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَقِيمُ مَعَ بَنِي الْحَارِثِ ابْنِ كَعْبٍ - وَأَتْرَكَ ابْنَ عَمِّي
وَحَيْرَ النَّاسِ وَأَبْرَهُ - وَمَعَ قَوْمِي وَدَارِي ؟ .

فَانْحَدَرَ ابْنُ الزُّبَيْرَى حَتَّى جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا نَظَرَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَيْهِ قَالَ : هَذَا ابْنُ الزُّبَيْرَى ، وَمَعَهُ وَجْهٌ فِيهِ نُورُ الْإِسْلَامِ . فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! شَهِدْتُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ ، لَقَدْ عَادَيْتُكَ وَأُحْبَبْتَ عَلَيْكَ^(٤) ، وَرَكِبْتَ الْبَعِيرَ
وَالْفَرَسَ وَمَشَيْتَ عَلَى قَدَمِي فِي عِدَاوَتِكَ ، ثُمَّ هَرَبْتَ مِنْكَ إِلَى نَجْرَانَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ لَا أَقْرَبَ
الْإِسْلَامَ أَبَدًا ؛ ثُمَّ أَرَادَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِخَيْرٍ ، وَأَلْقَاهُ فِي قَلْبِي وَحْيِهِ إِلَيَّ ، وَذَكَرْتُ مَا كُنْتُ فِيهِ
مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَاتَّبَاعَ مَا لَا يَنْفَعُ ذَا عَقْلٍ ، مِنْ حَجَرٍ يُعْبَدُ وَيُذْبَحُ لَهُ ، لَا يَدْرِي مَنْ يَعْبُدُهُ وَمَنْ
لَا يَعْبُدُهُ .

قال رسول الله ﷺ : وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْإِسْلَامِ ، إِنَّ الْإِسْلَامَ يُحِبُّ مَا كَانَ
قَبْلَهُ .

وقال ابن الزُّبَيْرَى حِينَ اسْلَمَ^(٥) :

مَنْعَ الرُّقَادِ بِلَابِلٍ وَهَمُومٍ وَالسَّلِيلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقي بِهَيْمٍ^(٦)

= وكذا ذكر ابن هشام في سيرته ، الرُّوضُ الْأَنْفُ ١٠٥/٤ حيث قال : وَرَفَى حَنَانُ ابْنَ الزُّبَيْرَى - وَهُوَ
بَنُجْرَانَ - بَيْتَ وَاحِدٍ مَا زَادَهُ عَلَيْهِ ، فَذَكَرَهُ أَحَدٌ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) أَحَدٌ : قَلِيلٌ خَفِيفٌ .

(٢) خَمَانَةٌ : رَخْوَةٌ رَدِيئَةٌ .

(٣) الْوُصُومُ : الْعُيُوبُ .

(٤) أَيِ : جَمَعْتُ النَّاسَ عَلَيْكَ .

(٥) ذَكَرَ هَذَا الشَّعْرَ بِتَمَامِهِ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ (الرُّوضُ الْأَنْفُ) ١٠٥/٤ - ١٠٦ ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ
فِي الْأَسْنِمَاتِ ٣٠٣/٢ - ٣٠٣ . إِلَى قَوْلِهِ : وَبَرِهَانَ الْأَلَهَ عَظِيمٍ وَذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنَ حَجَرٍ بَعْضَهَا فِي
الْإِصَابَةِ ٣٠٠/٢ مِنْ قَوْلِهِ : إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ . . . إِلَى : وَمَخْطِئٌ - هَذَا مُحْرَمٌ .

(٦) قَالَ السَّهْلِيُّ فِي (الرُّوضِ الْأَنْفِ) ١١٦/٤ : وَالْإِعْتِلَاجُ : شِدَّةُ وَقُوعٍ ، وَابْهَيْمٌ : الَّذِي لَيْسَ فِيهِ لَوْنٌ
بِخَالِطٍ لَوْنَهُ أَحَدٌ .

فيه فيت كائني محموم
غيرانة سرج اليمين غشوم^(١)
أسديت^(٢) إذ أنا في الضلال أهيم
سهم. وتأمري بها مخزوم
أمر الغواة وأمرهم مشوم^(٣)
قلبي ومخطيء هذه محروم
ودعت أواصر بيننا وحلوم^(٤)
زلي^(٥) فيك راحم مرحوم
نور أغر وخاتم مخنوم
شرفاً وبرهان الإله عظيم
حق وأنت في العباد جسيم
متقبل في الصالحات كريم
فرغ تمكر في الذرى واروم^(٦)

مما أناني أن أحمد لأمني
يا خير من خملت على أوصالها
إني لمعتذر إليك من الذي
إيام تأمري بأغوى خطية
وأمد أسبب الردى ويقودني
فاليوم آمن بالنسبي محمد
مضب العداوة وانقضت أسبابها
فاغفر^(٧) فدى لك وأندى كلاهما
وعليك من علم^(٨) التليك علامة
أعطاك بعد محبة برهانه
ونقد شهدت بأن دينك صادق
والله يشهد أن أحمد مصطفى
فرغ تفرغ في الذرى من هاشم^(٩)

٥٠ - [توبة هبار بن الأسود رضي الله عنه]^(١٠)

قال الواقدي^(١١): حدثني واقد بن أبي ياسر، عن يزيد بن رومان، قال: قال الزبير بن

(١) قال السهيلي ١١٦/٤: شرح اليدعشوم. الغشوم. التي لا تزوعن وجهها، ويرى: شعوم، وهي: القوة على البرأه.

(٢) أسديت: صنعت، وتكلمت.

(٣) هذا البيت زيادة من سيرة ابن هشام (الروض الأنف) ١٠٦/٤، والإستيعاب لابن عبد البر ٢٠٣/٢. والإصابة لابن حجر ٣٠٠/٢، إلا إن عنده: الهوى، بدل: الردى.

(٤) الأواصر: الروابط، من قرانة، أو راحم أو غير ذلك والحلوم: العقول.

(٥) في الإستيعاب ٣٠٣/٢: فاعف.

(٦) في الإستيعاب ٣٠٣/٢: وأرحم.

(٧) في الإستيعاب ٣٠٣/٢: سعة.

(٨) في سيرة ابن هشام، هذا الشطر من البيت هكذا:

فرم علا بنيانه من هاشم.

(٩) الأروم: الأصول.

(١٠) هو هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي، الأسدي، أمه خافته بنت

عامر بن قرظة القشيرية، كان شديد الأذى للرسول وللمؤمنين قبل إسلامه، ويقال: إنه نكح زينب

بنت رسول الله - ﷺ - لما أرسلها زوجها أبو العاص بن الربيع إلى المدينة فأسقطت، ولهذا كان

رسول الله - ﷺ - يأمر بقتله وهدر دمه.

ثم أسلم - رضي الله عنه - بالجرعانة، وذلك بعد فتح مكة، أنظر الإصابة ٥٦٥/٣ - ٥٦٧.

(١١) هو محمد بن عمر الواقدي. متروك، مع سعة علمه، كما في التقريب ١٩٤/٢.

العوام: ما رأيت رسول الله - ﷺ - ذكر هباراً - يعني ابن الأسود - قط إلا تعيظ عليه، ولا رأيت رسول الله - ﷺ - بعث سرية قط، إلا قال: إن ظفرتم بهبار فاقطعوا يديه ورجليه، ثم اضربوا عنقه. والله لقد كنت أطلبه وأسأل عنه، والله يعلم لو ظفرت به قبل أن يأتي إلى رسول الله - ﷺ - لقتلته. ثم طلع على رسول الله - ﷺ - وأنا جالس، فجعل يعتذر إلى رسول الله - ﷺ .

وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ^(١)، قال: كنت جالساً مع النبي - ﷺ - في أصحابه في مجده منصرفه من الجُمُرَانَةِ^(٢)، فطلع هبار بن الأسود. فلما نظر القوم إليه، قالوا: يا رسول الله! هبار بن الأسود. قال رسول الله - ﷺ : «قد رأيته».

فأراد بعض القوم القيام إليه، فأشار إليه رسول الله - ﷺ - : «أن اجلس». فوقف عليه هبار، فقال: السَّلام عليك يا رسول الله، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، ولقد هربت منك في البلاد فأردت اللُحُوقَ بالأعاجم، ثم ذكرتُ عائِذَتَكَ وَفَضْلَكَ وَبِرَّكَ وَصَفْحَكَ عَمَّنْ جَهِلَ عَلَيْكَ، وَكُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلَ شُرْكَ، فَهَدَانَا اللَّهُ بِكَ، وَأَنْقَذَنَا بِكَ مِنَ الْهَلَكَةِ، فَأَصْفَحَ عَنِّي جَهْلِي وَعَمَّا كَانَ يَبْلُغُكَ مِنِّي، فَإِنِّي مُقِرٌّ بِسَوَاتِي، مُعْتَرِفٌ بِذُنُوبِي.

قال الزبير: وقال: فقد كنتُ موضِعاً في سبِّك وأذاك، وكنتُ مُخَذُّولاً، وقد بَصُرَنِي اللَّهُ وَهَدَانِي لِلْإِسْلَامِ.

قال الزبير: فجعلتُ أنظر إلى رسول الله - ﷺ - وإنه لَيَطَّأُطِيءُ رَأْسَهُ مِمَّا يَعْتَذِرُ هَبَارٌ. وجعل رسول الله - ﷺ - يقول: «قد غَفَوْتُ عَنْكَ، وَالْإِسْلَامُ يُجِبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ».

وكان لِسَبِّ^(٣)، وكان - يعني بعد ذلك - يُسَبُّ حَتَّى يُبْلَغَ مِنْهُ، فَلَا يَنْتَصِفُ. فبلغ رسول الله - ﷺ - حُلُمَهُ وَمَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَذَى، فَقَالَ: «يَا هَبَارُ! سَبِّ مِنْ مَبِّكَ»^(٤).

(١) وهذه القصة مروية من طريق الواقدي، كما ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥٦٦/٣.

(٢) هي موقع فيه ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب.

(٣) أي: سبياً، كما في رواية ابن أبي نجيع، ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥٦٦/٣.

(٤) ذكر هذا الحديث الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥٦٦/٣ عن ابن أبي نجيع مرسلًا، وعن ابن شهاب الزهري مرسلًا، وذكره أيضاً عن الزبير - كما هنا - فيرتقى الحديث، والسبب في إباحته ﷺ السب له، أنه كان رجلاً سيئاً، فعندما أسلم امتنع وانتهى عن السب، ولكن كان البعض لا يتورع عن سبه لما كان منه قبل إسلامه، فسمح له رسول الله - ﷺ - بالرد عليهم، فانتهاوا عن ذلك، والله أعلم.

٥١ - [توبة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه]^(١)

وذكر سعيد بن يحيى الأموي، حدثني أبي، ثنا الأعمش، عن أبي إسحاق السبيعي^(٢)، قال:

لما دخل النبي ﷺ مكة، قال عكرمة: والله لا أسكن أرضاً أرى فيها قتلى أبي الحكم^(٣)؛ فانطلق يركب البحر. وعمد ختته أبو امرأته فأمر زوجته فتعصبت. ثم تلقته، فقالت: أين تذهب يا سيد فتيان قريش؟ تذهب إلى أرض لا تُعَرَفُ بها؟ فأبى أن يطيعها. وعن عبد الله بن الزبير، قال:

لما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة، وأسلمت أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة، في عشرة نسوة من قريش. فأتين رسول الله ﷺ - وهو بالأبطح فبايعته. فدخلن عليه، وعنده: زوجته وابنته فاطمة، ونساء من نساء بني عبد المطلب. فتكلمت هند بنت عتبة، فقالت: يا رسول الله! الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختار لنفسه لتمسني رحمك، يا محمدا! إني امرأة مؤمنة بالله-مصدقة. ثم كشفت عن نقابها، فقالت: هند بنت عتبة.

فقال رسول الله ﷺ: «مرحباً بك».

فقالت: والله، يا رسول الله، ما كان على الأرض أهل خباء أحب إليّ أن يذلوا من خيائك، ولقد أصبحت وما على الأرض من أهل خباء أحب إليّ أن يعزوا من خيائك. فقال رسول الله ﷺ: «وزيادة أبضاً». ثم قرأ رسول الله ﷺ عليهن القرآن وبايعهن^(٤).

ثم قالت أم حكيم امرأة عكرمة: يا رسول الله! قد هرب عكرمة منك إلى اليمن،

(١) هو عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، كان كاليه من أشد الناس على رسول الله ﷺ -، ثم أسلم عكرمة عام الفتح، وخرج إلى المدينة، ثم إلى قتال أهل الردة، ووجهه أبو بكر الصديق إلى جيش نعمان فقتلهم، ثم إلى اليمن، ثم رجع فخرج إلى الجهاد عام وفاته واستشهد، وذكر الطبري أن النبي ﷺ - استعمله على صدقات هوازن عام وفاته، وأنه قتل بأجنادين. وكذا قال الجمهور. وقيل غير ذلك أنظر الإصابة ٤٨٩/٢ - ٤٩٠. والإستيعاب ١٤٨/٣ - ١٥١.

(٢) هذا إسناد فيه إرسال، أبو إسحاق السبيعي، واسمه عمرو بن عبد الله، تابعي ثقة، التزييت ٧٣/٢، فلم يدرك القصة.

(٣) أبو الحكم، هو أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، كان من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ -، قتل في غزوة بدر الكبرى.

(٤) أنظر في توبة هند ومن معها من النساء ومبايعتهن النبي ﷺ - الروص الأنف ١١٤/٤.

وخاف أن تقتله فأمنته. فقال رسول الله ﷺ: هو آمن.

فخرجت أم حكيم في طلبه، فأدركته وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة. فجعل نوتى السفينة يقول له: أخلص. قال: أي شيء أقول؟ قال: قل: لا إله إلا الله. قال عكرمة: ما هربت إلا من هذا.

فجاءت أم حكيم على هذا من الأمر، فجعلت تقول: يا ابن عم! جشك من عند أفضل الناس وأبر الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك؛ وقالت: إني قد استأمنت لك رسول الله - ﷺ -. قال: أنت فعلت؟ قالت: نعم، أنا كلمته فأمنك. فرجع معها.

قال: وجعل عكرمة يطلب امرأته ليجامعها، فتأبى عليه، وتقول: إنك كافر وأنا مسلمة. فيقول: إن أمراً منعك مني لأمر كبير.

فلما رأى النبي - ﷺ - عكرمة وثب إليه، ومسا على النبي - ﷺ - رداء، فرحاً بعكرمة^(١). ثم جلس رسول الله - ﷺ - فوقف عكرمة بين يديه ومعه امرأته متنبئة. ثم قال عكرمة: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فسر بذلك رسول الله - ﷺ - ثم قال: يا رسول الله! علمني خير شيء أقوله. فقال: «تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

فقال عكرمة: ثم ماذا؟ قال رسول الله - ﷺ -: «تقول: أشهد الله وأشهد من حضر أنني مسلم مهاجر». فقال عكرمة ذلك.

فقال رسول الله ﷺ: «لا تسألني اليوم شيئاً أعطيه أحداً إلا أعطيتكه». فقال عكرمة: فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو مسير أوضعت فيه، أو مقام لقيتك فيه، أو كلام قلته في وجهك، أو أنت غائب عنه. فقال رسول الله - ﷺ -: «اللهم اغفر له كل عداوة عاديتها، وكل مسير سار فيه إلي موضعاً يريد بذلك المسير إطفاء نورك، واغفر له كل ما نال مني من عرضي في وجهي أو وأنا غائب عنه».

فقال عكرمة: رضيت يا رسول الله! أما والله، يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أتفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتال كنت أقاتل في صد عن

(١) نوتى السفينة: ملاحها.

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤٩٠/٢: «له - أي لعكرمة - عند الترمذي حديث، من طريق مصعب بن سعد، عنه، قال: قال النبي - ﷺ - يوم جثه: مرحباً مرحباً بالرتب المهاجر، وهو منقطع لأن مصعباً لم يدركه أحد».

(٢) روى قصة إسلام عكرمة، انداوقظني، والحاكم - وابن مردويه، وغيرهم، انظر الإصابة ٤٩٠/٢.

سبيل الله إلا أُبْلِيتْ ضعفه في سبيل الله. ثُمَّ أُجْتَهِدَ فِي الْقِتَالِ حَتَّى أُقْتَلَ. قال: فما زال يقاتل في سبيل الله حتى قُتِلَ رحمه الله^(١).

وروي^(٢) أنه لما كان يوم اليرموك ترَجَّلَ عكرمة، فقال له خالد^(٣): لا تفعل، فإن مصابك على المسلمين شديد. فقال: دعني يا خالد، فإنه كانت لك سابقة مع رسول الله - ﷺ - . ثُمَّ قَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى قُتِلَ، فَوُجِدَ بِهِ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ مِنْ بَيْنِ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمِيَةٍ.

وقال عبد الله بن مصعب: استشهد يوم اليرموك الحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو. فَأَتَوْا بِمَاءٍ وَهُمْ صَرَخَى، فَتَدَافَعُوهُ. كُلَّمَا دُفِعَ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ قَالَ: إِنْ شِئِي فَلَانًا، حَتَّى مَاتُوا وَلَمْ يَشْرِبُوهُ.

قال: طلب الماء عكرمة، فنظر إلى سُهَيْل ينظر إليه، فقال: إُدْفِعْهُ إِلَيْهِ، فنظر إلى الحارث يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فقال: إُدْفِعْهُ إِلَيْهِ. فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ، حَتَّى مَاتُوا، رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ^(٤).

٥٢ - [توبة سُهَيْل بن عمرو^(٥)، والحارث بن هشام رضي الله عنهما^(٦)]

وَيُرَوَّى عَنِ الْحَسَنِ^(٧)، قَالَ: حَضَرَ النَّاسُ بِأَبِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ

(١) روي: بصيغة التحريض، وذلك لأن عكرمة توفي في أجنادين في خلافة أبي بكر كما عليه الجمهور، وليس في معركة اليرموك.

(٢) هو الصحابي الجليل: خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، سيف الله المسلول - رضي الله تعالى عنه - .

(٣) ذكر هذه القصة ابن عبد البر في الاستيعاب ١٥٠/٣ - ١٥١، ثم قال: قال محمد بن سعد: ذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر، فأنكره وقال: هذا وهم، روي عن أصحابنا من أهل العلم والسياسة أن عكرمة بن أبي جهل قتل يوم أجنادين شهيداً في خلافة أبي بكر، لا خلاف بينهم في ذلك. أهد.

(٤) هو سهل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري، خطيب قریش، أبو زيد، سكن مكة، ثم المدينة، ثم نزل الشام وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية، وكلامه ومراجعته للنبي - ﷺ - في ذلك في الصحيحين وغيرهما، مات - رضي الله عنه - بالطاعون سنة ثمان عشرة في الشام، ويقال: قتل باليرموك، وقيل خليقة: بمرج الصفر، والأول أكثر. أنظر الإصابة ٩٢/٢ - ٩٣، والاستيعاب ١٠٧/٢ - ١١١.

(٥) هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله المخزومي القرشي، أبو عبد الرحمن، أخو أبي جهل، وابن عم خالد بن الوليد، وأمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام، شهد بدرًا وأحدًا مع المشركين حتى أسلم يوم فتح مكة، ثم حسن إسلامه، وكان من المؤلفة. ثم خرج بأهله وماله إلى الشام مجاهداً حتى مات شهيداً بطاعون عموس، وقال المدائني: استشهد يوم اليرموك، وكذا ذكره ابن سعد عن حبيب بن أبي ثابت.

أنظر الإصابة ٢٩٣/١ - ٢٩٤، والاستيعاب ٣٠٧/١ - ٣١١.

(٦) هو البصري، وقد ذكر هذه القصة ابن عبد البر في الاستيعاب ١٠٩/٢ - ١١٠ فقال: وروي ابن =

عنه - وفيهم سهيل بن عمرو، وأبو سفيان بن الحارث، وأولئك الشيوخ. فخرج أذنه، فجعل يأذن لأهل بدرٍ لصهيب وبلال وأهل بدر، وكان يحبهم وكان قد أوصى بهم. فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم، إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا.

فقال سهيل - قال الحسن: وما له من رجل ما كان أعقله - : أيها القوم! قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غصباً فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القوم ودُعيتهم، فأسرعوا وأبطأتم، أما والله أما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فؤتاً من بابكم هذا الذي تتنافسون عليه، أيها القوم! إن هؤلاء قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل لكم إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى أن يرزقكم الله الشهادة. ثم نفص ثوبه فقام، فلحق بالشام.

وخرج بأهله إلا بنته هنداً. فماتوا كلهم إلا هنداً، وفاجئة بنت عتبة بن سهيل. وقتل سهيل شهيداً باليرموك.

فقدّم بفاخنة على عمر. - وكان الحارث بن هشام خرج بأهله فلم يرجع منهم إلا ولده عبد الرحمن. - فقال عمر: زوجوا الشريد الشريفة^(١).

وأقطعهما عمر بالمدينة خطبة^(٢) وأوسع لهما. فقيل له: أكثرت لهما. فقال: عسى الله أن ينشر منهما ولداً كثيراً رجالاً ونساءً. فولد لهما: أبو بكر وعمر وعثمان وعكرمة وخالد ومخلد.

فأبو بكر أحد الفقهاء السبعة، فقهاء المدينة، وكان يدعى: راهب قریش.

وروى ابن المبارك^(٣)، عن الأسود بن شيبان، عن [أبي] نوفل بن أبي عقرب^(٤)،

= المبارك. قال: أنبأنا جرير بن حازم. قال: سمعت الحسن يقول: حضر الناس. فذكره وذكر - أيضاً - قصة أخرى أنظرها ١١٠/٢.

(١) ذكر قصة ترويح عمر عبد الرحمن من فاختة، ابن عبد البر في الاستيعاب ١١٠/٢ - ١١١ في ترجمة سهيل بن عمرو، وابن حجر في الإصابة ٢٩٣/١ في ترجمة الحارث بن هشام.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٣٤٤: والخطة - بالكسر - : الأرض التي يحفظها الرجل لنفسه. وهو أن يعتنم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها تبينها داراً، ومنه خطط الكوفة والبصرة، أهد.

(٣) ذكر هذه القصة بشماها عن ابن المبارك، ابن عبد البر في الاستيعاب ٣١٠/١، وأشار إليها الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢٩٣/١.

(٤) في المطبوعة: عن نوفل بن أبي عقرب، وهو خطأ، والتصويب من الاستيعاب ٣١٠/١، وهو أبو نوفل بن أبي عقرب الكنتاني، القريشي، اسمه: مسلم، وقيل: عمرو بن مسلم، وقيل: معاوية بن =

قال: خرج الحارث بن هشام من مكة، فجزع أهل مكة جزعاً شديداً. فلم يبق أحد يطعم الطعام إلا خرج معه يشبعه، حتى إذا كان بأعلى البطحاء، أو حيث شاء الله من ذلك، وقف ووقف الناس. فقال: يا أيها الناس! إني والله ما خرجت رغبةً بنفسي عن أنفسكم، ولا اختياراً بلدي على بلدكم، ولكن كان هذا الأمر^(١)، فخرجت فيه رجال من قريش^(٢)، والله ما كانوا من ذوي أنسابها ولا في بيوتها، فأصبحنا والله ولو أن جبال مكة ذهباً أنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوماً من أيامهم، والله لئن فاتونا في الدنيا لَنَلْتَمَسَنَّ أن نشاركهم في الآخرة، فاتقوا الله امرؤ^(٣). فتوجه إلى الشام وأتبعه ثقله^(٤)، فيقال: إنه قُتل يوم اليرموك رحمه الله.

٥٣ - [توبة الأنصار رضي الله عنهم]

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النعمان، قال: أنا أبو طالب عبد القادر بن محمد اليوسفي، أنا أبو علي بن المذهب، أنا أبو بكر القطيعي، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا أبي، ثنا عارم، ثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يقول: ثنا السَّمِيطُ السُّدُوسِي^(٥)، عن أنس بن مالك، قال:

فتحنا مكةَ ثُمَّ إِنَّا غَزَوْنَا حُنَيْنًا، فجاء المشركون بأحسن صفوف رُئُوثٍ أَوْ رَائِثٍ. قال: فلم نلبث أن انكشفَت خيلُنا وفَرَّت الأعرابُ ومن نعلم من الناس.

قال: فتأدى رسول الله - ﷺ - : يَا لِّلْمُهَاجِرِينَ! يَا لِّلْمُهَاجِرِينَ! يَا لِّلْأَنْصَارِ! يَا لِّلْأَنْصَارِ! قال: قلنا: لبيك، يا رسول الله.

قال: فتقدم رسول الله ﷺ. قال: وإيَّ الله ما أتيناكم حتى هزمهم الله.

قال: فقبضنا ذلك المال. قال: فنزلنا، فجعل رسول الله - ﷺ - يعطي الرجل المائة، ويعطي الرجل [المائة]^(٦).

= مسلم، تابعي ثقة، التقريب ٤٨٢/٢.

(١) يعني: الإسلام.

(٢) يعني: أسلمت وهاجرت.

(٣) في الاستيعاب ٣١٠/١: فاتقوا الله امرؤ ففعل.

(٤) أي: أهله، وفي الاستيعاب ٣١٠/١ بعدها: فأصيب شهيداً - رحمه الله - .

(٥) هو: سَمِيطُ بْنُ عُمَيْرٍ، ويقال: سمير، السدوسي البصري، أبو عبد الله، تابعي، التقريب ٣٣٤/١.

وهذا الحديث رواه عنه مسلم في صحيحه، والناسي في كتاب البر من منه الكبرى، كما في

التحفة ٢٣٦/١

والحديث متفق عليه من غير طريقه، وميأتي تخريجه آخر الحديث.

(٦) ما بين القوسين زيادة من مسند أحمد ١٥٧/٣، وانظر ما سيأتي في تخريج هذا الحديث للأهمية.

قال: فتحدثت الأنصار بينها: أما من قاتله فيعطيه، وأما من لم يقاتله فلا يعطيه.
 قال: فرفع الحديث إلى رسول الله - ﷺ - ، فأمر براءة المهاجرين^(١) والأنصار أن يدخلوا
 عليه، ثم قال: «لا يدخلن علي إلا أنصاري». قال: فدخلنا حتى ملأنا القبة.
 فقال نبي الله ﷺ: «يا معشر الأنصار! ما حديث أُناني؟» قالوا: ما أُنأك يا رسول
 الله؟ قال: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه
 بيوتكم؟» قالوا: رضينا يا رسول الله. فقال رسول الله - ﷺ - : «لو أخذ الناس شِعْباً
 وأخذت الأنصار شِعْباً لأخذت شِعْب الأنصار» قالوا: رضينا يا رسول الله^(٢).

(١) براءة المهاجرين، أي: ذوي اليسار منهم، أي: الأغنياء.
 (٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٥٢/٨: «قوله: شِعْب الأنصار، بكر الشين المعجمة، وهو
 اسم لما انفرج بين جبلين، وقيل: الطريق في الجبل، وأراد - ﷺ - بهذا... التنبيه على جزيل ما
 حصل لهم من ثواب النصرة، وانفاعة بالله ورسوله عن الدنيا، ومن هذا وصفه فحَقَّ أن يسلك
 طريقه، ويتبع حاله أهد».

(٣) للحديث طرق عن أنس، فرواه من طريق الشُّيْط بن عمير:
 أحمد في المسند ١٥٧/٣ - ١٥٨ وفيه زيادات واختلاف عن هذا اللفظ لم أنه عليها لكثرتها، فانظر
 المسند.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وتصيّر من قوي إيمانه،
 حديث الكتاب رقم (١٣٦) ٧٣٦/٢ - ٧٣٧.

والنسائي في كتاب أنس، من سننه الكبرى، كما في تحفة الأشراف ٢٣٦/١.
 - ورواه من طريق الزهري، عن أنس به نحوه:

البخاري في كتاب فرض الخمس، باب (١٩) ما كان النبي - ﷺ - يُعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من
 الخمس ونحوه، حديث رقم (٣١٤٧) ٢٥٠/٦ - ٢٥١.

وفي كتاب المغازي، باب (٥٦) حديث رقم (٤٣٣١) ٥٢/٨ - ٥٣.

وفي كتاب اللباس، باب (٤٢) القبة الحمراء من آدم، حديث رقم (٥٨٦٠) ٣١٣/١٠، ببعضه: أرسل
 النبي - ﷺ - إلى الأنصار وجمعهم في قبة من آدم.

وفي كتاب التوحيد، باب (٢٤) قول الله تعالى: «وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَظَرَةٌ»، حديث رقم
 (٧٤٤١) ٤٢٣/١٣، ببعضه: أن رسول الله - ﷺ - أرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة، وقال لهم:
 اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإني على الحوض.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلفة قلوبهم حديث رقم (١٠٥٩)، حديث الكتاب رقم
 (١٣٢) ٧٣٣/٢ - ٧٣٤.

والنسائي في كتاب المناقب، وفي كتاب التفسير من سننه الكبرى، كما في التحفة ٣٨٣/١.
 - ورواه في قتادة عن أنس به:

البخاري في كتاب فرض الخمس، باب (١٩) ما كان النبي - ﷺ - يُعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من
 فرض الخمس ونحوه، حديث رقم (٣١٤٦) ٢٥٠/٦، ببعضه: إني أعطيت قريشاً أنألفهم، لأنهم =

ورَوَى هذا الحديث محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص، قال: حَدَّثَنِي أَبُو سلمة بن عبد الرحمن وغيره^(١)، قال: بلغ النبي - ﷺ - أن الأنصار قد قالت^(٢).

= حديث عهد بجاهلية.

وفي كتاب المناقب، باب (١٤) ابن أخت القوم منهم، ومولى القوم منهم حديث رقم (٣٥٢٨) ٥٥٢/٦ يعضه.

وفي كتاب المغازي، باب (٥٦)، حديث رقم (٤٣٣٤) ٥٣/٨ يعضه.

وفي كتاب الفرائض، باب (٢٤) مولى القوم من أنفسهم، وابن الأخت منهم، حديث رقم (٦٧٦٢) ٤٨/١٢، يعضه: ابن أخت القوم منهم، أو من أنفسهم.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلف قلوبهم...، حديث الكتاب رقم (١٣٣) ٧٢٥/٢ مختصراً.

والترمذي في كتاب المناقب، باب (٦٦) في فضل الأنصار وفريش، حديث رقم (٣٩٠١) ٧١٢/٥ - ٧١٣ مختصراً.

وأحمد في المسند ١٧٢/٣ - ٢٧٥.

- ورواه من طريق أبي الثَّيَّاح يزيد بن حُنيْد، عن أنس به:

البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب (١) مناقب الأنصار، حديث رقم (٣٧٧٨) ١١٠/٧ مختصراً.

وفي كتاب المغازي، باب (٥٦) غزوة الطائف، حديث رقم (٤٣٣٢) ٥٣/٨ يعضه.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلف قلوبهم، حديث الكتاب رقم (١٣٤) ٧٣٥/٢ مختصراً.

وأحمد في المسند ١٦٩/٣ - ٢٤٩.

- ورواه من طريق هشام بن زيد، عن أنس به:

البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب (٨) قول النبي - ﷺ - للأنصار: اصبروا حتى نلقوني على الحوض حديث رقم (٣٧٩٢) ١١٧/٧ يعضه.

وفي كتاب المغازي، باب (٥٦) غزوة الطائف، حديث رقم (٤٣٣٣ و ٤٣٣٧) ٥٣/٨ - ٥٤ مختصراً.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلف قلوبهم، حديث الكتاب رقم (١٣٥) ٧٣٥/٢ - ٧٣٦ وأحمد في المسند ٢٨٠/٣.

- ورواه من طريق حميد عن أنس:

أحمد في المسند ١٨٨/٣ - ٢٠١.

- ورواه من طريق ثابت، عن أنس:

أحمد في المسند ٢٤٦/٣.

(١) هذا إسناده فيه إرسال، فأبو سلمة بن عبد الرحمن تابعي ولم يدرك القصة.

لكن الحديث رواه موصولاً من طريق عباد بن تميم، عن عبد الله بن زيد بن عاصم:

البخاري في كتاب المغازي، باب (٥٦) غزوة الطائف، حديث رقم (٤٣٣٠) ٤٧/٨، بلفظ: لما أفاء الله على رسول الله - ﷺ - يوم حُنين قسم في الناس المؤلف قلوبهم، ولم يُعطِ الأنصار شيئاً، =

قال: فدخلوا عليه، فقال لهم: ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي؟ قالوا: بلى.
قال: ألم أجدكم عالةً فأغناكم الله بي؟ قالوا: بلى. قال: ألم أجدكم أعداءً فألّف الله بين
قلوبكم بي؟ قالوا: بلى.

قال: أما إنكم لو شئتم قلّتم فضدّقتُم: جئنا طريداً فأويناك. قالوا: الله ورسوله
أمرن. قال: ولو شئتم قلّتم: قد جئنا مخذولاً فنصرناك. قالوا: الله ورسوله أمرن. قال: ولو
شئتم قلّتم: جئنا عاثلاً فأسيناك، قالوا: الله ورسوله أمرن.

قال: أفلا ترضون أن ينقلب الناس بالشاة والبعير، وتقلبون برسول الله إلى
رجالكم؟ قالوا: بلى، رضينا. قال: ولو أنّ الناس سلكوا وادياً أو شِعْباً لسلكت وادي
الأنصار وشِعْبهم، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، الناس دثار والأنصار شعار.

٥٤ - [توبة أبي محجن الثقفي رضي الله عنه]^(١)

أخبرنا الرئيس العالم الأديب أبو العزّ محمد بن محمد بن مواهب بن الخراساني^(٢)،

= فكانهم وجدوا إذ لم يُصِهم ما أصاب الناس، فحظيهم، فقال: يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلّالاً
فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرّقين فألّفكم الله بي؟ وعالةً فأغناكم الله بي؟ كلما قال شيئاً، قالوا: الله
ورسوله أمرن، قال: ما يمنعكم أن تحببوا رسول الله - ﷺ -؟ قال: كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله
أمرن، قال: لو شئتم قلّتم: جئنا كذا وكذا، ألا ترضون أن يدعب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون
بالنبي - ﷺ - إلى رحلتكم؟

لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشِعْباً لسلكت وادي الأنصار وشِعْبها
الأنصار شعار، والناس دثار. إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض.

وفي كتاب التحي، باب (٩) ما يجوز في اللو، حديث رقم (٧٣٤٥) ٢٢٥/١٣ ببعضه من آخره.
ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) أعطاه المولفة قلوبهم حديث رقم (١٠٦١). حديث الكتاب رقم
(١٣٩)، ٧٣٨/٢ - ٧٣٩.

(٢) أي: تكلمت في امر القصة.

(١) هو أبو محجن الثقفي، الشاعر المشهور، مختلف في اسمه، فقيل: هو عمرو بن حبيب، وقيل:
اسمه كتيه، وكنيته أبو عبيد، وقيل: اسمه مالك، وقيل: اسمه عبدالله، وأمه كنود بنت عبدالله بن
عبد شمس، قال أبو أحمد الحاكم، له صحيفة، أسلم يوم أسلمت غيف، وكان من الشجعان
الأبطال في الجاهلية والإسلام، من أولي البأس والنجدة، ومن العرسان إليهم، وكان شاعراً مطبوعاً
كريماً.

قيل: إنه مات بأذربيجان، وقيل: بجرجان. أنظر الإصابة ١٧٣/٤ - ١٧٥. والإستيعاب
١٨١/٤ - ١٨٧.

(٢) هو محمد بن محمد بن مواهب بن البغدادي، المعروف بابن الخراساني، أديب، شاعر، كاتب،
نحوي، عروضي سمع من ابن نيهان وغيره، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي، ولد سنة =

قال: أنا أبو غالب محمد بن بن عبد الواحد القَرَازي، أنا أبو الحسن علي بن عمر البرمكي، وأبو الحسين بن النُفُور، قالوا: أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المُخَلَّص، أنا أبو بكر أحمد بن عبد الله بن سيف، أنا أبو عبيدة السري بن يحيى، أنا شعيب بن إبراهيم، قال: أنا سيف بن عمر التميمي، عن محمد وطلحة وابن مخرق وزباد، قالوا:

لَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ بِالْأَوْدَاءِ - يعني في القادسية - وكان أبو محجن قد حُبِسَ وَقِيدَ فَهُوَ

- (٤٩٤) هـ، وتوفي في رمضان سنة (٥٧٦) هـ. من آثاره: ديوان شعر في خمسة عشر مجلداً، ومصنف في العروض.
- أنظر ترجمته في شذرات الذهب ٢٥٧/٤ - ٢٥٨. وميزان الاعتدال ٣١/٤، ولسان الميزان ٣٧٠/٥ - ٣٧١. ومعجم المؤلفين ٢٠٤/٦.
- (١) القَرَازي: بفتح القاف، وتشديد الزاي. وبعد الألف زاي ثانية. هذه السببة إلى بيع القَرَ وعمله واشتهر بها كثير. الباب ٣/٣.
- (٢) قال في الباب ١٤٢/١ - ١٤٣ هـ البرمكي: بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء، وفتح الميم، وفي آخرها الكاف. هذه النسبة إلى اسم وموضع.
- أما الاسم فهم أولاد أبي علي يحيى بن خثد بن برمك، وفيهم كثرة.
- وأما الموضع فالمنسب إليه: أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي البغدادي. كان سلفه قديماً يسكنون محلة ببغداد تعرف بالبرامكة. وقيل: بل كانوا يسكنون قرية تسمى البرمكية، فنسبوا إليها.
- وأخوه أبو العباس أحمد بن عمر البرمكي.
- وأخوهما أبو الحسن - وهو الراوي هنا - علي بن عمر البرمكي: كان أصغر الثلاثة، وكان يتنفعه على مذهب الشافعي على أبي حامد الأسفرائيني، أ هـ.
- (٣) قال في الباب ١٨١/٣: المُخَلَّص: بضم الميم، وفتح الخاء وكسر اللام المشددة، وفي آخرها صاد. هذا يقال لمن يخلّص الذهب من الغش ويفصل بينهما، واشتهر بذلك أبو طاهر - وهو الراوي عند المصنف - محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا المخَلَّص، ببغدادي مكثرتة صالح، سمع أبا بكر بن أبي داود، وأبا القاسم البغوي، وأبا محمد بن صاعد وغيرهم، روى عنه أبو بكر البرقاني، وأبو القاسم الأزهري، وأبو محمد الحلال، وأبو الحسين بن النُفُور، وخلق كثير، آخرهم الشريف أبو نصر الزيني.
- وكانت ولادته سنة خمس وثلاثمائة. وأول سماعه في دي القعدة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، ومات في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة أ هـ.
- (٤) هو سيف بن عمر التميمي، صاحب كتاب الردة، ويقال له: الطيبي، ويقال غير ذلك، الكوفي، ضعيف في الحديث، مُعْتَمَد في التاريخ أفحش ابن حبان القول فيه، من صغار تابع التابعين، مات في زمن الرشيد، التفریب ٣٤٤/١.
- وهذه الرواية من التاريخ، والله أعلم.
- (٥) أي: بأرض السواد، وهي العراق.

في القصر، فأتى سلمى بنت حفصة امرأة سعد^(١)، فقال: يا بنت آل حفصة! هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تُخلين عني وتُغيرينني البلقاء^(٢)، فله علي إن سلمني الله أن أرجع حتى أضع رجلي في قيدي، وإن أصبت فما أكثر من أقلت. فقالت: ما أنا وذاك؟ فرجع يرمف في قيوده^(٣)، ويقول:

كَفَى حُزْنًا أَنْ تُرَدِّي^(٤) الْخَيْلُ بِالْقَنَا
إِذَا قُمْتُ عَنْأَنِي^(٥) الْحَسِيدُ وَغَلَقْتُ
وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَاخْوَةَ
وَلِلَّهِ عَهْدٌ لَا أَخِيْسُ^(٦) بَعْدَهُ
وَأَتْرَكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا
مَصَارِيْعُ دُونِي قَدْ تَصَيَّمُ الْمُنَادِيَا
فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَخَالِيَا^(٧)
لِئِنْ فُرِّجَتْ أَنْ لَا أَزُورَ الْحَوَانِيَا^(٨)
فَقَالَتْ سلمى: إني استخرت الله، ورضيت بعهدك. فاطلقت.

فاقتاد الفرس، فأخرجها من باب القصر فركبها، ثم دب عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفيين. ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة، فكبر على ميمنة القوم يلعب بين الصفيين برمحه وسلاحه.

(١) أي: امرأة سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أبو إسحاق، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من رمى سهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة، مات بالعقيق، سنة خمس وخمسين على المشهور، وهو آخر العشرة وفاة، التقريب ٢٩٠/٢.

(٢) البلقاء: اسم فرس سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -.

(٣) أي: مؤثوقاً مقيداً بها، انظر أساس البلاغة ص ١٦٢.

(٤) في الإصابة ١٧٣/٤ والاستيعاب ١٨٣/٤: تتردى.

(٥) أي: ذلني وأخضعني، قال في مختار الصحاح ص ٥٢٩: وعنا: خضع وذل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾، والعاني: الأسير، أهد.

(٦) في الاستيعاب ١٨٣/٤ بعد هذا البيت قال:

وَقَدْ شَرَّ جَسْمِي أَنِّي كُلَّ شَارِبٍ
فَلِلَّهِ دَرِّي يَوْمَ أَتْرَكَ مَوْثِقًا
حِينًا عَنِ الْحَرْبِ الْعَوَانِ وَقَدْ يَدَّتْ
ثُمَّ قَالَ: وَلِلَّهِ عَهْدٌ...

(٧) أي: لا أنقض عهده.

(٨) الحواني: جمع حانية، وهو المكان الذي يتخذ للنهر وشرب الخمر.

وفي الاستيعاب ١٨٣/٤: الحواليا، والمعنى: لا أزور ولا أذهب إلى ما كنت أذهب إليه في الأيام الخالية السابقة. والله أعلم.

ثم رجع خلف المسلمين إلى القلب فبدر أمام الناس فحمل على القوم يلعب بين الصَّغِيرِينَ برمح وسلاحه. وكان يقصف الناس لِيَلْتَمِذَ قَصْفاً منكراً، وتعجب الناس منه، ولم يعرفونه ولم يروه من النهار.

فقال بعضهم: أوائل أصحاب هاشم، أو هاشم نفسه. وقال بعضهم: إن كان الخضر يشهد الحروب فنظن صاحب البلقاء الخضر^(١). وقال بعضهم: والله لولا أن الملائكة لا تباشر، لقلت: ملكاً بيتاً. ولا يذكره الناس ولا يأتون لأنه بات في محبسه. وجعل سعد يقول: والله لولا محبس أبي محجن لقلت: إن هذا أبو محجن، وهذه البلقاء.

فلما انتصف الليل تحاجز الناس وتراجع المسلمون. وأقبل أبو محجن حتى دخل

(١) هذا كلام فيه مقال، إذا أن موضع الخضر لم يكن مطروحاً في عهد الصحابة والتابعين، كما أن كل من ذكر قصة أبي محجن لم يذكر هذا التأويل الباطل، وبيان ذلك ما ذكره ابن القيم. قال الإمام ابن قيم الجوزية في المنار المنيف ص ٦٧ - ٧١: «الأحاديث التي يذكّر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد». ثم ذكر بعض تلك الأحاديث. ثم قال: سئل إبراهيم الحربي عن تعمير الخضر وأنه باق؟ فقال: من أحال على غائب لم يتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان. وسئل البخاري عن الخضر وإلياس، هل هما أحياء؟ فقال: كيف يكون هذا؟! وقد قال النبي - ﷺ -: لا يبقى على رأس مائة سنة من هو اليوم على ظهر الأرض أحد. [متفق عليه]. وسئل عن ذلك كثير غيرهما من الأئمة فقالوا: «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مِتَ فهم الخالدون».

وسئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ، فقال: لو كان الخضر حياً لوجب عليه أن يأتي النبي - ﷺ - ، ويجاهد بين يديه، ويتعلم منه، وقد قال النبي - ﷺ - : يوم بدر: اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض [رواه مسلم بنحوه]، وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، فأين كان الخضر حينئذ؟ قال أبو الفرج بن الجوزي: والدليل على أن الخضر ليس بباق في الدنيا أربعة أشياء: القرآن، والسنة، وأجماع المحققين من العلماء والمفسرين... أهـ. ثم ذكر بيان ذلك مفصلاً، ليس هاهنا موضع يسطها، ولكن ذكرنا بعض ما جاء في هذا الأمر لبيان الحق، ونصحاً للمسلمين.

وكما هو معلوم أن هناك اختلافاً في هذا الأمر، لكن ما ذكرناه هو الراجح في هذه المسألة، وهو الذي عليه أهل التحقيق من العلماء، منهم البخاري، والمعاري، وعلي بن موسى الرضا، والحسين بن المنادي، وأبو يعقوب القاسمي وابن تيمية، وابن الجوزي، وابن كثير، وابن القيم، وغيرهم كثير من كبار العلماء، وبكفي أن الإمام البخاري قال ذلك. وأنظر في هذه المسألة البداية والنهاية لابن كثير ١/٣٢٥ - ٣٣٧، والإصابة ١/٤٢٨ - ٤٤٨، وعجالة المنتظر في شرح حال الخضر لابن الجوزي، والمنار المنيف ص ٦٧ - ٧٦.

من حيث خرج، فوضع عن نفسه ودابته وأعاد رجله في قيده.

وذكر عبد الرزاق^(١) قال: وأخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين^(٢)، قال: كان أبو محجن الثقفي لا يزال يُجلد في الخمر، فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه.

فلما كان يوم القادسية فكانه رأى أن المشركين قد أصابوا في المسلمين. فأرسل إلى أم ولد سعد، أو امرأة سعد: إن أبا محجن يقول لك: إن خلّيت سبيله وحملته على هذا الفرس، ودفعته إليه سلاحاً، ليكون أول من يرجع إليك إلا أن يقتل.

وانشأ يقول:

كفى حزنًا أن نلتقي الخيل بالنعنا وأترك مشدوداً عليّ وثاقنا
إذا قمّت عنائي الحديدُ وغُلقتُ مصاريحُ من دوني تصمُ المنادينا
فحلّت عنه قيوده، وحمل على فرس كان في الذار، وأعطني سلاحاً.

ثم خرج يركض حتى لحق بالقوم، فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله ويدقّ صلبه. فنظر إليه سعد فجعل يتعجب، ويقول: من ذاك الفارس؟

قال: فلم يلبثوا إلا بسيراً حتى هزمهم الله. ورجع أبو محجن وردّ أسلّاح، وجعل رجله في القيود كما كان.

فجاء سعد، فقالت له امرأته: كيف كان قتالكم؟ فجعل يخبرها، ويقول: لقينا ولقينا، حتى بعث الله رجلاً على فرس أبلق^(٣)، لولا أنّي تركت أبا محجن في القيود لقلت: إنها بعض شمائل^(٤) أبي محجن.

فقالت: والله إنه لأبو محجن، كان من أمره كذا وكذا. فقصّت عليه قصته.

فدعا به، فحلّ قيوده، وقال: لا نجلدك على الخمر أبداً^(٥). قال أبو محجن: وأنا

(١) في مصنفه، في كتاب الحدود. بسبب من جدّ من الصحابة في الخمر، كما في الإسماعيل (١٨٣/٤ - ١٨٤).

(٢) وهذا إسناد صحيح عن ابن سيرين، كما قال الحفاظ ابن حجر في الإصابة ١٧٤/٤. وابن سيرين، هو محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة، البصري، ثقة ثبت عابد، كبير القدر. كان لا يرى الرواية بالمعنى، من كبار التابعين، مات سنة عشر ومائة، التقريب ١٦٩/٢.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٣١١: أبلق، أبلق. سواد وبياض ولها التلقة - بالضم -، يقال: فرس أبلق، وفرس بلقاء أهد.

(٤) أي: طبائع وخصال أبي محجن، انظر مختار الصحاح ص ٣٦٨.

(٥) قال في الإصابة ١٧٥/٤: «وأنكر ابن فتحون قول من روى أن سعداً أبطل عنه الحد، وقال: لا يُظن هذا بسعد، ثم قال: لكن له وجه حسن، ولم يذكره، وكأنه أراد أن سعداً أراد بقوله لا يجلدني في =

والله لا أشربها أبداً، كنت أنف أن أدعها من أجل جلدكم.

قال: فلم يشربها بعد ذلك^(١).

وقيل: قال أبو محجن: قد كنت أشربها إذ ينام علي الحد وأظهر منها، فأما إذ يهزجتي^(٢)، فوالله لا أشربها أبداً^(٣).

وكان أبو محجن أسلم حين أسلمت ثقيف^(٤). وسمع من النبي - ﷺ - وروى عنه^(٥). واسمه مالك، وقيل: عبد الله بن حبيب، وقيل: اسمه كنيته^(٦).

٥٥ - [توبة طلحة بن خويلد رضي الله عنه]^(٧)

أخبرنا أبو منصور جعفر بن عبد الله بن الدأمناني، أنا أبو الحسين المبارك بن

الحمز، بشرط أصمره، وهو: أن ثبت عليه أنه شربها، فوفقه الله أن تاب توبة بصوحاً، فلم يعد إليها كما في بقية القصة: أهد.

(١) قال في الاستيعاب ١٨٥/٤: «وروى ابن الأعرابي، عن المفصل الضبي، قال: قال أبو محجن في تركه الحمز:

رايت الخمر سالحة وفيها مشاب تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها حياتي ولا أشفى بها أبداً سقيماً.
وأشد غيره هذه الأبيات لقيس بن عاصم أهد. والله أعلم.

(٢) أي: هذرت الحد وأبعدته عني. أنظر أساس التلافة ص ٣٢.

(٣) هذه الرواية ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة ١٧٣/٤ - ١٧٤. وابن عبد البر في الاستيعاب ١٨٧/٤ من طريق إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه محمد، فذكر القصة كاملة بنحوها وذكر في آخرها قول أبو محجن هذا.

(٤) ذكر ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب ١٨١/٤ - ١٨٢.

(٥) روى أبو سعد البقال عن أبي محجن قال: أشهد على رسول الله - ﷺ - أنه قال: أخاف على امتي من بعدي ثلاثة: تكذيب بالقدر، وتصديق بالجور، وخيف الأئمة.

عزاه الحافظ ابن حجر في الإصابة ١٧٣/٤ لأبي أحمد الحاكم، ولأبي نعيم، ثم قال: «والسعد ضعيف، ولم يذكر أبو محجن أهد.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ١٨٢/٤: «سمع من النبي - ﷺ - وروى عنه... أهد. ثم ذكر الحديث السابق.

(٦) غدم ذكر ذلك في ترجمته، فانظرها

(٧) هو طلحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقيس الأسدي الفُصَيْي، ارتد بعد النبي - ﷺ - وادعى النبوّة، واجتمع عليه قومه، فخرج إليهم خالد بن الوليد في أصحاب النبي - ﷺ - فانهزم طلحة وأصحابه، وقتل أكثرهم، ثم لحق بالشام، فكان عند بني جفّة حتى قديم مسلماً مع الحجاج المدينة، وأسلم إسلاماً صحيحاً ولم يُعص عليه فيه، وشهد القادسية =

عبد الجبار الضيرفي، أنا أبو منصور بن السواق^(١)، أنا أبو القاسم إبراهيم بن أحمد الخرقى، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن سفيان، أنا أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح، أنا محمد بن [عمر] الواقدي^(٢)، وذكر أمر طليحة بن خويلد حين تنبأ^(٣)، وقناله إلى أن كبر عسكره.

قال: فحدثني موسى بن محمد إبراهيم التميمي، عن أبيه، قال:

لما رأى طليحة أن الناس يقتلون ويؤسرون، أعد فرسه وهيا امرأته عنده، فوثب على فرسه وحمل امرأته فتجأ بها. وقال: من استطاع منكم أن يفعل كما فعلت فليفعل. ثم هرب حتى قدم الشام، فأقام عند بني جفنة الغسانيين، حتى فتح الله أجنادين، وتوفي أبو بكر.

فقدم في خلافة عمر مكة محرماً. فلما رآه عمر قال: يا طليحة! لا أحبك بعد قتلك الرجلين الصالحين: عكاشة^(٤) وثابت بن أقرم^(٥)، وكان قتلها هو وأخوه. قال: يا أمير

= ونهاوند مع المسلمين، ويقال: إنه استشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين - رضي الله تعالى عنه.

انظر الإصابة ٢٢٦/٢، والإستيعاب ٢٢٨/٢ - ٢٢٩.

(١) قال في اللباب ١٥٢/٢: «السواق: بفتح السين المهملة وتشديد الواو، وفي آخرها القاف، هذه النسبة إلى بيع السويق، واشتهر بها جماعة، منهم أبو منصور - وهو الراوي هنا - محمد بن محمد بن عثمان السواق، بغدادى، روى عنه أبو بكر الخطيب، والأمير أبو نصر بن مذكولة أهد». (٢) هو متروك مع سعة علمه، كما في التفريب ١٩٤/٢، لكن نلصق طرق أخرى، انظر الإصابة ٢٢٦/٢.

(٣) أي: ادعى النبوة.

(٤) هو عكاشة بن محصن رضي الله عنه، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤٨٧/٢ - ٤٨٨: «عكاشة: - بضم أوله، وتشديد الكاف، وتخفيفها - ابن محصن بن حُرثان بن... الأسدي، حليف بني شمس، من السابقين الأولين، شهد بدرًا، ووقع ذكره في الصحيحين، في حديث ابن عباس، في السبعين ألفاً الذي يدخلون الجنة بغير حساب، فقال عكاشة: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم، فقام آخر، فقال: سبقك بها عكاشة، وقد ضرب بها المثل، يقال للمسبق في الأمر: سبقك بها عكاشة».

.. وقيل: استشهد عكاشة في قتال أهل الردة، فله طليحة بن خويلد الذي تنبأ، وقد تقدم أن طليحة عاد إلى الإسلام، أهد.

(٥) قال في الإصابة ١٩٢/١: «ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي، حليف الأنصار، ذكره موسى بن عقبة في البديرين... واتفق أهل المغازي على أن ثابت بن أقرم قتل في عهد أبي بكر، قتله طليحة بن خويلد الأسدي، وقال عمر لطليحة بعد أن أسلم: كيف أحبك وقد قتل الصالحين عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم، فقال طليحة: أكرمهما الله بيدي. ولم يهني بأيديهما، وقد خالف ذلك عروة، فأخرج الطبراني من طريق ابن لهيعة، عن ابن الأسود، عن عروة، قال: =

المؤمنين! رجلان أكرمهما الله بيدي ولم يهني بأيديهما، وما كل البيوت بنيت على الحب ولكن صفحة جميلة، فإن الناس يتصافحون على الشأن^(١).
وأسلم إسلاماً صحيحاً، ولم يُفْغَص^(٢) عليه في إسلامه.
وقال يعتذر ويذكر ما كان منه:

ندمتُ على ما كان من قتل ثابت وأعظم من هاتين عندي مصيبة وتركى بلادِي والحوادث جمّة فهل يقلُّ الصديقُ أني مراجع وأنّي من بعمد الضلالة شاهد بأن إله الناس ربي وأنني

وعُكاشة الغنمي ثم ابن مَعْبِد رَجُوعي عن الإسلام فَعَل التَّغْمِد طريداً وقَدْماً كنتَ غيرَ مطرِد ومعط بما أهدئتُ من حدث يدي شهادة حق لستَ فيها بمُلْجِد ذليل وأنّ الدينَ دينُ محمّد

قال الواقدي: وحَدَّثني محمد بن يعقوب: أن طليحة خرج غازياً هو وأصحابه يريدون الرّوم. فركبوا البحر، فينما هم مُلْجَجين^(٣) فيه، إذ ناداهم قادس^(٤) من تلك القوادس، فيه ناس من الروم. فقالوا لهم: إن شئتم أن تقفوا لنا حتى نثبت في سفيتكم، وإن شئتم وقفنا لكم حتى تثبوا علينا في سفيتنا.

قال طليحة لأصحابه: ما يقولون؟ فأخبروه. فقال طليحة: لأضربنكم بسيفي ما استمسك في يدي أو لتقربن سفيتنا إليهم. قال: فدنا القوم بعضهم من بعض.

قال طليحة لأصحابه: اقدفوني في سفيتهم، فرموا به في سفيتهم، فغشيهم بسيفه حتى تطايروا منه. ففرق من غرق واستسلم من استسلم. فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأعجبه.

= بعث رسول الله - ﷺ - سرية قبل الغزوة من نجد، أميرهم ثابت بن أقرم، أصيب فيها ثابت بن أقرم، فهذا ظاهر أنه قتل في عهد النبي - ﷺ - . ويمكن تأويل قوله: أصيب، أي: بجراحة فلم يمت، أ. هـ. قلت: هذا إن ثبت القصة، فإن لهيعة صدوق، خلط بعد احتراق كنه، التقريب ٤٤٤/١، فهو ضعيف من قبل حفظه.

(١) أي: على الخوض والعداوة، أي: يتصافحون، رغم ما في قلوبهم من البغض لبعضهم، والله أعلم.
(٢) أي: ولم يُغمر ويُطعن عليه في إسلامه، انظر أساس البلاغة ص ٣٢٨ - ٣٢٩، ومختار الصحاح ص ٢٢٧.

(٣) أي: خائضين فيه، قال في مختار الصحاح ص ٦٧: ولججت السفة تلجيجاً: خاضت اللججة، أ. هـ.

(٤) أي: سفينة.

وذكر سيف بن عمرو، عن أبي عمرو، عن أبي عثمان النهدي^(١)، قال: أخرج سعد^(٢) طليحة في خمسة، وعمرو بن معدي كرب في خمسة - يعني عيوناً له -، ضيحة قدم رستم الجالينوس وذا الحجاب. فرجع عمرو وأصحابه وأصحاب طليحة لما رأوا عدوهم.

ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يَجُوسه^(٣). فلما أدير الليل خرج وقد أتى أفضل من توسم في ناحية العسكر. فإذا فرس لم ير في خيل القوم مثله، وفسطاط أبيض لم ير مثله. فانتضى سيفه فقطع مقود الفرس، فركبه وخرج يعدو به.

ونذر به^(٤) الرجل والقوم، فركبوا الصعبة والدلول في طلبه. فأصبح وقد لحقه فارس. فلما غشيه وبوا له الرمح ليطعنه عدل طليحة فرسه، فندر الفارسي بين يديه. ففكر عليه طليحة فقصم ظهره بالرمح. ثم لحقه آخر، ففعل به مثل ذلك. ثم لحق به آخر، ففعل به مثل ذلك. فلما كثر عليه طليحة، عرف أنه قاتله فاستأسر^(٥). فأمره طليحة أن يركض بين يديه، ففعل حتى غشيا عسكر المسلمين وهم على تعبته. فافزع الناس، وجوزوه إلى سعد فأخبره بما صنع.

وجيء بالترجمان فأقيم بين يدي سعد والفارسي.

فقال الفارسي: أخبركم عن صاحبي هذا قبل أن أخبركم عما قبلي، باشرت الحروب وغشيتها، وسمعت بالأبطال ولقيتها، منذ أنا غلام، إلى أن بلغت ما ترى، فلم أسمع بمثل هذا، أن رجلاً قطع عسكرين لا تجترىء عليهما الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفاً يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة إلى ما دون ذلك. فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فارس الجند وهتك أطناب بيته، فأنذرته وأنذرتنا به، فأدركه فارس الناس يعدل بالف فارس فقتله. ثم أدركه الثاني وهو نظيره فقتله. ثم أدركته، ولا أظنني خلفت بعدي من يعدلني، وأنا الثائر بالقتيلين وهما ابنا عمي، فرأيت الموت فاستأسرت.

ثم أخبره عن أهل فارس أن الجند عشرون ومائة ألف. وأسلم الرجل.

وعاد طليحة، وقال: والله لا تغلبون ما دمت على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح. فكان من أهل البلاء يومئذ.

(١) هو عبد الرحمن بن مل - بلام ثقيلة، والميم مثناة -، أبو عثمان النهدي، مشهور بكنية، مخضرم، ثقة ثبت عابد، مات سنة خمس وتسعين، وقيل بعدها، وعاش مائة وثلاثين سنة، وقيل أكثر، التقريب ٤٩٩/١.

(٢) أي: سعد بن أبي وقاص، وذلك في القامدية.

(٣) أي: يتخلله ويطلب ما فيه من أخبار، مختار الصحاح ص ٢٠٢.

(٤) أي: علم به، قال في مختار الصحاح ص ١٨٣: «نذر القوم بالعدو: علموا به».

(٥) فاستأسر: أي طلب الأسر.

ذكر التوابين من ملوك هذه الأمة

٥٦ - [- توبة ذي الكلاع] (١)

ذكر محمد بن أحمد بن البراء في كتاب (الروضة): أنا محمد بن الرضافي، ثنا سليمان بن معبد، ثنا سعيد بن عفير المصري، ثنا علوان بن داود، عن رجل من قومه، قال:

بعثني أهلي في الجاهلية إلى ذي الكلاع بهديّة. فأقمْتُ بيابه سنة لا أُصِلُ إليه. ثم أطلع أطلاعةً من قصره فلم يبقَ حول قصره أحدٌ إلا خرَّ له ساجداً. ثم أمر بهديته فقبِلْتُ. ثم رأيتُه في الإسلام، قد اشترى لحماً بدرهم وهو على فرس، قد سَمَطَ اللحم (٢) على فرسه، وهو يقول:

أَفْ لِلدُّنْيَا إِذَا كَانَتْ كَذَا كُلُّ يَوْمٍ أَنَا مِنْهَا فِي أَدَى
وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا قَبِلْتُ: مَنْ أَنْعَمُ النَّاسُ مَعَاشَاءَ؟ قِيلَ: ذَا
ثُمَّ بُدِّلْتُ بَعِيشِي شِقْوَةً حَبِذَا هَذَا شِقَاءَ حَبِذَا

(١) ذو الكلاع: لقب لُقِّبَ به، من التكلُّع، وهو التحالف والنجم، وذو الكلاع اثنان: ذو الكلاع الأكبر، وذو الكلاع الأصغر، وهو حفيد ذي الكلاع الأكبر، وهو المقصود هنا، واختلف في اسمه اختلافاً كبيراً، وكان يكنى أبا شرحبيل، ويقال أبا شرحبيل، الحميري، اليمني، وكان له سلعة وجاء فيهم، بعث إليه النبي - ﷺ - جابر بن عبد الله فأسلم هو وذو عمرو، وقصة ذلك في صحيح البخاري، ثم أتيا معه إلى النبي - ﷺ - فلما كانوا في بعض الطريق علموا أن النبي - ﷺ - توفي، وأنه استخلف مكانه أبو بكر فعادا وقالوا لجابر ألهمنا سيعودان.

وعادا في زمن عمر - رضي الله عنه -، فقاتل يوم اليرموك، وبقي إلى أيام معاوية، وقاتل معه في صفين، وقتل قبل نهاية الحرب فيها شهيداً - رحمه الله تعالى -.

أنظر الإصابة ٤٨٠/١ - ٤٨١، والإستيعاب ٤٧٣/١ - ٤٧٦ وقال في الإستيعاب ٤٧٤/١: ولا أعلم لذي الكلاع صحة أكثر من إسلامه واتباعه النبي - ﷺ - في حياته أهد.

قلت: فهو من المُخَضَّرِمين، الذين أسلموا في عهد النبي - ﷺ - ولم يلقوه ويصحبوه.

(٢) أي: علَّقه. أنظر مختار الصحاح ص ٢٤٧.

وروى ابن دريد، عن الرياشي^(١)، عن الأصمعي^(٢)، قال: كان رسول الله - ﷺ - كأنَّ الكلاع من ملوك الطوائف على يد جرير بن عبد الله، يدعو إلى الإسلام، وكان من شأنه حتى ادعى الربوبية، وأطيع حتى مات النبي - ﷺ - قبل عودة جرير.

وأقام ذو الكلاع على ما هو عليه إلى أيام عمر، ثم رغب في الإسلام، فوفد على عمر ومعه ثمانية آلاف عبد، فأسلم على يده، واعتق من عبيده أربعة آلاف. فقال له عمر: يا ذا الكلاع! بعني ما بقي من عبيدك حتى أعطيك ثلث أثمانهم ما هنا، وثلثاً باليمن، وثلثاً بالشام. قال: أجلني يومي هذا أفكر فيما قلت.

ومضى إلى منزله فأعتقهم جميعاً. فلما غدا على عمر، قال له: ما رأيك فيما قلت لك في عبيدك؟ قال: قد اختار الله لي ولهم خيراً مما رأيت. قال: وما هو؟ قال: هم أحرار لوجه الله. قال: قد أصبت والله، يا ذا الكلاع.

قال: يا أمير المؤمنين! لي ذنب ما أظن أن الله يغفره لي. قال: وما هو؟ قال: تواريت عن يتيم لي، ثم أشرفت عليهم من مكان عال، فسجد لي زهاء^(٣) مائة ألف إنسان. فقال عمر: التوبة بالإخلاص، والإجابة بالإقلاع، يؤجى بهما مع رافة الله الغفران. قال الله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٤).

٥٧ - [توبة أمير وتاجر]

أخبرنا الشيخ أبو الفرج^(٥)، أنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد، قال: أنا أبو بكر محمد بن علي الخياط^(٦)، أنا أحمد بن محمد بن العلاف^(٧)، ثنا الحسين بن صفوان، ثنا

(١) هو عباس بن الفرج الرياشي، أبو الفضل البصري النحوي، ثقة، استشهد بأيدي الزنج، سنة سبع وخمسين ومائتين. التقريب ٣٩٨/١.

(٢) هو عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن عني بن أصمغ. أبو سعيد الباهلي، الأصمعي، البصري، صدوق سي، من صغار أتباع التابعين، مات سنة ست عشرة ومائتين، وقيل غير ذلك. وقد قارب التسعين. التقريب ٥٢١/١ - ٥٢٢.

قلت: فهذا إسناد ضعيف بسبب الإنقطاع، فلاصمعي من صغار أتباع التابعين، فأنى له أن يدرك الفصة ١٩.

(٣) أي: نحو وقدر مائة ألف.

(٤) سورة الزمر، آية رقم ٥٣.

(٥) أي: ابن الجوزي، وقد تقدمت ترجمة ضافية له.

(٦) قال في اللباب ٤٧٥/١: «يقال هذا لمن يخط الثياب».

وهو اسم أيضاً، وسية إلى مذهب.

أبو بكر القرشي، حدثني محمد بن الحسين، أخبرني أبو عمر العمري، حدثني
عبد الله بن صدقة بن مرداس البكري، عن أبيه، قال:

نظرت إلى ثلاثة أقبر على شرف من الأرض مما يلي بلاد أنطاكية، فإذا على أحدها
مكتوب:

وكيف يلد العيش من هو عالم بأن إله الخلق لا يد سائله
فياخذ منه ظلمة لعباده ويجزيه بالخير الذي هو فاعله
وإذا على القبر الثاني:

وكيف يلد العيش من كان موقناً بأن المنايا: بغته ستعاجله
فتلبه ملكاً عظيماً ونخوة^(١) وتسكنه البيت الذي هو أهله
وإذا على القبر الثالث إلى جنبهما:

وكيف يلد العيش من كان صائراً إلى جذب^(٢) تبلي الشباب مناهله^(٣)
ويذهب رسم الوجه من بعد صونه سريعاً ويبنى جسمه ومفاصله
وإذا هي صور مسنة على قدر واحد مصطفة.

فقلت: نسج حلست إليه: لقد رأيت في قريشكم عجباً، قال: وما رأيت؟ فقصصت
سنة قصة القوم، قال: فحدثتهم أعجب مما رأيت على قبورهم.
قال: فقلت: حدثني.

قال: كانوا ثلاثة إخوة، أمير بصحب السلطان ويؤمر على المدائن والجيوش، وتاجر
موسر مضاع في حازه، وزاهد قد تخلى لنفسه وتفرّد لعبادته.

أما الإيت: هو: خليفة بن خياط بن حليفة بن حياظ العمري...
وأما المدد: هو: طبة، فرقة من المعتزلة، ينسبون إلى أبي الحسين الحياطي أستاذ الكمي...
أهـ

(٧) قتال من العرب: ٣٦٦: ٣٦٧: العلاف: فتح العس، وبعدها لا ألف، ثم هـ، يقال هذا لمن يبيع
العنف وجمعه، أهل بعض أجداد النسيب كان يبيع ذلك... وأهـ

(١) جمع سلة، وهو الموت.

(٢) قال في حصار الصحاح ص ٥٤٤: «الخوة: الكبر والعظمة، يقال: استخى فلان عليّ، أي: افتخر
ونعظم، أهـ»

(٣) قال في محضر الصحاح ص ٥٥: «الجذب: مفتاح... القفر، وجمعه: جذبت، وأحداث: أهـ»

(٤) قال في محضر الصحاح ص ٣٩٠: «المهل: المورود، وهو عين ماء ترده الأس في المراعي، وتسمى
المسالك التي بين الغايز على طرق السفر ماهل... أهـ» والثانية هي المقصودة هنا والله
أعلم.

قال: فحضرت أخاهم العابد الوفاة، فاجتمع عنده أخواه. وكان الذي يصحب السلطان منهم قد ولي بلادنا هذه، أمره عليها بعد الملك بن مروان، وكان ظالماً غشوماً^(١) مُتَغَشِّفاً^(٢). فاجتمعا عند أخيهما لما احتضر، فقالا له: أوص. قال: لا والله مالي من مال فأوصي فيه، ولا لي على أحد دين فأوصي به، ولا أخلف من الدنيا شيئاً فأسلبه.

فقال له أخوه ذو السلطان: أي أخي! قل لي ما بدا لك، فهذا مالي بين يديك، فأوص منه بما أحببت، وأنفذ منه ما بدا لك، واعهد إلي بما شئت. قال: فسكت عنه.

فقال أخوه التاجر: أي أخي! قد عرفت مكسبي، وكثرة مالي، فلعل في قلبك غصة من الخير لم تكن تبلغها إلا بالاتفاق فيها، فهذا مالي بين يديك، فاحتكم فيه بما أحببت ينفذ لك أخوك.

فأقبل عليهما، فقال: لا حاجة لي في مالكما، ولكني سأعهد إليكما عهداً فلا تخالفا عهدي. قالوا: اعهد. قال: إذا مت فقتلاني، وكفنتاني، وادفنتاني على نثر من الأرض^(٣)، واكتب علي قبري.

وكيف يلد العيش من هو عالم بأن إله الخلق لا بد سائله فيأخذ منه ظلمه لعباده ويجزيه بالخير الذي هو فاعله فإذا اتما فعلتما ذلك فأتياي كل يوم لملكما أن تتعظا.

قال: ففعلوا ذلك لما مات. قال: وكان أخوه يركب في جنده حتى يقف على القبر. فينزل فيقرأ ما عليه ويبكي. فلما كان في اليوم الثالث جاء كما كان يجيء مع الجند، فنزل فبكي كما كان يبكي. فلما أراد أن ينصرف سمع هدة^(٤) من داخل القبر كاد يصدع لها قلبه، فانصرف مذعوراً قرعاً.

فلما كان الليل رأى أخاه في منامه. فقال: أي أخي: ما الذي سمعت من قبرك؟ قال: تلك هدة المقمعة. قيل لي: رأيت مظلوماً فلم تنصره.

قال: فأصبح مهموماً، فدعا أخاه وخاصته، وقال: ما أرى أخي أراد بما أوصانا أن نكتب على قبره غيري، وإني أشهدكم أنني لا أقيم بين ظهرانيكم أبداً. قال: فترك الإمارة ولزم العبادة. وكتب إلى عبد الملك بن مروان في ذلك، فكتب أن خلّوه وما أراد.

(١) غشوماً، من الغشم، وهو الظلم، مختار الصحاح ص ٤٢١.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٣٠١: العُشْف: الأخذ على غير الطريق... والمُشَوِّف: المظنون، أ.هـ.

(٣) أي: على مرتفع من الأرض، وجمعه نشوز، وأشار أنظر مختار الصحاح ص ١٩١.

(٤) أي: صوتاً قوياً صاخباً، وأصل الهدة: صوت وقوع الحائط ونحوه. أنظر مختار الصحاح ص ١١٦.

فكان إنما يأوي الجبال والبراري حتى حضرته الوفاة في هذا الجبل وهو مع بعض الرعاة. فبلغ ذلك أخاه، فأناه فقال: أي أخي! ألا توصي؟ قال: بم أوصي؟ ما لي من مال فأوصي به؛ ولكن أعهد إليك عهداً؛ إذا أنا مت فبنائي قبري^(١)، فأدفني إلى جنب أخي، واكتب على قبري:

وكيف يلدُ العيش من كان مُوقناً بأن المنايا بغتة ستعاجله
فتسلبه مُلكاً عظيماً ونخوة وتُكِنُّه القبر الذي هو أهله
ثم تعاهدني ثلاثاً، فادعُ لي لعل الله أن يرحمني.

قال: فمات، ففعل به أخوه ذلك. فلما كان اليوم الثالث من إتيانه إياه، فدعا له وبكى عند قبره. فلما أراد أن ينصرف سمع وَجْيةً^(٢) من القبر كادت تُذهل عقله، فرجع مُتَقَلِّلاً^(٣).

فلما كان من الليل إذا بأخيه في منامه قد أتاه. قال ذلك الرجل: فلما رأيت أخي وثبتُ إليه، فقلت: أي أخي! أتيتنا زائراً؟ قال: هيهات أخي، بُعِدَ المزارُ، واطمأنت بنا الديار. قلت: أي أخي! كيف أنت؟ قال: بخير، ما أجمع الثوبة لكل خير. قال: قلت: فكيف أخي؟ قال: ذلك مع الأئمة الأبرار. قال: قلت: فما أمرنا قبلكم؟ قال: من قدم شيئاً من الدنيا والآخرة وجده، فاغتنم وجدك^(٤) قبل ففرك.

قال: فاصبح أخوه معتزلاً للدنيا قد انخلع منها، ففرق ماله وقسم رِباعه^(٥)، وأقبل على طاعة الله تعالى. قال: ونشأ له ابنٌ كأهياً الشباب وجهاً وجمالاً. فأقبل على التجارة حتى بلغ منها. وحضرت أباه الوفاة، فقال له ابنه: يا أبت ألا توصي؟ قال: والله يا بني! ما لأبيك مال فيوصي فيه، ولكني أعهد إليك عهداً، إذا أنا مت فأدفني مع عمومتك، واكتب على قبري هذين البيتين:

وكيف يلدُ العيش من هو صائر إلى جدث تبلى الشباب منازلُه
ويذهبُ زَمَ الوجهِ من يَغْدُ صَوْنُه سريعاً ويَبْلَى جِسْمُه ومفاصلُه
فإذا فعلت ذلك فتعاهدني بنفسي ثلاثاً، فادعُ لي.

(١) أي: فانزلني قبري. انظر مختار الصحاح ص ٧-٨.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٤٤: «الوجه: السقطة مع الهدء» أ.هـ.

أي: هي صوت سقوط الشيء، محدثاً صخاً وضجة قوية.

(٣) أي: مضطرباً، انظر مختار الصحاح ص ٣٨١.

(٤) أي: غناك. قال في مختار الصحاح ص ١١٣: «وجهة - بالكسر - أي: استغنى» أ.هـ.

(٥) هي جمع الرُّبْع، والرُّبْع، هي: الدار بعينها حيث كانت، مختار الصحاح ص ٢٦٣.

ففعّل الفتى ذلك. فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتاً اقشعر له جلده،
وتغير له لونه، فرجع منه محمومة إلى أهله.

فلما كان من الليل أتاه أبوه في منامه، فقال له: أي بني! أنت عندنا عن قليل،
والأمر بآخره، والموت أقرب من ذلك، فاستعدّ لسفرك، وتأهب لرحيلك، وحول جهازك
من المنزل الذي أنت عنه ظاعن^(١) إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم، ولا تغترّ بما اغترّ به
المبطلون قبلك من طول آمالهم، فقصروا عن أمر معادهم، فندموا عند الموت أشدّ
الندامة، وأسفوا على تضييع العمر أشدّ الأسف، فلا الندامة عند الموت تنفعهم، ولا
الأسف على التقصير أنفذهم من شرّ ما وافى به المغبونون مليكهم يوم القيامة، أي بني،
فبادر، ثم بادر، ثم بادر.

قال عبيد الله بن صدقة: قال الشيخ الذي حدّثني بهذا الحديث: فدخلت على هذا
الفتى صبيحة ليلته من هذه الرؤيا، فقصّها علينا، وقال: ما أرى الأمر إلا كما قال أبي،
ولا أرى الموت إلا قد أظنني. قال: فجعل يفرّق ماله، ويقضي ما عليه من الدّين،
ويستحلّ خطأه ومعامله، ويحلّ لهم، ويسلم عليهم، ويودّعهم ويودّعونه، كهية رجل قد
أنذر بأمر فهو يتوقّعه.

وكان يقول: قال أبي: فبادر، ثم بادر، ثم بادر؛ فهذه ثلاث، فهي ثلاث ساعات
قد مضت فليست بها، أو ثلاثة أيام وأنّي لي بها، أو ثلاثة أشهر وما أراني أدركها، أو
ثلاث سنين فهو أكثر من ذلك، وما أحبّ أن يكون ذلك كذلك.

قال: فلم يزل يعطي ويقسم ويتصلّق ثلاثة أيام، حتى إذا كان في آخر اليوم الثالث
من صبيحة هذه الرؤيا دعا أهله وولده، فودّعهم وسلم عليهم. ثم استقبل القبلة، فمدّد
نفسه وأغمض عينيه وتشهد شهادة الحقّ، ثم مات رحمه الله تعالى.
قال: فمكث الناس حيناً ينتابون قبره^(٢) من الأمصار فيصلون عليه.

٥٨ - [توبة ملك من ملوك البصرة]

وأنبأنا المبارك بن عليّ، أنا هبة الله بن أحمد الجريّ، أنا أبو طالب العشاري^(٣)،

(١) أي: سائر وإراجل عنه، أنظر مختار الصحاح ص ٤٦٠.

(٢) أي: يقصدون، ويأتون قبره مرة بعد مرة.

(٣) قال في اللباب ٣٤١/٢: العشاري: بضم العين، وفتح الشين المعجمة، وبعد الألف راء. هذه
النسبة لأبي طالب - وهو الراوي عند المصنف - محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن علي الحرّبي،
المعروف بابن العشاري، بغدادي، وهذا لقب حذّه لأنه كان طويلاً فقبيل له: العشاري، وكان =

أنا محمد بن عبد الله الدُّقَّاق^(١)، أنا الحسن بن صفوان، قال: أنا ابن أبي الدنيا قال: حَدَّثَنِي محمد بن الحسين، قال: حَدَّثَنِي سليمان بن أيوب، قال: سمعت عباد بن عباد المَهْلَبِيَّ^(٢)، يقول:

إن ملكاً من ملوك أهل البصرة تنسك^(٣). ثم مال إلى الدنيا والسلطان، فبنى داراً وشيئها، وأمر بها ففرشت له ونجدت، واتخذ مائدة، وصنع طعاماً، ودعا الناس. فجعلوا يدخلون عليه، ويأكلون ويشربون، وينظرون إلى بيانه، ويعجبون من ذلك، ويدعون له، ويتفرقون.

قال: فمكث بذلك أياماً حتى فرغ من أمر الناس. ثم جلس ونفر من خاصّة إخوانه، فقال: قد ترون سروري بداري هذه، وقد حَدَّثْتُ نفسي أن أتخذ لكل واحد من ولدي مثلها، فأقيموا عندي أياماً أستمع بحديثكم وأشاوَرُكم فيما أريد من هذا البناء لولدي.

فأقاموا عنده أياماً يلهون ويلعبون، ويشاورهم كيف يبني لولده، وكيف يريد أن يصنع.

فبينا هم ذات ليلة في لهوهم ذلك إذ سمعوا قائلاً من أقاصي الدار:

يا أيها الباني والناسي منيئة لا تأملن فإن الموت مكثوبٌ
على الخلّاتق إن سرُّوا وإن فرحوا فالموت حتفٌ لذي الأمالِ منصوبٌ
لا تبنيَنَّ دياراً لست تسكنها وراجع النسك كما يُغفرُ الحُوبُ^(٤)

قال: ففرغ لذلك، وفرغ أصحابه فرعاً شديداً، وراعهم^(٥) ما سمعوا من ذلك.

= صالحاً - أي: أبو طالب - سمع أبا الحسن علي بن عمر الحروي الكري، وأبا الحسن علي بن عمر الدارقطني، والمختص وغيرهم، روى عنه القاضي أبو بكر الأنصاري وغيره، ولد في المحرم من ست وستين وثلاثمائة، ومات آخر جمادى الأولى من سنة إحدى وخمسين وأربعمائة أ.هـ.

(١) هذه النسبة إلى الدقيق وعمله وبعه. الديب ٥٠٤/١.

(٢) هو عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، الأزدي، أبو معاوية، المصري، ثقة ربما وهم، من أتباع التابعين، مات سنة تسع وسبعين ومائة، أو بعدها بسنة، التقريب ٣٩٢/١.

والمَهْلَبِيَّ: نسبة إلى أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أمير خراسان، وينسب إليه كثير من العلماء نسبة وولاء. الديب ٢٧٦/٣.

(٣) تنسك، أي: تعبد، من النسك: العبادة، والناسك: العابد. مختار الصحاح ص ٣٤٣.

(٤) الحُوب: الإثم، مختار الصحاح ص ٢٢.

(٥) أي: أخافهم وأفرعهم، مختار الصحاح ص ٢٦٦.

فقال لأصحابه: هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم. قال: فهل تجدون ما أجده؟ قالوا: وما تجد؟ قال: أجده والله مُشْكَّةٌ على فؤادي وما أراها إلا علة الموت. قالوا: كلا، بل البقاء والعافية.

قال: فبكى. ثم أقبل عليهم، فقال: أنتم أخلائي وإخواني، فماذا لي عندكم؟ قالوا: مُرْنَا بما أَحْيَيْتَ من أمرِك. قال: فأمر بالشراب وأهريق، ثم أمر بالملاهي فأخرجت، ثم قال: اللَّهُمَّ! إِنِّي أَشْهَدُكَ ومن حضرني من عبادك أَنِّي تائب إليك من جميع ذنوبي، نادم على ما فرطتُ في أيام مهلتِي، وإياكَ أَسْأَلُ إِن أَقْلَلْتَنِي أَنْ تُنِّمَ نِعْمَتَكَ عَلَيَّ بِالْإِنَابَةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَإِن أَنْتَ قَبَضْتَنِي إِلَيْكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي تَفْضِلاً مِنْكَ عَلَيَّ.

واشتدَّ به الألم، فلم يزل يقول: الموت والله، الموت والله، حتى خرجت نفسه. فكان الفقهاء يرون أنه مات على توبة.

٥٩ - [توبة ملك من ملوك البصرة وجاريتته]

وروي عن مالك بن دينار^(١) رحمه الله، أنه كان يوماً ماشياً في أزقة البصرة. فإذا هو بجارية من جوارِي الملوك راكبة ومعهما الخدم، فلما رآها مالك، نادى: أيتها الجارية! أبيعك مولايك؟ قالت: كيف قلت يا شيخ؟ قال: أبيعك مولايك؟ قالت: ولو باعني كان مثلك يشتريني؟ قال: نعم، وخيراً منك.

فضحكت وأمرت أن يُحْمَلَ إلى دارها، فحمل، فدخلت إلى مولاهما فأخبرته. فضحك وأمر أن يُدْخَلَ إليه. فدخل، فألقيت له الهبة في قلب السيد، فقال: ما حاجتك؟ قال: يعني جاريتك. قال: أو تطيق أداء ثمنها؟.

قال: فثمنها عندي نواتان مسوستان. فضحكوا، وقالوا: كيف كان ثمنها عندك هذا؟.

قال: لكثرة عيوبها. قالوا: وما عيوبها؟.

قال: إن لم تتعطر زفرت، وإن لم تستك بخرت، وإن لم تمتشط وتدخن قملت وشعثت، وإن تعمّر عن قليل هومت، ذات حيض وبول وأقذار جمّة، ولملها لا تؤدك إلا

(١) هو مالك بن دينار، أبو يحيى السامي، الناجي، البصري، الزاهد، صدوق عابد، من صفاء التابعين، مات سنة ثلاثين ومائة ونحوها، التاريخ ٢/ ٢٢٤، وقال في الكاشف ٣/ ١٠٠ أنه مات سنة ثلاث وعشرين ومائة، والله أعلم.

وصدّر المصنف هذه القصة بكلمة: روي مبني للمجهول، وهذه الصيغة تفيد التضعيف عند أهل الحديث.

لنفسها، ولا تحبك إلا لشغفها بك، لا تفي بعهدك، ولا تصدق في ذلك، ولا يخلف عليها أحد من بعدك إلا رآته مثلك؛ وأنا آخذ بدون ما سألت في جاريتك من الثمن جارية خلقت من سلالة الكافور، لو مزج بريقها أجاج^(١) لطاب، ولو دُعي بكلامها ميت لأجاب، ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه، ولو بدا في الليل لسطع نوره، ولو واجهت الآفاق بحليها وجليلها لتزخرفت، نشأت بين رياض المسك والزعفران، وقصرت في أكنان^(٢) الثعيب، وغذيت بماء التسنيم^(٣)، فلا تخلف عهدا، ولا يتبدل ودها؛ فأيهما أحق برفعة الثمن؟

قال: النبي وصفك.

قال: فإنها الموجودة الثمن، القرية المخطب.

قال: فما نمنها رحمك الله؟

قال: اليسير المذول، أن تفرغ ساعة في ليلك فتصلي ركعتين تُخْلِصهما لربك، وأن يوضع طعامك فتذكر جائعك فتؤثر الله على شهوتك، وأن ترفع عن الطريق حجراً أو قدراً، وأن تقطع أيامك بالبلغة^(٤)، وترفع همّتك عن دار الغفلة، فتعيش في الدنيا بعزّ القنوع، وتأتي غداً إلى موقف الكرامة آمناً، وتنزل غداً في الجنة مخلداً.

فقال الرجل: يا جارية! أسمعيت ما قال شيخنا هذا؟ قالت: نعم. قال: أفصدق أم كذب؟ قالت: بل صدق وبرّ ونصح.

قال: فأنبت إذا حرّة لوجه الله، وضیعة كذا وكذا صدقة عليك، وأنتم أيها الخدام، أحرار، وضیعة كذا وكذا لكم، وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالي في سبيل الله. ثم مدّ يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه، وخلع جميع ما كان عليه واستتر به.

قالت الجارية: لا عيش لي بعدك يا مولاي! فرمت بكسوتها، وليست ثوباً خشناً وخرجت معه. فودّعهما مالك ودعا لهما، وأخذ طريقاً وأخذاً غيره.

فتعبداً جميعاً حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة - رحمة الله عليهما.

(١) أي: ملجّ مرّ، مختار الصحاح ص ٥٨.

(٢) جمع كنّ، والكنّ: السرة. مختار الصحاح ص ٤٦٦.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٤١٢: هو ماء في الحنة، سمي بذلك لأنه يجري فوق الغرف والقصوره
أهـ.

(٤) البلغة، ما يشلغ به من العيش، وتلغ بكدا، أي: اكتفى به، مختار الصحاح ص ٢٨٣.

٦٠ - [توبة أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان]^(١)

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، قال: أنا محمد بن أبي نصر الحميدي^(٢)، قال: أنا الخضر بن ميمون البجلي^(٣)، أنا أبو بكر أحمد بن عمر البراز، أنا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز، ثنا علي بن الحسن بن الربيع، ثنا أبو علي الحسن بن يزيد الدقاق، عن يعقوب بن إسحاق، قال: سمعت إبراهيم بن الجنيّد، قال: نا مُمُوس القطّان، ثنا أحمد بن محمد، ثنا أبو علي، ثنا محمد بن علي الرّعفراني^(٤)، قال: سمعت أحمد بن رباح الكاتب، يحكي عن الهيثم بن عدي، عن مروان بن محمد^(٥)، قال:

(١) أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وأخت عمر بن عبد العزيز، وزوجة الوليد بن عبد الملك بن مروان، ورثت الفصاحة والبلاغة، فرعت بجوابها حجة الحاجج بن يوسف النفدي. وأفحمته بكلام بين، ومن كلامها الدال على كرمها وطيب أرومتها: أف للبخل، لو كان قميصاً ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سلكته، نقلاً عن هامش المطبوعة والنقصة المذكورة هنا لا تصح عنها، كما سيأتي بيانه.

(٢) قال في اللباب ٣٩٢/١: يضم الحاء، وفتح الميم. هذه النسبة إلى حميد، وهو بطن من أسد بن عبد العزى بن قصي، منهم..

وأما عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله بن حميد الحميدي، الأندلسي - وهو الراوي هنا - صاحب الجمع بين الصحيحين وغيره من التصانيف. فإنه ينسب إلى جدّه حميد، سمع بالأندلس أبا محمد بن حزم وغيره، وسمع أبا بكر الخطيب وغيره، روى عنه أبو إسحاق بن بهان الرقي، وعلي بن علي الأمين وغيرهما. وكان عالماً خيراً ورعاً ثقةً أهـ.

(٣) قال في اللباب ١٠٢/١: الباني: بالالف بين الباءين الموحدين، هذه النسبة إلى باب الأبواب، موضع بالشَّوَر، وهي مدينة درند المعروفة... وإلى قرية من قرى بخارى يقال لها: بابة... أهـ.

(٤) هذه النسبة إلى الزعفرانيّة قرية بقرب بغداد وإلى بيع الزعفران، وإلى مذهب، أنظر تفصيل ذلك في اللباب ٦٩/٢.

(٥) هو مروان بن محمد بن حسان الأسدي الدمشقي، الطاطري، ثقة، مات سنة عشر ومائتين. وله ثلاث وستون سنة. التقرب ٢٣٩/٢.

وهذا إسناد ضعيف جداً عنه فيه: الهيثم بن عدي الطائي، أبو عبد الرحمن المنجي، ثم الكوفي. قال في ميزان الإعتدال ٣٢٤/٤:

«قال البخاري: ليس بثقة، كان يكذب.

وقال يحيى: ليس بثقة، كان يكذب.

وقال أبو داود: كذاب.

وقال التستائي وغيره: متروك الحديث.

قلت - أي الذهبي - : كان أخبارياً علامة.

وقال ابن عدي: ما أقل ماله من المسند، إنما هو صاحب أخبار.

وقال ابن المديني: هو أوثق من الواقدي، ولا أرضاه في شيء، أهـ.

دخلت عزة صاحبة كُثير على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر^(١)،
فقال لها: يا عزة! ما معنى قول كُثير:

قضى كل ذي ذنب غلث غريمه وعزة منطوول معنى غريمها
ما هذا الدين الذي يذكره؟ قالت: أعفيني. قالت: لا بد من إعلامك إياي.
فقال عزة: كنت وعدته قبله، فأتاني لينتجزها^(٢)، فتخرجت عليه، ولم أف له.
فقال لها أم البنين: أنجزها منه، وعلى إثمها.

ثم راجعت نفسها فاستغفرت الله، وأعتقت لكلماتها هذه أربعين رقة. وكانت إذا
ذكرت ذلك بكى حتى نبل خمارها، وتقول: يا ليتني خرس لساني عندما تكلمت بها،
وتعبدت عبادة ذكرت بها في عصرها من شدة اجتهادها. فرفضت فراش المملكة تحيي
ليلها.

وكانت كل جمعة تحمل على فرس في سبيل الله. وكانت تبعث إلى نسوة عابدات
يجتمعن عندها ويتحدثن، فتقول: أحب حديثكن، فإذا قمت إلى صلاتي لهوت عنكن.
وكانت تقول: البخيل كل البخيل من يخل على نفسه بالجنة. وكانت تقول: جعل
لكل إنسان نهمة في شيء، وجعلت نهمتي في البذل والإعطاء، والله للمعطية والصلة
والمواصلة في الله، أحب إلي من الطعام الطيب على الجوع، والشراب البارد على
الظما، وهل يتأمل الخير إلا بالإصطناع؟

وكانت على مذهب جميل، حتى توفيت رحمه الله تعالى.

٦١ - [توبة غضيض أمة هشام بن عبد الملك]^(٣)

قال مموس^(٤): وحدثننا أحمد بن محمد بن إبراهيم، ثنا القاسم بن جعفر، ثنا
علي بن حجر الواسطي، قال: حدثني عيسى بن الفضل بن موسى، أنه سمع إسحاق بن

= وانظر لسان الميزان ٢٠٩/٦ - ٢١١، حيث ذكر أقوال نقيب العلماء فيه. ومما ذكره قول الإمام أحمد
كان صاحب أخبار ونديسه أهد. فقد وصفه الإمام أحمد بالتفليس، وقد عته. وهذا - آخر
لتضعيف الإسناد، والله تعالى أعلم.

(١) أي: عمر بن عبد العزيز، خامس الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنه.
(٢) أي: ليقتضيها، تقول: نجر حاجته: قصاها، مختار الصحاح ص ١٩١.
(٣) هو هشام بن عبد الملك بن مروان، من أمراء الدولة الأموية، ولد في دمشق سنة (٧١) هـ. وبويع له
بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة (١٠٥) هـ. وتوفي بالرصافة، سنة (١٢٥) هـ.
(٤) نعله موصول بالإسناد السابق.

إبراهيم الموصلي^(١)، يقول: حدثني محمد بن عبد الرحمن الهاشمي، عن أبيه، عن سلميان بن خالد^(٢):

أن هشام بن عبد الملك ذكرت له ربيبة^(٣) لبعض عجائز الكوفة، موصوفة مشهورة ببارع الجمال، فائقة الحسن والكمال، قارئة لكتاب الله عز وجل، راوية للأشعار مع عقل وأدب، فأمر أن يُسرد^(٤) إلى والي الكوفة، أن يُبتاع له^(٥) بحكم مولاتها، ويعجل حملها إليه، وبعث في ذلك خادماً.

فلما ورد الكتاب على الوالي، بعث إلى العجوز، فابتاع منها الربيبة بمائتي ألف درهم، وحديقه نخل، تستغل منها كل سنة خمسمائة مثقال.

وجَهَّز الجارية وحملها إلى هشام. وفرغ لها مقصورة مفردة أنزلها فيها مع وصائف، وأمر لها بأنواع اللباس، وفاخر الحلّي والفرش.

فبينما هو ذات يوم قد خلا بها في مستشف قد أعدت فيه الفرش والطيب، فتذاكرا فيه طرائف الأخبار، وبلاغة الآثار، فازداد بها سروراً، واجتمعت مسرته، إذا صوارخ، فاستشف هشام، فإذا بجنازة معها فنام^(٦) من الناس، ووراء الجنازة نسوة صارخات، ونادبة فيما بينهن، تقول: بأبي السحمول على الأعواد، المنطلق به إلى الأموات، المخلّي في قبره فريداً، والمكُون في لحده^(٧) غريباً؛ ليت شعري، أيها المنقول، أنت ممن ينشد حَمَلَتَهُ: أسرعوا بي، أم أنت ممن ينشدهم: إرجعوا بي! إلى مَن تقدّموني؟

قال: فأهملت عينا هشام دموعاً، فلها من لذته، وجعل يقول: كفى بالموت واعظاً. فقالت غصبيض^(٨): قد قطعت يَياط قلبي^(٩) هذه النادبة.

(١) قال في اللباب ٢٦٩/٣: «الموصلي: يفتح الميم وسكون الواو، وكسر الصاد المهملة، وفي آخرها لام، هذه النسبة إلى الموصل، وهي من بلاد الجزيرة، وإنما قيل لبلادها الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، خرج منها جماعة من عظماء، والائمة في كل علم، أهد.

(٢) لم أجد من اسمه سليمان بن خالد، إلا التواسطي، وقد قال عنه الدرافطني: ضعيف الحديث، أنظر لسان الميزان ٨٣/٣، والمغني في الضعفاء ٢٧٨/١.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٢٤: وربيب الرجل: ابن امرأته من غيره، والأُنثى ربيبة، أهد.

(٤) أي: يرسل بالبريد.

(٥) أي: تُشترى له.

(٦) أي: جماعة كثيرة. أساس البلاغة ص ٣٣٢.

(٧) اللحد: الشق في جانب القبر، مختار الصحاح ص ١١١.

(٨) هو اسم الجارية.

(٩) أي: عروق قلبي، أنظر أساس البلاغة ص ٤٧٦.

قال هشام: الأمر جد. فنادى الخادم، فنزل عن مستشفه فمضى.

فاغتمت غضيض في مجلسها، فأتاها آت في منامها، وقال لها: أنت المفتنة بجمالك، والملمية بدلالك، كيف أنت إذا نُقِرَ في الناقور^(١)، وبعثرت القبور، وخرجوا منها إلى النشور، وقبولوا بالأعمال التي قدّموها؟.

فاستيقظت مرتاعة^(٢)، وراحت من شرايها، فنادت بعض وصائفها، ودعت بماء فاغتسلت، وألقت عنها لباسها وحليها، وتدرّعت بمدرعة صوف^(٣)، وحزمت وسطها بخيط، وتناولت عصاً وألقت في عنقها جراباً^(٤).

واقترحت مجلس هشام، فلما رآها أنكرها. فنادت: أنا غضيض أمتك، أتاني النذير، ففرع سامعي وعيذه، وقد قضيت مني وطراً، وقد أتيتك لتعتني من رِق الدنيا.

فقال هشام: شتان ما بين الطربين وأنت في طربك، إذهي، فأت حرة لوجه الله تعالى. قال: أي موضع تقصدين؟ قالت: أوم^(٥) بيت الله الحرام. قال: انطلقني، فلا سبيل لأحد عليك.

فخرجت من دار الخلافة زاهدة في الدنيا، راغبة في الآخرة، سائحة على وجهها حتى بلغت مكة. وأقامت مجاورة صائمة قائمة تعود على نفسها بالغزل في قوتها. فإذا أمسّت طافت، ثم تدخل الحجر، وتقول: يا ذخري أنت عدتي، لا تقطع رجائي وأُنلني مُنأي، وأُخبس مُنقلبي، وأُجزل عطائي.

فلم تزل في الإجهاد حتى غير مرّ الجديذين الليل والنهار بشرفها، وطول القيام جسمها، وكثرة البكاء غيبتها، وأقرح المغزل بناتها، حتى توفيت - رحمة الله عليها - على ذلك.

٦٢ - [توبة الأمير حميد بن جابر]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، أنا أحمد بن أحمد، أنا أحمد بن عبد الله الحافظ^(٦)، قال: حدّثني إبراهيم بن نصر، أنا جعفر بن محمد بن نصير، قال: حدّثني

(١) أي: ينفخ في الصدور.

(٢) خائفة.

(٣) أي: لبست مدرعة صوف. أساس البلاغة ص ١٢٩.

(٤) الجراب: وعاء للماء، وهو معروف، أنظر مختار الصحاح ص ١٩، وأساس البلاغة ص ٥٥.

(٥) أي: أقصد. مختار الصحاح ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٦) هو أبو نعيم الأصبهاني، وقد تقدمت ترجمة له.

إبراهيم بن بشار^(١)، قال:

كنت يوماً ماراً مع إبراهيم - يعني ابن أدهم^(٢) - في صحراء، فأتينا على قبر مُسَمٍّ^(٣)، فترحم عليه وبكى. فقلت: قبر من هذا؟ فقال: هذا قبر حُفِيد بن جابر أمير هذه المَدُن كلها. كان غرقاً في بحار الدنيا، فأخرجه الله تعالى منها واستنقذه.

ولقد بلغني أنه سُرَّ يوماً بشيء من ملاهي ملكه وديناه وغروره وفتته. ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخصه من أهله، فرأى في منامه رجلاً واقفاً على رأسه، بيده كتاب. فتناوله، ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرن فانياً على باقي، ولا تغترن بملكك وقدرتك وسلطانك وخدمتك وعبيدك ولذاتك وشهواتك، فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه غديم، وهو مُلك لولا أن بعده هُلك، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان يؤتى له بغد، فسارع إلى أمر الله تعالى، فإن الله تعالى قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

قال: فأنته فرعاً، وقال: هذا تنبيه من الله - عز وجل - وموعظة.

فخرج من ملكه لا يعلم به، وقصد هذا الجبل، فتعبد فيه، فلما بلغني قصته وحُدثت بأمره، قصدته، فسألته، فحدثني ببده أمره، وحُدثته ببده أمري، فما زلت أقصده حتى مات، ودُفن ها هنا، فهذا قبره رحمه الله.

٦٣ - [توبة إبراهيم بن أدهم]^(٥)

أخبرنا محمد، أنا أحمد^(٦)، ثنا إبراهيم بن عبد الله بن إسحاق، ثنا محمد بن

(١) هو إبراهيم بن بشار الرمادي، أبو إسحاق البصري حافظ له أوهام، ومات في حدود الثلاثين ومائتين التقريب ٣٢٠/١.

(٢) سألني ترجمته في الفصحة الآتية.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٤١٢: ونسيم القبر، صد نسطيحه: أهد.

(٤) سورة آل عمران، آية رقم ١٣٣/١.

(٥) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن حابر العللي، وقيل: التميمي، أبو إسحاق البجلي الزاهد، سكن الشام - صدوق - كان صاراً على التجدد والفقه والورع الدائم والسخاء الثوافر، إلى أن مات في بلاد الروم، سنة (١٦٦) هـ، وقيل: سنة (١٦٢) هـ. وله جكم كثيرة وكلام في الزهد جميل، وله فيه بعض النظم، ومما قاله:

أرى أناساً بأدنى الدُّبْنِ قد قنعوا ولا أراهم رَضُوا في العيش بالسُدُونِ
فاستغنوا بالله عن دُنْيَا المملوك كما استغنى المملوك بدنياهم عن الدين
أنظر تهذيب الكمال ٢٧/١ - ٢٩، وتهذيب التهذيب ١٠٢/١ - ١٠٣، والتقريب ٣١/١، وحلية الأولياء ٣٦٧/٧ - ٣٩٥، ٣/٨ - ٥٧.

(٦) هو الإمام أحمد بن عبد الله. أبو نعيم الأصبهاني الحافظ، وذكر ذلك في حلية الأولياء =

إسحاق السراج^(١)، قال: سمعت إبراهيم بن بشار - خدام إبراهيم بن أدهم يقول: -

قلت: يا أبا إسحاق^(٢)! كيف كان أوائل أمرك؟ قال: كان أبي من أهل «بلخ»^(٣) - وكان من ملوك خراسان - ، وحُبِّب إلينا الصيد، فخرجتُ راكباً فرسي، وكلبي معي، فبينما أنا كذلك، ثار أرنب أو ثعلب، فحرَّكتُ فرسي فسمعت نداءً من ورائي: ليس لذا خلقت، ولا بهذا أمرت، فوقفت أنظرَ يَمَنَةً وَيسْرَةً، فلم أرَ أحداً، فقلت: لعن الله إبليس؛ ثم حرَّكتُ فرسي فاسمع نداءً أجهر من ذلك: يا إبراهيم ليس لذا خلقت، ولا بهذا أمرت، فوقفت أنظرَ يَمَنَةً وَيسْرَةً، فلا أرى أحداً، فقلت: لعن الله إبليس؛ ثم حرَّكتُ فرسي فاسمع نداءً من قُربوس سُرْجِي^(٤): يا إبراهيم ما لذا خلقت، ولا بهذا أمرت، فوقفت.

فقلت: انْبَهَتْ، انْبَهَتْ^(٥)؛ جاءني نذيرٌ من ربِّ العالمين، والله لا عصيت الله بعد يومي هذا ما عَصَمَنِي ربي.

فرجعت إلى أهلي، ثم جئت إلى أحد رعاة أبي، فأخذتُ منه جَبَّةً وكساءً، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق، أرض ترفعني، وأرض تَضَعُنِي، حتى وصلت إلى العراق. فعملت بها أياماً، فلم يصف لي منها - يعني: الحلال - ، فسألت بعض

= ٣٦٨/٧ - ٣٦٩.

والإسناد عند هكذا: حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن إسحاق السراج، قال: سمعت إبراهيم بن بشار - وهو خدام إبراهيم بن أدهم، يقول: قلت: يا أبا إسحاق... فليس عنده ذكر محمد بن إسحاق السراج، والله تعالى أعلم.
والقصة عنده فيها بعض الزيادات

(١) السراج: بفتح السين، وتشديد الراء، وبعد الألف جيم. هذه السببة إلى عمل السروج، واشتهر بهذه الصنعة جماعة، منهم أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران بن عبد الله السراج النخعي، مولاهم، نيسابوري كان من أجداده من يعمل السروج، كان يحدث عصره بخراسان... مات في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، وله ست أو سبع وتسعون سنة.
كذا في الباب ١١١/٢.

(٢) أبو إسحاق، كنية إبراهيم بن أدهم، كما تقدّم

(٣) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، وهي أكبر مدن خراسان وأكثرها حيراء، فتحها الأحنف بن نيس التميمي زمن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، خرج منها عالم لا يحصى من الأئمة والعلماء والصلحاء، انظر الباب ١٧٢/١.

(٤) القُربوس - بفتح القاء والراء - حنو السُرج، أي: قسمة المعكوف المقوس المرتفع من قدام المقعد ومن مؤخره.

(٥) أي: أيها الصوت انبهتني ووقع كلامك مني موقع الإنباء والإيقاظ من الغفلة.

المشايع^(١)، فقال لي: إذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام.

(١) تية: يخطئ، كثير من المؤلفين والمحققين، فيقولون: مشايخ، بالهمز، وهو خطأ شائع، وصوابه: مشايخ، بالياء، لا غير لأن الياء، فيه من أصل الفعل، لا مزيدة كصحائف، كما هو مقرر، في موضعه من كتب الصرف ونحو

وأستطرد هنا اضطراراً ندفع انتشار هذا العلف، فأوضح القاعدة في هذا الجمع وأمثاله، رجاؤ أن ينوب الغالطون فيه إلى التصواب، وأن يعدلوا عن همز، مالا يحور همزه، فأقول:

الإسم المفرد إذا جمع على وزن (مفاعل) وكان الحرف الثالث فيه - أي: في المفرد - حرف مدّ - وهو الألف أو الواو أو الياء الساكنة، تسفح حركة من جنسه -، ومريداً عنى أصل مادته في الواحد: وجب إبداله همزة في الجمع نحو سحابة وسحائب، قفلة وقلائد، وعجوز وعجائز، وصحيفة وصحائف، ونصيحة ونصائح

ودليل زيادة حرف المدّ في مفردات هذه الجموع، أن مادتها في الفعل خاتمة من حرف المدّ الذي هو الألف أو الواو أو الياء. فهي: سحِبَ، وقُلِدَ، وعُجِزَ، وصُحِفَ ونُصِحَ، فلما كان حرف المدّ فيها مزيداً، وجب إبداله همزة في الجمع كما تقدم.

وقد صاغ هذه القاعدة الإمام ابن مالك النحوي - رحمه الله تعالى - في (الألفية). في باب الإبدال، بقوله:

والممدُّ زيدٌ ثالثاً في الواحد هُـمَزاً يُرَى في مثل كالقلائد
لما إذا كان الحرف الثالث في المفرد غير حرف مدّ، فلا يُبدل في الجمع همزةً، بل يبقى وأو مثل:

قورة - وهو الأسد - وقسور.

وكذلك إذا كان الحرف الثالث في المفرد أصلياً من بنية الكلمة، ليس بزائد عليها، فلا يُبدل في الجمع همزةً أيضاً، بل يبقى واو، في مثل: مفازة، ومفاوز؛ وياة في مثل مضيدة ومضاييد، ومعيشة ومعاشي، ومكيدة ومكاييد، ومشيخة - بفتح الميم وبكسرهما، جمع شيخ - ومشايخ - وهو جمع الجمع -، وأشباهاها، إلا فيما سُمع بخلاف هذا منها، فيُحفظ ولا يُفاس عليه، نحو: منارة ومنائر، ومصبة ومصائب، إذ الأصل فيهما: مناور، ومصاوب، وقد سُمع النطق فيهما بهذا الأصل أيضاً.

فهذه الجموع: مفاوز، ومضاييد، ومعاشي، ومكاييد، ومشايخ، ومعاييب، وأمثالها: تُنطق منها ثوابية في أصلها مثل: مفازة ثابوا في جمعها، لأنها من: فاز يَفوز، فالواو من بنية الكلمة، أصلية فيها، وتُنطق منها ثابية في أصلها، مثل: مضاييد، ومعاشي ومكاييد ومشايخ ومعاييب، سالياء في جميعها، لأنها من: صاد يصيد، وعاش يعيش، وكاد يكيد، وشاخ ويشيخ، وعاب يعيب، فالياء فيها أصلية من بنية المفرد فيها.

وعلى هذا: فننظرة: مكاييد، ومشايخ، وأمثالهما لا تُهمز أبداً، لأن الياء في مفردهما أصلية وليست بزائدة.

انتهى استفاداً من شرح الأشموني على الألفية بحاشية الضيآن ٢٨٨/٤، في باب الإبدال، وشرح ابن عقيل عنها أيضاً ٥٥٠/٢، ومعدرة في هذه الاستطرادة، فقد أوردتها تمكيناً للعارفين، وإرشاداً للمتبصرين.

تقلاً من كلام الشيخ الفاضل عبد الفتاح أبو غدة - حفظه الله تعالى -، في تعليقه على كتاب الرفع والتكميل في الجرح والتعديل لأبي الحسنات محمد عبد الحي المكنوني الهندي، ص ٤٦ - ٤٧، ببعض تصرف.

فَصِرْتُ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، فَسَرْتُ إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: الْمَنْصُورَةُ وَهِيَ الْمَصِيصَةُ. فَعَمَلْتُ بِهَا أَيَّامًا فَلَمْ يَصِفْ لِي شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْمَشَايخِ. فَقَالُوا لِي: إِنْ أَرَدْتَ الْحَلَالَ الصَّافِي، فَعَلَيْكَ بِطَرُوسٍ، فَإِنْ فِيهَا الْمَبَاحَاتِ وَالْعَمَلُ الْكَثِيرُ. فَتَوَجَّهْتُ إِلَى طَرُوسٍ، فَعَمَلْتُ بِهَا أَيَّامًا أَنْظَرَ الْبَاسِئِينَ وَأَحْصَدَ الْحَصَادَ.

فَبَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ عَلَى بَابِ الْبَحْرِ، جَاءَنِي رَجُلٌ فَاسْتَأْذَنَنِي أَنْظُرَ لَهُ بَسْتَانَهُ. فَكُنْتُ فِي الْبَسْتَانِ أَيَّامًا كَثِيرَةً، فَإِذَا أَنَا بِخَادِمٍ قَدْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ. فَقَعَدْتُ فِي مَجْلِسِهِ، ثُمَّ صَاحَ: يَا نَاطُورُ، فَقُلْتُ: هُوَذَا أَنَا. فَقَالَ: اذْهَبْ فَأَتِنَا بِأَكْبَرِ رَمَانٍ تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَأَطْيَبِهِ. فَذَهَبْتُ فَأَتَيْتُهُ بِأَكْبَرِ رَمَانٍ، فَأَخَذَ الْخَادِمُ رَمَانَةً فَكَسَرَهَا، فَوَجَدَهَا حَامِضَةً. فَقَالَ: يَا نَاطُورُ، أَنْتَ فِي بَسْتَانِنَا مِنْذُ كَذَا وَكَذَا، تَأْكُلُ فَالْكَهْتَا، وَتَأْكُلُ رَمَانَنَا، وَلَا تَعْرِفُ الْحُلُومَ مِنَ الْحَامِضِ؟.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَكَلْتُ مِنْ فَالْكَهْتَا شَيْئًا، وَلَا أَعْرِفُ الْحُلُومَ مِنَ الْحَامِضِ، فَأَشَارَ الْخَادِمُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَمَا تَسْمَعُونَ كَلَامَ هَذَا؟! أَتَرَاكَ لَوْ أَنَّكَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ آدَمَ مَا زَادَ عَلَى هَذَا؟ فَانْصَرَفَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ذَكَرَ صَفْنِي فِي الْمَسْجِدِ، فَعَرَفَنِي بَعْضُ النَّاسِ، فَجَاءَ الْخَادِمُ وَمَعَهُ عُتْقٌ^(١) مِنَ النَّاسِ. فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قَدْ أَقْبَلَ مَعَ النَّاسِ اخْتَفَيْتُ خَلْفَ الشَّجَرِ، وَالنَّاسُ دَاخِلُونَ، فَاخْتَلَطْتُ مَعَهُمْ وَهُمْ دَاخِلُونَ وَأَنَا خَارِجٌ هَارِبٌ. فَهَذَا كَانَ أَوَائِلَ أَمْرِي وَخُرُوجِي مِنْ طَرُوسٍ إِلَى بِلَادِ الرُّمَالِ.

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْقُورِ، قَالَ: أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بِيَانٍ، أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ بَشْرَانَ، أَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَجْرِيُّ^(٢)، ثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ يُونُسَ الشُّكْلِيُّ^(٣)، قَالَ: ثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ زِيَادٍ الْمَقْرِيُّ، ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

(١) أَيُّ: جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ، نَقُولُ: أَتَيْنِي عُتْقٌ مِنَ النَّاسِ وَحُمَةٌ: لِلْجَمَاعَةِ الْمُنْقَذَةِ، وَجَاوَزُوا رَسَلًا رَسَلًا وَعُتْقًا عُتْقًا، أَيُّ: جَمَاعَاتُ جَمَاعَاتٍ. أَنْظَرَ أَسَاسَ الْبَلَاغَةِ ص ٣١٥.

(٢) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَجْرِيُّ، الْبَغْدَادِيُّ، فَهِيهِ، مُحَدِّثٌ، حَافِظٌ أَخْبَارِي صَاحِبُ سَنَةِ وَاتِّبَاعٍ، حَدَّثَ بِبَغْدَادٍ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَكَّةَ، فَسَكَنَهَا حَتَّى تَوَفَّى بِهَا فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ (٣٦٠) هـ. وَلَهُ نَحْوُ ثَمَانِينَ سَنَةً - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -، لَهُ تَصَانِيفٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا تَأْسِيسُ الشَّرِيعَةِ، التَّهْجِدُ، نَحْرِيمُ النَّزْدِ - وَهُوَ مَا يَقْرَبُ الْيَوْمَ بِطَاوُنَةِ الزَّهْرِ - وَالشُّطْرُنْجُ وَالْمَلَامِيُّ، أَخْبَارُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، آدَابُ الْعُلَمَاءِ.

أَنْظَرَ تَرْجُمَتَهُ فِي: تَارِيخِ بَغْدَادٍ ٢/٢٤٣، تَذَكُّرُ الْحِفَاطِ ٣/١٣٩، ٣/٢٤٣، تَذَكُّرُ الْحِفَاطِ ٣/١٣٩، ٩٣٦/٣ (طَبْعَةُ دَارِ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ)، وَالْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ١١/٢٧٠، وَشَذَارَاتُ الذَّهَبِ ٣/٣٥، وَمَعْجَمُ الْمُؤَلَّفِينَ ٩/٢٤٣ - ٢٤٤.

وَالْأَجْرِيُّ: بِفَتْحِ الْأَلْفِ الْمَمْدُودَةِ، وَضَمِّ الْجِيمِ، وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى عَمَلِ الْأَجْرِ وَبَيْعِهِ، وَنَسَبَ إِلَى دَرَجَةِ الْأَجْرِ - أَيْضًا - . . . الْبَابُ ١/١٨.

(٣) الشُّكْلِيُّ: بِكَسْرِ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ، وَسُكُونِ الْكَافِ، وَفِي آخِرِهَا اللَّامُ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى شَكْلِ، يَنْسَبُ =

الفرج، قال: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ بِابْتِدَائِهِ كَيْفَ كَانَ^(١)، قَالَ:

كَتُبْتُ يَوْمًا فِي مَجْلِسٍ لِي، لَهُ مَنْظَرَةٌ إِلَى الطَّرِيقِ، فَإِذَا أَنَا بِشَيْخٍ عَلَيْهِ أَطْمَارٌ^(٢). وَكَانَ يَوْمًا حَارًّا، فَجَلَسْتُ فِي قَعِي، الْقَصْرِ لِيَسْتَرِيحَ.

فَقُلْتُ لِلْمَخَادِمِ: أَخْرِجْ إِلَيَّ هَذَا الشَّيْخَ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ وَسَلِّهُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْنَا، فَقَدْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ قَلْبِي. فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَفَاقَمَ مَعَهُ، فَدَخَلَ إِلَيَّ فَسَلَّمَ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَاسْتَبَشَرْتُ بِدُخُولِهِ وَأَجْلَسْتُهُ إِلَى جَنْبِي، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الطَّعَامَ، فَأَنَبَى أَنْ يَأْكُلَ. فَقُلْتُ لَهُ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ. فَقُلْتُ: أَيْنَ تَرِيدُ؟ قَالَ: الْحَجَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. قَالَ: وَكَانَ لَذَلِكَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْعَشْرِ^(٣) أَوِ الثَّانِي. فَقُلْتُ: فِي هَذَا الْوَقْتُ؟ فَقَالَ: بَلْ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ.

فَقُلْتُ: الصُّحْبَةُ؟ فَقَالَ: إِنْ أَحْبَبْتَ ذَلِكَ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ، قَالَ لِي: قُمْ: فَلَبِستُ مَا يَصْلَحُ لِلْفَرِّ، وَاخَذَ بِيَدِي.

وَخَرَجْنَا مِنْ «بَلْخ» فَمَرَرْنَا بِقَرْيَةٍ لَنَا. فَلَقَيْنِي رَجُلٌ مِنَ الْفَلَاحِينَ، فَأَوْصَيْتُهُ بِبَعْضِ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ. فَقَدِمَ إِلَيْنَا خَبْرًا وَبَيْضًا، وَسَأَلْنَا أَنْ نَأْكُلَ، فَأَكَلْنَا، وَجَاءَ بِمَاءٍ فَشَرَبْنَا. وَقَالَ لِي: بِسْمِ اللَّهِ قُمْ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَجَعَلْنَا نَسِيرُ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ تُجَذِّبُ مِنْ تَحْتِنَا كَانَهَا الْمَوْجُ.

فَمَرَرْنَا بِمَدِينَةٍ بَعْدَ مَدِينَةٍ، فَجَعَلَ يَقُولُ: هَذِهِ مَدِينَةٌ كَذَا، هَذِهِ مَدِينَةٌ كَذَا، هَذِهِ «الْكُوفَةُ». ثُمَّ قَالَ: الْمَوْعِدُ هَا هُنَا فِي مَكَانِكَ هَذَا فِي الْوَقْتُ مِنَ اللَّيْلِ. حَتَّى إِذَا كَانَ الْوَقْتُ، إِذَا بِهِ قَدْ أَقْبَلَ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ. قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: هَذَا مَنْزِلُ كَذَا، هَذَا مَنْزِلُ كَذَا، وَهَذِهِ «قَيْدُ»، وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ^(٤)، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ تُجَذِّبُ مِنْ تَحْتِنَا كَانَهَا الْمَوْجُ.

= إِلَيْهِ. أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ يَوْسُفَ الشُّكْلِيِّ، وَكَانَ وَرِعًا نَاسِكًا، رَوَى عَنْ سَرِيِّ السَّقَطِيِّ وَغَيْرِهِ، رَوَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ الْقَطِيعِيُّ وَأَبُو جَفْصٍ بْنُ شَاهِينَ وَغَيْرُهُمَا: الْمُبَابُ ٢٥٥/٢.

(١) قُلْتُ: فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَسْرُورٌ لَا تُقْبَلُ، وَهِيَ وَإِنْ حَصَلَتْ مَعَهُ حَقِيقَةٌ، مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَذْكُرَهَا وَهُوَ عَلَى دَرَجَتِهِ مِنَ الزُّهْدِ وَالْعَنَمِ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ إِظْهَارَ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ قَدْ يَضِلُّ بَعْضُ النَّاسِ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، هَذَا طَبَعًا أَنْ صَحَّتْ هَذِهِ الرَّوَايَةُ عَنْهُ. وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ زِيَادٍ الْمُقَرِّي، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَرَجِ لَمْ أَرْ مِنْ تَرْجُمٍ لَهُمَا أَوْ ذِكْرِهِمَا فِي كِتَابِ الْجَرَحِ وَالْتِمَعْدِيلِ الَّتِي بَيْنَ بَدْنِي عَلَى كَثَرَتِهَا. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(٢) جَمَعَ طَبَرًا، وَهُوَ الثَّوْبُ الْخَلْقِيُّ، أَيِ: الْبَالِي. مَخْتَارُ الصَّحَاحِ ص ١٥٩.

(٣) أَيِ: مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ.

(٤) أَيِ الْمَدِينَةِ الْمَنُورَةِ، شَرَّفَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَصَلَّى عَلَى سَاكِنَتِهَا خَيْرَ الْأَنَامِ، مُحَمَّدٌ - ﷺ - .

فصرنا إلى قبر رسول الله - ﷺ - ، فزدناه . ثم فارقتني ، وقال : الموعد في الوقت من الليل في المصلى . حتى إذا كان الوقت خرجت فإذا به في المصلى . فأخذ بيدي ، ففعل كفعله في الأولى والثانية ، حتى أتينا مكة في الليل . ففارقني . فقبضت عليه ، وقلت : الصحبة . فقال : إني أريد الشام . فقلت : أنا معك . فقال لي : إذا انقضى الحج فالموعد ها هنا عند زمزم .

حتى إذا انقضى الحج إذا به عند زمزم . فأخذ بيدي ، فطفنا بالبيت ، ثم خرجنا من مكة . ففعل كفعله الأول والثاني والثالث ، فإذا نحن ببيت المقدس . فلما دخل المسجد ، قال لي : عليك السلام ! أنا على المقام - إن شاء الله - ها هنا . ثم فارقتني ، فما رأيته بعد ذلك ، ولا عرفني اسمه .

قال إبراهيم : فرجعت إلى بلدي ، فجعلت أسير سير الضعفاء منزلاً بعد منزل حتى رجعت إلى «بلخ» ، فكان ذلك أول أمري .

قال الشُّكْلِي : حدثنا علي بن سعيد ، قال : ثنا إبراهيم بن يشار ، قال : ركبنا البحر مع إبراهيم بن أدهم ، فبينما نحن نسير بريح طيبة ، وكانت مراكب كثيرة ، فعصفت ربح شديدة على المراكب فتفطعت ، وإبراهيم مُلتَفٌّ في عباءة مستلقٍ . فجاء أهل المركب إليه ، فقالوا : يا هذا ! ما نرى ما نحن فيه ، وأنت مستلقٍ غير مكترثٍ ؟ فجلس وهو يقول : لا أفلح من لم يكن استعداداً لمثل هذا اليوم ، ثم حرك شفتيه ، وإذا هاتِفٌ ينادي من النُّجَّة : تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم ؟ أيها الرِّيح والبحر الهاج ، اسكنا بإذن الله ؛ فسكن البحر ، وذهبت الرِّيح ، حتى صار البحر كأنه دفء ، يعني ، لوح خشب .

٦٤ - [توبة شقيق البلخي]^(١)

أخبرنا أبو الفتح بن عبد الباقي ، قال : ثنا أبو الفضل الحدَّاد ، أنا أبو نعيم

(١) روى هذه القصة الحافظ أبو نعيم في الحلية ٥/٨ ، من طريق الشُّكْلِي ، إلا أنه قال : عن خلف بن نعيم ، قال : كان إبراهيم بن أدهم في البحر فعصفت الرياح . وذكر القصة بنحوها .

وذكر للقصة أسانيد أخر عن إبراهيم بن أدهم من غير طريق الشُّكْلِي .

قلت : وهذا الاختلاف على الشُّكْلِي إما أن يكون سمعه من كلا الطرفين ، فكان يحدث مرة هكذا ومرة هكذا ، أو يكون خلط ووهم ، وهو لم يكن بالحافظ ، بل كان من الزهاد ، والله تعالى أعلم .

(٢) هو شقيق بن إبراهيم البلخي ، أبو علي ، من كبار الزهاد ، من خراسان ، وكان من كبار المجاهدين ، استشهد في غزوة كولان ، ما وراء النهر ، سنة أربع وتسعين ومائة .

انظر ترجمته في الحلية ٥٨/٨ - ٧٣ ، وميزان الاعتدال ٢/٢٧٩ ، ولسان الميزان ٣/١٥١ - ١٥٢ .

الحافظ^(١)، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد البغدادي، ثنا عباس بن أحمد الشاشي^(٢)، ثنا أسير عقيل الرضافي^(٣)، ثنا أحمد بن عبد الله الزاهد، قال: قال علي بن محمد بن شقيق: كان لجدي ثلثمائة قرية: ولم يكن له يوم مات كفن يُكفن فيه، قَدَّمَهُ كُلُّهُ بين يديه، قال: وكان خرج إلى بلاد الترك لتجارة - وهو حَدَّثُ - إلى قوم يقال لهم: الخلوخية يعبدون الأصنام. فدخل إلى بيت أصنامهم، وعالمهم قد حلق رأسه ولحيته، وليس ثياباً حمراً أرجوانية، فقال له شقيق: إن هذا الذي أنت فيه باطل، ول هؤلاء ولك ولهذا الخلق خالق صانع ليس كمثله شيء، له الدنيا والآخرة، قادر على كل شيء، رازق كل شيء. فقال له الخادم: ليس يوافق قولك فعلك. فقال له شقيق: كيف ذلك؟ قال: زعمت أن لك خالفاً قادراً على كل شيء، وقد تعيّنت^(٤) إلى ما هنا لطلب الرزق، ولو كان كما تقول كان الذي يرزقك ما هنا يرزقك ثم، فترج العناء. قال شقيق: فكان سبب زهدي كلام التركي. فرجع فتصدق بجميع ما ملك وطلب العلم.

٦٥ - [عبد الله بن مرزوق]^(٥)

وروى أبو سعيد، بإسناد له أن عبد الله بن مرزوق كان مع المهدي في دنيا

(١) في الحلية ٥٩/٨.

(٢) في حلية الأولياء ٥٩/٨: الشاشي. والله تعالى أعلم.

والشاشي: يفتح الشين المعجمة، بعد الألف شين ثنية هذه النسبة إلى الشاش، وهي مدينة وراء نهر سيحون، خرج منها جماعة من العلماء، الباب ١٧٤/٢.

(٣) الرضافي: يضم الراء. وفتح تصاد المهملة، وبعد الألف السكون فاء، هذه النسبة إلى مدينة الرضافة، وهي مدينة بالشام كان هشام بن عبد الملك يكثر سكناها، فسبب إليه. وهي - أيضاً - نسبة إلى مدينة بالاندلس عند قرطبة، يقال لها، الرضافة. وإلى محلة الرضافة ببغداد، وبها جامع المهدي. وإلى الرضافة التي بواسط. وإلى الرضافة، وهي مدينة صغيرة، ناحية البصرة. انظر الباب ٢٩/٢.

(٤) في الحلية ٥٩/٨: تعيّنت.

وتعّينت، أي: تحملت العناء، وهو التعب والنصب، انظر مختار الصحاح ص ٥٢٩.

(٥) قال الحافظ ابن حجر في لسان الميراث ٣/٣٥٦: «عبد الله بن مرزوق، روى عنه أبو الحسين بن المظفر، قال الخطيب - أي البغدادي - هو: عبد الباقي بن قانع، دُنه ابن المظفر، فسماه: عبد الله، ونسبه إلى أحد أجداده، أ هـ».

واسعة. فشرب ذات يوم على لهو وسماع، فلم يصل الظهر والعصر والمغرب، وفي كل ذلك تنبهه جارية حَظِيَّةٌ^(١) عنده.

فلما جاز وقت العشاء جاءت الجارية بجمرة فوضعتها على رجله، فانزعج، وقال: ما هذا؟ قالت: جمرة من نار الدنيا، فكيف تصنع بنار الآخرة؟ فبكى بكاءً شديداً، ثم قام إلى الصلاة.

ووقع في نفسه مما قالت الجارية، فلم ير شيئاً ينجيهِ إلا مفارقة ما هو فيه من ماله.

فأعتق جواريه، وتحلّل من معامليه، وتصدّق بما بقي، حتى صار يبيع البَقْل، وتبعته على ذلك الجارية.

فدخل عليه سفيان بن عيينة^(٢)، وفضيل بن عياض^(٣)، فوجدا تحت رأسه لينةً وليس تحته شيء. فقال له سفيان: إنه لم يدع أحد الله شيئاً إلا عوضه الله منه بدلاً، فما عوضك مما تركت له؟ قال: الرضى بما ألتا فيه.

٦٦ - [جعفر بن حرب]^(٤)

وذكر أبو القاسم التُّوخي^(٥)، عن أبيه، أنَّ جعفر بن حرب كان يتقلّد كبار الأعمال

- وعبد الباقي بن قانع، هو أبو الحسين الحافظ، قال الدارقطني: كان يحفظ ولكنه يحطىء، ويصيب، وقال المرقطي: هو عدي ضئيف، ورأيت البغداديين يؤثفونه، وقال أبو الحسن بن الفرات: حدث به اختلاط قبل موته بستين.

وقال الخطيب البغدادي: لا أدري لماذا ضَعَفَ البِرْقاني، فقد كان ابن قانع من أهل العلم والدراية، ورأيت عامّة شيوخنا يؤثفونه، وقد تغيّر في آخر عمره، مات سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة.

وهذا هو التراجع، كذا في لسان الميزان ٣/٣٨٣ - ٣٨٤.

(١) أي: ذات مكانة وجاء عنده، أنظر مختار الصحاح ص ٤٩٧ - ٤٩٨.

(٢) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران مسود الهلالي، أبو محمد، الكوفي، ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، مات في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة، وله إحدى وتسعون سنة التقريب ٣١٢/١.

(٣) هو فضيل بن عياض بن مسعود الثيمي، أبو علي، الزاهد المشهور، أصله من حراسان، وسكن مكة. ثقة عابد إمام، مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل قبلها، التقريب ١١٣/٢.

(٤) هو جعفر بن حرب الهمداني، البغدادي، من كبار المعتزلة في بغداد، درس الكلام بالبصرة عن أبي الهذيل العلاف، وكان زاهداً، وله اختصاص بالوائق العباسي، وصنف كتاباً معروفة عند المتكلمين، منها: الإيضاح، والمترشد، والأصول الخمسة التي بُني عليها الإسلام، توفي سنة ست وثلاثين ومائتين، وهو ابن سبع وخمسين سنة.

للسلطان. وكانت نعمته تقارب نعمة الوزارة في غاية الوفور، ومنزله بحالها في الجلالة. فسمع رجلاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (١). فصاح: اللَّهُمَّ بلى، فكررها دفعات، وبكى.

ثم نزل عن دابته، ونزع ثيابه، ودخل إلى دجلة (٢) واستتر بالماء، ولم يخرج منه

= أنظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٦٢/٧ - ١٦٣، وميزان الإعتدال ٤٠٥/٦، ولسان الميزان ١١٣/٢، ومعجم المؤلفين ١٣٦/٣.

(٥) قال في الباب ٢٢٥/١: «التوخى: بفتح التاء ثالث الحروف، وضَمَّ التاء المخففة، وفي آخرها الخاء المعجمة.

هذه النسبة إلى توخ، وهو اسمٌ لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين، وتحالفوا على التناصر، فأقاموا هناك، فسُموا توخاً، والتوخ: الإقامة.

منهم: ... وأبو القاسم - الرازي عند المصنف - علي بن محمد بن أبي الفهم - واسم أبي الفهم داود - ابن إبراهيم بن نعيم التوخي، ولد بآنطاكية في ذي الحجة، سنة ثمان وسبعين ومائتين، وقدم بغداد وتفق بها على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث من الحسن بن أحمد بن فيل الأنطاكي وغيره، وكان معتزلياً، وتوفي بالبصرة شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة أهد.

وأنظر ترجمته أيضاً - في: تاريخ بغداد ٧٧/١٢ - ٧٩، ولسان الميزان ٢٥٦/٤ - ٢٥٧، وشذرات الذهب ٣٦٢/٢ - ٣٦٤، ومعجم المؤلفين ١٩٦/٧.

(١) سورة الحديد، آية رقم ١٦/، وتامها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

روى الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب التفسير، باب (١) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، حديث رقم (٣٠٢٧) ٢٣١٩/٤، عن ابن مسعود أنه قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية. ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلا أربع سنين.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣١٠/٤: «يقول الله تعالى: أما أن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي تلين عند الذكر، والموعظة، وسماع القرآن فتفهمه، وتتفادله، وتسمع له وتطيعه...».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، نهى الله تعالى المؤمنين أن يشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بذلوا كتاب الله الذي بأيديهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، وبذروه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء، المختلفة، والأقوال المتوفكة، وقذروا الرجال في دين الله، واتخذوا أحيارهم ورجانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعده ولا وعيد ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، أي: في الأعمال، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة، كما قال تعالى: ﴿فَيَسْأَلُهُمْ فِيهَا قَاسِمُهَا وَيَعْلَمُ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ قَاسِمًا﴾، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حقاً مما ذكروا به، أي: فسدت قلوبهم فقسّت، وصار من سميتهم تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الأعمال التي أمروا بها، وارتكبوا ما نهوا عنه ولهذا نهى الله المؤمنين أن يشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية أهد.

(٢) هو نهر ببغداد معروف.

حتى فرّق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه، وردّها، ونصدّق بالباقي .
فاجتاز رجل فوّاه في الماء قائماً - وسمع بخبره - فوهب له قميصاً ومئزرأ، فاستتر
بهما وخرج . وانقطع إلى العِلْم والعبادة حتى مات .

٦٧ - [توبة هارون الرشيد]^(١)

أخبرنا محمّد، ثنا حمّد، قال: أنبأ أحمد، ثنا^(٢) سليمان بن أحمد، قال: أنبأ
سليمان بن أحمد، قال: أنبأ محمّد بن زكريا الغلابي^(٣)، ثنا أبو عمر الجرمي النُحوي^(٤)،

(١) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية
في العراق، وأشهرهم، ولد بالرّي، ونشأ في دار الخلافة ببغداد، بُويج بالخلافة بعد وفاة أخيه
الهادي سنة (١٧٠) هـ . فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه، وكان عاتماً، يحب الفقه
والفقهاء، ويميل إلى العلماء، ويحب الشعر والشعراء، ويُعظّم في صدره الأدب والأدباء، وكان يكره
المراء في الدين والجدال، وكان فصيحاً، شجاعاً، كثير الغزوات، له وقائع كثيرة مع الروم، توفي
سنة (١٩٣) هـ . وكانت خلافته (٢٣) سنة .
انظر تاريخ بغداد ٥/١٤ - ١٣ .

(٢) في المطبوعة: أنبأ أحمد بن سليمان بن أحمد، وهو خطأ وأحمد هو: ابن عبدالله أبو نعيم
الأصبهاني، والقصة ذكرها في الحلية ٨/١٠٤ - ١٠٨ .

(٣) هو محمد بن زكريا بن دينار الغلابي، البصري . الأخباري، أبو جعفر، قال في ميزان الاعتدال
٣/٥٥١: «هو ضعيف، وقد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وقال: يُعتبر بحديثه إذا روى عن
ثقة» .

وقال: ابن منده: تُكَلِّم فيه .
وقال الدارقطني: يضع الحديث .
ثم ساق له حديثين منكرين، أ هـ .
وقال المحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٥/١٦٨ - ١٦٩: «وبقِيّة كلام ابن حبان، قال: في روايته
عن المجاهيل بعض المتأكّر» .

وقال الحاكم في تاريخه: حدثنا الحسن بن محمد، ثنا محمد بن زكريا، ثنا . . . فذكر حديثاً ثم قال:
رواته ثقات إلا محمد بن زكريا، وهو الغلابي المذكور، فهو آفته .
قال أبو عبدالله بن منده: حدّث الغلابي عن أبي زيد الأنصاري، صاحب أخبار تُكَلِّم فيه .
توفي بالبصرة بعد سنة ثمانين ومائتين، أ هـ .

والغلابي: بفتح الغين، وبمدها لام ألف متحقفة، ثم باء موحدة، هذه النسبة إلى غلاب، وهو اسم
لبعض أجداد المتسبب إليه، وهو أبو بكر محمد بن زكريا بن دينار الغلابي، اللباب ٢/٣٩٥ .
(٤) هو صالح بن إسحاق، الجرمي، نحوي، لغوي، فقيه أخباري، عروضي، له أحاديث، قدم بغداد
وأخذ النحو عن الأختف، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة الأصمعي وغيرهما، وكان ممن اجتمع له مع
العلم صحة المذهب وحسن الاعتقاد، توفي سنة خمس وعشرين ومائتين، من مصنفاته: الكتاب
المختصر في النحو، النثبة والجمع، كتاب العروض، وكتاب الأبنية .

ثنا الفضل بن الربيع^(١)، قال:

حجَّ أمير المؤمنين هارون الرشيد. فبينما أنا نائم بمكة إذ سمعت قرع الباب، فقلت: من هذا؟ قال: أجب أمير المؤمنين. فخرجت مُسرَّعاً، فقلت: يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إليّ لأتيك. فقال: ويحك، قد خطر في نفسي شيء، فانظر لي رجلاً أسأله. فقلت: ها هنا سفيان بن عُيينة^(٢). فقال: امض بنا إليه. فأتيناه، فقرعت الباب، فقال: من ذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين؛ فخرج مسرعاً، فقال: يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إليّ لأتيك. فقال له: خذ لما جئتاك له - رحمك الله -، فحدثه ساعة، ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم. قال: اقض دينه^(٣).

فلما خرجنا، قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله. فقلت: ها هنا عبد الرزاق بن همام^(٤). فقال: امض بنا إليه. فأتيناه، فقرعت عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين! فخرج مسرعاً، فقال: يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إليّ لأتيك. قال: خذ لما جئتاك له - رحمك الله -، فحدثه ساعة، ثم قال: عليك دين؟ قال: نعم. قال: يا عباسي! اقض دينه^(٥).

= أنظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٩/٣١٣-٣١٥، البداية والنهاية ١٠/٢٩٣، شذرات الذهب ٢/٥٧٠.
اللباب ١/٢٧٤، ومعجم المؤلفين ٣/٥.
والجرمي: مفتع الحميم، وسكون الراء، وفي آخرها الحميم، هذه النسبة إلى حرّم، وهي قبيلة. انظر: البداية والنهاية ١٠/٢٧٣.

(١) هو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي صوفة، واسم أبي صوفة كيسان، وكنيته الفضل: أبو العباس، وكان حاجب هارون الرشيد، ومحمد الأمير، وكان أبوه حاجب المنصور والمهدي، ولما أنضت الخلافة إلى الأمين، قديم الفضل عليه من خراسان - وكان في صحبة الرشيد - إلى أن مات بطوس -، فأكرم الأمين الفضل، وأتقى أزمة الأمور إليه، وعوّل في مهماته عليه، وقد أسد الحديث عن المنصور والمهدي أمير المؤمنين، توفي سنة سبع ومائتين، وقيل في سنة ثمان ومائتين، وغلب - مولده كان في سنة أربعين ومائة، وقيل - في سنة ثمان وثلاثين ومائة. تاريخ بغداد ١٢/٣٤٣-٣٤٤.
وهذا إسناد ضعيف عن الفضل بن الربيع، فيه محمد بن زكريا لعلاي، وهو ضعيف، كما أن - لكن يبدو أن لفظة إسناداً آخر، يظهر ذلك من قوله آخر القصة، وقال عبد أبي عمر - في الجرمي - : فبينما نحن كذلك... فيظهر هنا أن هناك من روى لقصة غيره، فربما عليه، والله تعالى أعلم.

(٢) هو الإمام المعروف - رحمه الله تعالى -، وقد تقدمت ترجمته في القصة قبل السابقة.

(٣) أي: أمير المؤمنين هارون الرشيد.

(٤) الخطاب هنا للفضل بن الربيع.

(٥) هو الحافظ عبد الرزاق بن همام الثعالبي، صاحب المصنّف، تقدمت ترجمته صافية له.

ثم انصرفنا، فقال لي: ما أغنى عني صاحبك شيئا، انظر لي رجلاً أسأله. قلت: ها هنا الفضيل بن عياض^(١). فقال: امض بنا إليه. فأتيناه وإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها. قال: افرع الباب؛ فقرعته. فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين. فقال: مالي ولا مير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله! أما عليك طاعته؟ فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغقة فأطفا السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت.

فدخلنا فحملنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كفت هارون قبلي إليه. فقال^(٢): يا لها من كفت ما نعيمها وألينها إن نجت غداً من عذاب الله. فقلت في نفسي: ليكلمته الليلة بكلام نقي من قلب نقي. فقال له: خذ لما جئت لك له - رحمك الله - .

فقال^(٣): إن عمر بن عبد العزيز لمّا ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله^(٤)، ومحمد بن كعب القرظي^(٥)، ورجاء بن حيوة^(٦)، فقال لهم: قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا عليّ. فعُدّ الخلافة بلاءً، وعددتها أنت وأصحابك نعمة؟! .

فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصُـم عن الدنيا وليكن إقامارك معها الموت.

وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين

(١) هو الإمام المعروف بالرهف والورع - رحمه الله تعالى - . وقد تقدمت ترجمة له في القصة قبل السابقة.

(٢) أي: التفصيل. وذكر الخطيب في تاريخه ٨/١٤٤ بسنده عن عبد الله بن عمر الثوري، قال: لما نفي هارون الرشيد فضيل بن عياض - قال له الفضيل - ما حسن الوجه أنت المسؤول عن هذه الأمة.

(٣) أي: التفصيل بن عياض.

(٤) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو عمر، أو أبو عبد الله المدني، أحد التابعين السبعة، وكان ثقتاً عذاً فاضلاً. كان يشتهر بأبيه في النهدي واستُعت، من كبار التابعين، مات في آخر سنة ثمان ومائة على الصحيح. التقريب ٢٨٠/١.

(٥) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي المدني، وكان قد برز الكوفة مدة، ثم هاجر إلى الشام، من التابعين. قُتل سنة أربعين على الصحيح، ورواه من قال ولد في عهد النبي - عليه السلام - فقد قال البخاري: إن من كان ممن لم يثبت من بني قريظة مات محمد سنة عشرين ومائة، وقيل قبل ذلك. التقريب ٢٠٣/٢.

والقرظي - ضم الهمزة - وفتح الراء، وفي آخرها طاء معجمة. هذه السببة إلى قريظة، وهو اسم رجل من بني أسد، مات في الحرب المدينة، اللط ٢٦/٣.

(٦) هو رجاء بن حيوة - بفتح المهملة، وسكون التحتانية، وفتح الواو - ، الكندي، أبو السقذام، ويقال: أبو نصر، الفلسطيني، ثقة فقيه، من التابعين، مات سنة اثني عشرة ومائة، التقريب ٢٤٨/١.

عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فوفّر أباك، وأكرم أخاك، وتحنّن على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واکره لهم ما تكره لنفسك، ثم مُت إذا شئت. وإني لأقول لك هذا، وإني لأخاف عليك أشد الخوف في يوم تزول فيه الأقدام، فهل معك - رحمك الله - مثل هؤلاء من يشير عليك أو يأمرك بمثل هذا؟

فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غشي عليه.

فقلت له: أرفق بأمر المؤمنين. قال: يا ابن أمّ الربيع، تقتله أنت وأصحابك وأزفّق به أنا؟

ثم أفاق، فقال: زدني رحمك الله.

فقال: بلغني يا أمير المؤمنين، أنّ عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه. قال: فكتب إليه عمر: يا أخي، اذكر طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، فإن ذلك يطرد بك إلى باب الرب نائماً ويقظان، وإياك أن ينصرف بك من عند الله إلى النار، فيكون آخر العهد، ومُنفّطع الرجاء.

قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر. فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لاؤليت لك ولاية حتى ألقي الله.

فبكى هارون بكاءً شديداً، ثم قال له: زدني - رحمك الله - .

فقال: يا أمير المؤمنين! إن العباس، عمّ المصطفى - ﷺ - ، جاء إلى النبي - ﷺ - ، فقال له: أمّرني. فقال له النبي - ﷺ - ، «يا عباس، يا عم النبي، نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها، إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تتأمرن على أحد فافعل»^(١).

(١) لم أجد هذا الحديث بتمامه هكذا، ولعله منقّل من ثلاثة أحاديث.

فأما جزؤه الأول: يا عباس، يا عم النبي، نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها، فقد عزاه الحافظ العراقي في تحريج الإحياء لابن أبي الدنيا هكذا معضلاً بغير إسناد، ورواه البيهقي [٩٦/١٠] من حديث جابر متصلاً، ومن رواية أس المنكدر مرسلأ، وقال: هو المحفوظ مرسلأ، وقد روى أحمد في المسند من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: جاء حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - إلى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله، اجعلي على شيء أعيش به، فقال رسول الله - ﷺ - : يا حمزة، نفس تنجيها أحب إليك أم نفس تميتها؟ قال: نفس أحييها، قال: عنك نفسك. رواه أحمد ورواه ثقات إلا ابن لهيعة، أهد. نقلًا عن هامش المطبوعة.

قال: فبكى هارون بكاءً شديداً، ثم قال له: زدني - رحمك الله - .

قال: يا حسن الوجه، أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق، فإن استطعت أن تقني هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتسمي وفي قلبك غشٌ لرعيته، فإن النبي - ﷺ - قال: «ومن أصبح لهم غاشاً لم يرح راحة الجنة»^(١).

قلت: ولعل نسبة عم النبي - ﷺ - حمزة، هو خطأ من ابن لهيعة، فحمزة - رضي الله عنه - استشهد في معركة أحد، ولم يكن حينها للنبي - ﷺ - شيء، حتى يسأله حمزة إياها، والله تعالى أعلم ورواه - أيضاً - أبو يعين في الحلية ١٣٨/٦، عن الأورعي، عن النبي - ﷺ -، وهو ظاهر الإقضاع، ومن العلفت للنظر أن الأورعي ذكر هذا الحديث لهارون الرشيد - كما هنا - ذكره ضمن قصة طويلة في وعظه له.

فيرتقي هذا الحز - من الحديث بهذه الطرف إلى درجة الحسن بغيره، والله تعالى أعلم.

وأما الحز - الثاني منه: إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام، باب (٧) ما ينكره من التحريض على الإمارة، حديث رقم (٧١٤٨) ١٣/١٢٥، عن أبي هريرة، عن النبي - ﷺ - قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرصعة، وبشت الماطمة»

ورواه النسائي في كتاب البيعة، باب (٣٩)، وفي كتاب القضاة، باب (٥) وأحمد في المسند ٤٤٨/٢ - ٤٧٦.

قال نحاف ابن حجر في الفتح ١٢/١٢٥: وقوله «وستكون ندامة يوم القيامة» أي: لمن لم يعمل فيها ما ينبغي، ورواه في رواية شبيهة: وحسرة: أهـ.

وفي طلب الإمارة وغيرها من المناصب اختلاف، وقد بيته في كتاب الأحكام السلطانية للماوردي، الذي قد طبع بتحفيقي فافطره.

وأما الفقرة الأخيرة من الحديث: فإن استطعت أن لا تأمرن على أحد فافعل، فقد روى مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب (٤) كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث رقم (١٨٢٦) ٣/١٤٥٧ - ١٤٥٨، عن أبي ذر، أن رسول الله - ﷺ - قال: «يا أيها فر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك، ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين، ولا تؤلن مال يتيم».

ورواه - أيضاً - أبو داود في سننه، في كتاب الوصايا، باب (٤) نحوه.

(١) رواه عن مغفل بن يسار - رضي الله عنه - بلفظ: ما من والد يولي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة.

البخاري في كتاب الأحكام، باب (٨) من استرعى رعية فلم ينصح، حديث رقم (٧١٥١) ١٣/١٣٧، واللفظ له.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٦٣) استحفاظ الوالي الغاش لرعيته النار، حديث رقم (١٤٢)، حديث الكتاب رقم (٢٢٧ - ٢٢٨) ١/١٢٥، وأؤلفه. ما من عبد يسرعه الله رعية، يموت يوم يموت، وهو غاش.

وفي كتاب الإمارة، باب (٥) فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، والهي عن رجال المشقة عليهم، حديث الكتاب رقم (٢١) ٣/١٤٦٠، نحو اللفظ السابق.

فبكى هارون بكاءً شديداً، ثم قال: عليك دين؟ قال: نعم، ديني لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألتني، والويل لي إن ناقشتني، والويل لي إن لم ألهم حاجتي.

قال: فقال: إنما أعني من دين العباد.

قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، إن ربي أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(١).

فقال له: هذه ألف دينار، خذها فأنفقها وتفرّج بها على عبادة ربك. فقال: يا سبحان الله: أنا أدلك على النجاة وأنت تكافيني بمثل هذا؟ سلمك الله ووفقك؛ ثم صمت، فلم يكلمنا.

فخرجنا من عنده، فلما أن صرنا على الباب، قال لي هارون: يا عباسي! إذا دللتني على رجل فدلّني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين اليوم.

قال غير أبي عمر^(٢): فبينما نحن كذلك إذ دخلت عليه امرأة من نساؤه، فقالت: يا هذا، قد ترى سوء ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال تفرّجنا به؟ قال: مثلي ومثلكم كمثّل قوم كان لهم بغير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه وأكلوا لحمه.

١ - والدارمي في كتاب الرقائق، باب (٧٧) في العذل بين الرعية، حديث رقم (٢٧٩٦) ٤١٧/٢ بتحقيق، نحو لفظ مسلم.

وأحمد في المسند ٢٥/٥.

والبيهقي في سننه الكبرى ٤١/٩.

- ورواه عنه - أي: عن معقل - أيضاً - بلفظ: ما من عبد يسرعه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد راحة الجنة:

البخاري في كتاب الأحكام، باب (٨) من استسرعي رعية فلم ينصح، حديث رقم (٧١٥١) ١٢٦/١٣ - ١٢٧، واللفظ له.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٦٣) استحقاق الوالي، الغاشل شرعيته النار، حديث رقم (١٤٢)، حديث الكتاب رقم (٢٢٩) ١٢٦/١، ونقظه: ما من أمير يلي أقر المسلمين، ثم لا يجهد لهم، وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة.

وفي كتاب الإمارة، باب (٥) فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر...، حديث الكتاب رقم (٢٢) ١٤٦٠/٣ - ١٤٦١، مثل اللفظ السابق.

وأحمد في المسند ٢٧/٥.

والبيهقي في سننه الكبرى ٤١/٩.

(١) سورة الذاريات، الآيات ٥٦ - ٥٨.

(٢) هو الجرمي، راوي القصة عن الفضل بن الربيع، كما تقدم في سند هذه القصة.

فلما سمع هارون الكلام، قال: نرجع فمعي أن يقبل المال؛ قال: قد دخل. فلما علم فضيل، خرج فجلس على تراب في السطح على باب الغرفة، وجاء هارون فجلس إلى جنبه، فجعل يكلمه فلم يجبه.

فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا، قد أذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف - رحمك الله -، قال: فانصرفنا.

٦٨ - [توبة ابن هارون الرشيد]

قرأت على الشيخ الصالح أبي المكارم المبارك بن محمد بن المعمّر الباذرائي^(١)، أخبركم أبو غالب بن أحمد الباقلائي، وقُرئ على أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن هلال الدقاق وأنا أسمع. أخبركم أبو طاهر عبد الملك بن أحمد السيوري^(٢)، قالاً: أنبأ أبو القاسم بن بشران، أنبأ أبو بكر الأجرّي، قال: سمعت أبا بكر بن أبي الطيّب، يقول: بلغنا عن عبد الله بن الفرّج المابدي^(٣)، قال:

احتجت إلى صانع يصنع لي شيئاً من أمر الروّجاريّين^(٤)، فأتيت السوق، فإذا بأواخرهم شاب مصفرّ، بين يديه زنبيل^(٥) كبير ومرّ^(٦)، وعليه جبة صوف ومئزر صوف، فقلت له: تعمل؟ قال: نعم. قلت: يكّم؟ قال: بدرهم ودائق^(٧).

فقلت له: قم حتى تعمل. قال: على شريطة. قلت: ما هي؟ قال: إذا كان وقت الظهر فأذن المؤذن خرجت فتطهرت وصليت في المسجد جماعة ثم رجعت، فإذا كان وقت العصر فكذلك. فقلت: نعم.

فقام معي، فجنّنا المنزل، فوافقتني على ما ينقله من موضع إلى موضع. فشذّ وسطه

(١) الباذرائي: يفتح الباء الموحدة، والداد المهملة بعد الألف، ويعدّها راء، هذه النسبة إلى باذرا، وهي قرية أظنها من أعمال واسط، الباب ١٠٤/١.

(٢) السيوري: يضم السين المهملة والياء آخر الحروف، وبعد الواو. هذه النسبة إلى عمل السور، وهو أن يقطع الجلد سُوراً دقاًفاً ويخرز بها السروج، الباب ١٧٠/٢.

(٣) هو عبد الله بن الفرّج، أبو محمد القنطري، كان أحد العبّاد، وكان بشر بن الحارث يودّه ويؤوّه، حكى عن فتح الموصلي وغيره حكايات، روى عنه محمد بن الحسين، البرجلاني، وأحمد بن محمد النّاسخي، وعلي بن الموفق وغيرهم، تاريخ بغداد ٤١/١٠ - ٤٢. وهذا إسناد فيه انقطاع، وهو ظاهر من قوله: بلغنا عن عبد الله.

(٤) هم: المئال الذين يقومون بأعمال مختلفة بأجر يومي.

(٥) هو رعاء معروف، أنظر أساس البلاغة ص ١٨٨، ومختار الصحاح ص ٣٦٣.

(٦) قال في مختار الصحاح ص ١٨١: والمرّة - واحدة المرّ والمرار والمُمرّ: الرخام، أحد.

(٧) الدائق: - يفتح النون وكسرها - سدس الدرهم. مختار الصحاح ص ٣١٦.

وجعل يعمل، ولا يكلمني بشيء حتى أذن المؤذن الظهر. فقال: يا عبد الله! قد أذن المؤذن. قلت: شأنك. فخرج فصلّي، فلما رجع عمل أيضاً عملاً جيداً إلى العصر. فلما أذن المؤذن، قال لي: يا عبد الله! قد أذن المؤذن. قلت: شأنك. فخرج فصلّي العصر، ثم رجع.

فلم يزل يعمل إلى آخر النهار، فوزنت له أجرته وانصرف.

فلما كان بعد أيام احتجنا إلى عمل. فقالت لي زوجتي: اطلب لنا ذاك الصانع الشاب، فإنه قد نصحنا في عملنا. فبحث السوق، فلم أراه. فسألت عنه، فقالوا: تسأل عن ذاك المصفر المشؤوم الذي لا نراه إلا من سبت إلى سبت، لا يجلس إلا ويأخذ في آخر الناس؟ قال: فأنصرفت.

فلما كان يوم السبت أتيت السوق فصادفته. فقلت: تعمل؟ فقال: قد عرفت الأجرة والشرط. قلت: أستخير الله تعالى.

فقام فعمل على النحو الذي كان يعمل.

قال: فلما وزنت له الأجرة زدته، فأبى أن يأخذ الزيادة. فالححت عليه، فضجر وتركني ومضى. فغمني ذلك، فأتبعته وداريته حتى أخذ أجرته فقط.

فلما كان بعد مدة احتجنا أيضاً إليه. فمضيت في يوم السبت فلم أصادفه. فسألت فقيل لي: هو عليل. وقال لي من يخبر أمره: إنما كان يجيء إلى السوق من سبت إلى سبت يعمل بدرهم ودانق، ويتقوت كل يوم بدانق، وقد مرض.

فسألت عن منزله، فأتيت وهو في بيت عجوز. فقلت لها: هنا الشاب الروزجاري؟ فقالت: هو عليل منذ أيام. فدخلت عليه، فوجدته لما به، وتحت رأسه لبننة. فسلمت عليه، وقلت: لك حاجة؟ قال: نعم إن قبلت، قلت: أقبل إن شاء الله.

قال: إذا مت فبع هذا المر، واغسل جبتي هذه الصوف، وهذا المشر، وكفني بهما، واغتنق جيب الجبة فإن فيها خاتماً، وانظر يوم يركب هارون الرشيد، فقف له في موضع يراك، فكلّمه وأره الخاتم؛ فإنه سيدعوك، فسلم إليه الخاتم، ولا يكون هذا إلا بعد دفني. قلت: نعم.

فلما مات فعلت به ما أمرني. ثم نظرت اليوم الذي يركب فيه الرشيد، فجلست له على الطريق. فلما مر، ناديت: يا أمير المؤمنين! لك عندي وديعة. ولوحت بالخاتم؛ فأمر بي، فأخذت وحملت حتى أدخلت إلى داره. ثم دعاني، ونحى جميع من عنده، وقال: من أنت؟ قلت: عبد الله بن الفرج. فقال: هذا الخاتم من أين لك؟ فحدثته قصة

الشاب . فجعل يكي ، حتى رجمته .

فلما أنس إليّ ، قلت : يا أمير المؤمنين ! من هو منك ؟ قال : إني .

قلت : كيف صار إلى هذه الحال ؟

قال : وُلد لي قبل أن أُبْتلى بالخلافة ، فنشأ نشوءاً حسناً ، وتعلّم القرآن والعِلم . فلما وليت الخلافة تركني ، ولم ينل من دنياي شيئاً . فدفعْتُ إلى أمه هذا الخاتم - وهو باقوت يسوى مالاً كثيراً - فدفعتهُ إليها ، وقلت : تدفعين هذا إليه - وكان برآ بأمه - وتسألينه أن يكون معه ، فلعله أن يحتاج إليه يوماً من الأيام فينتفع به . وتوفيت أمه ؛ فما عرفت له خبراً إلا ما أخبرني به أنت .

ثم قال : إذا كان الليل أخرج معي إلى قبره . فلما كان الليل خرج وحده معي يمشي حتى أتينا قبره ، فجلس إليه ، فبكى بكاءً شديداً . فلما طلع الفجر قمنا فرجع .

ثم قال : تعاهدني في الأيام حتى أزور قبره ، فكنت أتعاهده في الليل ، فنخرج حتى نزوره ، ثم نرجع .

قال عبد الله بن الفرّج : ولم أعلم أنه ابن الرّشيد حتى أخبرني الرّشيد أنه ابنه . أو كما قال ابن أبي الطيّب^(١) .

٦٩ - [توبة عليّ بن المأمون ، والمأمون]^(٢)

وذكر إبراهيم بن الجُنَيد^(٣) في كتاب «زهد الملوك» ، بإسناده عن صالح بن

(١) هو أبو بكر بن أبي الطيّب الذي روى القصة .

(٢) المأمون هو عبدالله بن هارون الرّشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور ، أبو العباس ، وُلد سنة (١٧٠) هـ . تابع الخلفاء ، من بني العباس في العراق . وأحد أعظم الأمراء في سيرته وعلمه وسعة ملكه ، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة (١٩٨) هـ . فتَمّم ما بدأ به جدّه المنصور ، وغرب العلماء ، والمحدثين ، والفقهاء ، والمتكلمين ، وأهل اللغة والأخبار ، أخباره كثيرة ، توفي في بدون سنة (٢١٨) هـ . ودفن في طرسوس ، نقلًا عن هامش المطبوعة بنصّرف .

(٣) هو إبراهيم بن عبدالله بن الجُنَيد الخنلي ، نزيل سامرا ، أبو إسحاق ، الحافظ العالم ، سمع سعيد بن أبي مريم ، وأبا نعيم ، وأبا الوليد وغيرهم ، وسأل يحيى بن معين عن الرجال ، وصنف . وجمع ، حدّث عنه أبو العباس بن مسروق ، وأبو بكر الخراطي وآخرون ، وثقه الخطيب ، وقال : له كتب في الزهد والرفائق .

قلت - أي : الإمام الذهبي - : لم أظفر له بوفاء ، وكأنها في حدود الستين ومائتين ، تذكرة الحفاظ . ٥٨٦/٢

عبد العزيز، قال: أخبرني عمي عبد الحميد بن محمد:

أَنَّ المأمون كان يَجِدُّ بابه عليَّ وَجَدًا شديدًا، ويقدمه على جميع أولاده. وكان من أحسن الناس، وأجملهم، مع أدب وفصاحة.

قال عبد الحميد: وكنت إذا دخلت الدار أميل إليه فأسلم عليه؛ فازى معه حياة وبشاشة، ولا أرى فيه كبرًا ولا عِزًّا، بضاحك خدمه، ويلطف جلساءه؛ ثم أسخى من رأت عيناى، وأحسنه خلقًا، وأطيبه نفسًا. وكنت إذا رأته لا أكاد أصرف وجهي عنه من حسنه وجماله.

وكان سبب تزوجه فيما أخبرني به شاكر مولاه، قال: كان في يوم صائف شديد الحرِّ له سموم في قبة الجيش؛ فأتاه بمن الخادم، فقال: يا سيدي! أمير المؤمنين يدعوك، قد دعا بطعامه وهو ينتظرك. قال: ويحك! الحر شديد ويؤذني، وأكره الخروج، فأرجع فأعلمه أنك وجدنتي نائمًا. فمضى، فلم يكن بأسرع من أن رجع، فقال: قد قال: أدخل عليه ونبهه. وكان لا يصبر عنه ساعة - ، فقام وهو كاره، فحضر الطعام.

ثم قعد أمير المؤمنين للشرب مع ندمائه، فقام عليٌّ وخرج من المجلس؛ وكان لا يشرب شيئًا من الأنبة. فأنصرف إلى قصره، وأمر أن يُفرَّش له في بعض مستشفه على دجلة، وألقى فيه الماء والثلج والخلاف^(١)، وقعد على سرير عليه غلالة^(٢) ينظر إلى الناس، وإلى دجلة. ودعا بقياته^(٣) وندمائه.

فبينا هو كذلك، إذ نظر إلى حمال قد أقبل عند الزوال، عليه دراعة صوف بيضاء بالية، بلا قميص تحتها، ولا سراويل عليه؛ وقد شدَّ على رجله جرحًا من الحرِّ، وليس نعلين متخريقين، وعلى رأسه خرقة، وعلى عنقه كرز^(٤) وطبقه، فأتى دجلة وقعد في بعض السفن، - والأمير ينظر إليه مستشرف عليه لا يصرف بصره عنه - فوضع طبقه وكرزته، وخلع نعليه، وألقى الجرح عن رجله، ودنا من دجلة وغسل يديه ورجليه؛ وأنصرف إلى موضعه فأخرج جرابًا له، ففتحه، وأخرج منه كسرًا يابسة مختلفة الألوان.

(١) أي: المطور. أنظر أساس البلاغة ص ١١٩.

(٢) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب للبدن خاصة، كذا في أساس البلاغة ص ٣٢٧. ومختار الصحاح ص ٣٧٧، والمقصود هنا: إن السرير عليه شعار رقيق ناعم، كالذي يلبسه الإنسان تحت الثوب، والله أعلم.

(٣) البقاي: العيد والإماء، أنظر أساس البلاغة ص ٣٨٤.

(٤) قال الأستاذ عبد القادر أرناؤوط هامش المطبوعة: لعلها: كرز، والكُز: مُزب من الجوالق، وقيل: الخُز الذي يحمل فيه الراعي زاده ومناعه.

قلت: أنظر أساس البلاغة ص ٣٩٠ ففيها تأكيد لقوله، والله تعالى أعلم.

وأخرج منه قِصْعَةً خشب، ففعل فصعته، وجعل فيها ماء، وألقى تلك الكسر في الماء الذي في القِصْعَة، ثم أخرج صُرَّةً ففتحتها وأخرج منها مِلْحاً فشره على الخبز، وقليل سعنبر، وتركها مقدار ما بل الكسر. ثم تربع على الرمل وسقى الله تبارك وتعالى وأكل أكل رجل يشتهي الطعام، وهو مع ذلك يشكر الله تعالى؛ والأمير عيناه إليه. حتى فرغ وغسل القِصْعَة فردّها إلى جرابه مع كُسيرات بَقِيَّتْ، وشدّ جِرْقَة الملح. ودنا من الشطّ فأعترف بكفيه من الماء، وقال: يا سيدي ومولاي! لك الحمد على هذه النعمة التي تفضّلت بها عليّ، فلك الحمد على أياديك عندي، فلك الحمد ولك الشكر.

ثم وضع رأسه على كرزته وتمدّد على الرُّمْل ساعة. ثم قام فنهيا للصلاة وقام يصلي للزوال.

فقال الأمير للغلمان الوقوف عنده: ليذهب بعضكم إلى الرجل القائم المصلي فيأتيه به مع طبقه وكرزته، ولا بُرْعِيه، وعليه باللطيف حتى يأتيني به.

فمضى بعض الغلمان فاتاه فأقام عنده حتى سلّم، ثم قال له: قم معي حتى نحمل لي متاعاً من قصر الأمير. فقال: اطلب غيري فإنني متعوب البدن. قال: الموضع قريب والحمل خفيف. قال: يا حبيبي! قد عرفت ذلك، وأنت تصيب غيري، فاعفني فإنني أكره دخول الدار. قال: لا بدّ منه، فإن قمت وإلا أقمت. وغلظ له في الكلام. فقام الرجل وألقى كرزته في عنقه وحمل الطبق، وقرأ: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(١)، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾^(٢).

فأدخله الغلام القصر، ثم أضعده حتى أوقفه بين يدي الأمير على هيئته، فأمره بالقعود. فقال له الندماء: أيها الأمير! من هذا حتى تأمره بالقعود مع وسخه ونجاسته؟ قال: اسكتوا. ثم قال: من أهلها أنت؟ قال: نعم. قال: ما صناعتك؟ قال: ما ترى، الحمل. قال: وكم عيالك؟ قال: نحن عيال الله، لي والدة عجوز مُقْعَدَة، وأخت عمياء زينة. قال: فأهل وولد؟ قال: مالي أهل ولا ولد.

قال: فكم يكون الكسب؟ قال: على قدر ما أرزق، إلا أنه لا ينصرم يوم إلا ونحن في كفاية من فضل الله تعالى. قال: فتطبق الحمل كل يوم؟ قال: إذا صليت الفجر خرجت فتعرّضت للرزق إلى وقت الزوال، ثم أنفرغ لنفسي إلى فراغي من صلاة العصر، وأجتم^(٣) نفسي من العصر إلى الليل. قال: أفليس تكون بالليل جماماً؟ قال: إن أجتمت

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢١٦.

(٢) سورة النساء، آية رقم ١٩.

(٣) أي: أريح نفسي، أنظر أساس البلاغة ص ٦٤ - ٦٥.

نفسي بالليل تركني فقيراً يوم القيامة.

ففظن لها عليّ، فقال: إني رأيتك تأكل وحدك، كيف لا تأكل مع والدك وأختك؟ قال: إنهما يصومان فأجعل عشائي مع فطرهما.

قال: أخرج الكسر. ففتح جرابه فأخرج منه كسراً يابسة، أسود واحمر وأبيض. فنظر إليها الأمير ساعة يتأملها متفكراً، ثم قال: يا شاكراً! إيتني بخمسة آلاف درهم صحاح، فادفعها إليه ليصلح بها حاله.

قال: أيها الأمير! أنا غنيّ عنها، لا حاجة لي فيها. فجهد به على أن يأخذها، فأبى.

قال الأمير: فلي إليك حاجة. قال: ما حاجة مثلك إلى مثلي؟ قال: هي حاجة مهمة. فأخذ بيده فأدخله بعض غرفه وخلّا معه، وقال: يا هذا! قد عرفتَ حالِي وقصتي وموضعي وما أنا فيه من هذا الملك ونعيم الدنيا ولذاتها، فادعُ الله تبارك وتعالى أن يرشدني في الدنيا ويرغيني في الآخرة.

فقال له الحمّال: يا حبيبي! مالي عند الله من المنزلة ما أدعوه، إلا أن بعض الحكماء يقول: من خاف شيئاً أدلج^(١)؛ افرض على نفسك كل يوم وساعة شيئاً معلوماً من خصال الخير؛ فإنك إذا فعلت ذلك جاءتك العزيمة بالعون من الله تعالى على ذلك؛ ولا تؤخر عمل يومك لغد؛ ولا تُكَلِّف نفسك ما لا طاقة لها به؛ وأكثر ذكر الموت، فإن ذكره يُكثّر القليل، ويقلّل الكثير، وعليك بتقوى الله تعالى وطاعته، واجتناب معاصيه. ثم رفع يديه وطمأطأ رأسه ودمعت عيناه، وقال: يا مَنْ رفع السماء بقوّته، ودحا^(٢) الأرض بمشيئته، وخلق الخلائق بإرادته، واستوى على العرش بقدرته. يا مالك الملك، وجبّار الجبابرة، وإله العالمين، ومالك يوم الدين، أسألك برحمتك وجودك وقدرتك أن تخرج حبّ الدنيا من قلب عبدك عبد الله عليّ، وتوفقه لطاقاتك من الأعمال التي تقربه إلى مرضاتك، وتجنّبه معاصيك، وتختّم لنا وله برضوانك وعفوك، يا أرحم الراحمين.

قال: فدمعت عينا عليّ، وبكى فأكثّر.

ثم قال للحمّال: لو قبلتَ منا شيئاً؟ قال: لا أريده، وحاجتي أن تعجلَ سراحي. فأمره بالخروج. فخرج الحمّال.

وانصرف الأمير إلى موضعه وهو متفكّر، قد ذهب نشاطه. ثم التفت إلى ندمائه،

(١) الدلجة: العنة والليل؛ وأدلج: سار في الليل. أساس البلاغة ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) أي: بسط، ومنه قوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحّاها﴾. مختار الصحاح ص ٥٠٣.

فقال: يا قوم! لو شهدتم طعام أمير المؤمنين ورأيتم ما يُرْفَع ويُوضَع من صنوف الأطعمة - ثم جعل يصف ذلك الطعام - ، ثم قال: لو رأيتم الطعام الذي يُخْبَزُ قد تَنَوَّقَ^(١) في بياضه وجودته وطحنه، ثم يُنْخَل بالشعر، ثم يُنْخَل لِبَالِكْرَابِيسَ، ثم يُنْخَل بالحريز، حتى يبقى منه فقط، تَوَقَّد ناره بالقَصْب، فإذا سَكَن وَهَجَهُ بُخِّرَ التَّنُورَ بالعود القماري، وَخُبِزَ بصنوف الطعام؛ - ثم وصف ما يَتَّخَذُ له من صنوف الألوان من الحارِّ والبارد والرطب واليابس والحلو وغير ذلك - ، وهذا الحُمَالُ طعامه ما قد رأيتم، ومائدته طبق من سَعَف النخل^(٢)، ثم طَاطَأَ رأسه وجعل يَنْكُثُ بأصبعه على الحَصِيرِ ساعة.

ثم قال: يا غلام! إئت مُنِيئاً خازن الكُتُبِ فَمُرْهُ يُخْرِجْ لي سيرة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه .

فأتاه به، فجعل ينظر فيه، فقال: اسمعوا ما كان طعام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: عَرَّاقٌ لحم الإبل مطبوخ بماء وملح، وأقراص من شعير غير منخول. فقليل له: يا أمير المؤمنين! لو أكلت غير هذا الطعام، فقد وَسَّعَ اللهُ على المسلمين. فقال: هاه! إنَّ الله تبارك وتعالى عَيَّرَ قوماً بأكْلهم بقوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾^(٣).

فجعل يصف لهم سيرة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وتدمع عيناه. فلَمَّا فرغ قال: يا غلام! قُلْ لمنيب يخرج لي سيرة عمر بن عبد العزيز. فأَخْرَجَ إليه، فجعل ينظر فيه ويصف لندمائه. ثم قال: أَبْعَدَ اللهُ بطناً يعقب صاحبه ندماً يوم الحسرة في عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ^(٤).

هذا عبد الله بن عمر^(٥) - زين أبناء الصحابة - ، اشتهى عنباً فلم يذقه.

هذا سعيد بن المسيَّب^(٦) - زين التابعين - يقول: ليت أن الله جعل رزقي في مَنْصَرٍ

(١) تَنَوَّقَ في الأمر: تَأَنَّقَ فيه، والإسم منه: التنيقة مختار الصحاح ص ٣٣٣.

(٢) أي: أغصان النخل اليابس، أساس البلاغة ص ٢١١.

(٣) سورة الأحقاف، آية رقم ٢٠/، ونماها: ﴿وَاسْتَمِعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْخَرُونَ﴾.

(٤) أي: في ساحة وأرض يوم القيامة أنظر أساس البلاغة ص ٢٩٧-٢٩٨.

(٥) هو الصحابيُّ عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - العدوي، أبو عبد الرحمن، وُلِدَ بعد المبعث ببسبر، واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة، والعبادة، وكان أشدَّ الناس إلتباعاً للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها، أو أول التي تليها التقريب ٤٣٥/١.

(٦) هو سعيد بن المسيَّب بن خُزَيْن بن أبي وهب بن عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم القرشي

حصاة، فقد استحييت من كثرة الاختلاف إلى الحش.

هذا الربيع بن خثيم^(١) اشتهى خبيصاً^(٢) فلم يذقه.

هذا مالك بن دينار^(٣)، هذا فلان، هذا فلان. فجعل يذكر وتدمع عيناه.

ثم قال: ترى القوم لم يشتهوا طيب الطعام؟! ولكنهم زهدوا عن الثاني للباقي، وباعوا القليل بالكثير، وصبروا في دنياهم فقالوا الذي طلبوا؛ خرجوا من الدنيا جماعاً جوعاً عطشاً، فلم تأكل الأرض منهم شحماً ولا لحماً، بليت الجلود على العظام والعروق.

ثم أخرج ساعداً كأنه قضيب فضة مستديرة شحماً ولحماً، فقال: إن هذا الساعد مع هذا البدن ربي بالأطعمة والأشربة التي وصفت لكم من الطعام والشراب، ليلى في التراب، كما يلى ساعد الحمل.

ثم أرسل عينه فبكى فأكثر البكاء ونحن قيام على رأسه.

ثم قال: يا غلام! ارفع هذه الآلة قبّحها الله، فما أموتها للقلوب، وأضرها وأذلها. فرفعت، وصرفت الندماء والخدم والعلمان.

وبقي وحده متفكراً لا يأذن لأحد عليه؛ حتى إذا مضى بعض الليل، ناداني: يا شاكراً. قلت: لبيك أيها الأمير. قال: دونك الخزائن فاحفظها مع جميع ما في الدار، فإني منطلق إلى سيدي - وأنا أظن أنه يعني بسيد أبيه - . فخرج عليّ وعليه إزار قد أخذه على رأسه، ونعل طاق قد وضعها في رجله، وقال: لا يتبعني منكم أحد بشمعة. فخرج ومعه غلام صغير، وتخلّف عنه الخدم والعلمان.

فلما أصبحنا افتقدنا الغلام إلى ارتفاع النهار، فجاء الغلام فسأله عنه، فقال: لم

= المخرومي، أحد العلماء الأثبات، الفقهاء الكبار من كبار التابعين، قال ابن المديني: لا أعلم من التابعين أوسع علماً منه، مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين، التقريب ٣٠٦/١.

(١) في المطبوعة: الربيع بن خثيم، وهو خطأ، وما أثبتناه وهو الصواب.

وهو الربيع بن خثيم - بضم المعجمة، وفتح المثناة - ابن عائذ بن عبدالله الثوري، أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد مخضرم، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله - ﷺ - لأحبك، مات سنة إحدى، وقيل: ثلاث ومئتين، التقريب ٢٤٤/١.

(٢) هو نوع من الطعام معروف، انظر مختار الصحاح ص ٢٢٥ وأساس البلاغة ص ١٠٢.

(٣) هو مالك بن دينار البصري، الزاهد، أبو يحيى، صدوق عابد، من صفار التابعين، مات سنة ثلاثين ومائة، ونحوها التقريب ٢٢٤/٢، وفي الكاشف ١٠٠/٣ أنه مات سنة ثلاث وعشرين مائة، والله أعلم.

يدخل دار أمير المؤمنين، ولكنه أخذ نحو الدُّجْلة، وقال لي: قف موضعك هذا، لا ترح؛ فلا أدري أين ذهب، إلا أنه دنا من ملاح فناوله دنائير، وقال: لي حاجة مهمة به واسطه فتعجل بي، وهو لا يعرفه، فأدخله الزورق ومضى به إلى «واسطه».

ثم لم يقم به «واسطه» حتى خرج إلى «البصرة»، وتكسر ولس الخشن على ذلك الجلد النقي؛ واسترى طبقاً كهيشة ما رأى من زِيِّ الحَمَّال، وجعل الطَّبَق على عاتقه، يعمل على مقدار قوته؛ يحمل على رأسه بالقطع والكسر، لا يردُّ ما أعطي؛ بالنهار صائم بحمل على رأسه، وبالليل قائم يصلي، يمشي حافياً حتى تقطعت رجلاه، يبيت في المساجد يتخللها كي لا يُفطن به.

فلم يزل كذلك يعمل ويعبد ربّه سنين.

وأمر أمير المؤمنين لما وقف على أمره^(١)، كتب في جميع الأفاق إلى العمال في كل بلدة أن يُطلب، وتوضع عليه الغيُونَ؛ فلم يوقف على أمره.

قال: فمرض في بعض المساجد وتغيّرت حاله. فلما اشتدت به العلة، دخل بعض الخانات بالبصرة، فاسترى غرفة، وألقى نفسه على بارية. فلما أيس من نفسه، دعا صاحب الخان، فناوله خاتمه ورقعة مختومة، فقال: يا هذا! إذا قضيت نحبي فأخرج إلى صاحبكم - يعني الوالي - فأرهِ خاتمي وعرفه موضعي، وناوله هذه الرقعة.

فمات - رحمه الله -، فلما قضى سجنه، وخرج نحو باب الأمير، فنادى: النصيحة. فأدخل، فأراه الخاتم، فلما نظر إليه الوالي عرفه، وقال: ويحك، أين صاحب الخاتم؟ قال: في الغرفة في الخان ميت. وناوله الرقعة مختومة مكتوباً عليها: لا يفكها إلا المأمون أمير المؤمنين.

فركب الأمير حتى أتى الخان، وحولّه إلى قصره وطلّى عليه الكافور والمسك والعبر، ولفه في قُبَاطِيٍّ مصريٍّ، وحمله في الماء إلى المأمون. وكتب إليه يعرفه قصته، وأنه وجده في غرفة على بارية في بعض الخانات، ما تحته مهاد، ولا عنده باكيّة، مسحى. مغشّص العينين، مستير الوجه، طيّب الرائحة. قال: وبعث إليه خاتمه ورفعته.

فلما وصل كتابه إلى أمير المؤمنين، وأدخل [علي] عليه، قام فكشف عن وجهه،

(١) أي: علم به.

(٢) قال في أساس البلاغة ص ٣٥٣، «القُبَاطِيّ والقُبْطِيَّة» بالضم -، وهي: ثياب من كتان بيض، تُعمل سس، تست إلى القبط: أهل مصر.

وانكَبَّ عليه يقبله ويبكي. ووقعت الصُّبْحَة والضُّجَيْج في الدار.

ثم فكَّ الرقعة، فإذا فيها مكتوب بخطه: يا أمير المؤمنين! اقرأ سورة الفجر إلى رابع عشرة آية فاعتبر بها، واعلم أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

ثم أمر المأمون فغُسل وكفن وأُخرج ليُدفن؛ والمأمون يمشي حتى صلى عليه. فلما وُضع في حفرته أمر الخدم، فقال: اخرجوا من القبر. ثم أطلع في القبر، فقال: يا بُني! رحمك الله، وأعطاك أميتك ورجاءك؛ إني لأرجو أن يكون الله تعالى قد أسعدك ونفّعي بك؛ فبِعَمِّ الولد كنت؛ جمع الله بينك وبين ابن عمي المصطفى ﷺ. ورزقني الصبر عليك.

ثم قال: سُووا عليه. فدخل الخدم فأطبقوا عليه الواخه. ثم قال: أهيلوا عليه التراب. وهو واقف يصيبه الغبار، والخدم قيام معهم المناديل، يردّون عنه الغبار. فقال: إليكم عني! يبلّى عليّ في التراب، وتردّون عني الغبار؟

ثم قال: اللَّهُم! ثبته بالقول الثابت، وأشهدك أنني راضٍ عنه يا أرحم الراحمين، - والرقعة في يده لا يضعها -.

فدعا محمد بن سعد الترمذي فأمره أن يقرأ سورة الفجر. فجعل يقرأ والمأمون يبكي حتى بلغ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلْبَرِّ صَادِقٌ﴾^(١). فَأَمْسَكَ.

فتصدّق عنه بألف ألف درهم، وأمر بعرض السجون وأطلق عنهم. وكتب إلى العمال بإنصاف الرعية وردّ المظالم، ونزع عن أمور كثيرة. وبقي معه لا يذكره إلا بكى، وهو مكروب لا يرتاح للذة ولا لشهوة. ويتتاب مجلسه الفقهاء يصبرونه ويَعْظُونه.

فما زالت هذه حاله حتى مات رحمه الله.

٧٠ - [توبة موسى بن محمد بن سليمان الهاشمي]

قال عبد الحميد بن محمد: سمعت محمد بن السّمّاك يقول. إن موسى بن سليمان الهاشمي كان من أنعم بني أبيه عيشاً، وأرخاء بالاً، يعطي نفسه شهوتها من صنوف

(١) سورة الفجر، آية رقم ١٤.

والآيات بتناسها: ﴿وَالْفَجْرِ، وَلِيَالٍ عَشْرٍ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادٍ، إِذْ مَّاتَ الْعِمَادُ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، وَشُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الضُّفْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَتَادِ، الَّذِينَ طَفَقُوا فِي الْبِلَادِ، فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ، إِنَّ رَبَّكَ لِلْبَرِّ صَادِقٌ﴾.

اللذات، في المأكُل، والمشرب، والملس، والطيب، والجواري، والغلمان. ليست له فكرة ولا همّة إلا فيما هو من عيشه ولذته.

وكان شاباً جميلاً، وجهه كاستدارة القمر. في صفاء مع بياض وملاحه مشرباً حمرة، شديد سواد الشعر، جعداً، أقنى الأنف^(١)، أكحل العينين، أدعج^(٢) مثل عين الضية، يسحر بعينه الناظر إليه، طويل الأشفار^(٣)، مقرون الحاجبين كأنهما خطاً بالقلم، صغير الفم^(٤)، رقيق الشفتين، أبلج الثياب^(٥)، مفلج الأسنان^(٦)، فصيح اللسان، حلو الكلام، خافض الصوت.

وكانت نعمة الله عليه سابعة، يستغل من ضياعه وعقاره ومما أقطعته من الضياع، وبحري عليه من الرزق كلّ حول نحواً من ثلاثة آلاف ألف وثلاثمائة ألف، يصرف هذا كله فيما هو فيه من النعيم.

وقد أعجبه نفسه وشبابه ودينه المواتية له في جميع ما يشتهي.

وكان له مستشرف عالٍ يقعد فيه العشيّات يشرف على الناس، له أبواب مشرعة إلى الجادة، وأبواب مشرعة إلى بساطينه، قد ضرب فيه قبة عجاج مخروطية من أنياب الفيل، مضببة بالقصة، قد طلي بالذهب، وغشّى القبة بالديباج الأخضر، وحشاه بالخزّ المندوف.

وعلق من القبة سلسلة ذهب منظومة بالجواهر واللؤلؤ، نضى القبة من الياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، والعقيق الأصفر، كل حبة كالجوزة.

وعلق على الأبواب المشرعة الستور المضربة الموشاة المنسوجة بالذهب، ووضع حول القبة ثلاثين شمعة، في ثلاثين طشتاً من فضة، وزن كل طشت ألف درهم، على

(١) أي: في أنفه إحدباب، مختار الصحاح ص ٥٣٦.

(٢) الدّعج - بفتحين - : شدة سواد العين مع سعتها. مختار الصحاح ص ٦٢.

(٣) أشفار العين: هي حرف الألفان التي ينبت عليها الشعر، وهو الهدب. مختار الصحاح ص ١٥٤.

(٤) قال الأستاذ عبد القادر الأرنؤوط هامش المطبوعة: العرب تمدح سعة الفم، وتذمّ صغير الفم، لذلالة السعة على الفصاحة، والعصر على ضدها، والمولّدون من الشعراء يمدحون صغيره، وهو خطأ منهم، أو لمعنى لا يلتفت إليه لقيحه، وقد ذكر في أوصاف رسول الله ﷺ - أنه كان واسع الفم، أو ضليع الفم، بمعنى واسع. اهـ.

(٥) أي: مشرقها ومضبتها، أنظر مختار الصحاح ص ٥٩.

والثنايا: الأسنان. مختار الصحاح ص ٤٩٣.

(٦) قال في مختار الصحاح ص ٦٦: «الفلج في الإنسان - بفتحين - : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات، اهـ»

كُلَّ خَمْسِ طُسُوتِ غِلَامٍ قَائِمٍ بِيَدِهِ مَقْطَعَةٌ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ مِائَةِ مِثْقَالٍ، عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَعِ الثِّيَابِ
وَالْمَنَاطِقِ الْمَرْصُوعَةِ بِالْجَوَاهِرِ.

وَعَلَّقَ عَلَى كُلِّ بَابٍ - خَارِجٍ مِنَ الشُّبَاكَاتِ - قَنَادِيلَ بِسِلَاسِلِ الْفِضَّةِ، وَجَعَلَ دَهْنَهَا
الزُّبَيْقَ الْخَالِصَ.

وَهُوَ عَلَى سَرِيرٍ عَلَيْهِ غِلَالَةٌ قَصَبٍ مَعْلَمٌ مَنْسُوجٌ، وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ مَكْنُوكَةٌ بِاللَّيْلِ،
وَمَعَهُ فِي الْقُبَّةِ نَدَمَاؤُهُ وَإِخْوَانُهُ. وَالْمَجَاسِرُ مَنْصُوبَةٌ لَا تَرْفَعُ عَلَى الْبُخُورِ، وَقَدْ وَقَفَ عَلَى
رَأْسِهِ الْخَدَمُ بِأَيْدِيهِمُ الْمَرَاوِحَ وَالْمِذَابِ، وَالْقِيَانُ يَحْدِثُهُ فِي مَجْلِسٍ خَارِجٍ مِنَ الْقُبَّةِ
يَرَاهُنَّ.

فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ رَأَى نَدِيمًا قَدْ اصْطَفَاهُ وَأَنَسَ بِمَحَادِثِهِ، وَإِنْ نَظَرَ عَنْ يَسَارِهِ رَأَى
أَخًا وَصَفِيًّا قَدْ وَاذَّ وَاجْتَبَاهُ، وَإِنْ رَفَعَ طَرْفَهُ نَظَرَ إِلَى خَدَمٍ قِيَامٍ قَدْ اخْتَارَهُمْ، وَإِنْ رَمَى
بَطْرَفَهُ إِلَى حَوَاشِيهِ رَأَى مُطَرِّبِيهِ وَقِيَانَهُ كُلَّهُمْ يُفَدُّونَهُ، أَسْمَاعُهُمْ مَصْفِيَةٌ إِلَيْهِ، وَأَعْيُنُهُمْ قَبْلُهُ لَا
يَسْتَعْلُونَ بغيرِهِ. فَإِنْ تَكَلَّمَ سَكَتُوا، وَإِنْ قَامَ قَامُوا. إِذَا اشْتَهَى سَمَاعَ الْقِيَانِ نَظَرَ نَحْوَ
السَّارَةِ، وَإِنْ أَرَادَ سَكُوتَهُمْ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى السَّارَةِ فَامْسَكُوا، قَدْ عَرَفُوا ذَلِكَ مِنْهُ.

هَذَا دَائِبُهُ إِلَى أَنْ يَذْهَبَ اللَّيْلُ وَيَذْهَبَ عَقْلُهُ، فَيُخْرِجُ النَّدَمَاءَ، وَيَخْلُومَعَ الْوُصَفَاءَ.
فَإِذَا أَصْبَحَ اشْتَغَلَ بِالنَّظَرِ إِلَى اللَّعَّابِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالشُّطْرَنْجِ وَالتُّرْدِ. لَا يُذَكَّرُ بَيْنَ يَدَيْهِ
مَوْتَ وَلَا مَقَمَ وَلَا مَرَضَ، وَلَا شَيْءَ فِيهِ ذِكْرُ الْغَمِّ، إِلَّا ذَكَرَ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالتَّوَادِرَ الَّتِي
يَضْحَكُ مِنْهَا.

وَيَطْرَفُ كُلَّ يَوْمٍ بِأَنْوَاعِ الطُّيُبِ وَالشَّمَامَاتِ مَا يَكُونُ فِي أَوَانِهِ، حَتَّى مَضَتْ لَهُ سَبْعٌ
وَعِشْرُونَ سَنَةً.

فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي قُبَّتِهِ، وَقَدْ مَضَى بَعْضُ اللَّيْلِ، إِذْ سَمِعَ نَغْمَةً مِنْ خَلْقٍ نَدِيٍّ
شَجَوِيٍّ خِلَافَ مَا يَسْمَعُ مِنْ مُطَرِّبِيهِ؛ فَاتَّخَذَتْ بِمَجَامِعِ قَلْبِهِ وَلَهَا عَمَّا كَانَ فِيهِ.

فَأَوَمَّا إِلَيْهِمْ أَنْ أُمْسِكُوا، وَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الشُّبَاكَاتِ الْمَشْرُوعَةِ إِلَى الْجَاذَةِ
يَسْتَمِعُ الَّذِي وَقَعَ بِقَلْبِهِ؛ فَإِذَا النِّغْمَةُ رُبَّمَا سَمِعَهَا، وَرُبَّمَا خَفِيَتْ. فَصَاحَ بِغُلَامَانِهِ: اطْلُبُوا
صَاحِبَ هَذَا الصَّوْتِ. وَكَانَ قَدْ عَمِلَ فِيهِ الشُّرَابُ.

فَخَرَجَ الْغُلَامَانِ يَطُوفُونَ؛ فَإِذَا هُمُ بِشَابِّ نَحِيلِ الْجِسْمِ، دَقِيقِ الْعُنُقِ، مُصَفَّرِ اللَّوْنِ،
ذَائِلِ الشَّفَتَيْنِ، شَعَثِ الرَّأْسِ، قَدْ لَصِقَ بَطْنُهُ بِظَهْرِهِ، عَلَيْهِ طُمْرَانٌ^(١)، مَا يَتَوَارَى بِغَيْرِهِمَا،

(١) طُمْرَانٌ: تَنْتِيَّةُ طُمْرٍ، وَهُوَ الثَّوْبُ الْخَلْقُ، أَيْ الْبَالِي، وَالْجَمْعُ: أَطْمَارٌ. مَخْتَارُ الصَّحَاحِ ص ١٥٩.

حافي القدمين، قائم في بعض المساجد يناجي ربه تعالى .

فأخرجوه من المسجد وانطلقوا به لا يكلمونه، حتى أوقفوه بين يديه .

فنظر إليه فقال: من هذا؟ قالوا: صاحب النعمة التي سمعت. قال: أين أصبتموه؟

قالوا: في المسجد قائماً يصلي ويقرأ. فقال: أيها الشاب! ما كنتَ تقرأ! قال: كلام الله .

قال: فأسمعني بتلك النعمة. فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي

نَعِيمٍ﴾^(١) إلى قوله: ﴿يُشْرَبُ بِهَا الْمُرْبُوبُونَ﴾^(٢) أيها المغرور، إنها خلاف مجلسك

ومستشفك وفرشتك؛ إنها أرائك مفروشة بفرش مرفوعة: ﴿بِطَائِفٍ مِنْ إِشْبَرٍ﴾^(٣)،

﴿عَلَى رُقُوفٍ خَضِرٍ وَعَقِيقَرٍ جَسَانٍ﴾^(٤) يُشْرِفُ وَلِيُّ اللَّهِ مِنْهَا عَلَى عَيْنَيْنِ تَجْرِيَانِ فِي

جَنَّتَيْنِ: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾^(٥)، ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾^(٦)، ﴿فِي عَيْشَةٍ

رَاحِيَةٍ﴾^(٧)، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾^(٨)، إلى قوله: ﴿وَزَرَّابِي مَبْنُوءَةٍ﴾^(٩)، ﴿فِي ضَلَالٍ

وَعُيُونٍ﴾^(١٠)، ﴿أَكْلُهَا ذَاتِمْ وَظِلُّهَا، تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾^(١١)، ﴿لَا

يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾^(١٢)، ﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى

وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مِنْ سُقْرِ﴾^(١٣)، ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْقَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنَهُ﴾^(١٤) إلى قوله:

(١) سورة المطففين، آية رقم / ٢٢ .

(٢) سورة المطففين، آية رقم / ٢٨ . ونعام الآيات: ﴿على الأرائك ينظرون، تعرف في وجوههم نضرة

النعيم، يُنْفَخُونَ مِنْ رَحِيْبٍ مُخْتَلَمٍ، خُتَامُهُ مُسَكٌّ وَفِي ذَلِكَ فُلَيْتَنَافِسِ الْمُتَافِسُونَ، وَمِرْزَاجُهُ مِنْ

نَسِيمٍ، عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا الْمُرْبُوبُونَ﴾ .

(٣) سورة الرحمن، آية رقم / ٥٤ .

(٤) سورة الرحمن، آية رقم / ٧٦ .

(٥) سورة الرحمن، آية رقم / ٥٢ .

(٦) سورة الواقعة، آية رقم / ٣٣ .

(٧) سورة الحاقة، آية رقم / ٢١ .

(٨) سورة الغاشية، آية رقم / ١٠ .

(٩) سورة الغاشية، آية رقم / ١٦، ونعام الآيات: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً، فِيهَا غَيْرٌ جَارِيَةٌ، فِيهَا مَرْزَرٌ

مَرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ، وَنَمَارِقُ مَمْشُوقَةٌ. وَزَرَّابِي مَبْنُوءَةٌ﴾ .

(١٠) سورة المؤمنات، آية رقم / ٤١ .

(١١) سورة الرعد، آية رقم / ٣٥ .

(١٢) سورة الزخرف، آية رقم / ٧٤ .

(١٣) سورة القمر، الآيات / ٤٧ - ٤٨ .

(١٤) سورة المعارج، آية رقم / ١١ .

﴿وَجَمْعَ فَأَوْعَى﴾^(١)، في جهد جهيد، وعذاب شديد، ومَقَتٍ من ربِّ العالمين: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾^(٢).

فقام الهاشمي من مجلسه وعانق الشاب ويكي؛ وصاح بندمائه: انصرفوا عني. وخرج إلى صحن داره، وقعد على حصير مع الشاب ينوح ويكي على شيابه ويندب نفسه، والشاب يعظه، إلى أن أصبح وقد عاهد الله أن لا يعود إلى معصية أبداً.

فلما أصبح أظهر توبته، ولزم المسجد والعبادة. وأمر بالذهب والفضة والجواهر والملابس فبيعت كلها، وتصدق بها، وقطع الإجراء عن نفسه، وردَّ الضياع المُقَطَّعة، وباع ضياعه وعيده وجواربه، وأعتق من اختار العتق وتصدق به كله. ولبس الصوف الخشن، وأكل الشعير. وكان يُحيي الليل، ويصوم النهار.

حتى كان يتابه^(٣) الصالحون والأخيار، ويقولون له: أرفق بنفسك، فإنَّ المولى كريم، يشكر اليسير، ويثيب على الكثير. فيقول: يا قوم! أنا أعرف بنفسي، إنَّ جرُمي عظيم، عصيت مولاي بالليل والنهار. ويكي ويكثر البكاء.

ثم خرج حاجاً على قدميه حافياً، ما عليه إلا خيشة، وما معه إلا زكوة جِرَاب^(٤)، حتى قَدِمَ مكة، وقضى حَجَّه وأقام بها.

وكان يدخل الحجر^(٥) بالليل ينوح على نفسه، ويقول: سيدي! لم أراقبك في خلواتي؛ سيدي! ذهبت شهواني، وبقيت نَبْعاتي؛ فالوَيْلُ لي يوم القاك، والوَيْلُ كلَّ الوَيْل من صحيفتي إذا نشرت، مملوءة من فضائحي وخطاياي؛ بل حلَّ بي الوَيْل من مقتك إياي، وتوبيخك لي في إحسانك إليّ، ومقابلة نعمتك بالمعاصي؛ وأنت مُطَّلِع على أفعالي؛ سيدي! إلى من أهرب إلا إليك، وإلى من التجئ إلا إليك؟ سيدي! إني لا أستأهل أن أسألك الجنة، بل أسألك بجدودك وكرمك وتفضلك أن تغفر لي وترحمني، فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة.

(١) سورة الماعج، آية رقم ١٨، وتامم الآيات:

﴿وَصَاحِبِهِ وَاجِبِهِ، وَفَيْصِلِكَ الَّتِي تُؤْوِيهِ. وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ، كَلَّا إِنَّهَا لَأَنفُسٌ، نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى. نَدْعُوا مِنْ أَدْبُرٍ وَتَوَلَّى. وَجَمْعَ فَأَوْعَى﴾.

(٢) سورة الحجر، آية رقم ٢٨.

(٣) أي: باتون إليه مرة بعد مرة.

(٤) الجراب: الجرود أو الوعاء، وهو معروف، جمعه: أجرية وجرب. مختار الصحاح ص ١٩.

(٥) الحجر: جبر الكعبة، وهو ما حواء المحيط المدار بالبيت بجانب الشمال. مختار الصحاح ص ١٣٣.

قال محمد بن السماك: فينا أنا ذات ليلة في الطَّواف إذ سمعت نغمته ونوحه وبكائه، فحركني وأقلقني. فقطعت الطَّواف ودخلت الحجر، وأنا لا أثبت، فقلت له: حبيبي! من أنت؟ فأني أراك صغير السن، قريح القلب، مكروباً مغموماً، حزين النوح، كثير الدموع؛ فما القصة؟ فأني حامل الخطيئة مع شيتي، صاحب ذنوب.

فنظر إليّ فعرفني؛ فقال: ألت الواعظ لي وأنا منهمك في ضلّاتي، سكران في خيرتي، لا أقبل عليك بوجهي؟ أنا موسى بن محمد بن سليمان بن عليّ الذي رأيته بالبصرة.

قال: فأصابني من قوله دهشة؛ فدنوت منه فعانقته، وقبّلت بين عينيه، وقلت: بأبي أنت أبو القاسم، ما القصة؟

فأخبرني قال: استر أمري فلا أحب - رحمك الله - أن أعرف وأعلم؛ إن المولى المنعم المتفضل المحسن أنبهي من غفلي، وبصّرني بعيبي نفسي، فتركت جميع ما كنت فيه مما رأيت، وأقبلت إلى ربّي؛ فهل تراه يقبلني؟ فأني خائف أن يكون قد صرف وجهه عني.

قال: فأبكاني كلامه، وقلت: حبيبي! أُنشِر، فقد بلغني أنه ما من شيء أحب إلى الله تبارك وتعالى من شاب تائب.

فلما أن سمعها أراد أن يضبط نفسه من البكاء، وخاف أن يجتمعوا عليه إذا سمعوا بكائه.

فقام وهو يقول: أيها الطبيب، اتبعني. فتبعته حتى خرج من باب الحنّاطين وهو يمشي ويلتفت إليّ، وقد أمسك على بطنه، حتى انتهى إلى باب. ثم دخل وأدخلني معه، وأصعدني إلى غرفة وقعد، وقال: ما زلت متشوقاً إلى لقائك لتداوي قرحي بمرهم كلامك.

فقلت له: أبا القاسم! قد أسعدك بلطفه إله العالمين فأنبهك من رقّة الغافلين؛ فاشكروه على توفيقه إليك، وكن من الشاكرين، وبما أنعم عليك فكن من الحامدين، فإن الله تعالى معوضك برحمته أفضل مما تركت له من مخافته. أبا القاسم! اجعل الموت نصب عينيك، واعلم أن بين يديك عقبة عليها المسلك غداً، لا يقطعها إلا الورعون عن محارم الله تعالى، وقناطر لا يجوزها إلا المُخفون من المظالم، يتردى منها في نار أحاط بهم سرائقها، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمُهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعاً^(١). فكن على عدّة، وأعدّ الحجاب، فإنك قادم لا محالة. وعلى من القدوم؟ على

(١) سورة الكهف، آية رقم ٢٩.

أحكم الحاكمين، والعَدْلُ الذي لا يَجُور، وديَان يوم الدين، يَوْم لا يَنْفَع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وهو منصت يسمع، ثُمَّ أَطْرَقَ شِبْهُ المَفْكَر، فتَوَهَّمَتْ أَنه لا يعلم ما أقول، ففقت من عنده وخرجت.

فلَمَّا أصبحت تَصَرَّفْتُ في حوائجي. فلما دخل وقت الظهر وأنا في الطَّوْف وإذا النَّاس يتعَادَوْنَ نحو باب الصَّفَا. قلت: ما الخير؟ قالوا: جنازة غريب. فخرجت وصلَّيت عليه.

وضرب على قلبي، فصرت من قَوْرِي إلى تلك الدار، إِنَّا لله وإِنَّا إليه راجعون، سبحان الفَعَال لما يريد.

قالوا: أَلَسْتَ صاحبه البارحة؟ قلت: نعم. قالوا: إِنَّكَ لَمَّا خرجت لم يزل يقول: فَوَادِي، فَوَادِي، ذَنبِي، ذَنبِي، إلى أن مَضَى عَامَّة الليل وهوييكي، ثم سَكَن؛ فلما أصبح أَنبَهناه للصلاة فإذا هو قد فارق الدنيا، لم يشهد خروج روحه أحد ولم يُغْمَض.

قلت لهم: عرفتموه؟ قالوا: لا، كان غريباً من الحَاجَّ "نَزَلَ عندنا، مارأينا ولا سمعنا بمثله؛ ليله قائم يصَلِّي، وينوح على نفسه، كان ذنوب العباد هو المَطَالِبُ بها، لا يُوقِف على كسبه ومطعمه، ولا يَقْبَلُ برَّ أحد.

قلت: كم له منذ نزل عندكم؟ قالوا: حَجَّتَيْن. قلت: معرفة الله خير من معرفتكم إياه.

٧١ - [توبة جعفر البرمكي]^(١)

قال عبد الحميد: كنت في مجلس جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك لِمُعْرَض عليه

(١) أي: الحَجَّاج.

(٢) هو جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل، البرمكي، ولد في بغداد سنة (١٥٠) هـ، وشأ فيها، واستوزره هارون الرشيد، وكان من عُلُوِّ القُدْر، ونفاذ الأمر، وعظم المحل، وجلالة المنزلة عنده بحالة أنفرد بها، ولم يشارك فيها، وكان سمع الأخلاق، طلق الوجه، ظاهر البشر، قائماً جوده، وسخاؤه وبذله وعظاؤه فكان أشهر من أن يذكر، وأبين من أن يظهر، وكان - أيضاً - من ذَوِي الفصاحة، والمذكورين باللسن والبلاغة -، ويقال: إِنَّه وَقَعَ ليلة بحضرة الرشيد زيادة على ألف توقيع، ونظر في جميعها فلم يخرج شيء منها عن موجب الفقه.

وكان أبوه يحيى بن خالد قد ضَمَّه إلى أبي يوسف القاضي حتى علمه وفقهه. وغضب الرشيد عليه في آخر أمره فقتله، ونكَّب البرامكة لأجله، توفي سنة سبع وثمانين ومائة، في أول يوم من صفر، بالغمر من أرض الأنبار.

متاع مصر، وهو في قبة من عاج مُركَّب، قد غشاها بملحم، إذ دخل عليه محمد بن السَّمَاك. فقال: أَسْمِعْنِي بعض كلامك - يرحمك الله - .

فقال: يا أبا الفضل! لا أحدثك عن الماضين، ولا عن الملوك السابقة، ولا الأكاسرة، ولكن أخبرك بما شهدت وعانيت منذ أعوام من ابن عمِّ الأمير المؤمنين موسى بن محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، وحديثه في هذا الحديث.

فرايت جعفرًا جعل يبكي ويكثر البكاء، ويقول: هذا كله من توفيق الله تعالى إياه وسعاده له. اللَّهُمَّ فكما أسعدته بطاعتك، ووفقتك لرؤسائك، وعصته حتى نال ذلك كله بإرادتك، وفقنا للعمل الصالح برحمتك، واختم لنا بعفوك ومغفرتك يا أرحم الراحمين.

ثم إنَّه في مجلسه ذلك تصدَّق بمائة ألف على أهل الحاجة والمكنة.

فما لبث بعد ذلك إلَّا القليل حتى غضب عليه هارون أمير المؤمنين وأمر بقتله، وأن يُجعل أرباعاً ويصلَّب. ففعل به ذلك.

فكان يُرجى لجعفر ذلك الدَّعاء، لعل الله تعالى استجاب له؛ لأنَّه مثل به.

وكان كثير الصنائع المحموده، معطيًا للمال، قاضيًا للحوائج، حسن العشرة، عارفاً بحق الإخوان رحمه الله.

٧٢ - [توبة جارية من بنات الكبار]

أخبرنا أبو الفتح محمد، أنبأ أبو الفضل المقرئ، أنبأ أبو نعيم^(١)، أخبرني جعفر بن محمد بن نصير^(٢) في كتابه، قال: سمعت الجُنَيْد بن محمد^(٣)، يقول:

= تاريخ بغداد ١٥٢/٧ - ١٦٠.

ونسبه بالبرمكي هي نسبة إلى جد أبيه: بِرْمَك. وليس إلى قرية البرامكة، أنظر الباب ١٤٢/١ - ١٤٣.

(١) هو الحافظ الأصماني، وهذه القصة في حلية الأولياء ٣٢٣/١٠ - ٣٢٤. وفي تاريخ بغداد ٤١٨/١٤ - ٤١٩.

(٢) هو جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم، المعروف بالخلدي، أبو محمد الخواص، شيخ الصوفية ولد سنة الثنتين - أو ثلاث - وخمسين ومائتين، لقي المشايخ الكبراء من المحدثين والصوفية من أهل الكوفة، والمدينة، ومكة، ومصر، وكان سافر الكثير ثم عاد إلى بغداد، فاستوطنها، وروى بها علماً كثيراً، توفي في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، من آثاره: حكايات المشايخ، فوائد.

تاريخ بغداد ٢٢٦/٧ - ٢٣١، وحلية الأولياء ٣٨١/١٠ - ٣٨٢ ومعجم المؤلفين ١٥٠/٣.

(٣) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز، ويقال: القواريري، وقيل: كان أبوه قواريرياً، =

كان أبو شعيب البرائي^(١) أول من سكن براءشي^(٢) في كوخ يتعبد فيه. فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار^(٣)، كانت رُبِّيت في قصور الملوك. فنظرت إلى أبي شعيب فاستحسنته حاله وما كان عليه، فصارت كالأسير له، فعزمت على التجرد من^(٤) الدنيا والاتصال بأبي شعيب.

فجاءت إليه، وقالت: أريد أن أكون لك خادمة. فقال لها: إن أردت ذلك فغيري من هيتك وتجردي عما أنت فيه، حتى تصلحي^(٥) لما أردت.

فنجردت عن كل ما تملكه، وليست ثياب^(٦) النساك، وحضرته، فتزوجها.

فلما دخلت الكوخ رأت قطعة خضاف^(٧) في مجلس أبي شعيب تقيه الندي^(٨). فقالت: ما أنا بمقيمة فيها حتى تخرج ما تحتك، لأنني سمعتك تقول: إن الأرض تقول: يا ابن آدم! تجعل اليوم بيني وبينك حجاباً، وأنت غداً في بطني؟ فما كنت لأجعل بيني وبينها حجاباً.

فأخذ أبو شعيب الخضاف فرمى بها^(٩).

فمكثت معه سنين كثيرة تتعبد^(١٠) أحسن عبادة، وتوفياً على ذلك متعاونتين.

= وكان هو خزازاً، وأصله من نهاوند، إلا أن مولده ومنشأه ببغداد، وسمع بها الحديث، ولقي العلماء، ودرس الفقه على أبي ثور، وصحب جماعة من الصالحين، ثم اشتغل بالعبادة، ولازمها حتى علت سنه، وصار شيخ وقته، وفريد عصره، في علم الأحوال، والكلام على لسان الصوفية، وطريقة الوعظ، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ومن كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، ومن لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يُقْنَى به، مات سنة ثمان وتسعين ومائتين.

تاريخ بغداد ٢٤١/٧ - ٢٤٩ - حلية الأولياء ٢٥٥/١٠ - ٢٨٧.

(١) هو أبو شعيب البرائي: أحد الصوفية، من متقدمي شيخ بغداد، حلية الأولياء ٣٢٣/١٠.

(٢) براءشي: هو موضع ببغداد متصل بالكرك، اللباب ١٣١/١.

(٣) في الحلية ٣٢٣/١٠ زيادة: من أبناء الدنيا.

(٤) في الحلية: ٣٢٣/١٠: عن.

(٥) في الحلية: ٣٢٤/١٠: تصلحين.

(٦) في الحلية: لُبْسَة.

(٧) هي: الثوب الغليظ المصنوع من الجبال، أنظر أساس البلاغة ص ١١٢.

(٨) أي: تقيه الرطوبة، وفي الحلية: وكان يجلس عليها أبو شعيب تقيه من الندي.

(٩) في الحلية: ورمى به، قال الإسماعيلي عبد القادر الأرناؤوط هامش المطبوعة: هذا من الغلو في الزهد الذي لا مكان له في الإسلام.

(١٠) في الحلية: يتعبدان.

٧٣ - [توبة الواصل بالله^(١)، وابنه المهدي بالله^(٢)]

أخبرنا الشيخ الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، قال: أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزّاز، وأبو السّعود أحمد بن عليّ بن المجلي، قالاً: أنا أحمد بن علي بن ثابت، أنا محمد بن أحمد بن رزق، أنا أحمد بن سِندي الحَدّاد، قال: قرئ علي أحمد بن المنيع - وأنا أسمع - قيل له: أخبركم صالح بن علي بن يعقوب الهاشمي قال:

حضرت المهدي بالله أمير المؤمنين، وجلس للنظر في أمور المظلومين في دار العانة. فنظرت إلى قصص الناس تُقرأ عليه من أولها إلى آخرها، فيأمر بالتوقيع عليها. وينشأ الكتاب عليها، وتحرّر، وتختتم وترفع إلى صاحبها بين يديه. فسرتني ذلك؛ واستحسنت ما رأيت.

فجعلت أنظر إليه؛ فقطن ونظر إليّ، فغضضت عنه، حتى كان ذلك مني ومنه مراراً ثلاثاً: إذا نظر غضضت، وإذا شغل نظرت.

فقال لي: يا صالح. قلت: لبيك يا أمير المؤمنين. وقمت قائماً. فقال: في نفسك منّا شيء تريد - أو قال: تحبّ - أن تقوله؟ قلت: نعم يا سيدي. فقال لي: عُد إلى موضعك. فعُدت؛ حتى إذا قام، قال للحاجب: لا يبرخ صالح.

(١) هو هارون - أمير المؤمنين - (الواصل بالله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد بن محمد (المهدي) بن عبدالله (المنصور) بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، ويكنى أبا جعفر، استخلف بعد أبيه المعتصم، وكان يسكن: سرّ من رأى (سامراء)، ولد سنة مائتين، وولي الخلافة سنة سبع وعشرين ومائتين، وكان كثير الإحسان لأهل الحرمين، حتى قيل: ما مات وفيهم فقير، وكان قد تأثر برأي القاضي ابن أبي دؤاد في خلق القرآن، فامتحن الناس في ذلك، وتشدد، وسجن جماعة والظاهر أنه رجع عن ذلك في آخر عمره.

توفي سنة اثنين وثلاثين ومائتين، في القصر الهاروني في: سرّ من رأى، وصلى عليه جعفر أخوه، ودفن فيها، وكانت خلافته خمس سنين وثلاث، تاريخ بغداد ١٤/١٥ - ٢١.

(٢) هو محمد - أمير المؤمنين - (المهدي بالله) بن هارون (الواصل بالله) بن محمد (المعتصم بالله)، يكنى أبا إسحاق ويقال: أبا عبدالله، ولد بالقاطول، وكان منزله سرّ من رأى (سامراء)، وكانت البيعة له بالخلافة بعد خلع المعتز بالله سنة (٢٥٥) هـ. وكان من أحسن الخلفاء مذهباً، وأجملهم طريقة، وأظهرهم ورعاً، وأكثرهم عبادة، وكان يقول: أما يستحي بنو العباس أن لا يكون فيهم مثل عمر بن عبد العزيز، وكان مع حسن مذهبه وإثار العدل شديد الإشراف على أمر الدواوين والخراج، يجلس بنفسه في المظالم، ويوفي في الخلافة إلى أن خلع بسرّ من رأى سنة (٢٥٦) هـ. وكانت خلافته أحد عشر شهراً ونصف تقريباً، وقتل بعد ذلك بيومين - رحمه الله تعالى - . تاريخ بغداد ٣/٣٤٧ - ٣٥١.

فانصرف الناس، ثم أذن لي فدخلت، فدعوت له، فقال لي: اجلس. فجلست.
فقال: يا صالح تقول لي ما دار في نفسك، أو أقول أنا ما دار في نفسي أنه دار في
نفسك؟

قلت: يا أمير المؤمنين! ما تعزم عليه، وتأمر به.

قال: أقول أنا: إنه دار في نفسي أنك استحسنت ما رأيت منّا، فقلت: أي خليفة
خليفتنا إن لم يكن يقول: القرآن مخلوق! فورد على قلبي أمر عظيم؛ ثم قلت: يا نفس
هل تموتين قبل أجلك؟ وهل تموتين إلا مرة؟ وهل يجوز الكذب في جد أو هزل.

فقلت: يا أمير المؤمنين! ما دار في نفسي إلا ما قلت.

ثم أطرق ملياً وقال: ونحك، اسمع مني ما أقول، فوالله لتسمعن الحق، فسرّي
عني، فقلت: يا سيدي! ومن أولى بقول الحق منك، وأنت خليفة رب العالمين، وابن
عم سيد المرسلين؟

فقال: ما زلت أقول إن القرآن مخلوق صدرأ من أيام الواصل^(١)، حتى أقدم أحمد بن
أبي دؤاد^(٢) علينا شيخاً من أهل الشام من أهل الذمة^(٣).

فأدخل الشيخ على الواصل مقيداً، وهو جميل الوجه، تام القامة، حسن الثنية.
فأريت الواصل قد استحصى منه ورق له. فما زال يذنيه ويقربه حتى قرب منه.

فسلم الشيخ فأحسن، ودعا فأبلغ. فقال له الواصل: اجلس، فجلس، فقال له: يا
شيخ! ناظر ابن أبي دؤاد على ما يناظرك عليه.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ابن أبي دؤاد يصني ويضعف عن المناظرة. فغضب
الواصل، وعاد مكان الرقة غضباً عليه. قال الواصل: أبو عبد الله بن أبي دؤاد يصني ويضعف
عن مناظرتك أنت؟

(١) في المطبوعة: الواصل، وهو خطأ.

(٢) هو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك، أبو عبد الله القاضي الأديب، ولد سنة (١٦١) هـ. ولي
فضاء القضاة للمعتصم، ثم للواصل، وكان موصوفاً بالجد والسخاء، وحسن الخلق، ووفور الأدب،
غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على الإمتحان بخلق القرآن، توفي سنة (٢٤٠) هـ.
مفلوجاً، ودفن ببغداد. تاريخ بغداد ١٤١/٤ - ١٥٦.

وتقل ١٥٣/٤ عن الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - تكفيره بسبب اعتقاده.

(٣) أذنة، بوزن حسنة: بلد من الثغور الشامية قرب المصيصة، مشهور، خرج منه جماعة من أهل
العلم. نقلًا عن هامش المطبوعة.

فقال الشيخ : هوَ عليك يا أمير المؤمنين ، ما بك ، فأذن^(١) في مناظرته .

فقال الوراق : ما دعوتك إلا للمناظرة .

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ! إن رأيت أن تحفظ علي وعليه ما نقول . قال .
أفعل .

قال الشيخ^(٢) : يا أحمد ، أخبرني عن مقالاتك هذه ، هي مقالة واجبة داخلة في عقد
الدين فلا يكون الدين كاملاً حتى يُقال فيه بما قلت ؟
قال : نعم .

قال الشيخ : يا أحمد ، أخبرني عن رسول الله - ﷺ - حين بعثه الله إلى عباده ، هل
سر شيئاً مما أمره الله به في أمر دينهم ؟
قال : لا .

فقال الشيخ : فدعا رسول الله - ﷺ - الأمة إلى مقالاتك هذه ؟
فسكت ابن أبي داود .
فقال الشيخ : تكلم ! فسكت .

فالتفت إلى الوراق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، واحدة . فقال الوراق : واحدة .

فقال الشيخ : يا أحمد ، أخبرني عن الله - عز وجل - حين أنزل القرآن على رسول
الله - ﷺ - فقال : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِيناً﴾^(٣) ، هل كان الله تعالى الصادق في إكمال دينه ، أو أنت الصادق في
نقصانه ، حتى يُقال فيه بمقالتك هذه ؟ فسكت ابن أبي داود .
فقال الشيخ : أحب يا أحمد ، فلم يجب .

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، اثنان . فقال الوراق : اثنان .

فقال الشيخ : يا أحمد ، أخبرني عن مقالاتك هذه ، هل علمها رسول الله - ﷺ - أم
جهلها ؟

فقال ابن أبي داود : علمها .

(١) في المطبوعة : فأذن ، وهو خطأ .

(٢) ذكر بعض هذه المناظرة الخطيب البغدادي في تاريخه ١٥١/٤ - ١٥٢ ، وأنظر فيها - أي :
المناظرة - : مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٣٥٠ - ٣٥٢ (ط . مكتبة الخانجي) ، والبداية
والنهاية لابن كثير .

(٣) سورة المائدة ، آية رقم ٣/ .

قال: فدعا الناس إليها؟ فسكت.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ثلاث. فقال الواصل: ثلاث.

فقال الشيخ: يا أحمد، فأتيت رسول الله - ﷺ - أن علمها وأمسك عنها كما زعمت، ولم يطالب أمته بها؟

قال: نعم.

قال الشيخ: وأتيت لأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهم -؟

قال ابن دُواد: نعم.

فأعرض الشيخ عنه، وأقبل على الواصل، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قدمت القول: إن أحمد بصني ويضعف عن المناظرة؛ يا أمير المؤمنين! إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة بما زعم هذا أنه أتيت رسول الله - ﷺ - ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فلا وسع الله على من لم يتسع له ما أتيتهم.

فقال الواصل: نعم، إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما أتيت رسول الله - ﷺ - ، ولأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فلا وسع الله علينا؛ افطموا قيد الشيخ. فلما قطع القيد، ضرب الشيخ يده إلى القيد حتى يأخذه، فجاذبه الحذاء عليه.

فقال الواصل: دُع الشيخ يأخذه، فأخذه فوضعه في كمه.

فقال له الواصل: يا شيخ! لم جاذبت الحذاء عليه؟

قال: لأني نوديت أن أتقدم إلى من أوصي إليه، إذا أنا مت أن يجعله بيني وبين كفني، حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة، وأقول: يا رب! سل عبدك هذا لم قيدني، ورؤع أهلي وولدي وإخواني بلا حق أوجب ذلك علي، وبكى الشيخ وبكى الواصل وبكى.

ثم سأله الواصل أن يجعله في حل وسعة بما ناله.

فقال الشيخ: والله يا أمير المؤمنين، لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراماً لرسول الله - ﷺ - ، إذ كنت رجلاً من أهله.

فقال الواصل: لي إليك حاجة. فقال الشيخ: إن كانت ممكنة فعلت. فقال له الواصل: نقيم قبيلنا فننتفع بك وتنتفع بنا.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين! إن زدك إياي إلى الموضع الذي أخرجني عنه هذا

الظالم، أنفَع لك من مقامي عليك؛ وأخبرك بما في ذلك: أصير إلى أهلي وولدي، فأكفّ دعاءهم عليك، فقد خلفتهم على ذلك.

فقال له الواصل: فتقبل منا صلة تستعين على دهرك؟ فقال: يا أمير المؤمنين! لا تحلّ لي، أنا عنها غني، وذو مرة سوي^(١).

فقال: سل حاجة. فقال: أو تقضيها يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قال: تأذن أن يخلّي لي السبيل الساعة إلى الثغر. قال: قد أذنت لك، فسلم وخرج.

قال المهدي بالله: فرجعت عن هذه المقالة، وأظن أن الواصل رجع عنها منذ ذلك الوقت^(٢).

* * *

(١) البرّة: القوة والشدة، وسوي: أي سوي الأعضاء سليماً.

(٢) قال الخطيب البغدادي، وابن الجوزي، وابن كثير: قال المهدي: فدخل أبي المنزل، فاستلقى على ظهره، وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه، ويقول: أما سمعت ما وسمعتهم؟ ثم أطلق الشيخ، وأعطاه أربعمئة دينار، وسقط من عينه ابن أبي داود، ولم يمنحن بعده أحداً.

ذكر سبب توبة جماعة من الإمامة رحمة الله عليهم

٧٤ - [توبة حبيب أبي محمد]^(١)

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، أنبأ أبو الفضل أحمد بن أحمد الحداد، أنبأ أبو نعيم الحافظ^(٢)، قال:

كان سبب إقبال حبيب أبي محمد على الأجلة^(٣)، وانتقاله عن العاجلة^(٤)، حضوره مجلس الحسن^(٥)، ف وقعت موعظته في قلبه، فخرج عما كان يتصرف فيه، ثقة بالله، ومكتفياً بضمانه؛ فاشترى نفسه من الله، فتصدق بأربعين ألف درهم في أربع دفعات^(٦)؛ تصدق بعشرة آلاف درهم في أول النهار، فقال: يا رب! قد اشتريت نفسي منك بهذا؛ ثم أتبعها^(٧) بعشرة آلاف أخرى، فقال: هذه^(٨) شكرًا لما وفَّقني له؛ ثم أخرج عشرة آلاف أخرى، فقال: يا رب! إن لم تقبل مني الأولى والثانية فاقبل مني هذه؛ ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى، فقال: يا رب! إن قبلت مني الثالثة فهذه شكرًا لها.

(١) هو حبيب أبو محمد الفارسي، من ساكني البصرة، كان صاحب مكرمات، وكان تاجرًا غنيًا.

حلية الأولياء ١٤٩/٦ - ١٥٥.

(٢) ذكر ذلك في الحلية ١٤٩/٦.

(٣) أي: الأخيرة.

(٤) أي: الدنيا.

(٥) أي: الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، التابعي المعروف. - وقد تقدمت ترجمة ضافية له.

(٦) في الحلية ١٤٩/٦: وتصدق بأربعين ألفاً في أربع دفعات.

(٧) في الحلية ١٤٩/٦: ثم أتبعه. - أي: أتبع الإنفاق بإنفاق عشرة آلاف أخرى.

(٨) في الحلية ١٤٩/٦: يا رب هذه...

(٩) في الحلية ١٤٩/٦: رب.

٧٥ - [توبة زاذان الكندي^(١)]

وروي^(٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^(٣)، أنه مر ذات يوم في موضع من نواحي الكوفة، فإذا قتيان فُشاق قد اجتمعوا يشربون، وفيهم مغن، يُقال له: زاذان، يضرب ويغني، وكان له صوت حسن. فلما سمع ذلك عبد الله^(٤)، قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله. وجعل الرداء على رأسه ومضى.

فسمع زاذان قوله، فقال: مَنْ كان هذا؟ قالوا: عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله - ﷺ -، قال: وأي شيء قال؟ قالوا: إنه قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى.

فقام وضرب بالعود على الأرض فكسره، ثم أسرع فأدركه، وجعل المنديل في عنق نفسه، وجعل يبكي بين يدي عبد الله بن مسعود؛ فاعتنقه عبد الله بن مسعود، وجعل يبكي كل واحد منهما.

ثم قال عبد الله: كيف لا أحب من قد أحبه الله - عز وجل -، فتاب إلى الله - عز وجل - من ذنوبه.

ولازم عبد الله بن مسعود حتى تعلم القرآن، وأخذ حفظاً من العلم حتى صار إماماً في العلم، وروي عن عبد الله بن مسعود وسلمان^(٥) وغيرهما^(٦).

(١) هو زاذان، أبو عمر الكندي البزاز، ومُكنى: أبا عبدالله - أيضاً. صدوق، برسل، وفيه شيعية، من كبار التابعين، ومات سنة اثنتين وثمانين، التقريب ٢٥٦/١، والتهذيب ٣٠٢/٣ - ٣٠٣.

(٢) صيغة المبني للمجهول، تفيد التضعيف عند علماء الحديث.

(٣) هو الصحابي الجليل: عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة، مناصبه جمّة، وأمّره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين، أو في التي بعدها بالمدينة، التقريب ٤٥٠/١.

(٤) أي: ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) هو الصحابي الجليل: سلمان الفارسي، أبو عبدالله، ويقال له: سلمان الخير، أصله من أصبهان، وقيل: من رامهرمز، من أوّل مشاهد الخندق، مات سنة أربع وثلاثين، يقال: بلغ ثلاثمائة سنة، التقريب ٣١٥/١.

(٦) مثل: عمر بن الخطاب، وعليّ، وحذيفة وأبي هريرة، وعائشة وعبدالله بن عمر، وجريير بن عبدالله، والبراء بن عازب وغيرهم تهذيب التهذيب ٣٠٢/٣.

٧٦ - [توبة مالك بن دينار]^(١)

وروي^(٢) عن مالك بن دينار أنه سُئل عن سبب توبته، فقال: كنت شرطياً، وكنت منهمكاً على شرب الخمر. ثم أتيتُ اشتريتُ جارية نقيسة؛ ووقعتُ مني أحسن موقع، فولدت لي بنتاً. فشغقتُ بها؛ فلما دَبَّت على الأرض ازدادت في قلبي حباً، وألفتني وألفتها.

قال: فكنت إذا وضعتُ المُسكر بين يدي، جاءت إلي، وجاذبتني عليه، وهرقته من ثوبي.

فلما تم لها ستان ماتت؛ فأكدني حزنها.

فلما كانت ليلة النصف من شعبان، وكانت ليلة الجمعة، بتَّ ثيلاً من الخمر؛ ولم أصُل فيها عشاء الآخرة. فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت، ونفخ في الصور، ويُعثر القبور، وحُشر الخلائق، وأنا معهم. فسمعت حساً من ورائي، فالتفت، فإذا أنا بتنين، أعظم ما يكون، أسود أزرق، قد فتح فاه مسرعاً نحوي.

فمررت بين يديه هارباً فرعاً مرعوباً، فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب، طيب الرائحة؛ فسلمت عليه فردَّ السَّلام، فقلت: أيها الشيخ! أجرتني من هذا التنين أجزأك الله، فبكى الشيخ وقال لي: أنا ضعيف، وهذا أقوى مني، وما أقدر عليه؛ ولكن مرَّ وأسرع، فلعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه.

فولَّيت هارباً على وجهي، فصعدتُ على شُرْف من شُرَف القيامة، فأشرفت على

(١) هو مالك بن دينار السامي، الناجي، مولاهم، أبو يحيى البصري، الزاهد، كان أبوه من سبي سجستان، وقيل: من كابل - روى عن أنس بن مالك، والأخف، وشهر بن حوشب، والحسن البصري، وابن سيرين، وغيرهم كثير. روى عنه أخوه عثمان، وسعيد بن أبي عروبة، وصدقة بن الدقيقي، وأبو سلمة محمد بن عبد الله الأنصاري، (عبد السلام بن حرب وغيرهم، وكان صدوقاً، قال ابن حبان: كان يكتب المصاحف بالأجرة ويتقوت بأجرته.

واختلف في تاريخ وفاته - رحمه الله - . فقال السري بن يحيى: مات سنة سبع وعشرين ومائة، وقال غيره: مات سنة ثلاث وعشرين، وقال خليفة بن خياط: مات سنة ثلاثين ومائة، وقال ابن حبان: الصحيح أنه مات قبل الطاعون وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثين.

تهذيب التهذيب ١٠/١٤ - ١٥، والتقريب ٢/٢٢٤، والكاشف ٣/١٠٠.

(٢) بصيغة المبني للمجهول، وهذه الصيغة تفيد التضعيف، أي: تضعيف الرواية، وهذه القصة حريصة بذلك، لما فيها من الكلام على هذا التابعي الجليل.

كما أن فيها خلافاً لما ذكره ابن حبان من أنه كان يعتاش من كتابة المصاحب، بينما هنا يذكر أنه كان شرطياً. إلا أن يكون ذلك بعد توبته، والله أعلم.

طبقات النيران، فنظرت إلى هولها، وكدت أهوي فيها من فرع التنين؛ فصاح بي صائح: ارجع فلست من أهلها، فاطماننت إلى قوله، ورجعت.

ورجع التنين في طلبي، فأتيت الشيخ فقلت: يا شيخ، سألتك أن تجبرني من هذا التنين فلم تفعل. فبكى الشيخ، وقال: أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل، فإن فيه ودائع المسلمين، فإن كان لك فيه ودعة فستصرك.

قال: فنظرت إلى جبل مستدير من فضة، وفيه كوى مخزومة، وستور معلقة، على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر، مفصلة باليواقيت، مكوكبة بالدر، على كل مصراع ستر من الحرير.

فلما نظرت إلى الجبل، ولّيت إليه هارباً، والتنين من ورائي؛ حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا الستور، وافتحوا المصاريع، وأشرفوا، فلعل لهذا البائس فيكم ودعة تجبره من عدوه.. فإذا الستور قد رُفعت، والمصاريع قد فتحت، فأشرف علي من تلك المخزومات أطفال بوجوه كالأقمار. وقرب التنين مني، فتحيّرت في أمري. فصاح بعض الأطفال: ويحكم، أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه.

فأشرفوا فوجاً بعد فوج، وإذا أنا بابتي التي ماتت قد أشرفت علي معهم. فلما رأيته بكى، وقالت: أبي والله، ثم وثبت في كفة من نور، كرمية السهم، حتى مثلت بين يدي. فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى، فتعلقت بها، ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولّى هارباً.

ثم أجلسني، وقعدت في حجري، وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي، وقالت: يا أبت! ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟ فبكيت، وقلت: يا بنية، وأنتم تعرفون القرآن؟ فقالت: يا أبت! نحن أعرف به منكم.

قلت: فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني. قالت: ذلك عملك السوء، قوته، فأراد أن يغرّقك في نار جهنم.

قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي. قالت: يا أبت! ذلك عملك الصالح، أضعفته، حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء.

قلت: يا بنية! وما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفال المسلمين، قد

أُبَيِّكُنَا فِيهِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، نَتَنَظَّرُكُمْ تَقْدُمُونَ عَلَيْنَا فَتَنْشَعُ لَكُمْ^(١).

قال مالك: فانتبهت فزعاً، وأصبحت، فأرقت المسكر، وكسرت الأنية، وتبت إلى الله - عز وجل - . وهذا كان سبب توبتي .

٧٧ - [توبة داود الطائفي]^(٢)

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن السلمي، أنبا أبو القاسم الحسيني، أنبا رشاً بن نظيف المقرئ، أنبا الحسن بن إسماعيل، أنبا أحمد بن مروان، ثنا محمد بن حاتم البغدادي، قال: سمعت الجعاني^(٣) يقول:

كان بدء توبة داود الطائفي أنه دخل المقبرة، فسمع امرأة عند قبر وهي تقول:

(١) شفاعة أولاد المسلمين لوالديهم واردة في الصحيح .
من ذلك: عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال لامرأة: ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجياً من النار، فقالت امرأة: واثنين واثنين؟ فقال: واثنين واثنين واثنين . متفق عليه: واللفظ لمسلم .
وعن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي إنسان، فما أنت مُخَدِّثِي عن رسول الله - ﷺ - بحديث تُطِيبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قال: قال: نعم، صغارهم دعاميص الجنة (أي: صغار أهلها) يتلقى أحدهم أباه - أو قال: أبويه - ، فيأخذ بثوبه - ، أو قال: بيده - ، كما أخذ أنا بصنيفة (بطرف) ثوبك هذا . فلا يتألمى - أو قال: فلا ينتهي - حتى يدخله الله وأباه الجنة، رواه مسلم .

وهناك أحاديث أخرى، أنظر في ذلك كتاب أهوال القبور للمحافظ ابن رجب بتحقيقه .

(٢) هو داود بن نصير، أبو سليمان الطائفي، الكوفي، كان ممن شغل نفسه بالعلم، ودرس الفقه وغيره من العلوم وكان قد تفقه على أبي حنيفة، ثم اختار بعد ذلك العزلة وأثر الإنفراد والمخلوة، ولزم العبادة، واجتهد فيها إلى آخر عمره، وقدم بغداد في أيام المهدي، ثم عاد إلى الكوفة، وبها كانت وفاته من أقواله: صم الدنيا واجعل افطارك فيها الموت، وفر من الناس فرارك من السبع، وصاحب أهل التقوى أن صحبت، فإنهم أقل مؤنة، وأحسن معونة، ولا تدع الجماعة، حسيك هذا أن عملت به، تاريخ بغداد ٣٤٧/٨ - ٣٥٥ .

قال في التقریب ٢٣٤/١: وداود بن نصير - بضم النون - ، أبو سليمان الطائفي، الكوفي، ثقة فقيه زاهد، من الثامنة (أي: من أتباع التابعين)، مات سنة ستين ومائة، وقيل: خمس وستين؛ أهد . والطائفي: بفتح الطاء، وسكون الألف: وفي آخرها ياء مثناة من تحتها . هذه النسبة إلى طي واسمه: جلهمة بن أد بن زيد بن . . . قحطان، ينسب إليه خلق لا يحصون كثرة اللباب ٢٧١/٢ .

(٣) الجعاني: بكسر الجاء المهملة، وتشديد الجيم وفي آخرها نون . هذه النسبة إلى جحسان، وهي قبيلة من تميم، وهو جحسان بن عبد العزيز بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم، نزلوا الكوفة، والمشهور بهذه النسبة أبو يحيى - وهو الراوي هنا - عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون الحماني، روى عن الأعمش والثوري وغيرهما، روى عنه ابنه أبو زكريا يحيى . اللباب ٣٨٦/١ .

مُقِيمٌ إِلَى أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ خَلْقَهُ لِقَاؤِكَ لَا يُرْجَى وَأَنْتَ قَرِيبٌ
تَزِيدُ يَلَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَتُسَلَّى كَمَا تُبَلَّى وَأَنْتَ خَبِيرٌ^(١)
وقال أبو نعيم: قدم داود من السَّوَادِ وَلَا يَقْفَعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَعَلَّمُ وَيَتَعَبَّدُ حَتَّى سَادَ أَهْلُ
الْكُوفَةِ.

وقال يوسف بن أسباط^(٢): ورث داود عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة^(٣).
قال أبو نعيم: كان داود يشرب الفَتِيتَ وَلَا يَأْكُلُ الْخَبِزَ.
وقال^(٤): بين مضغ الخبز وشرب الفَتِيتِ قراءة خمسين آية.
ودخل إليه يوماً رجلٌ، فقال: إن في سَقَفِ بَيْتِكَ جُدْعاً قَدْ انْكَسَرَ. فقال: يَا ابْنَ
أَخِي! إِنِّي فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً، مَا نَظَرْتُ إِلَى السَّقَفِ. وَكَانُوا يَكْرَهُونَ فَضُولَ
النَّظَرِ كَمَا يَكْرَهُونَ فَضُولَ الْكَلَامِ^(٥).

٧٨ - [توبة الفضيل بن عياض]

أَبَانَا الْإِمَامَ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ^(٦)، أَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي غَالِبٍ، أَنَا

(١) ذكر الحافظ أبو نعيم في الحلية ٣٤١/٧ - ٣٤٢ سبباً آخر لتوبة داود، فقال: إنما كان سبب داود
الطائي، أَنَّهُ كَانَ يُجَالِسُ أَبَا حَنِيفَةَ فَقَالَ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ: يَا أَبَا سَلِيمَانَ، أَمَا الْأَدَاةُ فَقَدْ أَحْكَمْتَاهَا، فَقَالَ
دَاوُدُ: فَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ؟ قَالَ: بَقِيَ الْعَمَلُ بِهِ، قَالَ: فَتَارَعْتَنِي نَفْسِي إِلَى الْعَزَلَةِ وَالْوَحْدَةِ، فَقُلْتُ لَهَا:
حَتَّى تَجْلِسِي مَعَهُمْ فَلَا تَجِيبِي فِي مَسْأَلَةٍ. قَالَ: فَكَانَ يُجَالِسُهُمْ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَعْتَزَلَ. قَالَ: فَكَانَتْ
الْمَسْأَلَةُ نَحْيَ، وَأَنَا أَشَدُّ شَهْوَةً لِلْحَوَابِ فِيهَا مِنَ الْعِطْشَانِ إِلَى الْمَاءِ، فَلَا أَجِيبُ فِيهَا، قَالَ: فَاعْتَزَلْتَهُمْ
بَعْدَ.

(٢) هو يوسف بن أسباط بن واصل، أبو محمد الشيباني، الزاهد الواعظ، ليس بالقوي في الحديث، قال
ابن حبان في الثقات: سكن انطاكية، يروي عن عائذ بن شريح، وكان من عباد أهل الشام وقرائهم،
كَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا الْحَلَالَ الْمُحَضَّضَ. . . وَكَانَ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ رِمَانِهِ، لِسَانُ الْمِيزَانِ ٣١٧/٦ - ٣١٨.

(٣) هو القول ذكر أبو نعيم في الحلية ٣٤٧/٧ عن ابن عمِّ لداود.

(٤) أي: داود الطائي، كما في الحلية ٣٥٠/٧.

(٥) أنظر الحلية ٣٥١/٧، وتاريخ بغداد ٣٤٩/٨.

(٦) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي البصري، أبو علي الزاهد، المشهور، أصله من
خراسان، وسكن مكة، ثقة عابد إمام، من أتباع التابعين، مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل قبلها،
تهذيب التهذيب ٢٩٤/٨ - ٢٩٧ والتقريب ١١٣/٢، وحلية الأولياء ٨٤/٨ - ١٣٩.

مما جاء عنه، أَنَّهُ سَأَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ مَا الْخُلَاصُ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ؟ فَقَالَ لَهُ:
أَخْبِرْنِي مِنْ أَطَاعِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - هَلْ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ أَحَدٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَمَنْ عَصَى اللَّهَ سَبَحَانَهُ
وَتَعَالَى هَلْ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ أَحَدٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهُوَ الْخُلَاصُ إِنْ أَرَدْتَ الْخُلَاصَ. الحلية ٨٨/٨.

(٧) أي: الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - وقد تقدمت ترجمة ضافية له.

أحمد بن علي، قال: أخبرني الحسن بن علي بن محمد الواعظ، ثنا محمد بن العباس، قال: أنبا علي بن الحسين بن حرب، ثنا إبراهيم بن الليث النخشي^(١)، ثنا علي بن خشرم قال: أخبرني رجل من جيران الفضيل بن عياض، قال:

كان الفضيل يقطع الطريق وحده. فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق، فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه ليلاً، فقال بعضهم لبعض: اعدلوا بنا إلى هذه القرية فإن أماناً رجلاً يقطع الطريق، يُقال له: الفضيل.

قال: فسمع الفضيل، فأرعد، فقال: يا قوم! أنا الفضيل، جوزوا، والله لأجتهدن أن لا أعصي الله أبداً، فرجع عما كان عليه.

وروي من طريق أخرى أنه أضافهم تلك الليلة: وقال: أنتم آمنون من الفضيل. وخرج يرتاد لهم علفاً، ثم رجع فسمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢).

قال: بلى والله قد آن. فكان هذا مبتداً توبته^(٣).

وقال إبراهيم بن الأشعث: سمعت فضيلاً ليلة وهو يقرأ سورة محمد - ﷺ - ، ويبكي ويردد هذه الآية ﴿وَلْيَبْلُوكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَلْيَبْلُوكُمْ﴾^(٤) وجعل يقول: ونبلو أخباركم، ويردد ويقول: ونبلو أخبارنا، إن بلوت أخبارنا فضحتنا، وهتكت أstarنا، إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعدبتنا^(٥).

وسمعه يقول: تزينت للناس وتصنعت لهم وتهأت لهم، ولم تنزل ترائي حتى

(١) النخشي: بفتح النون، سكون الخاء، وفتح الشين المعجمة، وفي آخرها باء موحدة. هذه النسبة إلى نخشب، وهي مدينة من بلاد ما وراء النهر، وعُرفت ففيل لها: نسف، ولهذه المدينة تاريخ كبير نحو مجلدتين كبيرتين، جمعه أ. العباس المستغفري. الباب ٣٠٣/٣.

(٢) سورة الحديد، آية رقم ٦.

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر في التهذيب ٢٩٤/٨ - ٢٩٥ سبأ آخر للتوبة، فقال: قال الفضل بن موسى: كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد ومرخس، وكان سبب توبته أنه عشى جارية، فينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾. فلما سمع قال: بلى يا رب قد آن، فرجع، فأواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا، قال: فكفرت، قلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين يخافوني ههنا، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرندع؛ اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

(٤) سورة محمد، آية رقم ٣١،

(٥) ذكر هذا القول في الحلية ١١١/٨.

عرفوك، فقالوا: رجل صالح، ففضوا لك الحوائج، ووسّعوا لك في المجلس، وعظّموك، خيبة لك؛ ما أسوأ حالك إن كان هذا شأنك^(١).

وسمعتة يقول: إن قدرت أن لا تُعرّف فافعل؛ وما عليك أن لا تُعرف، وما عليك أن لم يُثنَ عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً^(٢).

٧٩ - [توبة علي بن الفضل بن عياض]^(٣)

أخبرنا الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر الأصبهاني في كتابه، أنا عبد الرزاق بن محمد بن الشرايبي^(٤)، أنا سعيد بن محمد بن سعيد الولي، أنا علي بن أحمد بن علي الواقدي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي^(٥)، أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، قال: سمعت أبي، يقول: سمعت محمد بن إسحاق السراج، يقول: سمعت محمد بن خلف، يقول: حدثني يعقوب بن يوسف، قال:

كان الفضل بن عياض إذا علم أن ابنه علياً خلفه - يعني في الصلاة - مرّ ولم يقف ولم يخوف؛ وإذا علم أنه ليس خلفه، تنوّق في القرآن وحزّن وخوف.

فظهر يوماً أنه ليس خلفه، فأتى على ذكر هذه الآية: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾^(٦).

(١) ذكر في الحلية ١١١/٨، وذكره ٩٤/٨ عن الفيض بن إسحاق نحوه.

(٢) الحلية ٨٨/٨.

(٣) هو علي بن بن الفضل بن عياض التميمي اليربوعي، ثقة عابد زاهد، فاق أباة في الزهد والورع، حتى أن ابن المبارك قال: خير الناس - يعني في ذلك الوقت - : فضيل بن عياض، وابنه علي خير منه، توفي - رحمه الله عليه - قبل أبيه بمدة، وكان سبب موته أنه سمع أبيه يقرأ فغشي عليه، وتوفي في الحال.

تهذيب التهذيب ٣٧٣/٧ - ٣٧٤، والتقريب ٤٢/٢، وحلية الأولياء ٢٩٧/٨ - ٣٠٠.

(٤) الشرايبي: بفتح الشين والراء، وسكون الألف، وفي آخرها باء موحدة، هذه النسبة إلى الشراب، واشتهر بهذه النسبة جماعة كان أجدادهم يصنعون الشراب ويحفظونه.

اللباب ١٨٩/٢ - ١٩٠.

(٥) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ويقال: الثعالبي، المفسر المشهور، النيسابوري، له تصانيف مشهورة منها التفسير الذي فاق غيره من التفسيرات فيه، قيل: إنما قيل له: الثعلبي، لقب له وليس بنسب، قاله بعض العلماء، توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

اللباب ٢٣٨/١.

(٦) سورة المؤمنون، آية رقم ١٠٦.

قال: فخر عليّ مفضلاً عليه. فلمّا علم أنّه خلفه وأنه قد سقط، تجوّز في القراءة. فذهبوا إلى أمّه، فقالوا: أدركه. فجاءت فرشت عليه ماء، فأفاق. فقالت لفضيل: أنت قاتل هذا الغلام عليّ.

فمكث ما شاء الله، فظن أنّه ليس خلفه، فقرأ: ﴿وَيَسْأَلُكُمْ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ حَتَّى تُبَيِّنَ لَهُمْ أَلَمْ يَكُنُوا يَخْتَشِبُونَ﴾^(١). فخر ميتاً، وتجوّز أبوه في القراءة. وأتت أمّه فقيل لها: أدركه. فجاءت فرشت عليه ماء، فإذا هو ميت رحمه الله.

٨٠ - [توبة بشر بن الحارث الحافي]^(٢)

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنا حمد، ثنا أحمد^(٣) قال: سمعت عبد الله بن محمد بن جعفر، يقول: سمعت عبد الله بن محمد، يقول: سمعت محمد بن [داود]^(٤) الدّينوري^(٥) يقول: [سمعت محمد بن الفضل يقول:]^(٦)

سمعت بشر بن الحارث وسئل: ما كان بدء أمرك، لأنّ اسمك بين النّاس كأنّه اسم نبيّ؟

قال: هذا من فضل الله، وما أقول لكم؟ كنت رجلاً غيّاراً^(٧)، صاحب عصيّة، فجزّت يوماً، فإذا أنا بقرطاس^(٨) في الطريق، فرفعته فإذا فيه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. فمسحته وجعلته في جيبِي.

(١) سورة الزمر، آية رقم ٤٧.

(٢) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عبد الله بن هلال. المرزوبي. نزيل بغداد، أبو نصر الحافي، الزاهد الجليل المشهور، ثقة قدوة، مات سنة سبع وعشرين ومائتين، وله ست وميرون؛ التقريب ٩٨/١، وأنظر حلية الأولياء ٣٣٦/٨ - ٣٦٠. وتاريخ بغداد ٦٧/٧ - ٨٠، والبداية والنهاية ٢٩٧/١٠، وتهذيب التهذيب ٤٤٤/١ - ٤٤٥.

(٣) في المطبوعة: أنا حمد بن أحمد، وهو خطأ، وأحمد هو: ابن عبد الله، الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، وهذه الرواية في الحلية ٣٣٦/٨.

(٤) زيادة من الحلية ٣٣٦/٨.

(٥) الدّينوري. يكسر الدال المهملة، وسكون الياء آخر الحروف. وفتح النون والواو، وفي آخرها الراء. هذه التسمية إلى الدّينور، وهي بلدة من بلاد الحلّ عند قمرميسر، بسبب إليها جماعة من العلماء. اللباب ٥٢٦/١.

(٦) زيادة في الحلية ٣٣٦/٨.

(٧) قال في مختار الصحاح ص ١٦٩: رجُلٌ غيّار، أي: كثير التطواف والحركة، ذكيّ، أهد.

(٨) قال في مختار الصحاح ص ٢١٠: «الْقُرْطَاسُ - بكسر القاف، وضمها - : الذي يُكْتَبُ فيه أهد.

وكان عدي درهمان ما كنت أملك غيرهما. فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالية^(١). ومسحته في القرطاس.

فتمت تلك الليلة؛ فرأيت في المنام كأن قائلًا يقول: يا بشر بن الحارث، رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته، لأطيب اسمك في الدنيا والآخرة، ثم كان ما كان.

وحكي^(٢) أن بشرًا كان في زمن لهو في داره، وعنده رفقاءه يشربون ويطيون. فاجتاز بهم رجل من الصالحين، فدق الباب. فخرجت إليه جارية، فقال: صاحب هذه الدار حرٌّ أو عبد؟ فقالت: بل حرٌّ. فقال: صدقت، لو كان عبدًا لاستعمل أدب العبودية، وترك اللهو والطرب.

فسمع بشر محاورتهما، فسارع إلى الباب حافياً حاسراً، وقد ولَّى الرجل. فقال لئجارية: ويحك! من كلمك على الباب؟ فأخبرته بما جرى. فقال: أي ناحية أخذ الرجل؟ فقالت: كذا.

فتبعه بشر حتى لحقه؛ فقال له: يا سيدي! أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ قال: نعم. قال: أعد علي الكلام. فأعاده عليه. فمرغ بشر خذيه على الأرض وقال: بل عبدٌ، عبدٌ، ثم هام عنى وجهه حافياً حاسراً حتى عُرف بالجفاء.

فقيل له: لم لا تنبس نعلًا؟ قال: لأنني ما صالحتني مولاي إلا وأنا حافٍ. فلا أزول عن هذه الحالة حتى المسات.

* * *

٨١ - [توبة عشرة فتيان، وعشرة أحداث]

أبانا الشيخ أبو الفرج^(٣)، قال: أنا محمد بن عبد الله بن حبيب، أنا علي بن عبد الله بن أبي صادق، أنا محمد بن عبد الله بن باكويه، قال: حدثني مفرج بن الحسين الصعدي^(٤)، قال: حدثني فاطمة بنت أحمد - أخت أبي علي الروذباري^(٥) -، قالت:

(١) هو نوع من الطيب، قيل: أول من سماه بذلك سليمان بن عبد الملك، مختار الصحاح ص ٥٣١.

(٢) بصيغة المضي للمجهول، وهي تفيد التضعيف.

(٣) أي: ابن الجوزي.

(٤) الصعدي: بفتح الصاد، وكسر العين. وسكون الياء. آخر الحروف، وفي آخرها دال مهملة، هذه نسبة إلى الصعيد، وهي ناحية بمصر معروفة. الباب ٢/٢٤٢.

(٥) قال في النساب ٤١/٢: والروذباري: بضم الراء، وسكون الواو والذال المعجمة، وفتح الباء المعروضة. وبعد ألف راء. وهذا يقال لمواضع عند الأنهار الكبار، يقال لها الروذبار، وهي موضع

كان ببغداد عشرة فتيان معهم عشرة أحداث. فوجهوا واحداً من الأحداث في حاجة لهم؛ فأبطأ، فخرّدوا عليه. فجاء وهو يضحك، ويده بطيخة. فقالوا له: تبطل، ونجيء وأنت تضحك؟!.

فقال: جئتكم بأعجوبة، وضع بشر يده على هذه البطيخة فاشتريتها بعشرين درهماً. فأخذ كل واحد منهم يقبلها ويضعها على عينه.

فقال واحد منهم: بأي شيء بلغ بشر هذه المرتبة؟ فقالوا: بالتقوى. فقال هو: أشهدكم أنني تائب إلى الله تعالى^(١)، فقال القوم كلهم مثله. ويقال: إنهم خرجوا إلى طرسوس^(٢) فاستشهدوا كلهم - رحمة الله عليهم.

* * *

٨٢ - [توبة رجل عن طغيانه]

أبنا الإمام الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي^(٣)، قال: أنا أبو الحسين بن المطبوري^(٤)، أنا أبو القاسم عبد العزيز بن أحمد بن الفضل، أنا أبو الحسن علي بن

= عند طرس، ينب إليها... وأبو علي - وهو المذكور هنا - محمد بن أحمد بن القاسم الروذاري الصوفي، سكن مصر، وله تصانيف حسان في التصوف، كان من أولاد الرؤساء والوزراء، صاحب الجند، وكان فقيهاً، محدثاً، نحويّاً. وله شعر حسن رقيق، وتوفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة هـ.

(١) في المطبوعة: فقال: هو يشهدكم أنه تائب إلى الله تعالى، وما أثبتناه هو الموافق لسباق الكلام، والله تعالى أعلم.

(٢) هي مدينة مشهورة، كانت تُعرف من ناحية بلاد الروم على ساحل البحر الشامي، وهي الآن يد الأرمن النصارى، أعادها الله تعالى إلى الإسلام، الباب ٢/٢٧٩.

(٣) هو الإمام أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفه السلفي، (بكسر السين، وفتح اللام)، الأصمعي، محدث، فقيه، أديب، رحل في طلب العلم، وبقي في الرحلة ثمانية عشر عاماً يكتب الحديث والفقه والأدب والشعر، وقدم دمشق فأقام بها، ثم استوطن الإسكندرية، وتوفي بها في ربيع الآخر، سنة ست وسبعين وخمسمائة عن نحو مائة سنة وثلاث.

من آثاره: السداسيات في الحديث، المشيخة البغدادية، معجم السفر، شرح القراءة على الشيوخ وغيرها.

انظر في ترجمته تذكره الحفاظ ٩٠/٩٥، وميزان الإعتدال ١/١٥٥، ولسان الميزان ١/٢٩٩ - ٣٠٠، وشذرات الذهب ٤/٢٥٥، ومعجم المؤلفين ٢/٧٥ - ٧٦، واللباب في تهذيب الأنساب ٢/١٢٦.

(٤) هو المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم بن أحمد بن عبدالله البغدادي الصوفي، أبو.

عبد الله بن الحسن بن جهضم، ثنا علي بن هارون، ثنا محمد بن مخلد، قال: حدثني أبو الفتح بن مخلوق، قال:

تعلق رجل بامرأة من بنات الشام، فتعرض لها بيده سكين، لا يدور منه أحد إلا عقره. وكان الرجل شديد البدن. فبينا الناس كذلك، والمرأة نصيح من يده، إذ مر بشر بن الحارث، فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل. فوقع الرجل إلى الأرض، ومضى بشر.

فدنا من الرجل وهو يرشح عرقاً كثيراً، ومضت المرأة بحائها. فسألوه: ما حالك؟ فقال: ما أدري، ولكنني حاكني شيخ، قال: إن الله ناظر إليك وإلى ما تعمل؛ فضعفت لقوله قذمي، وهبته هبة شديدة، لا أدري من ذلك الرجل. فقالوا له: ذاك بشر بن الحارث.

فقال: واسوءناه، كيف ينظر إلي بعد اليوم؟ وحّم الرجل من يومه. ومات اليوم السابع.

٨٣ - [توبة تاجر من تجار بغداد من الوقيعة في الناس]

أبانا محمد، قال: أنا أحمد، قال: أخبرني محمد بن خفيف: - فيما كتب إلي -، قال: حدثني عبد الله بن الفضل، حدثني أبو عبد الله القاضي، قال: حدثني أبي، قال:

كان عندنا ببغداد رجل من التجار صديق لي؛ وكان كثيراً ما أسمع يفع في الصوقية. قال، فرأيت بعد ذلك يصحبهم، وأنفق عليهم جميع ما ملك.

الحسن بن الطبري، شيخ مشهور، مكث ثقة، رحل في طلب الحديث حتى اجتمع إليه عالم يجتمع لغيره من أهل عصره، توفي في نصف ذي القعدة، سنة خمس مائة، سبب أعلام النبلاء ج ١٢، في ٤٩ - ٥٠، ميزان الاعتدال ٤٣١/٣، لسان الميران ٩/٥. ومعجم المؤلفين ١٧٢/٨.

(١) أي: ابن عبد الله، أبو نعيم الحافظ، والفصة عنده في الحلية ٣٥٢/٨ - ٣٥٣. (٢) في الحلية ٣٥٢/٨: محمد بن خفيف، وهو تصحيف. فقد ذكره في ترجمته ٣٨٥/١٠ - ٣٨٩ عن الصواب.

وقد ذكره في معجم المؤلفين ٢٦٦/٩ عن الصواب - أيضاً -، وعزا ذلك لئلاسنوي في طبقات الشافعية (١/٨٢) مخطوط وللبغدادي في هدية العارفين ٤٩/٢. والله أعلم.

وهو محمد بن خفيف بن اسفكشاد الشيرازي، أبو عبد الله، صوفي، شاعر، مشارك في علوم الظاهر والحقائق، توفي في رمضان سنة (٣٧١) هـ. من تصانيفه: آداب المريدين، اختلاف الناس في النروج، ديوان شعر، الفصول في الأصول وغيرها. من معجم المؤلفين.

قال: فقلت له: أليس كنت تبغضهم؟ قال: فقال لي: ليس الأمر على ما توهمت.
قلت له: كيف؟ قال: صليت الجمعة يوماً من الأيام، وخرجت فرأيت بشراً العافي يخرج
من المسجد مسرعاً.

قال: فقلت في نفسي: أنظر إلى هذا الرجل الموصوف بالزهد، ليس يستقر في
المسجد، قال: فتركت حاجتي، فقلت: أنظر أين يذهب.

قال: فتبعته فرأيتَه تقدّم إلى الخباز، واشترى بدرهم خبز الماء. قال: قلت: أنظر
إلى هذا الرجل يشري خبز الماء! قال: فتقدم إلى الشوّاء فأعطاه درهماً، واحد شواء؛
فزادني عليه غيظاً.

قال: ونقدّم إلى الحلاوي واشترى فالودجاً^(١) بدرهم.

فقلت في نفسي: والله لأنقض عليه حين يجلس ويأكل.

قال: فخرج إلى الصحراء، وأنا أقول: يريد الخضرة والماء.

قال: فما زال يمشي إلى العصر وأنا خلفه. قال: فدخل قرية، وفي القرية مسجد،
وفيه مريض. قال: فجلس عند رأسه وجعل يلقيه.

قال: فقمّت لأنظر القرية. قال: فبقيت ساعة، ثم رجعت فقلت للعليل: أين بشر؟
قال: ذهب إلى بغداد. قال: فقلت: وكم بيني وبين بغداد؟ فقال: أربعون فرسخاً.
فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أيش عملت بنفسي، وليس معي ما أكتري، ولا أقدر
على المشي. قال: اجلس حتى يرجع.

فجلست إلى الجمعة القابلة. قال: فجاء بشر في ذلك الوقت، ومعه شيء يأكله^(٢)
المريض. فلما فرغ، قال له العليل: يا أبا نصر! هذا رجل صحبتك من بغداد وبني عندي
منذ الجمعة، فردّه.

قال: فنظر إليّ كالْمُغْضَب، وقال: لم صحبتني؟ قال: فقلت: أخطأت. قال لي:
قم، امش.

قال: فمشيت إلى قرب المغرب. قال: فلما قربنا، قال لي: أين محلّتك من
بغداد؟ قلت: في موضع كذا. قال: اذهب ولا تعد.

قال: فتبّت إلى الله - عزّ وجلّ - وصحبّهم، وأنا على ذلك.

(١) هو نوع من الحلوى، وهذه الكلمة فارسية معربة، أنظر مختار الصحاح ص ١٩.

(٢) في المطبوعة: يأكل، وهو خطأ والتصويب من الحلية ٣٥٣/٨.

٨٤ - [توبة أبي عبد رب] (١)

أخبرنا محمد، قال: ثنا حمد، أنا أحمد، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد، ثنا الحسن بن محمد، ثنا أبو زرعة، ثنا إبراهيم بن العلاء بن الضحاك، ثنا الوليد بن مسلم، عن ابن جابر،

أن أبا عبد رب كان من أكثر أهل دمشق مالاً، فخرج إلى أذربيجان في تجارة، فأمسى إلى جانب مرج ونهر فنزل به.

قال أبو عبد رب: فسمعت صوتاً يكثر حمد الله في ناحية من المرج، فاتبعته، فوافيت رجلاً في حفير من الأرض مدفوناً في حصير، فسلمت عليه، وقلت: من أنت يا عبد الله؟

قال: رجل من المسلمين، قال: قلت: ما حالك هذه؟

قال: حان نعمة يجب عليّ حمد الله فيها، قال: قلت: كيف وإنما أنت في حصير؟

(١) هو أبو عبد رب الدمشقي الرهعد، ويقال: أبو عبد ربه، ويقال: أبو عبد رب العزة مولى ابن غيلان الثقفي، ويقال: مولى بني عذرة، قيل: اسمه، عبد الحبارس عبيدس سلمان، وقيل: عبد الرحمن بن أبي عبد الله، وقيل: قسطنطين، وقيل: فلسطين، وهذا الأخير ليس بشيء، قال أبو زرعة الدمشقي، عن أبي مسهر، كان رومياً اسمه قسطنطين، فلما أسلم سُمي عبد الرحمن، وكان من الأعيان الميسوريين فخرج من ماله كله، وهو من التابعين، توفي سنة اثني عشرة ومائة، ذكره ابن حبان في الثقات، ووصفه البعض بالصدق، تهذيب التهذيب ١٢/١٥٢-١٥٣، والتقريب ٢/٤٤٦، وقال: «مقبول» أ. هـ.

(٢) هو الوليد بن مسلم القرشي، مولاهم، أبو العباس الدمشقي، ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية، أي يدلّس تدليس التسوية، ومن صوره أن يسقط من سنده، شيخه أو غير شيخه، لكونه ضعيفاً أو صغيراً، ويأتي بلفظ محتمل أنه عن الثقة الثاني، تحسباً للحديث، مات آخر سنة أربع، أو أول سنة خمس وتسعين ومائة، التقريب ٢/٣٣٦، وطبقات المدلسين ص ١٣٤. قلت: وقد عنقه، فالإسناد ضعيف.

(٣) هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي، أبو عنتة، الشامي الداراني، ثقة؛ من أتباع التابعين، مات سنة بضع وخمسين ومائة، التقريب ١/٥٠٢، وهذا إسناد ضعيف عنه، بسبب عتة الوليد بن مسلم كما تقدّم.

(٤) أذربيجان: بفتح الهمزة، وسكون الذال المعجمة، وفتح الراء، وكسر الباء، وياء ساكنة، وجيم، وقد فتح قوم الذال المعجمة، وسكّنوا الراء، ومدّ آخرون الهمزة مع ذلك. وحدّ أذربيجان من برزعة مشرقاً إلى أذربيجان مغرباً، ويتصل حدّها من جهة الشمال ببلاد الذبلم، ومن مشهور مدائنها تبريز، نقلاً عن هامش المطبوعة.

قال: ومالي لا أحمد الله أن خلقني فأحسن خلقي وجعل مولدي ومنشي في الإسلام، وألبسني العافية في أركاني، وستر علي ما أكره ذكره أو نشره؟! فما أعظم نعمة ممن أسمى في مثل ما أنا فيه.

قال: قلت: رحمك الله! إن رأيت أن تقوم معي إلى المنزل فلاناً نزولاً على النهر.
قال: ولمه؟ قلت: لتصيب من الطعام، ولتطبخ ما يغنيك عن لیس الحسير.
قال: ما بي حاجة.

قال الوليد: فحسبت أنه قال: إن لي في أكل العشب كفاية عما قال أبو عبد رب.
قال: فأردته على أن يتبعني فأبى، قال: ما لي به من حاجة.
قال أبو عبد رب: فأنصرفت وقد تقاصرت إلي نفسي، وفقتها أنني لم أخلف بدمشق رجلاً في الغنى يكثرني، وأنا ألتبس الزيادة فيه. وقلت: اللهم! إني أتوب إليك من سوء ما أنا فيه.

قال: فبت ولم يعلم إخواني بما قد أجمعت به. فلما كان من الشحر رحلوا كنحو من رحيلهم فيما مضى؛ وقدموا إلي دابتي فركبتها، وصرفتها إلى دمشق. وقلت: ما أنا بصادق التوبة إن أنا مضيت في متجري هذا. فسألني القوم، فأخبرتهم؛ وعاتبوني على المضي فأبيت.

قال ابن جابر: فلما قدم تصدق بصامت ماله^(١)، وتجهز به في سبيل الله.
قال ابن جابر: فحدثني بعض إخواني قال: ما كنت صاحب عبادة في عبادة^(٢)، أعطيت سبعة، وهو يقول: سبعة. فلما أكرث قال: ممن أنت؟ قلت: من أهل دمشق.
قال: ما تشبه شيخاً وقد علي أمس، يقال له: أبو عبد رب، اشترى مني سبعمائة كساء بسبعة سبعة؛ ما سألني أن أضع له درهماً، فسألني أن أحملها له، فبعث أعواني؛ فما زال يفرقها بين فراء الجيش، فما دخل إلى منزله منها بكساء.

قال ابن جابر: وباع عقدة^(٣) وتصدق بها، وباع دازه بمال عظيم وفرقه؛ وكان مع

(١) صامت المال: الذهب والفضة، قال في مختار الصحاح ص ٥٠: «يقال: ما له صامت ولا ناطق، فالصامت الذهب والفضة، والناطق الإبل والغنم، أي: ليس له شيء، أهد. وأنظر أساس البلاغة ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

والمقصود هنا: أنه تصدق من ماله ما كان ذهباً وفضة، والله أعلم.

(٢) أي: شاكسته وتشاصحت معه من أجل إنقاص ثمن العبادة واستحطاطه. أنظر مختار الصحاح ص ٢١٣، وأساس البلاغة ص ٤٣٤.

(٣) أي: ضيقة، مختار الصحاح ص ١٠٥.

ذلك موته. فما وحدوا منها إلا قدر ثمن الكفن.

وكان يقول: والله لو أن نهركم هذا - يعني بَرْدَى - سبال ذهباً وفضة، من شاء خرج إليه فأخذ منه، ما حرجت إليه؛ ولو قيل: من من هذا العمود مات، لسرني أن أقوم إليه شوقاً إلى الله وإلى رسوله^(١).

٨٥ - [توبة القَعْنَبِي] ^(٢)

أبانا الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد السُّلَفي^(٣)، قال: أنا أبو علي أحمد بن محمد بن أحمد البرداني^(٤)، أنا الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرئ، أنا هلال بن محمد الحفّار، أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الصباح البزاز، قال: لم يرو القَعْنَبِي عن شعبة^(٥) غير هذا الحديث الواحد^(٦)، وله شرح^(٧)، حدثني بعض القضاة، عن بعض ولده المعنبي بالبصرة^(٨)، قال:

(١) ذكر هذا القول الحافظ ابن حجر في التهذيب ١٥٣/١٢. عن أبي مسهر، عن سعيد بن عبد العزيز، عن أبي عبد ربّ الزاهد قال: ... فذكره نحوه، وفي آخره: قال سعيد: ونحن نعلم أنه صادق. أي: فيما قاله.

(٢) هو عبد الله بن سلمة بن قَعْنَب، القَعْنَبِي، الحارثي، أبو عبد الرحمن البصري، أصله من المدينة، سكنها مدة، ثقة عابد، كان ابن معين وابن المديني لا يقدمان عليه في الموطأ أحدًا، مات في أول سنة إحدى وعشرين ومائتين، بسكة - رحمه الله تعالى. التهذيب ٣١/٦ - ٣٣، والتقريب ٥١/١، والذباب ٥٠/٣.

(٣) السُّلَفي: بكسر السين، وفتح اللام، وقد تقدمت ترجمته قريباً، قبل قَعْنَبِي.

(٤) قال في الثبات ١٣٥/١: «البرداني: بضم الباء الموحدة والراء، والذال المهملة، وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى بردان، وهي قرية من قرى بغداد، خرج منها جماعة من العلماء منهم: ... وأبو علي أحمد (بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن علي البرداني)، كان قاضياً حافضاً، توفي سنة ثمان وتسعين وأربعمائة، في جمادى، أهد.

(٥) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي، مولاهم، أبو بسطام الواسطي، ثم البصري، ثقة حافظ متص. ذكر الثوري فقال: هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فُتِنَ بالعراق عن الرجال، وشُكِّ في السُّنَنِ، وكان عابداً، من أتباع التابعين، مات - رحمه الله تعالى - سنة ستين ومائة، التقريب ٥٥/١.

(٦) ذكره عبد الله بن حنبل في التهذيب ٣١/٦ أن القَعْنَبِي يروي عن شعبة، وذكره محقق التهذيب نقلاً عن هامش المحققين: ليس له عن شعب غير حديث: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى. الحديث، والله أعلم.

(٧) أي: شرح.

(٨) وهذا إسماعيل ضعيف - سبب الجهل بالفاضي الذي حدثه، وكذلك للجهل بولد القَعْنَبِي، وهو حري =

كان أبي يشرب النبيذ ويصحب الأحداث. فذعنهم يوماً، وقد قعد على الباب ينتظرهم. فمرَّ شعبة على حمّاره والناس خلفه يهرعون. فقال: من هذا؟ قيل: شعبة. قال: وأيّ شعبة؟ قالوا: محدّث. فقام إليه وعليه إزار أحمر، فقال له: حدّثني. فقال له: ما أنت من أصحاب الحديث فأحدّثك. فأشهر سكينه، وقال: تحدّثني أو أجرحك؟ فقال له: حدّثنا منصور، عن ربّعي^(١)، عن أبي مسعود^(٢)، قال: قال رسول الله - ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(٣).

= بالتضعيف، لما فيه من اتهام إمام كبير مثل القعني بشرب النبيذ وغير ذلك، والله أعلم.

(١) هو ربّعي بن جرائم - بكسر المهملة، وآخره معجمة -، أبو مريم الغساني، الكوفي، ثقة عابد، مخضرم، مات سنة مائة، وقيل غير ذلك. التقريب ٢٤٣/١.

(٢) هو الصحابي الجليل عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري، أبو مسعود البصري، مات - رضي الله تعالى عنه - قبل الأربعين، وقيل بعدها، التقريب ٢٧/٢.

(٣) رواه من طريق القعني، عن شعبة به: أبو داود في كتاب الأدب، باب (٦) في الحياء، حديث رقم (٤٧٩٧) ٢٥٢/٤، وأوله: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: ... فذكره. ورواه من طرق أخرى بالزيادة في أوله.

البخاري أحاديث الأنبياء، باب (٥٤)، حديث رقم (٣٤٨٤ - ٣٤٨٣) ٥١٥/٦.

وفي كتاب الأدب، باب (٧٨) إذا لم تستح فاصنع ما شئت، حديث رقم (٦١٣٠) ٥٢٣/١٠.

وأيضاً ما جاء في كتاب الزهد، باب (١٧) الحياء، حديث رقم (٤١٨٣) ١٤٠٠/٢.

وأحمد في المسند ١٢١/٤ - ١٢٢.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٥٢٣/٦، وقوله: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: الناس: بالرفع في جميع الطرق، ويجوز النصب، أي: مما بلغ الناس.

وقوله: من كلام النبوة: أي أنه مما نذب إليه الأنبياء، ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم. ... قوله: فاصنع ما شئت: هو أمر بمعنى الخير.

أو هو للتهديد أي: فاصنع ما شئت فإن الله يجزيك، أو معناه: أنظر إلى ما تريد أن تفعله، فإن كان ممّا لا يُستحي منه فافعله، وإن كان ممّا يستحي منه فدعه.

أو المعنى: أنك إذا لم تستح من الله من شيء يجب أن لا تستحي منه من أمر الدين فافعله، ولا تبال بالخلق. أو المراد الحث على الحياء، والتوبة بفضله، أي: لَمَّا لم يجز صنع جميع ما شئت لم يجز ترك الإستحياء أ هـ.

وقال - رحمه الله - ٥٢٣/١٠: «وأشير هنا إلى زيادة. على ذلك، قال النووي في الأربعين: الأمر فيه للإباحة أي إذا أردت فعل شيء فإن كان ممّا لا تستحي إذا فعلته من الله ولا من الناس فافعله وإلا =

فرمى سكينه ورجع إلى منزله. فقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب فهراقه، وقال لأمه: الساعة أصحابي يجيئون، فأدخلهم وقدمي الطعام إليهم؛ فإذا أكلوا فخيرهم بما صنعت بالشراب حتى يتصرفوا.

ومضى من وقته إلى المدينة، فلزم مالك بن أنس^(١)، فأثر عنه^(٢).
ثم رجع إلى البصرة وقد مات شعبة، فما سمع منه غير هذا الحديث.

٨٦ - [توبة عكبر الكردي]

قرأت في «الملقط»^(٣)، عن بشر بن الحارث الحافي أنه قال: اعترضت عكبر الكردي، فقلت له: أيش كان أصل رجوعك إلى الله تعالى؟ فقال: كنت في بعض الدحال^(٤) أقطع الطريق، وكان فيها ثلاث نخلات، نخلة منهن لا تحمل؛ وإذا بعصفور يأخذ من حُمل النخلة التي تحمل رطبة فيدعها في التي لا تحمل.

فلم أزل أعدّ عليه عشر مرار؛ فخطر بقلي: قم وانظر، فنهضت، فإذا في رأس النخلة حية عمياء - يعني: وهو يضع الرطبات في فيها.

فبكيت، وقلت: سيدي! هذه حية قد أمر نبيك بقتلها؛ أعميتها وأقمت لها عصفوراً يقوم لها بالكفاية؛ وأنا عبدك، أقر بأنك واحد، أقمتي لقطع الطريق وإخافة السبيل^(٥).

فوقع في قلبي: يا عكبر! بابي مفتوح.

فكسرت سيفي، ووضعتُ التراب على رأسي، وصحّحت: الإقالة، الإقالة؛ فإذا بهاتف يقول: قد أفلناك، قد أفلناك.

= فلا، وعلى هذا مدار الإسلام.

وتوجيه ذلك أن المأمور به: الواجب والمندوب، يستحى من تركه، والمنهي عنه: المحرام والمكروه، يستحى من فعله؛ وأما المباح فالحياء من فعله جائز، وكذا من تركه، فتضمن الحديث الأحكام الخمسة أجمع.

(١) هو مالك بن أنس من مالكة بن أبي عامر بن عمرو الأصبجي أبو عبد الله، المدني، الفقيه، إمام دار الهجرة، رأس المتقين، وكبير المشيخين، حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها: مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن أتباع التابعين، مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين، وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة، التفريغ ٢/٢٢٣.

(٢) أي: فأخذ عنه الأثر والحديث.

(٣) هو كتاب: ملقط الحكايات، للإمام ابن الجوزي.

أبو الفضل - رحمه الله تعالى - وقد تقدمت ترجمته.

(٤) الدحال: جمع ذحل، وهو حفرة غامضة ضيقة الأعلى واسعة الأسفل، أساس البلاغة ص ١٢٧.

فانتبه رفقايتي، فقالوا: ما لك؟ قد أزعجتنا. فقلت: كنت مهجوراً، وقد صولحت.
فقالوا: ونحن أيضاً كنا مهجورين، وقد صولحنا.
فرمينا ثيابنا وأحرمتنا كلنا، فما زلنا كذلك ثلاثة أيام نصيح ونبكي ونحن سكارى
حيارى.

فوردنا اليوم الثالث على قرية؛ وإذا بامرأة عمياء جالسة على باب القرية. ففالت:
فيكم عكبر الكردي؟ فقال أحدها: نعم، لك حاجة؟ فالت: نعم؛ لي ثلاث ليال أرى
النبي - ﷺ - في النوم، وهو يقول: أعط عكبر الكردي ما خلفه ولدك. فأخرجت لنا ستين
شقة. فأنزرتنا ببعضها، ودخلنا البادية إلى أن أتينا البيت.

٨٧ - [توبة صدقة بن سليمان الجعفري]

وذكر ابن أبي الدنيا^(١)، قال: حدثني محمد بن الحسين، ثنا خالد بن عمرو
القرشي، ثنا صدقة بن سليمان الجعفري، قال:

كانت بي شربة^(٢) سمجة^(٣)؛ فمات أبي؛ فأبْتُ^(٤) وندمتُ على ما قرطت^(٥).

ثم زلت زلة^(٦)، فرأيت أبي في المنام، فقال: أي بني، ما كان أشدَّ فوجي بك
وأعمالك تعرض عليّ فنشبهها بأعمال الصالحين.

قال خالد: وكان بعد ذلك قد خشع ونسك. وكنت أسمعه يقول في دعائه في
الحر - وكان لنا جاراً بالكوفة - : اللهم أسألك إجابة^(٧) لا رجعة فيها ولا خوراً^(٨)، يا مصلح
الصالحين، وهادي المضلّين، وراجم المذنبين.

(١) هو الإمام عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي، أبو بكر، المعروف بابن أبي الدنيا، وقد
نُفِدت ترجمته ضافية له.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ١٥٣: «شربة الشاب: حرصه ونشاطه» أ. هـ.

(٣) السُّجْج: الفج، مختار الصحاح ص ٦٤. والمقصود هنا: أنه كان نشيطاً في التَّجُحُّ والإساءة حريصاً
على فعله.

(٤) أي: رجعت.

(٥) أي: قصّرت، مختار الصحاح ص ٢٤٩.

(٦) أي: أخطأت خطيئة، أنظر مختار الصحاح ص ٣٦٣.

(٧) أي: توبة.

(٨) خُورٌ - بفتح المعاء المهملة والواو، ويجوز ضمُّ المعاء، ونسكين الواو - وهو التُّفُّص. أساس البلاغة
ص ٩٨.

٨٨ - [توبة ذي النون المصري]^(١)

أنبأنا الشيخ أبو الفرج^(٢)، أنا محمد بن عبد الله بن حبيب، أنا علي بن عبد الله بن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن باكويه، قال: سمعت الحسن بن علويه، قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول:

لما استأنستُ بذي النون المصري، قلت: أيها الشيخ! ما كان بدءُ شأنك؟.

قال: كنت شاباً صاحب لهو ولعب. ثم نبتُ وتركت ذلك، وخرجت حاجتاً إلى بيت الله الحرام ومعِي بُضْبُعة^(٣)، فركبت في المركب مع تجار من مصر، وركب معنا شابٌ صبيح^(٤)، كأن وجهه يشرق. فلما توسطنا فقد صاحب المركب كيساً فيه مال. فأمر بحبس المركب، ففتش من فيه وأتبعهم، فلما وصلوا إلى الشاب ليفتشوه، وثب وثبة من المركب حتى جلس على أمواج البحر، وقام له الموج على مثال سرير، ونحن ننظر إليه من المركب. وقال: يا مولاي! إن هؤلاء اتهموني، وأنا أقسم يا حبيب قلبي، أن تأمر كل دابة في هذا المكان أن تخرج رأسها وفي أفواهها جوهر.

قال ذو النون: فما تم كلامه حتى رأينا دواب البحر اصام المركب قد أخرجت رؤوسها، وفي فم كل واحدة منها جوهرة تتلألأ وتلمع.

ثم وثب الشاب من الموج إلى البحر، وجعل يتبختر على متن الماء، ويقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٥)، حتى غاب عن بصري.

فهذا الذي حملني على السباحة، وذكرت قول النبي - ﷺ -: ولا يزال في هذه

(١) هو ذو النون بن إبراهيم المصري الإخميمي النوبي، أبو الغيث، المعروف بالمصري، أصله من النوبة، وكان من قرية من قرى صعيد مصر على طريق الحاج، يقال لها: إخميم، فنزل مصر، وكان حكيماً فصيحاً زاهداً، وجّه إليه جعفر المتوكل على الله، فحمل إلى حضرته بسر من رأى (سامراء)، حتى رآه وسمع كلامه، ثم أُنحدر إلى بغداد، فأقام بها مديّنة (تصغير مدّة)، وعاد إلى مصر. وقيل: إن اسمه ثومان، وذا النون لقب له، ويقال: إن اسمه الغيث بن إبراهيم، وذو النون لقب، وقد أسند عنه أحاديث غير ثابتة والحمل فيها على من دونه، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين، أنظر تاريخ بغداد ٣٩٣/٨ - ٣٩٧، وحلية الأولياء ٣٣١/٩ - ٣٩٧، واللباب في تهذيب الأنساب ٣٥/١.

(٢) أي: ابن الجوزي رحمه الله.

(٣) تصغير بضاعة.

(٤) أي: جميل، مختار الصحاح ص ٧٥.

(٥) سورة الفاتحة، آية رقم ٤.

الامة ثلاثون، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن؛ كلما مات واحد أبدل الله مكانه واحداً^(١).

- (١) رواه الإمام أحمد في المسند ٣٢٢/٥ عن عبد الوهاب بن عطاء، أنا الحسن بن ذكوان، عن عبد الواحد بن قيس، عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن - عز وجل -، كلما مات رجل أبدل الله تبارك وتعالى مكانه رجلاً.
- قال عبدالله ابن الإمام أحمد - عقب الحديث - : قال أبي : فيه - يعني حديث عبد الوهاب - كلام غير هذا، وهو منكرو، يعني حديث الحسن بن ذكوان.
- قلت: وقد روي حديث الأبدال من طرق كثيرة وعن عدة من الصحابة، كل يذكر عدداً غير الآخر ومكاناً غير الآخر، مما يشعر بضعف هذا الحديث.
- لكن قال السيوطي في النكت: غير الأبدال صحيح فضلاً عما دون ذلك، وإن شئت قلت: متواتر وقد أفرزته بتأليف استوعبت فيه طرق الأحاديث الواردة في ذلك، والحاصل أنه ورد من حديث:
- ١ - عمر - رضي الله عنه - : أخرجه ابن عساکر من طريقين.
- ٢ - وعلي - رضي الله عنه - : أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وغيرهم، من طرق أكثر من عشرة بعضها على شرط الصحيح.
- ٣ - وأنس: وله ست طرق، منها طريق في معجم الطبراني الأوسط، حسنة الهيثمي في مجمع الزوائد.
- ٤ - وعبادة بن الصامت: أخرجه أحمد بسند صحيح، - كذا قال، وقد تقدم أن الإمام أحمد حكم عليه بالنكارة، وهو على أقل تعديل ضعيف الإسناد.
- ٥ - وابن عباس: أخرجه أحمد في الزهد، بسند صحيح.
- ٦ - وابن عمر: وله ثلاث طرق في المعجم الكبير للطبراني، وكرامات الأولياء للخلال، والحلية لأبي نعيم.
- ٧ - وابن مسعود: وله طريقان في المعجم الكبير، والحلية.
- ٨ - وعوف بن مالك: أخرجه الطبراني بسند حسن.
- ٩ - ومعاذ بن حنبل: أخرجه الديلمي.
- ١٠ - وأبي سعيد الخدري: أخرجه البيهقي في الشعب.
- ١١ - وأبي هريرة: وله طريق أخرى غير التي أوردها ابن الجوزي - في الموضوعات - ، أخرجهما خلال في كرامات الأولياء.
- ١٢ - وأم سلمة: أخرجه أحمد وأبو داود في سننه والحاكم والبيهقي وغيرهم.
- ١٣ - ومن مرسل الحسن: أخرجه ابن أبي الدنيا في السخاء والبيهقي في الشعب.
- ١٤ - ومن مرسل عطاء: أخرجه أبو داود في مراسيله.
- ١٥ - ومن مرسل بكر بن خنيس: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء.
- ١٦ - ومن مرسل شهر بن حوشب: أخرجه ابن جرير في تفسيره.
- وأما الآثار عن الحسن البصري، وقتادة، وعالدين معدان، وأبي الزاهرية، وابن شاذب، وعطاء، وغيرهم من التابعين فمن بعدهم فكثيرة جداً:..
- ومثل ذلك بالغ حد التواتر المعنوي لا محالة، بحيث يُقطع بصحة وجود الأبدال ضرورة. انتهى نقلاً =

٨٩ - [توبة سكران]

قال ابن باكويه: وحدثنا بكران بن أحمد، قال: سمعت يوسف بن الحسين^(١)، يقول:

كنت مع ذي النون المصري على شاطئ غدير، فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة. فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير، فركبتها العقرب، فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت.

فقال ذو النون: إن لهذه العقرب لساناً، فامض بنا، فجعلنا نقفو أثرها؛ فإذا رجل نائم سكران، وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سرته إلى صدره وهي تطلب أذنه، فاستحكمت العقرب من الحية فضربت بها، فانقلبت وانفسخت.

ورجعت العقرب إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت.

فحرك ذو النون الرجل النائم، ففتح عينيه؛ فقال: يا فتى! انظر مما نجاك الله، هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التي أرادتك. ثم أنشأ ذو النون يقول:

يا غافلاً والجليل يحرسه من كل سوء يدب في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك تأتيه منه فوائد النعم

فنهض الشاب وقال: إلهي! هذا فعلك بمن عصاك، فكيف رفقك بمن يطيعك؟ ثم

= عن ذيل القول المسند في الذب عن المسند للإمام أحمد للقاضي محمد حبيغة الله المدراسي الهندي، ص ١١١ - ١١٢.

وعلى القول بصحته يكون ذلك دون تحديد لمكان، ولا عدد معين، والله تعالى أعلم وأحكم، وانظر في هذه المسألة المقاصد الحسنة ص ٨ - ١٠ للسخاوي، ورسالة نظم اللال في الكلام على الأبدال، له.

ورسالة: الخير الدال على وجود النجاة، والأوتار والأبدال، للسيوطي، وهي الرسالة التي أشار إليها فيمن ذكرناه في مبدأ كلامه، والله تعالى أعلم.

وأسأل الله تعالى أن ييسر لي، الحصول على رسالة السيوطي ورسالة السخاوي، لأجمع ما بهما من أحاديث وأسيرها وأنصحها حتى يتبين الحق في هذه المسألة، والله المستعان على ذلك، فمراد المسلم دائماً معرفة الحق، ليقول به، ويعمل به.

(١) هو يوسف بن الحسين بن علي، أبو يعقوب الرازي، من مشايخ الصوفية، كان كثير الأسفار، وصحب ذا النون المصري وحكى عنه، وكان يُعَدُّ من أعلم أهل زمانه بالكلام وعلم الصوفية، وقد وُصف بالزندقة، مات سنة أربع وثلاثمائة، أنظر تاريخ بغداد ٣١٤/١٤ - ٣١٩. وحليه الأولياء ٢٣٨/١١ - ٢٤٣.

ولِي؛ فقلت: إلى أين؟ قال: إلى البداية؛ والله لا عدتُ إلى المُدُن أبداً!.

٩٠ - [توبة المرتعش]^(١)

أنا أبو علي ضياء بن أبي القاسم، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أنا هناد بن إبراهيم، قال: سمعت أبا عبد الرحمن السُّلَمي^(٢)، يقول: سمعت جدي^(٣)، يقول:

كان المرتعش دهقان^(٤) نيسابور يذكر بدء أمره: أنه كان جالساً على باب داره، قال: فإذا أنا بشاب عليه مرقعة وعلى رأسه خرقه. فأشار إليّ متعرّضاً إشارة لطيفة. فقلت في نفسي: شابٌ جلدٌ صحيح الجسم؛ ولم أرْ عليه جوابه.

فصاح الشاب صيحة هالتي^(٥)، قال: أعوذ بالله مما خطر في مرك.

قال المرتعش: فغشي عليّ؛ فخرّجت جارية لنا ورأيتي، واجتمع حولي خلق. فما أفقت إلا بعد حين.

فلما أفقت لم أر الشاب، فتحسّرت على ما كان مني.

(١) هو جعفر، أبو محمد المرتعش، من كبار مشايخ الصوفية، وهو نيسابوري، كان من ذوي الأحوال وأرباب الأموال، فتحلّى منها، وصحب الفقراء، وسافر كثيراً، ثم استوطن بغداد إلى أن مات بها سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، تاريخ بغداد ٢٢١/٧ - ٢٢٢، واللباب في تهذيب الأنساب ١٩٣/٣ في ذكره باب المرتعش، فقال: بضم الميم، وسكون الراء، وفتح التاء، وفوقها نغظتان، وكسر العين المهملة، وفي آخرها الشين المعجمة هذا لقب شيخ عصره أبي محمد جعفر المرتعش... وذكره أبو نعيم في الحلية ٣٥٥/١٠ - ٣٥٦ وذكر أن اسمه: عبدالله بن محمد، أبو محمد المرتعش، والله أعلم بالصواب.

(٢) قال في اللباب ١٢٨/٢ - ١٢٩: والسُّلَمي: بضم السين، وفتح اللام، ثم لام، نسبة إلى مُلّيم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، وهي قبيلة مشهورة. والمتب إلى هنا لا يحصون، منهم... وأبو عبد الرحمن - الراوي هنا - محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السُّلَمي الصوفي، وهو ابن بنت أبي عمرو بن نجيد السلمي، له تصانيف في علوم الصوفية لم يُسبق إليها، وكان كثيراً من الحديث، روى عنه الحاكم أبو عبدالله، ومات قبله بسبع سنين، وتوفي ثالث شعبان، سنة اثني عشرة وأربعمائة بنيسابور أهد.

(٣) هو: أبو عمرو بن نجيد السُّلَمي، جدّه لأمه، كما تقدم في الترجمة السابقة.

وهذه القصة ذكرها أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه ٢٢١/٧ من طريق أخرى عن أبو العباس أحمد بن محمد الدّهان قال: حدثنا جعفر المرتعش يبدو أمره وخروجه إلى هذا الأمر - يعني التصوف -، فذكر نحو هذه القصة.

(٤) أي: تاجر، فارسي مُعَرَّب.

(٥) أي: أفرعتني.

فرايت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في المنام ، وهو يقول : إن الله - عز وجل - لا يجيب سؤال مانع سائلة .

قال المرتعش : فانتبهت ، وفرقت ما نالت يدي ؛ وخرجت ، فسمعت وفاة والدي ، وأخي بعد خمس عشرة سنة ؛ وما رجعت إلى نيسابور بعد ذلك .
وصار الشاب يتبعني أحياناً ، فما فارقني ولا تفارقنا إلى اللقاء .

٩١ - [توبة عبد الرحمن القس^(١)]

أخبرنا أبو بكر أحمد بن المقرئ بن الحسين الكرخي^(٢) ، أنا طراد بن محمد الزينبي^(٣) ، أنا أبو الحسين بن بشران ، أنا أبو علي بن صفوان ، أنا عبد الله بن محمد ، حدثني أبو زيد النُميري^(٤) ، قال : حدثني خلاد بن يزيد^(٥) ، قال : سمعت شيوخنا من أهل

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمارة المكي الفرسي ، حليف بني جُضع ، كان يُلقب بالقس لعبادته - بفتح القاف ، وتشديد السين المهملة - ، وكان ينزل مكة ، نفقة عابده من التابعين ، روى عن أبي هريرة ، وابن عمر ، وابن الزبير وجابر وغيرهم أنظر تهذيب التهذيب ٢١٣/٦ ، والتقريب ٤٨٧/١ .

(٢) الكرخي : يفتح أولها ، وسكون الراء ، وفي آخرها خاء معجمة ، هذه النسبة إلى الكرخ ، وهو عذة مواضع منها كرخ سامراء ، ومنها كرخ بغداد ، وكرخ جذان ، وكرخ البصرة وغيرها . أنظر اللباب ٩١/٣ .

(٣) قال في اللباب ٨٨ - ٨٧/٢ : الزينبي ؛ بفتح الزاي ، وسكون الياء ، وفتح النون ، وفي آخرها باء موحدة ، هذه النسبة إلى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس قال : وظني أنها زوجة إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أم محمد بن إبراهيم ، ينسب إليها كثير منهم : أبو نصر محمد ، وأبو الفوارس طراد ابننا محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام .

... وروى طراد - وهو الراوي هنا - عن هلال الحفار ، وأبي الحسين بن بشران وغيرهما ، روى عنه ابنه محمد وعلي ، وغيرهما أ هـ .

(٤) النُميري : بضم النون ، وفتح الميم ، ويكون الياء آخر الحروف وفي آخرها راء ، هذه النسبة إلى نُمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ينسب إليه كثير من العلماء وغيرهم ، اللباب ٣٢٧/٣ .

وأبو زيد هذا ، هو : عمر بن شُبّة - بفتح الميم ، وتشديد الموحدة - ، ابن عُبَيْلة بن زيد النُميري ، أبو زيد بن أبي معاذ البصري ، نزيل بغداد ، صدوق ، له تصانيف من كبار الحادّية عشرة ، مات سنة اثنين وستين ومائتين ، وقد جاوز التسعين ، التقريب ٥٧/٢ .

(٥) هو خلاد بن زيد الباهلي البصري ، المعروف بالأرقط ، صهر يونس بن حبيب النحوي ، صدوق جليل ، التقريب ٢٣٠/١ ، وأنظر تهذيب الكمال ٣٦٣/٨ - ٣٦٤ .

مكة - منهم سليمان - يَذْكُرُونَ^(١): أن القس كان عند أهل مكة من أحسنهم عبادةً، وأظهرهم تبتلاً، وأنه مر يوماً بسلامة جارية كانت لرجل من قريش^(٢)، فسمع غناءها فوقف يستمع؛ فراه مولاها، فقال: هل لك أن تدخل فتسمع؟ فتأني عليه، فلم يزل به حتى سمع، وقال: أقبلني في موضع لا أراها ولا تراني. قال: أفعل.

فدخل، فتغنت، فأعجبته. فقال مولاها: هل لك أن أحولها إليك؟ فتأني، ثم سمع. فلم يزل يسمع غناها حتى شغف بها وشغفت به. وعلم ذلك أهل مكة.

فقال له يوماً: أنا والله أحبك. قال: وأنا والله أحبك. قالت: وأحب أن أضع فمي على فمك. قال: وأنا والله. قالت: أحب أن الصق صدري بصدرك، وبطني ببطنك. قال: وأنا والله.

قالت: فما يمنعك؟ فوالله إن الموضع لخال. قال: إني سمعتُ الله تعالى يقول: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، وأنا أكره أن تكون خلّة ما بيني وبينك تؤول بنا إلى عداوة يوم القيامة.

قالت: يا هذا! أتحسب أن ربي وربك لا يقبلنا إذا تبنا إليه؟ قال: بلى! ولكن لا آمن أن أفاجأ.

ثم نهض وعينه تدرقان، فلم يرجع بعد، وعاد إلى ما كان عليه من النسك.

٩٢ - [توبة أبي الحارث الأولاسي]^(٤)

وروى أبو سعيد، قال: حكى بعض الزهاد قال: قال لي أبو الحارث الأولاسي^(٥): تدري كيف كان بدء أمر توبتي؟ فقلت: لا.

فقال: كنت شاباً صبيحاً وضيئاً، فبينما أنا في غفلة رأيت عليلاً مطروحاً على قارعة

(١) وذكر هذه القصة ابن أبي خيثمة، كما قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢١٣/٦.

(٢) سلامة مغنية شاعرة من مولدات المدينة، نشأت بها وأخذت الغناء عن معبد وطبقته، فمهرت في الغناء وحذقت الضرب على الأوتار، وقالت الشعر الكثير، وشغف بها عبد الرحمن بن أبي عمارة الجشمي من قراء مكة الملقب بالقس لكثرة عبادته، فنسبت إليه وغلب عليه لقبه، وسمع بها يزيد بن عبد الملك فاشتراها فانتقلت إلى دمشق وبقيت عنده إلى أن توفي ولها شعر في رثائه، توفيت نحو سنة ١٣٠ هـ نقلاً عن هامش المطبوعة.

(٣) سورة الزخرف، آية رقم ٦٧.

(٤) قال في اللباب ٩٤/١: والأولاسي: بالواو الساكنة بين اللام ألفين، وفي آخرها السين المهملة، هذه النسبة إلى أولاس، وهي بلدة على ساحل بحر الشام.
منها: أبو الحارث الأولاسي، له كرامات وعجائب أهد.

الطريق. فذنوت منه، فقلت: هل تشتهي شيئاً؟ قال: نعم، رَمَانٌ. فجئته برمان. فلما وضعته بين يديه رفع بصره إليّ، وقال: تاب الله عليك.

فما أمسيتُ حتى تغير قلبي عن كل ما كنت فيه من اللّهو؛ ولزمني خوف الموت.

فخرجتُ عن جميع ما أملك، وخرجت أريد الحج، فكنت أسير بالليل، واختفي بالنهار مخافة الفتنة.

فبينما أنا أسير بالليل إذا بقوم على الطريق يشربون، فلما رأوني ذهلوا، وأجلسوني، وعرضوا عليّ الطّعام والشّراب. فقلت: أحتاج إلى البول، فأرسلوا معي غلاماً ليدلني على الخلا.

فلما تباعدتُ عنهم، قلت للغلام: انصرف، فأني استحي منك. فانصرف.

ووقعتُ في غابة، فإذا أنا بسبع، فقلت: اللهم إنك تعلم ما تركتُ، ومن ماذا خرجتُ، فاصرف عني شرّ هذا السبع. فولى السبع.

ورجعتُ إلى الطريق، فوصلتُ إلى مكة. ولقيتُ بها من انتفعت بهم، منهم إبراهيم بن سعد العلوي^(١).

٩٣ - [توبة أبي الفضل محمد بن ناصر السّلامي^(٢)]

عن اعتقاد المبتدعة

قرأتُ على الشيخ أبي عبد الله مظفر بن أبي نصر البوّاب، وابنه أبي محمد عبد الله بن مظفر ببغداد، قلت لهما: حدثكما الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن عليّ بن عمر السّلامي، قال:

(١) أنظر حلية الأولياء ١٥٥/١٠ - ١٥٨.

(٢) قال في اللباب ١٦١/٢: «السّلامي: بفتح السين المهملة، وبمدها لام ألف مخففة، وفي آخرها ميم. هذه النسبة إلى رجل وموضع، أما الرجل: فهو سّلامان، بطن من قضاة. وأما الموضع: فهو مدينة السّلام ببغداد، والمشهور بهذه النسبة... وأبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن عليّ البغدادي الحافظ، كان يكتب لنفسه السّلامي وكان حافظ بغداد في زمانه، سمع أبا القاسم عليّ بن أحمد البري، وأبا محمد رزق الله التميمي، وأبا طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر الأنباري وغيرهم روى عنه الأئمة فأكثرُوا، وكانت ولادته سنة سبع أو ثمان وستين وأربعمائة، وتوفي في شعبان سنة خمسين وخمسمائة» أ.هـ.

كُنْتُ أَسْمَعُ الْفُقَهَاءَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ^(١) فِي «النُّظَامِيَّةِ»^(٢)، يَقُولُونَ: «الْقُرْآنُ
مَعْنَى قَائِمٌ بِالذَّاتِ، وَالْحُرُوفُ وَالْأَصْوَاتُ عِبَارَاتٌ وَذَلَالَاتٌ عَلَى الْكَلَامِ الْقَدِيمِ الْقَائِمِ
بِالذَّاتِ».

فَحَصَلُ فِي قَلْبِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى صَبَرْتُ أَقُولُ بِقَوْلِهِمْ مُوَافَقَةً.

وَكُنْتُ إِذَا صَلَّيْتُ أَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنِي لِأَحَبِّ الْمَذَاهِبِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ إِلَيْهِ.
فَبَقِيتُ عَلَى ذَلِكَ مَدَّةً طَوِيلَةً، أَقُولُ: اللَّهُمَّ وَفِّقْنِي لِأَحَبِّ الْمَذَاهِبِ إِلَيْكَ، وَأَقْرَبِهَا عِنْدَكَ.

فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتَسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي قَدْ
جِئْتُ إِلَى مَسْجِدِ الشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْمَقْرِيءِ الْحَيَّاطِ^(٣)، فِي مَسْجِدِ ابْنِ
جَرْدَةَ^(٤)، وَالنَّاسُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ مُجْتَمِعُونَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - عِنْدَ الشَّيْخِ
أَبِي مَنْصُورٍ.

فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَقَصَدْتُ إِلَى الزَّائِيَةِ الَّتِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهَا الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورٍ،
فَرَأَيْتُ الشَّيْخَ أَبَا مَنْصُورٍ قَدْ خَرَجَ مِنْ زَاوِيَتِهِ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ شَخْصٍ، فَمَا رَأَيْتُ شَخْصًا
أَحْسَنَ مِنْهُ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ - ﷺ - الَّذِي وُصِفَ لَنَا؛ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ مَا رَأَيْتُ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنْهَا،
وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ بَيَاضَاءُ. وَالشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورٍ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ.

فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، وَلَمْ أَتَحَقَّقْ مِنَ الرَّأدِّ عَلَيَّ لِدَهْشَتِي بِرُؤْيَا
النَّبِيِّ - ﷺ -، وَجَلَسْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا.

فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ أَوْ أَسْتَفْظِحَهُ بِكَلَامٍ أَصْلًا،

(١) أي: من المتمميين السائرين على مذهب الإمام الشافعي، ولا يعني ممن صحب الإمام نفسه،
والأمر واضح، ويدل عليه أن الإمام - رحمه الله تعالى - توفي سنة أربع ومائتين، وأبو الفضل ولد سنة
سبع أو ثمان وميتين وأربعمئة، ومشايخه مهما عَمَرُوا لَنْ يَلْفُخُوا مَوْلِدَ الْإِمَامِ.
والإمام الشافعي هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد بن عبد
يزيد بن هاشم بن المطلب المطلب، أبو عبدالله الشافعي، المكي نزيل مصر، وهو المسجَّد لأمر
الدين على رأس المائتين، مات سنة أربع ومائتين، وله أربع وخمسون سنة، رحمه الله تعالى
التقريب ١٤٣/٢.

(٢) هي مدرسة مشهورة في بغداد.

(٣) في المطبوعة: يقولون - يعني -: القرآن... ولا داعي للكلمة: يعني.

(٤) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن عبد الرزاق الشيرازي الأصل، الصقار الحَيَّاط نزل ببغداد، ومات
فيها، حنبلي المذهب، (٤٠١ - ٤٩٧) هـ. مَقْرِيء، ومن آثاره الْمُهَذَّبُ فِي الْقُرْءَاتِ.

(٥) ابن جَرْدَةَ: كَانَ مِنْ مَتَمُولِي بَغْدَادَ، إِلَيْهِ نَسَبَتْ خِرَابَةُ ابْنِ جَرْدَةَ بِبَغْدَادَ، وَالْمَسْجِدَ وَاقِعٌ فِيهَا.

وقال لي: عليك بمذهب هذا الشيخ، عليك بمذهب هذا الشيخ، عليك بمذهب هذا الشيخ، ثلاثاً.

قال الحافظ أبو الفضل: وأنا أقسم بالله ثلاثاً، وأشهد بالله ثلاثاً، لقد قال لي رسول الله - ﷺ - ثلاثاً، ويشير في كل مرة بيده اليمنى إلى الشيخ أبي منصور.

قال: فانتبهت وأعضائي ترعد، فناديت والدتي رابعة بنت الشيخ أبي حكيم الخبيري^(١) وحكيت لها ما رأيت.

فقلت: يا بني! هذا منام وحي، فاعتمد عليه.

فلما أصبحت بكرت إلى الصلاة خلف الشيخ أبي منصور. فلما صلينا الصبح قصصت عليه المنام^(٢)، فذممت عيناه، وخشع قلبه. وقال لي: يا بني! مذهب الشافعي حسن؛ فتكون على مذهب الشافعي في الفروع، وعلى مذهب أحمد^(٣) وأصحاب

(١) قال في الباب ١/٤١٨ - ٤١٩: «الخبيري: يفتح الحاء المعجمة، وسكون الباء الموحدة، وفي آخرها راء، هذه النسبة إلى خبر، وهي قرية من قرى شيراز من بلاد فارس، وبها قبر سعيد أخي الحسن بن أبي الحسن البصري.

ينسب إليها... ورابعة وفاطمة ابنتا أبي حكيم عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله المعلم الخبيري، كان أبو حكيم من قرية خبر، فانتقل إلى بغداد، وصار بها معلماً، وسمعت رابعة من أبي محمد الجوهري، وهي أم محمد بن ناصر السلامي، وكان ابنها محمد يكتب الفارسي لهذا السيب،... أهد.

(٢) رؤيا النبي - ﷺ - في المنام حق لا ريب فيه، لأن الشيطان لا يتمثل به، كما ثبت ذلك عن النبي - ﷺ - في الأحاديث الصحيحة - الثابتة.

ولا وحي بعد وفاة رسول الله - ﷺ - فإذا رأى النائم النبي - ﷺ - بأمره شيء في منامه، فيجب عليه أن يعرض ذلك على الشرع الظاهر، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فلا يلتفت إليه، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٢/٣٨٩: «إن النائم لو رأى النبي - ﷺ - بأمره شيء هل يجب عليه امتثاله ولا بد، أو لا بد أن يعرضه على الشرع الظاهر؟ فالثاني هو المتمد، أهد. وكان قد فصل الكلام في هذه المسألة، وبما يتعلق برؤية النبي - ﷺ -، فانظر الفتح ١٢/٣٨٣ - ٣٨٩.

ومما ذكره ونوه إليه ١٢/٣٨٣ - ٣٨٤ أنه يجب أن تكون رؤيته - ﷺ - في المنام مطابقة لأوصافه الكريمة، فقد كان محمد بن سيرين، إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي - ﷺ - قال: صف لي الذي رأيته، فإن وصف له صفة لا يعرفها، قال: لم نره، وسنده صحيح.

وأخرج الحاكم - قلت: والترمذي في الشمائل الذي أقوم بتحقيقه أنا والشيخ أحمد زمرلي - من طريق عاصم بن كليب، حدثني أبي قال: قلت لأبي عباس رأيت النبي - ﷺ - في المنام، قال: صفه لي، قال: ذكرت الحسن بن علي فشبهته به، قال: قد رأيته، وسنده جيد.

(٣) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي، نزيل بغداد، أبو عبدالله، أحد الأئمة، ثقة حافظ، فقيه حجة، مات - رحمه الله تعالى - سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع ومبعضون سنة، التقريب ١/٢٤.

فقلت له: أي سيدي! ما أريد أن أكون لوثين، وأنا أشهد الله وملائكته وأنبياءه، وأشهدك عليّ أني منذ اليوم لا أعتقد ولا أدين الله ولا أعتمد إلا على مذهب أحمد في الأصول والفروع.

فقبل الشيخ أبو منصور رأسي، وقال: وفقك الله، فقبلت يده.

وقال لي الشيخ أبو منصور: أنا كنت في ابتداء أمري شافعيًا، وكنت أنفق على القاضي الإمام أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري^(١) وأسمع الخلاف عليه.

فحضرت يوماً عند الشيخ أبي الحسن علي بن عمر القزويني^(٢) الزاهد الصالح لأقرأ عليه القرآن، فابتدأت أقرأ عليه القرآن، فقطع عليّ القراءة مرة أو مرتين. ثم قال: قالوا وقلنا، وقلنا وقالوا، فلا نحن نرجع إليهم، ولا هم يرجعون إلى قولنا؛ ورجعنا إلى عادتنا؛ فأني فائدة في هذا؟ ثم كرر عليّ هذا الكلام.

فقلت في نفسي: والله ما عني الشيخ بهذا أحدًا غيري. فتركت الإشتغال بالخلاف، وقرأت ومختصر أبي القاسم الخرقني^(٣) على رجل كان يقرئ القرآن.

(١) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر، أبو الطيب الطبري، الفقيه الشافعي، ولد بأمل سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وابتدأ يدرس الفقه وتعلم العلم وله أربع عشرة سنة، سمع الحديث بحرجان، وبسماور، وبها درس الفقه على أبي الحسن المامرجسي وغيره من المشايخ، وقدم بغداد وسمع فيها، ثم تصدّر لتحديث والتدريس، وافق بها، ثم ولي القضاء بربع الكرخ بعد موت أبي عبد الله الضيمري، فلم يزل على القضاء إلى حين وفاته سنة خمسين وأربعمائة، وكان ثقة، صادقًا، دينًا، ورعًا، عازفًا بأصول الفقه وفروعه، محققًا في علمه، سليم الصدر، حسن الخلق، صحيح المذهب جيد اللسان، يقول الشعر على طريقة الفقهاء. وقد أخذ عنه أبو بكر الخطيب البغدادي، أنظر تاريخ بغداد ٣٥٨/٩ - ٣٦٠.

(٢) هو علي بن عمر بن محمد بن الحسن، أبو الحسن الحريري، المعروف بابن القزويني، كان أحد الزهاد المذكورين، من عباد الله الصالحين، يقرأ القرآن، ويروي الحديث، ولا يخرج من بيته، إلا للصلاة، وكان أوفر العقل، صحيح الرأي ولد في المحرم سنة ستين وثلاثين، ومات ليلة الأحد لخمس خلون من شعبان سنة اثنين وأربعين وأربعمائة، تاريخ بغداد ٤٣/١٢.

(٣) هو مختصر في فروع الفقه الحنبلي. وأبو القاسم الخرقني هو: عمر بن الحسين بن عبد الله، كانت له مصنفات كثيرة ونخرىجات على المذهب لم تظهر، لأنه خرج عن بغداد لما ظهر سب الصحابة، وأودع كنيه في إحدى دورها، فاحترقت الندار بما فيها من الكتب، توفي - رحمه الله تعالى - سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ودفن بدمشق، تاريخ بغداد ٢٣٤/١١ - ٢٣٥.

قلت: ومختصره هذا، شرحه المصنف الموفق ابن قدامه شرحًا وافيًا، وهو المعروف بـ (المُعْتَنِي)، =

قال الحافظ: ورأيت بعد ذلك ما زادني يقيناً، وعلمتُ أن ذلك تثبت من الله لي وتعليم، لأعرف حقَّ نعمة الله عليّ وأشكره، إذ أنقذني من اعتقاد البدعة إلى اعتقاد السنة، والله المسؤولُ الخاتمة بالموت على الإسلام والسنة.

٩٤ - [توبة أبي الحسن الهرقاني^(١) عن مذهب المتكلمين]

قال الحافظ أبو الفضل^(٢): وحدثني الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن المختار بن علي الهرقاني، قال: كان لي رفيق يُعرف بمحمد بن خنيس، يقرأ على أبي عبد الله القيرواني^(٣) المتكلم شيئاً من الكلام من كتاب ابن الباقلاني^(٤). فوافقتُه في ذلك.

فرايتُ ليلة في منامي كأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - على سطح رباط الشيخ أبي سعد الصوفي، وهو جالس، وحوله حلقة دائرة. فقلت لبعضهم: ما هذا الجمع؟ فقال لي: هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، أما تسلم عليه؟ فجلست ففضضت الحلقة، ووقفت تلقاء وجهه، وقلت: السلام عليك يا مولاي أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال لي: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ورأيتُه وهو جالس موازٍ لرؤوس القيام، فبدأتي وقال: تريد أن تعتقد؟ قلت: نعم يا مولاي. فقال: عليك باعتقاد أحمد. فقلت: السمع والطاعة^(٥).

= وهو من المراجع الكبيرة في الفقه الإسلامي عامة، وفي فقه الحنابلة خاصة. والخزقي: بكسر الخاء المعجمة، وفتح الراء، وفي آخرها القاف، هذه النسبة إلى بيع الخزقي والكتاب. الباب ٤٣٥/١.

- (١) لم أجد هذه النسبة في الباب، وليس لدي مرجع في الأنساب غيره.
- (٢) هو محمد بن ناصر السلمي المذكور في القصة السابقة.
- (٣) القيرواني: بفتح القاف، وسكون الياء، وفتح الراء والواو، وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى القيروان، وهي بلدة بأفريقية من بلاد المغرب، بناها عقبة بن نافع الفهري، له صحبة - رضي الله تعالى عنه - . الباب ٦٩/٣.
- (٤) الكتاب هو التمهيد.

والباقلاني، هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري، ثم البغدادي، متكلم على مذهب الأشعري ولد بالبصرة سنة (٣٣٨هـ). وسكن بغداد، وسمع بها الحديث، وتوفي ببغداد لسبع بقين من ذي القعدة سنة (٤٠٣هـ). تصانيفه: التمهيد، واسمه الكتاب كاملاً: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل؛ وأسرار الباطنية، وهداية المسترشدين في الكلام. أنظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣٧٩/٥ - ٣٨٣، تذكره الحفاظ ٢٦٣/٣، البداية والنهاية ١١٠/٣٥٠ - ٣٥١، شذرات الذهب ١٦٩/٣ ومعجم المؤلفين ١٠/١٠٩ - ١١٠.

والباقلاني: بفتح الباء الموحدة وكسر القاف بعد الألف، واللام ألف، وفي آخرها نون، هذه النسبة إلى الباقل وبيعه، الباب ١١٢/١.

(٥) إلى هنا تنتهي الرواية.

فلَمَّا جَاءَنِي رَافِقِي الَّذِي كُنْتُ أَسْمَعُ مَعَهُ الْكَلَامَ، وَمَعَهُ أَصْحَابُ لَهُ قَالُوا: تَعَالَ
 حَتَّى نَمْضِيَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ نَقْرَأَ عَلَيْهِ. قُلْتُ: الْيَوْمَ لِي شُغْلٌ.
 ثُمَّ إِنِّي اجْتَمَعْتُ بِالشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورٍ فِي مَسْجِدِهِ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ هَذِهِ الرُّؤْيَا؛ فُسِّرَ
 بِهَا، وَقَالَ: أَذْنُ مَتَّى. فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيَّ، وَقَالَ: أَنْتَ مُرَادٌ. وَدَعَا بِأَصْحَابِهِ
 وَقَالَ: اقْصِصْ عَلَيْهِمُ الرُّؤْيَا، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِمُ الرُّؤْيَا، فَقَالُوا: يَجِبُ عَلَيْهِ الشُّكْرُ، فَقَالَ
 الشَّيْخُ: أَنَا أَقْدِيهِ، وَالشُّكْرُ عَلَيَّ، وَأَخْرَجَ ذَهَباً فَاشْتَرَى بِهِ خَبِزاً وَتَمْرًا، فَفَرَّقَ عَلَى كُلِّ
 خَاتَمِ الْقُرْآنِ رَغِيفَيْنِ وَرَطْلَ تَمْرٍ، وَمَنْ كَانَ يَحْفَظُ الْبَعْضَ أَعْطَاهُ رَغِيفًا وَنَصْفَ رَطْلٍ تَمْرٍ.
 قَالَ: وَقَطَعْتُ السَّقِيَّةَ إِلَى الْفَقِيرِ وَأَنِي، ثُمَّ اعْتَقَدْتُ مِنْ يَوْمِئِذٍ اعْتِقَادَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ
 وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَأَنَا أَدِينُ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

* * *

(١) أي: الفيراني.

(٢) أي: الذهب.

اخبار جماعة من التوابين

٩٥ - [توبة منازل بن لاحق] (١)

أبانا الشيخ أبو الحسين أحمد بن حمزة السلمي في جماعة، قالوا: أنا أبو علي الحسن بن أحمد المقرئ الأصبهاني، أنا أبو نعيم الحافظ، قال: ثنا محمد بن حميد، قال: ثنا عبد الله بن سعيد الرقي، قال: ثنا يزيد بن محمد بن سنان، عن أبيه، عن جده، قال: حدثني الحسن بن علي - رضي الله عنهما (٢) - قال:

(١) لم أجد لمنازل بن لاحق هذا ترجمة، رغم أن القصة المذكورة هنا تدل على أنه من التابعين لأنه قابل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وتكلم معه.

لكن رأيت في الإصابة في تمييز الصحابة ٤٧٧/٣ في القسم الثالث من حرف الميم، وهو قسم المختصرين ذكر لرجل يدعى منازل بن أبي منازل السعدي، واسم أبي منازل فرعان بن الأغرف، وهي قرية من هذه القصة، إلا أنه ذكر أنها حدثت مع عمر بن الخطاب بدل علي - رضي الله عنهما - ، وذكر فيها أن والده كان مشركاً كثير المال، فأله بعض ماله فأبى عليه، فلوى له يده وأخذ شيئاً من ماله فدعا عليه أبوه في شعر - وهو غير الشعر المذكور هنا، ولا يشبهه - ، دعا عليه بلوى يده كما لوى ابنه يده، فأصبح ويده ملوثة.

ثم ذكر الحافظ ابن حجر أن في سنده ضعف وانقطاع.

قلت: وسند هذه القصة - التي ذكرها المصنف - ليس بأحسن حالاً وإسناداً في القصة التي ذكرها ابن حجر ففيها يزيد بن محمد بن سنان، ولم أجد من ترجم له، ولا لأبيه، ولا لجده.

ولم أجد ممن اسمه سنان يروي عن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - سوى سنان بن أبي سنان الدبيلي المدني، لكن لا يعرف أن له ابن يروي عنه، أنظر تهذيب الكمال ١٥٢ - ١٥١/١٢ والله تعالى أعلم.

وفيه مخالفة لحديث صحيح، وهو أن الوالد دعا علي ابنه بالشر، قد صح النهي عن ذلك: فقد قال رسول الله - ﷺ - : لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، ولا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم، رواه مسلم.

وقد تقدم أن منازل هذا تابعي فأبوه إما أن يكون صحابياً أو تابعياً كبيراً - إذ يظهر من خلال القصة أنه كان مسلماً - ، فلا يصح منه الدعاء على ولده بالفالج، وهو يعلم النهي عن ذلك، وهذا مما يؤكد ضعف الحديث، ويكفيها جهالة رواه.

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي - رضي الله تعالى عنهما - ، سبط رسول الله - ﷺ - ورعاته، وقد صحبه وحفظ عنه، مات - رحمه الله - شهيداً بالسلم، سنة سبع وأربعين، =

بينما أنا أطوف مع أبي حول البيت في ليلة ظمء، وقد رقدت العيون، وهذات الأصوات، إذ سمع أبي هاتفاً يهتف بصوت حزين شجي، وهو يقول:

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَرِّ فِي الظُّلُمِ يَا كَاثِفَ الضُّرِّ وَالْبَلَوِ مَعَ السُّقْمِ
قَدْ نَسَامَ وَفُذِّكَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَانْتَبَهُوا وَأَنْتَ غَيْبُكَ يَا قِيَوْمَ لَمْ نَنْمِ
هَبْ لِي بِجُودِكَ فَضْلَ الْعَفْوِ عَنْ جُرْمِي^(١) يَا مَنْ إِلَيْهِ أَشَارَ الْخَلْقُ فِي الْحَرَمِ
إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَا يُسَدِّدُكَ^(٢) ذُو سَرْفٍ فَمَنْ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِينَ بِالْكَرَمِ

قال: فقال أبي: يا بني! أما تسمع صوت النادب لذنبه، المستقيل لربه؟ الحقّة فلعلّ إن تأتيني به.

فخرجت أسعى حول البيت أطلبه، فلم أجده، حتى انتهيت إلى المقام، وإذا هو قائم يصلي، فقلت: أحبّ ابن عمّ رسول الله - ﷺ -، فأوجز في صلاته وتابعني.

فاتيت أبي، فقلت: هذا الرجل يا أبت.

فقال له أبي: ممّن الرجل؟ قال: من العرب. قال: وما اسمك؟ قال: مُنَازِلُ بْنُ لَاحِقٍ.

قال: وما شأنك، وما قصتك؟ قال: وما قصة من أسلمته ذنوبه، وأوبقته^(٣) عيوبه، فهو مرتطم في بحر الخطايا^(٤).

فقال له أبي: عليّ ذلك، فأشرح لي خبرك.

قال: كنت شاباً على النهو والطرب لا أفيق عنه، وكان لي والد يعظني كثيراً ويقول: يا بني! احذر هفوات الشباب وعثراته، فإن الله سطوات ونقلمات، ما هي من الظالمين ببعيد، وكان إذا ألح عليّ بالموعظة ألححت عليه بالضرب، فلمّا كان يوم من الأيام ألح عليّ بالموعظة، فأوجعته ضرباً، فحلف بالله مجتهداً ليأتين بيت الله الحرام

= وهو ابن سبع وأربعين، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل: بعدها، التقريب ١/١٦٨.
وعليّ - رضي الله عنه - هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، رابع الخلفاء الراشدين، ابن عمّ رسول الله - ﷺ - وروح ابنه، من السابقين الأولين، المرجح أنه أول من أسلم، وهو أحد العشرة - أي: المبشرين بالجنة - مات في رمضان سنة أربعين، وهو يؤمّد أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض، بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح، التقريب ٢/٣٩.

(١) حرّكت الراء بالضمّ لضرورة الشعر.

(٢) تشكين الكاف هنا لضرورة الشعر.

(٣) أي: أهلكته، مختار الصحاح ص ٣٣٣.

(٤) أي: واقع في بحر الخطايا لا يجد منه مخلصاً أساس البلاغة ص ١٦٦.

فَيَتَعَلَّقُ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَيَدْعُو عَلِيًّا، فَيُخْرِجُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْبَيْتِ، فَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ،
وَأَنشَأَ يَقُولُ:

يَا مَنْ إِلَيْهِ أَتَى الْحِجَابُ قَدْ قَطَعُوا عَرَضَ الْمَهَامَةِ^(١) مِنْ قَرَبٍ وَمِنْ بُعْدٍ^(٢)
إِنِّي أَتَيْتُكَ يَا مَنْ لَا يَخِيبُ مَنْ يَدْعُوهُ مُتَهَيِّلاً بِالْوَاحِدِ الصُّمْدِ
هَذَا مَنَازِلَ لَا يَرْتَدُّ عَنْ عَقْبِي فَخِذْ بِحَقِّي يَا رَحْمَنُ مَنْ وَلَدِي
وَشَلْ مِنْهُ بِحَوْلٍ مِنْكَ جَانِبُهُ يَا مَنْ تَقَدَّسَ لَمْ يُؤْلَدْ وَلَمْ يَلِدْ
قال: فوالله ما استتمت كلامه حتى نزل بي ما ترى، ثم كشف عن شقه الأيمن فإذا هو
يابس.

قال: فأبت ورجعت؛ ولم أزل أترصاه، وأخضع له، وأسأله العفو عني، إلى أن
أجابني أن يدعولي في المكان الذي دعا علي.

قال: فحملته على ناقة عُشْرَاءَ^(٣)، وخرجت أقفو أثره، حتى إذا صرنا بوادي الأراك^(٤)
طار طائر من شجرة، فنفرت الناقة، فرمت به بين أحجار، فَرَضَحَتْ رَأْسَهُ^(٥) فمات، فدفتته
هناك، وأقبلت آيساً، وأعظم ما بي ما لقاها من التعبير أني لا أعرف إلا بالماخوذ بعقوب
والذئب.

فقال له أبي: أبشر فقد أتاك الغوث، فصلى ركعتين، ثم أمره فكشف عن شقه
بيده، ودعا له مرات يرددهن! فعاد صحيحاً كما كان.

وقال له أبي: لولا أنه قد كان سبقت إليك من أبيك في الدعاء لك بحيث دعا عليك
لما دعوت لك.

قال الحسن^(٦): وكان أبي يقول لنا: احذروا دعاء الوالدين! فإن في دعائهما النماء
والإنجبار^(٧)، والاستئصال والبوار^(٨).

(١) المهامة: جمع مهم، وهي المفازة البعيدة. مختار الصحاح ص ٤٨٣.

(٢) خُرِكت العين بالضم لضرورة الشعر.

(٣) هي الناقة التي أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر وتجمع من عشار، وعشراوات، وعشراء
كفقهاء. مختار الصحاح ص ١٦٥.

(٤) وادي الأراك: واد قرب مكة، والأراك شجر معروف، واحده أراك، أنظر مختار الصحاح ص ٣٣٥.

(٥) أي: شَجَبَ وكَسَرَتْ رأسه، أنظر مختار الصحاح ص ٨٤، وأساس البلاغة ص ١٦٥.

(٦) أي: ابن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -.

(٧) أي: إذا دعوا له بالخير.

(٨) أي: إذا دعوا عليه بالشر، بسبب عقوفه والبوار: الهلاك.

٩٦ - [توبة امرأة من دومة الجندل عن عمل السحر]

قرأت علي أبي المعالي عبد الله بن عبد الرحمن السلمي، أخبركم هبة الله بن أحمد بن محمد الأثفاني^(١)، قال: أنبأنا أبو الفتح عبد الجبار بن عبد الله بن إبراهيم بن برزة، قال: أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد بن عمر الفقيه، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم^(٢)، قال: ثنا الربيع بن سليمان، ثنا عبد الله بن وهب، ثنا ابن أبي الزناد^(٣)، حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة - زوج النبي ﷺ - ، أنها قالت:

قَدِمْتُ امرأة من «دومة الجندل»^(٤) تبتغي رسول الله - ﷺ - بعد موته، حدّثت ذلك^(٥)، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به.

قالت عائشة لعروة: يا ابن أخي! فرأيتها تبيكي حتى إنّي لأرحمها؛ تقول: إنّي أخاف أن أكون قد هلكت، كان لي زوج، فغاب عني، فدخلت عليّ عجوز، فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما أمرك به تجعله يأتيك.

(١) الأثفاني: بفتح الألف، وسكون الكاف، وفتح الفاء، وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى بيع الأثفان، اللباب ٨٢/١.

(٢) هو الإمام المعروف صاحب كتاب: الجرح والتعديل، وهو عبد الرحمن بن أبي حاتم: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران التميمي الحنظلي، أبو محمد، ولد سنة (٢٤١) هـ. وكان عالماً، محدثاً، عارفاً بالرجال، فقيهاً، أصولياً، متكئاً، مفسراً، توفي بالري في المحرم سنة (٣٢٧) هـ.

من آثاره: تفسير القرآن الكريم في أربع مجلدات، الجرح والتعديل، الرد على الجهمية، مناقب الشافعي والمسد في (١٢) مجلداً.

أنظر ترجمته في: تذكره الحفاظ ٤٦/٣ - ٤٨، لسان الميزان، ٤٣٢/٣ - ٤٣٣، البداية والنهاية ١٩١/١١، وشذرات الذهب ٣٠٨/٢ - ٣٠٩، ومعجم المؤلفين ١٧٠/٥ - ١٧١.

- وقد روى هذه القصة الطبري في تفسيره ٣٦٠/١. وابن كثير في تفسيره ١٤١/١ - ١٤٢ من طريق الربيع بن سليمان، وهو ثقة. التقریب ٢٤٥/١.

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد: عبد الله بن ذكوان، المدني، مولى قريش، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، ولهذا لم يذكره أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه، ويؤكد هذا أنه لو دخل بغداد لذكره، لأنه مشهور معروف فكان أولى بالذكر من غيره.

وقال الحافظ ابن كثير عقب الفصة ١٤٢/١: وهذا إسناد جيد إلى عائشة رضي الله عنها، أهد. والله تعالى أعلم.

(٤) دومة الجندل: بضم الدال وفتحها، وقد أنكر ابن دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين، وهي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول ﷺ، وسيت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل، أي الحجارة، نفلاً عن هامش المطبوعة.

(٥) أي: حدّثت وفاته - ﷺ.

فلما أتانا الليل جاءني بكلّين أسودّين، فركبتُ أحدهما وركبت الآخر، ولم يكن كشيء^(١) حتى وقفنا به «بابل»، فإذا برجلين معلّنين بأرجلهم، فقالا: ما جاء بك؟ فقلت: أعلم السحر. فقالا: إنما نحن فتنة، فلا تكفري وارجمي؛ فأبيتُ وقلت: لا. قالوا: فاذهبي إلى ذلك التّور قبولي فيه.

فذهبت ففرزعت فلم أفعل؛ فرجعت إليهما. فقالا: أفعلت؟ فقلت: نعم. فقالا: هل رأيت شيئاً؟ قلت: لم أر شيئاً. فقالا: لم تفعل، ارجمي إلى بلدك ولا تكفري؛ فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التّور قبولي فيه.

ثمّ أتني ذهبت، فاقشعُرْ جلدي وخفت؛ ثمّ رجعت إليهما، فقلت: قد فعلت فقالا: ما رأيت؟ فقلت: لم أر شيئاً. فقالا: كذبت، لم تفعل، فارجمي إلى بلدك ولا تكفري، فإنّك على رأس أمرك.

فذهبت فلبت فيه؛ فرأيت فارساً متقلّعا بحديد خرج مني، فذهب في السماء، وغاب عني حتى ما أراه؛ رجعتُهما، فقلت: قد فعلت. فقالا: ما رأيت؟ قلت: رأيت فارساً متقلّعا بحديد خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه.

فقالا: صدقت! ذلك إيمانك خرج منك؛ اذهبي.

فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئاً، وما قالوا لي شيئاً.

فقلت: بلى! لن تدري شيئاً إلا كان؛ خذي هذا القمح فابذري. فبذرت، فقلت: اطعمي، فأطلعت، فقلت: الحقي، فلاحقت. ثمّ قلت: افركي ففركت، فقلت: ايسي، فيسيت. ثمّ قلت: اطحنّي، فطحنت. ثمّ قلت: اخبزي فخبزت.

فلما رأيت أنّي لا أريد شيئاً إلا كان، سَقِطَ في يدي^(٢) وندمت، والله يا أمّ المؤمنين، ما فعلتُ شيئاً قط، ولا أفعله أبداً، فسألتُ أصحاب رسول الله - ﷺ -، - حدّثة وفاة رسول الله - ﷺ -، وهم متوافرون، فما ذروا ما يقولون لها، وكلّهم هاب وخاف أن يفتبها بما لا يعلمه؛ إلا أنه قد قال لها ابن عباس - أو بعض من كان عنده - : لو كان أبواك خبيّين أو أحدهما^(٣).

قال ابن أبي الزناد: وكان هشام يقول: إنهم كانوا أهل وزع وخشية من الله، وبعْداء من التّكلّف والجراة على الله - .

(١) في تفسير ابن كثير: فلم يكن شيء.

(٢) أي: ندمت على ما فعلت، انظر أساس البلاغة ص ٢١٤.

(٣) عبد ابن كثير زيادة: قال هشام: فلو جاءتنا أفتيناها بالضممان.

ثم يقول هشام: ولو جاءتنا مثلها، لوجدت نوكي^(١) أهل حُتق وتكلف بغير علم.

٩٧ - [توبة شاب عن اللهو واللعب]

أخبرنا الإمام أبو الحسن البطائحي^(٢) قال: أنبأنا أبو طالب المؤسفي، أنا الحسن بن علي التميمي، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني هارون بن عبد الله، ثنا ثابت البناني^(٣)، قال:

كان صلة بن أشيم^(٤) يخرج إلى الجبان فيتعب فيها. فكان يمر على شباب يلعبون ويلعبون. قال: فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفرًا فجازوا^(٥) النهار عن الطريق وناموا الليل، متى يقطعون سفرهم؟ قال: فكان كذلك يمر بهم ويعظمهم، قال: فمر بهم ذات يوم، فقال لهم هذه المقالة. فقال شاب منهم: يا قوم! إنه والله ما يعني بهذا غيرنا، نحن بالنهار نلغو، وبالليل ننام. ثم أتبع صلة، فلم يزل يختلف معه إلى الجبان ويتعب معه حتى مات، رحمهما الله.

-
- (١) النوكي: الحمقى، جمع نوك، أي أحمق. انظر أساس البلاغة ص ٤٧٧.
- (٢) هو علي بن عساكر بن المرحب بن الموام البطائحي، الضرير، مقرئ، عارف بالعربية، من أهل العراق، توفي في شعبان سنة (٥٧٢) هـ. من آثاره كتاب في القراءات، معجم المؤلفين ١٥٠/٧.
- وفي المطبوعة: البطائحي، بالهمز، وهو خطأ، وإنما هو البطائحي: بفتح الباء الموحدة، والطاء المهملة، والياء المشاة من تحت بعد الألف وفي آخرها الحاء المهملة، هذه النسبة إلى البطايح، وهو موضع بين واسط والبصرة، وهي عدة قرى مجتمعة في وسط الماء. اللباب ١٥٩/١.
- (٣) هو ثابت بن أسلم البناني - بضم الموحدة، ونون مخففة -، أبو محمد البصري، ثقة عابد، من التابعين، مات سنة بضع وعشرين ومائة، وله ست وثمانون. التقریب ١١٥/١.
- والظاهر أن في هذا الإسناد انقطاع، فعبده بن أحمد، هو: ابن حنبل الإمام، وهارون بن عبده، هو ابن مروان البغدادي، ثقة، إلا أنه ولد نحو مائة وستين وثابت توفي سنة بضع وعشرين ومائة - كما تقدم -، ولم يذكر في تهذيب الكمال ٣٤٦/٤ فيمن يروي عن ثابت البناني من اسمه هارون بن عبده، والله تعالى أعلم.

لكن ذكرها الحافظ أبو نعيم في الحلية ٢٣٨/٢ من طريق أخرى عن ثابت بها.

- (٤) هو صلة بن أشيم العدوي، أبو الصهباء، تابعي من عباد أهل البصرة وزهادهم، روى عنه أهلها، قتل سنة خمس وسبعين ومائة بكابل، في أول ولاية الحجاج بن يوسف، وقد قيل: أنه قتل في ولاية يزيد بن معاوية. الثقات لابن حبان ٣٨٣/٤. وذكره البخاري في التاريخ الكبير ٣٢٢-٣٢١/٢/٢.
- ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وانظر حلية الأولياء ٢٣٧/٢ - ٢٤٢.
- (٥) في الحلية ٢٣٨/٢: فحداداً.

٩٨ - [توبة شاب عن الإنهماك في الدنيا]

أَبَانَا الشَّيْخ أَبُو الْفَرَج^(١)، قَالَ: ثَنَا أَبُو بَكْرِ الصُّوفِي، قَالَ: أَبَانَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَبَانَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَاكُوَيْه: قَالَ: ثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَقِيه الْمَالَكِي، قَالَ: ثَنَا يَوْسُفُ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاعِظ، قَالَ: ثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُطَهَّرِي^(٢) قَالَ: ثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي مَرْيَمٍ الْعَسْكَرِي، حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ^(٣)، قَالَ:

مررت أنا ومالك بن دينار بالبصرة. فبينما نحن ندور فيها مرورنا بقصر يُعَمَّر. وإذا شاب جالس ما رأيت أحسن وجهاً منه، وإذا هو يأمر ببناء القصر، ويقول: افعلوا، واصنعوا.

فقال لي مالك: ما ترى إلى هذا الشاب وإلى حسن وجهه وحرصه على هذا البناء؟ ما أحوجني إلى أن أسأل ربي أن يخلصه، فلعله يجعله من شباب الجنة، يا جعفر ادخل بنا إليه.

قال جعفر: فدخلنا فلمننا، فردَّ السلام، ولم يعرف مالكا. فلما عرفوه إياه قام إليه، فقال: حاجة؟ قال: كم نويت أن تنفق على هذا القصر؟ قال: مائة ألف درهم.

قال: ألا تعطيني هذا المال فأضعه في حقه، وأضمن لك على الله تعالى قصراً خيراً من هذا القصر، بولدانه وخدمه؛ وقبائمه وخيمه من ياقوتة حمراء، مرصع بالجواهر، ترابه الزعفران، وملاطه المسك^(٤)؛ أفصح^(٥) من قصرك هذا، لا يخرب، لا تمسه يدان ولم يئنه بناء، قال له الجليل^(٦): كن، فكان؟ قال: أجلني الليلة، ويكر علي غدوة.

(١) أي: ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -

(٢) الْمُطَهَّرِي: بضم الميم، وفتح الطاء، وتشديد الهاء المفتوحة وفي آخرها راء، هذه النسبة إلى قرية ورجل، أما القرية فهي: مُطَهَّر، من أعمال سارية ما زندران... وأما الرجل فهو جدُّ أبي الفضل محمد بن علي بن سعيد بن محمد بن الْمُطَهَّر. الباب ٢٢٦/٣.

(٣) هو جعفر بن سليمان الصُّفِي - بضم الصاد المعجمة، وفتح الموحدة -، أبو سليمان البصري، صدوق زاهد، لكنه كان يتشيع، من أتباع الثابطين، مات سنة ثمان وسبعين ومائة، التقريب ١٣١/١.

ولم أجد للحسن بن أبي مريم - الراوي عنه - ترجمة.

(٤) أي: طينه المسك، أساس البلاغة ص ٤٣٦.

(٥) أي: أوسع وأكبر، انظر أساس البلاغة ص ٣٥١.

(٦) أي: الله عز وجل.

قال جعفر: فبات مالك وهو يفكر في الشاب، فلما كان في وقت السحر دعا وأكثر من الدعاء.

فلما أصبحنا غدونا، فإذا بالشاب جالس، فلما عاين مالكاً هشاً إليه^(١)، ثم قال: ما تقول في ما قلت بالأمس؟ قال: تفعل. قال: نعم. فأحضر البذر^(٢) ودعا بدواة وقرطاس، ثم كتب^(٣):

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان: إني ضمننت لك على الله قصرأ بذل قصرك بصفته كما وصفت والزيادة على الله؛ واشتريت لك بهذا المال قصرأ في الجنة، أفصح في^(٤) ظل ظليل، بقرب العزيز الجليل. ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الشاب؛ وحملنا المال فما أمسى مالك وقد بقي عنده مقدار قوت ليلة.

فما أتى على الشاب أربعون ليلة، حتى صلى مالك ذات يوم الغداة، فلما انفتل، فإذا بالكتاب في المحراب موضوع، فأخذه مالك فنشره، فإذا في ظهره مكتوب بلا مداد: هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار: إنا وقينا الشاب القصر الذي ضمننت له وزيادة سبعين ضعفاً.

قال: فبقي مالك متعجباً؛ وأخذ الكتاب، فقمنا فذهبنا إلى منزل الشاب، فأقبلنا، فإذا الباب مسود، والبكاء في الدار، فقلنا: ما فعل الشاب؟ قالوا: مات بالأمس.

فأحضرنا الغاسل، فقلنا: أنت غسلته؟ قال: نعم. قال مالك: فحدثنا كيف صنعت؟ قال: قال لي قبل الموت: إذا أنا مت وكفتني اجعل هذا الكتاب بين كفني وبطني. فجعلت الكتاب بين كفنه وبطنه، ودفنته معه.

فأخرج مالك الكتاب؛ فقال الغاسل: هذا الكتاب بعينه والذي قبضه، لقد جعلته بين كفنه وبطنه بيدي.

قال: فكثر البكاء؛.

فقام شاب، فقال: يا مالك! خذ مني مائتي ألف درهم، واضمن لي مثل هذا.

قال: هيهات! كان ما كان، فات ما فات؛ والله يحكم ما يريد. فكلما ذكر مالك الشاب بكى ودعا له.

(١) أي: خف إليه وأسرع، مختار الصحاح ص ٢٢٤.

(٢) البذر: جمع البذرة؛ والبذرة: عشرة آلاف درهم، أنظر مختار الصحاح ص ١٢٤.

(٣) أي: مالك بن دينار.

(٤) في المطبوعة: من، وما أبتناه أنيب للمعنى، والله أعلم.

٩٩ - [توبة جندي صاحب قصر عن الغناء والملاهي]

قال ابن ياكوبه: حدثنا عبد الواحد بن بكر، ثنا محمد بن داود الدُّيُونِيُّ^(١)، قال: سمعت أبا إسحاق الهَرَوِيَّ^(٢)، يقول:

كنت مع ابن الخُيَوطِيَّ^(٣) بالبصرة، فأخذ بيدي، وقال: قم حتى نخرج إلى «الأبله»^(٤). فلما قربنا إلى «الأبله»، ونحن نمشي على شاطئ «الأبله» في الليل، والقمر طالع، مررنا بقصر لجندي، فيه جارية تضرب بالعود؛ وفي جانب القصر في ظل القمر فقير بخرقتين.

فسمع الفقير الجارية وهي تقول:

كُلُّ يَوْمٍ نَتَلَوْنَ غَيْرَ هَذَا بِكَ أَجْمَلُ

فصاح الفقير وقال: أعيد به، فهذا حالي مع الله تعالى.

قال: فنظر صاحب الجارية إلى الفقير، فقال لها: اتركي العود وأقبلي عليه، فإنه صوفي. فأخذت تقول، والفقير يقول: هذا حالي مع الله؛ والجارية تردّد، إلى أن صاح الفقير صيحة وخرّ مغشياً عليه، فحرّكناه، فإذا هو ميت.

فلما سمع صاحب القصر بموته نزل فأدخله إلى القصر، واغتممنا، وقلنا: هذا يكفّنه من غير وجهه، فصعد الجندي، وكسر كل ما كان بين يديه، فقلنا: ما بعد هذا إلا خير.

ومضينا إلى «الأبله» فَبِتْنَا وأعلمنا الناس. فلما أصبحنا رجعنا إلى القصر، وإذا الناس مقبلون من كل وجه إلى الجنازة، كأنما نودى في «البصرة»، حتى خرج القضاة والعدول وغيرهم.

(١) الدُّيُونِيُّ: بكسر الدال المهملة، وسكون الياء آخر الحروف، وفتح النون والواو، وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى الدُّيُونِ، وهي بلدة من بلاد الجبل عند قريمين ينب إليها جماعة من العلماء، اللباب ٢٥٦/١.

(٢) الهَرَوِيّ: بفتح الهاء والراء، وبعد واو، هذه النسبة إلى هراة، وهي إحدى مدن خراسان المشهورة، ينب إليها خلق كثير من العلماء في كل فن. اللباب ٣٨٦/٣.

(٣) الخيوطي: بضم الخاء والياء تحتهما نقطتان، وبعد الواو طاء مهملة، هذه النسبة إلى الخيوط، اللباب ٤٧٩/١.

(٤) هي مدينة إلى جنب البصرة، على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل منه إلى البصرة، وهي أقدم من البصرة، لأن البصرة مضرت في زمن عشرين الخطاب - رضي الله عنه -، وكانت الأبله - حيث مدينة، نقلًا عن هامش المطبوعة.

وقال في اللباب ٢٥٠/١ - ٢٦: «بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة، وهي اليوم من البصرة، وقيل: إنها من جنان الدنيا» أ. هـ.

وإذا الجندى يمشي خلف الجنزة حافياً حاسراً حتى دفن، فلما هم الناس بالانصراف، قال الجندي للقاضي والشهود: اشهدوا أن كل جارية لي حرة لوجه الله تعالى، وكل ضياعي وعقاري حبيس في سبيل الله، ولي في صندوق أربعة آلاف دينار، وهي في سبيل الله.

ثم نزع الثوب الذي كان عليه، فرمى به، وبقي في سراويله.
فقال القاضي: عندي مئزران من وجههما، تقبلهما؟ فقال: شاك، فأخذهما فاتزر بواحد، واتشح بالآخر، وهام على وجهه.
فكان بكاء الناس عليه أكثر منه على الميت.

١٠٠ - [توبة رجل من أعوان السلطان عن الفواحش]

وحكي^(١) عن مالك بن دينار، قال:

كان لي جار يتعاطى الفواحش، فأتى إلي الجيران يشكون منه. فأحضرناه، وقلنا له: إن الجيران يشكونك، فسبيلك أن تخرج من المحلة. فقال: أنا في منزلي، لا أخرج. قلنا: تبع دارك. قال: لا أبيع ملكي. قلنا: نشكوك إلى السلطان. قال: أنا من أعوانه. قلنا: ندعوا الله عليك. قال: الله أرحم بي منكم.

قال: فلما أمسينا قمنا وصلينا ودعوت عليه، فهتف بي هاتف: لا تدع عليه فإنه من أولياء الله تعالى.

فجئت إلى باب داره، ودققت الباب، فخرج، فظن أنني جئت لأخرجه من المحلة، فتكلم كالمعتذر.

فقلت: ما جئت لهذا، ولكن رأيت كذا وكذا، فوقع عليه البكاء، وقال: إنني تبت بعد ما كان هذا. ثم خرج من البلد فلم أره بعد ذلك.

واتفق أنني خرجت إلى الحج، فرأيت في المسجد الحرام حلقة فتقدمت إليهم، فرأيتهم مطروحين عليلاً، فلم ألبث أن قالوا: مات الشاب رحمه الله.

١٠١ - [توبة فتى من الأزديكان عن التائب والتخث]

أخبرنا أبو طالب المبارك بن علي الصيرفي، أنا أبو غالب شجاع بن فارس الذهلي، أنا أبو بكر الخطاط، قال: أنا أحمد بن محمد بن دوست، قال: أنبأنا الحسين بن صفوان،

(١) بصيغة المبني للمجهول، وهذه الصيغة تفيد التضعيف عند علماء الحديث، كما سبق التنويه إلى ذلك مراراً.

قال: أنبأنا أحمد بن محمد، قال: أنبأنا أبو بكر بن أبي الدنيا، قال: وحَدَّثْتُ عن محمد بن الحسين، عن يحيى بن راشد، ثنا رجاء بن ميسور المَجاشيعي، قال:

كنا في مجلس صالح المُرِّي^(١) وهو يتكلم. فقال لفتى بين يديه اقرأ يا فتى، فقرأ الفتى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَافٍ مِنْ مَنَظِمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾^(٢). فقطع صالح عليه القراءة، وقال: كيف يكون لظالم حميم أو شفيع، والمطالب له رب العالمين؟ إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأنكال إلى الجحيم، حفاة عراة، مسوذة وجوههم، مُزْرَقَة عيونهم، ذائبة أجسادهم، يتنادون: يا ويلنا، يا ثورنا، ماذا نزل بنا؟ ماذا حل بنا؟ أين يذهب بنا؟ ماذا يراد منا؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فرمة يجرون على وجوههم ويسحبون عليها منكبئين، ومرة يقادون إليها مُقَرَّنِينَ، من بين باك دماً بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت، إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظراً لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك.

ثم نَحَب^(٣)، وصاح: يا سوء منظراه، يا سوء منقلباه، وبكى. وبكى الناس.

فقام فتى من الأزدكان، به ثانيث، فقال: أكل هذا في القيامة يا أبا بشر؟

قال: نعم والله يا ابن أخي، وما هو أكثر؛ لقد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم، فما يبقى منهم إلا كهيئة الأنين من المديف^(٤).

فصاح الفتى: إنا لله! واغفلناه عن نفسي أيام الحياة، وأسفا على تفريطي في طاعتك يا سيدها، وأسفا على تضييعي عمري في دار الدنيا، ثم بكى؛ واستقبل القبلة،

(١) المَجاشيعي: بضم الميم، وفتح الجيم، وسكون الالف، وكسر الشين المعجمة، والعين المهملة. هذه النسبة إلى مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة من تميم، وهم خلق كثير، اللباب ١٦٤/٣ - ١٦٥.

ولم أجد من ترجم لرجاء بن ميسور هذا، كما أن في الإسناد انقطاع، وهو ظاهر من قول ابن أبي الدنيا: وحَدَّثْتُ.

(٢) هو صالح بن بشير بن وادع المُرِّي - بضم الميم، وتشديد الراء -، أبو بشر البصري، القاضي الزاهد، يروي عن ثابت والحن البصري، وابن سيرين وغيرهم، روى عنه العراقيون، غلب عليه الخير والصلاح، فلم يحفظ الحديث فخلط، فترك الإحتجاج به، مات سنة الثنتين وسبعين ومائة، وقيل: بعدها، التقريب ٣٥٨/١، واللباب ٢٠١/٣.

(٣) سورة المؤمن، آية رقم ١٨/

(٤) أي: رفع صوته بالبكاء، مختار الصحاح ص ٤٢.

(٥) هو: المريض الذي ثقل عليه مرضه. مختار الصحاح ص ٢٩٢.

فقال: اللهم! إنني استقبلك في يومي هذا بنوبة لا يخالطها رياء لغيرك؛ اللهم! فاقبلني على ما كان في، واعف عما تقدم من فعلي، وأقلني عثرتي، وارحمني ومن حضرني، وتفضل علينا بجودك وكرمك؛ يا أرحم الراحمين، لك ألقيت معاقب الأثام من عني، وإليك أثبت بجميع جوارحي، صادقاً لذلك قلبي، فالوئيل لي إن لم تقبلني.

ثم غلب فسقط مغشياً عليه، فحمل من بين القوم سريعاً، فمكث صالح وإخوته يعودونه أياماً، ثم مات - والحمد لله - فحضره خلق كثير يكون عليه، ويدعون له.

فكان صالح كثيراً ما يذكره في مجلسه فيقول: بأبي قتيل القرآن، وبأبي قتيل المواعظ والأحزان.

قال: فرأه رجل في منامه، قال: ما صنعت؟ قال: عشتي بركة مجلس صالح، فدخلت في سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء.

١٠٢ - [توبة امرأة وهي تطوف حول الكعبة]

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن محمد الخطيب الأنباري، قال: أنبأنا أبو الحسين بن بشران، قال: أنبأنا الحسين بن صفوان، قال: أنبأنا ابن أبي الدنيا، ثنا سعيد بن سليمان الواسطي^(١)، عن محمد بن يزيد بن خنيس^(٢)، قال: قال وهيب بن الورد^(٣):

بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول: يا رب! ذهبت اللذات، وبقيت التبعات؛ يا رب! سبحانك، وعزيتك إنك أرحم الراحمين؛ يا رب! ما لك عقوبة إلا النار.

ف قالت صاحبة لها كانت معها: أختي، دخلت بيت ربك اليوم؟.

ف قالت: والله ما أرى هاتين القدمين أهلاً للطواف حول بيت ربي، فكيف أراهما أهلاً أطاً بهما بيت ربي، وقد علمت حيث مشتا وأين مشتا؟.

١٠٣ - [توبة رجل عمّا جنت يدها]

أخبرنا أبو الفضل مسعود بن عبيد الله بن النّادر، قال: أنا أبو سعد أحمد بن محمد البغدادي، قال: أنبأنا أبو العباس أحمد بن محمد الظّهري^(١)، وعبد الوهاب بن منده قالا: أنبأنا أبو محمد بن محمد ابن يوه، قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر البّاني، قال: أنبأنا عبد الله بن محمد، قال: كتب إليّ أبو عبد الله البّاهلي، قال: أنبأنا عبد الله بن محمد عن إبراهيم بن الحارث، قال:

كان رجل كثير البكاء؛ ف قيل له في ذلك، فقال: أبكاني تذكّري ما جنت علي نفسي حين لم استع من شاهدي وهو يملك عقوبتي، فأخبرني إلى يوم العقوبة الدائمة، وأجلني إلى يوم الحسرة الباقية؛ والله لو خيرت: أيما أحب إليك، تحاسب ثم يؤمر بك إلى الجنة، أو يقال لك: كن تراباً؟ - لا اخترت أن أكون تراباً.

(١) هو سعيد بن سليمان الضبي، أبو عثمان الواسطي، تزيل بغداد، البراز، لقبه سعدويه، ثقة حافظ مات سنة خمس وعشرين ومائتين، وله مائة سنة. التقريب ٢٩٨/١.

(٢) هو محمد بن يزيد بن خنيس، المخزومي مولا هم، المكي، مقبول، وكان من العبّاد توفي بعد العشرين ومائتين، التقريب ٢١٩/٢. وقد ذكر في التهذيب عن ابن حبان قوله: يجب أن يعتبر بحديثه إذا بين السماع في خبره، ولم يبين السماع في هذه الفصّة من وهيب فلا يعتبر بروايته.

(٣) هو وهيب بن الورد، الثقة العابد، من أتباع التابعين، تقدّم ترجمته، وانظر التقريب ٣٣٩/٢.

(٤) الظّهري: بكسر الطاء، وبالهاء، وفتح الراء، وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى ظهران، وهي قرية

١٠٤ - [توبة مُلهي أهل المدينة عن اللهو على يد والدته]

ومن «الملتقط»^(١): قال صالح بن عمر: وحَدَّثني أبي، قال: كان بالمدينة امرأة متعبدة، ولها ولد يلهو، وهو مُلهي أهل المدينة. وكانت تعظه، وتقول: يا بُني! اذكر مصارع الغافلين قبلك، وعواقب البطالين قبلك، اذكر نزول الموت. فيقول إذا ألحَّت عليه:

كُفِّي عَنِ التَّعَذُّالِ وَاللُّومِ وَاسْتَيْقِظِي مِنْ سِنَةِ النُّومِ
إِنِّي وَإِنْ تَابَعْتُ فِي لَذَّتِي قَلْبِي وَعَاصِيَتُكَ فِي لَوْمِي
أَرْجُو مِنْ إِفْضَالِهِ تَوْبَةً تَنْقُلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ
فلم يزل كذلك حتى قدم أبو عامر البُنَّاني وأعظ أهل الحجاز، ووافق قدومه رمضان، فسأله إخوانه أن يجلس لهم في مسجد رسول الله - ﷺ - فأجابهم.

وجلس ليلة الجمعة بعد انقضاء التراويح، واجتمع الناس، وجاء الفتي فجلس مع القوم، فلم يزل أبو عامر يُعِظُ وَيُنْذِرُ وَيُشَرُّ، إلى أن ماتت القلوب فرقاً، واشتاشت النفوس إلى الجنة، فوقعت الموعظة في قلب الغلام فتغير لونه. ثم نهض إلى أمه، فبكى عندها طويلاً، ثم قال:

رَمِمْتُ^(٢) لِسُوءَةِ أَجْمَالِي وَرُخْتُ قَدْ طَاوَعْتُ عُذَالِي^(٣)
وَأَبَيْتُ وَالتَّسْوِيفُ قَدْ فَتَحَتْ مِنْ كُلِّ عُضْوٍ لِي أَفْغَالِي
لَمَّا حَذَا الْحَسَادِي بِقَلْبِي إِلَى طَاعَةِ رَبِّي فَكُ أَغْلَالِي
أُجِبَّتُهُ لِبُيُوتِكَ مِنْ مُوَفِّقٍ نَبْهَةً بِالنِّذَارِ إِغْفَالِي
يَا أُمِّ هَلْ يَقْبَلُنِي سَيِّدِي عَلَى الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ حَالِي؟
دَاسُوءَتَا إِنْ رَدَّنِي خَائِباً رَبِّي وَلَمْ يَرْضَ بِإِقْبَالِي

ثم شعر في العبادة وجَدَّ، وكان لا يفطر إلا بعد التراويح، ولا ينام إلا بعد طلوع الشمس.

فقرَّبَ إليه أمه ليلة إفطاره، فامتنع وقال: أجد ألم الحمى، فاطن أن الأجل قد أُرِفَ^(٤). ثم فرغ إلى محرابه ولسانه لا يفتر من الذكر. فبقي أربعة أيام على تلك الحال. ثم استقبل القبلة يوماً، وقال: إلهي عصيتك قوياً، وأطعتك ضعيفاً، وأسخطتك

(١) أي: ملتقط الحكايات، لابن الجوزي.

(٢) أي: شددت، أنظر مختار الصحاح ص ٤١٠.

(٣) أي: قد دنا، مختار الصحاح ص ٢٨٥.

جلداً^(١)، وخدمتك نجفاً، فليت شعري هل قبلتني؟ ثم سقط مغشياً عليه، فانشج وجهه.

فقامت إليه أمه، فقالت: يا ثمره فؤادي، وقرّة عيني، ردّ جوابي.

فأفاق فقال: يا أمّاه! هذا اليوم الذي كتب تحذيريني، وهذا الوقت الذي كتب تخويفيني؛ فيا أسفي على الأيام الخوالي، يا أمّاه! إني خائف على نفسي أن يطول في النار حبي؛ بالله عليك يا أمّاه، قومي فضمي رجلك على خدي، حتى أذوق طعم الذل لعملي يرحمني، ففعلت، وهو يقول: هذا جزاء من أساء، ثم مات رحمه الله.

قالت أمه: فرأيت في المنام ليلة الجمعة، وكأنه القمر، فقلت: يا ولدي! ما فعل الله بك؟ فقال: خيراً، رفع درجتي.

قلت: فما كنت تقول قبل موتك؟ قال: هتف بي هاتف: اجب الرحمن! فأجبت.

قلت: فما فعل أبو عامر؟ فقال: هيهات! أين نحن من أبي عامر؟

حَلَّ أَبُو عَامِرٍ فِي قُبَّةٍ وَطُذِّهَ^(٢) ذُو الْعَرْشِ لِلنَّاسِ
بَيْنَ جَوَارٍ كَالْذَّمَى خُرْدٌ^(٣) يَسْقِينُهُ بِالْكَاسِ وَالطَّاسِ
بَقْلُنَ بِالْتَّرْخِيمِ^(٤) خَذَهَا فَقَدْ هُنَيْتَهَا يَا وَاغِظَ النَّاسَ

١٠٥ - [توبة دينار العيار عن المعاصي على يد والدته]

وروي أن رجلاً كان يُعرف بدينار العيار، كانت له والدّة تعظه ولا يتعظ، فمرّ في بعض الأيام بمقبرة كثيرة العظام، فأخذ منها عظماً نخراً فانفتت في يده، ففكر في نفسه، وقال لنفسه: ويحك! كأنّي بك غداً قد صار عظمك هكذا رُفَاتاً، والجسم تراباً، وأنا اليوم أقدم على المعاصي، فندم وعزم على التوبة، ورفع رأسه إلى السماء، وقال: إلهي! إليك ألقيت مقاليد أمري، فاقبلني وارحمني.

ثم مضى نحو أمه متغيّر اللون، مُنْكَبِر القلب، فقال: يا أمّاه! ما يُصْنَعُ بالعبد الأبق إذا أخذه سيده؟ فقالت: يُخْشَنَ ملبسه ومطعمه، ويُغْلَى يده وقدمه.

فقال: أريد جبة من صوف، وأقراصاً من شعير، وتفعلين بي كما يفعل بالأبق، لعلّ

(١) أي: صلباً قوياً، مختار الصحاح ص ٩٢

(٢) أي: الثباني، واعظ أهل الشام.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ١١٥: «وطد الشيء»: أثبته وثقله، اهـ.

(٤) أي: عذارى، خفريات، حبيبات، أساس البلاغة ص ١٠٧.

(٥) أي: بصوت رقيق لئِنْ، أساس البلاغة ص ١٥٩.

مولاي يري ذلي فيرحمني . ففعلت ما طلب .

فكان إذا جئه الليل أخذ في البكاء والعيول ، ويقول لنفسه : ويحك يا دينار! ألك قوة على النار؟ كيف تعرضت لغناب الجبار؟ وكذلك إلى الصباح .

فقالت له أمه في بعض الليالي : ارفق بنفسك ، فقال : دعيني أتعب قليلاً لعلي أستريح طويلاً ؛ يا أمي إن لي موقفاً طويلاً بين يدي رب جليل ، ولا أدري أيؤمر بي إلى الظل الظليل ، أو إلى شرم مقيبل ، إني أخاف عناء لا راحة بعده ، وتويخا لا عفو معه .

قالت : فاسترح قليلاً ، فقال : الراحة أطلب ، انضمين لي الخلاص ؟

قالت : فمن يضمه لي ؟

قال : فدعيني وما أنا عليه ؛ كأنتك يا أماء غداً بالخلاتن يساقون إلى الجنة ، وأنا أساق إلى النار .

فسرت به في بعض الليالي في قراءته ﴿قَو رَبِّكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) . ففكر فيها ، وبكى ، وجعل يضطرب كالحيّة ، حتى خر مغشياً عليه ، فجاءت أمه إليه ونادته ، فلم يجبه ، فقالت : قرّة عيني ، أين الملتقى ؟ فقال بصوت ضعيف : إن لم تجديني في عرصة القيامة فاسألي مالكا^(٢) عني . ثم شق شقّة مات فيها .

فجهزته وغسلته ، وخرجت تنادي : أيها الناس ! هلموا إلى الصلاة على قتيل النار ؛ فجاء الناس ؛ فلم ير أكثر جمعاً ولا أغزر دمعاً من ذلك اليوم .

١٠٦ - [توبة رجل عن حب جاريته المغنيّة التي شغلته عن الله]

وقال علي بن الحسين : كان لنا جار من المتعبدين قد برز في الاجتهاد ، فصلّى حتى تورمت قدماءه ، وبكى حتى مرضت عيناه ؛ فاجتمع إليه أهله وجيرانه فسألوه أن يتزوج

فاشتري جارية - وكانت تغني وهو لا يعلم - ، فبينما هو ذات يوم في محرابه يصلي ، رفعت الجارية صوتها بالغناء ، فطار لبه ، فرأى^(٣) ما كان عليه من العبادة فلم يطق .

فأقبلت الجارية عليه ، فقالت : يا مولاي ! لقد أبليت شبابك ، ورَفَضْتَ لذات الدنيأ أيام حياتك ؛ فلو تمتعت بي ؛ فمال إلى قولها ، واشتغل باللذات عمّا كان فيه من التعبّد .

(١) سورة الحجر ، آية رقم ٩٢ - ٩٣ .

(٢) يريد مالكا خازن النار .

(٣) أي : قصد .

فبلغ ذلك أمراً له كان يوافقه على العبادة؛ فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، من الناصح الشفيق، والطبيب الرفيق، إلى من سلب حلاوة الذكر، والتذذ بالقرآن، والخشوع والأحزان؛ بلغني أنك اشتريت جارية بعث بها من الآخرة حفك؛ فإن كنت بعثت الجزيل بالقليل، والقرآن بالقيان، فأني محذرك هادم اللذات، ومنعص الشهوات، وموثر الأولاد؛ فكانت قد جاء على غرة، فأبكم^(١) منك النسان، وهدم منك الأركان، وقرب منك الأكفان، وأحتوشك^(٢) الأهل والحيوان؛ وأحذرك من الصيحة إذا جئت^(٣) الأمم لهول ملك جبار؛ فاحذر يا أخي ما يحل بك من ملك غضبان. ثم طوى الكتاب، وألقاه إليه^(٤). فوافاه الكتاب وهو في مجلس سروره، فغص بريقه، وأذهله ذلك، فنهض مبذراً من مجلس سروره، وكسر أنثى، وهجر جاريته، وألى^(٥) أن لا يطعمه الطعام ولا يتوسد المنام.

قال الذي وعظه: فلما مات رأيته في المنام بعد ثلاث، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: قدمنا على رب كريم أباحنا الجنة. وقال:

الله عوّضني ذو العرش جارية حوراء تسفيني^(٦) طوراً وتهني
تقول لي اشرب بما قد كنت تأملني وقر عينا مع الولدان والعين
يا من تخلى عن الدنيا وأزعجه عن الخطايا وعبد في الطواسين^(٧)

١٠٧ - [توبة شاب وامرأته على يد سري السقطي]^(٨)

وعن سري السقطي^(٩)، قال: كنت يوماً أتكلم بجامع المدينة، فوقف علي شاب،

(١) أي: متبع الأولاد، وقصد بذلك الموت.

(٢) أي: أحرس، وأمسك، مختار الصحاح ص ٣٩٧.

(٣) أي: اجتمع عليك الأهل، وحملوك في وسطهم، مختار الصحاح ص ٢١٩.

(٤) تقول: حث على ركبته، إذا جلس عليهما، أنظر أساس التلاغة ص ٥٢.

(٥) أي: أوسنه إتيه.

(٦) أي: وحلف، مختار الصحاح ص ٤٨٦.

(٧) حركت نياء بالفتح لضرورة الشعر.

(٨) قال الأستاذ عبد القادر أرناؤوط: أي في سور القرآن التي فيها: طس، وطسم، كسورة:

(الشعراء) و (النحل) و (القصص).

(٩) هو سري بن المغنس، أبو الحسن السقطي، البغدادي المولد والوفاء، كان من المشايخ، المذكورين

المعروفين وأحد العباد المجتهدين، صاحب معروف الكرخي، وهو خال الجنيدي بن محمد وأستاذ،

توفي في رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وله نحو ثمان وتسعين سنة، ودفن في مقبرة-

حسن الشباب، فاحمر الثياب، ومعه أصحابه، فسمعني أقول في عظمي: محباً لربه،
بعضي قوياً؛ فتغير لونه وانصرف.

فلما كان من الغد جلستُ في مجلسي، وإذا بالفتى قد أقبل، فسلم، وصلى
ركعتين، وقال: يا سرّي! سمعتك بالأمس تقول: عجباً لضعيف يعصي قوياً، فما معناه؟
فقلت: لا أقوى من الله، ولا أضعف من العبد، وهو يعصيه، فنهض، فخرج.

ثم أقبل من الغد، وعليه ثوبان أبيضان، وليس معه أحد، فقال: يا سرّي! كيف
الطريق إلى الله؟ فقلت: إن أردت العبادَةَ فعملك نسيام النهار، وقيام الليل؛ وإن أردت
الله فاترك كل شيء سواه تصل إليه، وليس إلا المساجد والخراب والمقابر، فقام وهو
يقول: والله لاسلكتُ إلا أصعب الطرق، وولى خارجاً.

فلما كان بعد أيام أقبل إليّ غلمان كثير، فقالوا: ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب؟
فقلت: لا أعرفه؛ إلا أن رجلاً جاءني، من صفته كذا وكذا، فجرى لي معه كذا وكذا،
ولا أعلم حاله، فقالوا: نقسم عليك بالله متى عرفت حاله فعرفنا، ودلّوني على داره.

فبقيت سنة لا أعرف له خبراً، فبينما أنا ذات ليلة بعد عشاء الأخرة جالساً في بيتي،
إذا بطارق يطرق الباب، فأدنتُ له بالدخول، فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه،
وأخرى على عاتقه، ومعه زئبل^(١) فيه نوى. فقبل بين عيني، وقال لي: يا سرّي! اعتقتك
الله من النار كما اعتقتني من رِق الدنيا.

فأومأتُ إلى صاحبي أن امض إلى أهله فيخبرهم. فمضى، وإذا بزوجته قد جاءت
ومعها ولده وغلمانه. فدخلتُ وألقيت ولده في حجره وعليه حلّي وحُلّلي، وقالت له: يا
سيدي! أرملتني وأنت حي، وأيتمت ولدك وأنت حي.

قال سرّي: فنظر إليّ، وقال: يا سرّي! ما هذا وفاء، ثم أقبل عليها، فقال: والله
إنك لثمرّة فؤادي، وحبيبة قلبي، وإن هذا ولدي لأعزّ الخلق عليّ، غير أن هذا سرّي
أخبرني أن من أراد الله قطع كل ما سواه.

ثم نزع ما على الصبي، فقال: ضعي هذا في الأكباد الجائعة والأجساد العارية،

= الشونيزية، وقبره ظاهر معروف، من أقواله: لا يقوى على ترك الشهوات إلا من ترك الشهات.
تاريخ بغداد ١١٦/ ١٢٨.

والسقطي: بفتح السين المهملة، والقاف، وفي آخرها طاء مهملة هذه نسبة إلى بيع السقط وهو
معروف، اللباب ٢/ ١٢٢.

(١) هو وعاء معروف، أنظر أساس البلاغة ص ١٨٨، ومختار الصحاح ص ٣٦٣.

وخرق قطعة من كسائه فلف فيها الصبي^(١). فقالت المرأة: لا أرى ولدي في هذه الحال، وانتزعت منه؛ فحين رآها قد اشتغلت به، نهض وقال: ضيَعتم عليّ ليلتي؛ بيني وبينكم الله، وولّي خارجاً، وضجّت الدار باليكاء؛ فقالت: إن عدت سمعت له خبراً فأعلمني، فقلت: نعم.

فلما كان بعد أيام أتت عجوز، فقالت: يا سري! بالشونيزية^(٢) غلام يسألك الحضور، فمضيت فإذا به مطروح في تربة، تحت رأسه لبنة. فسلمت عليه، ففتح عينيه، وقال: يا سري! ترى تُغفر تلك الجنابات؟ فقلت: نعم. قال: يُغفر لمثلي؟ قلت: نعم. قال: أنا غريق! قلت: هو منجي الغرقى. فقال: عليّ مظلّم، فقلت: في الخبر وأنه يؤتى بالنائب يوم القيامة، معه خصومه، فيقال لهم: خلّوا عنه فإن الله تعالى يعوضكم^(٣).

فقال: يا سري! معي دراهم من لقط النوى، إذا أنا مت فاشتر لي ما أحتاج إليه وكفني، ولا تعلّم أهلي لئلا يغيروا كفني بحرام.

قال سري: فجلست عنده قليلاً، ففتح عينيه، فقال: ﴿لَيْسَ هَذَا فَلْيُغْمَلِ الْعَابِلُونَ﴾^(٤) ثم مات.

فأخذت الدراهم، وجئت فاشتريت ما يحتاج إليه، وسرّحت نحوه؛ فإذا الناس يهرعون، فقلت: ما الخبر؟ ف قيل: مات وليّ من أولياء الله، نريد أن نصلي عليه. فجلّست فغسلته ودفناه.

فلما كان بعد مدة نفذ^(٥) أهله يستعلمون خبره، فأخبرتهم بموته، فأقبلت امرأته باكية، فأخبرتها بحاله، فسألته أن أريها قبره. فقلت: أخاف أن تغيروا أكفانه؟ قالت: لا والله؛ فأريتها القبر، فبكّت، وأمرت بإحضار شاهدين، فأحضرتهما، وأعتقت جواريهما، وأوقفت عفارها، وتصدّقت بمالهما، ولزمت قبره حتى ماتت.

١٠٨ - [توبة امرأة بارعة الجمال أرادت أن تفتن الربيع بن خثيم]^(١)

أبانا محمد بن عبد الباقي، قال: أبانا جعفر بن أحمد، قال: أنا أحمد بن عليّ،

(١) قال الإسناد عبد القادر أرناؤوط: هذا من الغلو في الزهد، وهو مخالف لهدى رسولنا محمد - ﷺ - في معاملة أهله وولده، ومعاملة أولاد بناته.

(٢) الشونيزية: هي مقبرة بغداد، وفيها دفن كثير من الصالحين.

(٣) سورة الصافات، آية رقم ٦١.

(٤) أي: بعث وأرسل.

(٥) في المطبوعة: الربيع بن خثيم، وهو خطأ، وهو كذلك في الخلاصة ص ١١٥، والمثبت كما في =

قال: أنا محمد بن عبد الله الذَّفاق، قال: أنا الحسين بن صفوان، قال: أنا عبد الله بن محمد، حدثني الحسين بن عبيد الرحمن، قال: أنا أبو القاسم محرز الجَلَّاب^(١)، حدثني سعدان، قال:

أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للرَّبيع بن خُثَيْم^(٢) لعلها تفتنه، وجعلوا لها، إن فعلت ذلك، ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيَّبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده. فنظر إليها، فراعه أمرها. فأقبلت عليه وهي سافرة^(٣)، فقال لها الرَّبيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيَّرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت، فقطع منك حبل الوتين^(٤)؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟ فصرخت صرخةً فقطعت مغشياً عليها، فوالله لقد أفاقت، وبلغت من عبادة ربِّها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جُدْع محترق.

١٠٩ - [توبة جابر لأحمد بن حنبل]

حدثنا الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي^(٥)، أنا الحافظ أبو الفضل بن ناصر، أنا أبو طالب اليوسفي، أنا أبو إسحاق البرمكي^(٦)، أنا أبو عبد الله بن بطة^(٧)، قال: حدثني أبو

= التاريخ الكبير للبخاري ٢/٢٦٩، والثقات لابن حبان ٤/٢٢٤، وتهذيب الكمال ٩/٧٠-٧١، وتذكرة الحفاظ ١/٥٧، والكاشف ١/٢٣٥، وتهذيب التهذيب ٣/٢٤٢ والتفريب ١/٢٤٤.

وهو الربيع بن خُثَيْم - بضم المعجمة، وفتح المثناة - ابن عائذ بن عبدالله الثوري، أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد مخضرم، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله - ﷺ - لأحبك، مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين، التفريب.

(١) الجَلَّاب: بفتح الجيم، وتشديد اللام، وفي آخرها الباء الموحدة، هذا الاسم لمن يجلب الرقيق والدواب. الباب ١/٣١٩.

(٢) في المطبوعة: الربيع بن خُثَيْم، وهو خطأ، وقد تقدم التنبيه إلى ذلك، في ترجمته أول القصة.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ١٥٠: وسفرت المرأة: كشفت عن وجهها، فهي سافرة أهد.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ٤٧٣: والوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه أهد.

(٥) أي: ابن الجوزي - رحمه الله.

(٦) قال في الباب ١/١٤٢-١٤٣: والبرمكي: بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء، وفتح الميم، وفي آخرها الكاف، هذه النسبة إلى اسم وموضع.

أما الاسم فهم أولاد أبي علي يحيى بن خالد بن برمك، وفيهم كثيرة.

وأما الموضع فالمتب إلى أبو إسحاق - وهو الراوي هنا - إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي البغدادي، كان سلفه قديماً يسكنون محلة ببغداد تعرف بالبرامكة، وقيل: بل كانوا يسكنون قرية تُسمى البرمكية، فنسبوا إليها، روى عنه أبو بكر الخطيب، والقاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي وغيرهما توفي سنة خمس وأربعين وأربعمائة أهد.

(٧) هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن سعد بن عتبة العبَّادي =

بكر الأجرّي^(١)، قال: سمعت ابن أبي الطيّب، يقول: حدثنا جعفر الصّائغ، قال:

كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رجل ممن يمارس المعاصي والقاذورات، فجاء يوماً إلى مجلس أحمد يسلم عليه، فكان أحمد لم يردّ عليه ردّاً تاماً وانقبض منه.

فقال له: يا أبا عبد الله! لم تنقبض مني؟ فلأني قد انتقلت عما كنت تعهدني برؤيا رأيته.

قال: وأي شيء رأيته؟

قال: رأيت النبي - ﷺ - في النوم كأنه على علو من الأرض، وناس كثير أسفل جلوس. قال: فيقوم رجل رجل منهم إليه، فيقول: ادع لي؛ فيدعوه، حتى لم يبق من القوم غيري.

قال: فأردت أن أقوم فاستحييت من قبيح ما كنت عليه.

قال لي: يا فلان، لم لا تقوم إلي فتسألني أذكرك؟ قال: قلت: يا رسول الله! يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه؛ فقال: إن كان يقطعك الحياء فقم فسألني أدع لك، فإنك لا تسب أحداً من أصحابي. قال: فقم، فدعا لي. فانتبهت وقد بغض الله إلي ما كنت عليه.

قال: فقال لنا أبو عبد الله: يا جعفر، يا فلان، حدثوا بهذا واحفظوه فإنه ينفع.

١١٠ - [توبة أبي عمر بن علوان عن نظره إلى امرأة]

أبانا الإمام العلامة أبو اليّمن زيد بن الحسن الكندي^(٢)، أخبر عبد الرحمن بن

الحنلي، المعروف بابن بطة، أبو عبد الله، فقيه، محدث، متكلم، ولد لأربع خلون من شوال سنة (٣٠٤) هـ. في عكبرا وتوفي فيها في يوم عاشوراء، سنة (٣٨٧) هـ. من مصنفاته الكثيرة: السنن، المناسك، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة. أنظر ترجمته في البداية والنهاية ١١/٣٢١ - ٣٢٢ شذرات الذهب ٣/١٢٢ - ١٢٤، ومجمع المؤلفين ٢٤٥/٦.

(١) هو الإمام المعروف محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الأجرّي، وقد تقدّمت ترجمته.

(٢) هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث الكندي، البغدادي، الحنفي، تاج الدين، أبو اليمن، مفرّج، نحوي، أديب، شاعر، لغوي، محدث، حافظ، ولد ببغداد في شعبان سنة (٥٢٠) هـ. ونشأ بها، وتوفي بدمشق في شوال سنة (٦١٣) هـ. من تصانيفه: تحف الزائر وأصراف المقيم المسافرين، حاشية على شرح ديوان المتنبي لعبد القادر الحلبي، وديوان =

محمد^(١) القَزَاز، أنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدثني محمد بن الحسن السَّاحلي^(٢)، أنا عَمَّار بن عبد الله الصوفي، قال: سمعت محمد بن حماد الرُّخَبي^(٣)، يقول: سمعت أبا عمر بن علوان، يقول:

خرجت يوماً في حاجة فرأيت جنازة، فتبعناها لأصلي عليها. ووقفت في جملة النَّاسِ حتَّى تُدْفَنَ. فوقعت عيني على امرأة مُسْفِرة، من غير تعمُّد، فلمحت بالنظر^(٤)، واسترجعت، واستغفرت الله تعالى، وعدت إلى منزلي.

فقلت لي عجوز: يا سيدي، مالي أرى وجهك أسود؟ فأخذت المرأة فنظرت، فإذا وجهي أسود. فرجعت إلى برِّي^(٥) أنظر من أين دُهِيت^(٦)، فذكرت النظرة. فانفردت في موضع استغفر الله تعالى وأبأله الإقالة أربعين يوماً.

فخطر في قلبي أنَّ رَزَّ شيخك الجُنَيْد. فأنحدرت إلى بغداد. فلما جئت الحُجرة التي هو فيها طرقت الباب، فقال: ادخل، يا أبا عمرو! تُذَيِّبُ بالرُّخَبة^(٧) وتُستغفر لك ببغداد.

١١١ - [توبة فتى شاب وجارية جميلة أحب كل منهما الآخر]

أخبرنا أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن يوسف، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن العَلَّاف^(٨)، أنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران الواعظ، ثنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن علي الكندي، أنا أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل السَّامِرِيُّ^(٩)، أنا أبو العباس محمد بن يزيد المُبَرِّد، عن ابن أبي كامل، عن

= شعر كبير،

انظر: البداية والنهاية ١٣/٧١-٧٤، وسير أعلام النبلاء (ج ١٣ ق ١٢٤-١٢٦)، ومعجم المؤلفين ١٨٩/٤.

(١) في نسخة: عبد الرحمن بن نصر، هامش المطبوعة.

(٢) في نسخة: المناحلي، هامش المطبوعة.

(٣) الرُّخَبي: بفتح الراء، وسكون الحاء المهملة، وفي آخرها باء موحدة، هذه النسبة إلى الرُّخَبة، وهي بلدة على فرات، يقال لها رُخبة مالك بن طوف. اللباب ١٩/٢.

(٤) تقول: لمحه: أبصره بنظر خفيف. مختار الصحاح ص ٨٠.

(٥) أي: إلى نفسي، أتذكر وأنظر في سرِّي.

(٦) أي: من أين أصبت بهذه الداهية. وهي الأمر العظيم، مختار الصحاح ص ٥٠٥.

(٧) هي بلدة على الفرات اللباب ١٩/٢.

(٨) العَلَّاف: بفتح العين وبعدها لام ألف ثم فاء. يقال هذا لمن يبيع الغنم ويجمعه. اللباب ٣٦٦/٢.

(٩) السَّامِرِيُّ: بفتح السين، وسكون الألف، وفتح الميم، وفي آخرها راء مشددة، هذه النسبة إلى =

إسحاق بن إبراهيم، عن رجاء بن عمر النخعي^(١)، قال:

كان بالكوفة فتى جميل الوجه، شديد التعبّد والإجتهاد، وكان أحد الزهاد، فنزل في جوار قوم من النخع، فنظر إلى جارية منهم جميلة، فهويها وهام بها عقله، ونزل بها مثل الذي نزل به.

فأرسل بخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها.

واشتدّ عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى، فأرسلت إليه الجارية: قد بلغني شدة محبتك لي، وقد اشتدّ بلائي بك لذلك، مع وجدي بك. فإن شئت زرتك، وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى منزلي.

فقال للرسول: لا واحدة من هاتين الخصلتين؛ **﴿إني أخاف إن غضيت ربي عذاب يوم عظيم﴾**^(٢) أخاف نارا لا يخبو^(٣) سعيها، ولا يخمد لهيها^(٤).

فلما انصرف الرسول إليها فأبلغها ما قال، قالت: وأراه مع هذا زاهدا يخاف الله تعالى، والله ما أحد أحق بهذا من أحد؛ وإن العباد فيه لمُشتركون.

ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، وليست المُسوح، وجعلت تعبد، وهي مع ذلك تذبّ وتتحل حبا للفتى وأسفاً عليه، حتى ماتت شوقاً إليه.

فكان الفتى يأتي قبرها. فراها في منامه وكأنّها في أحسن منظر، فقال: كيف أنت، وما لقيت بعدى؟ فقالت:

بِغَمِّ الْمَحَبَّةِ يَا حَبِيبِي حُبُّكَا حُبُّ يَفُودُ إِلَى خَيْرٍ وَإِحْسَانٍ
فقال على ذلك: إلى ما صرت؟ فقالت:

إِلَى نَعِيمٍ وَعَيْشٍ لَا زَوَالَ لَهُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مُلْكٌ لَيْسَ بِالْفَنَائِي
فقال لها: اذكريني هناك فإني لست أنساك. فقالت: ولا أنا والله أنساك، ولقد سالتك ربي، مولاي ومولاك، فأعاني على ذلك بالإجتهاد. ثم ولّت مدبرة، فقلت لها:

مدينة. سر من رأى، بالعراق فوق بغداد، وهي مشهورة فخفها الناس، وقالوا: سامرا، بناها المعتصم وخربت عن قريب من عمارتها، يسب إليها جماعة. الباب ٩٤/٢.

(١) النخعي: بفتح النون والهاء، وبمدها غير مهملة هذه النسبة إلى النخع، وهي قبيلة كبيرة من مذحج الباب ٣٠٤/٣.

(٢) سورة الزمر، آية رقم ١٣.

(٣) أي: لا يسكن ولا يطفأ، مختار الصحاح ص ٥٠٠.

(٤) لا يسكن لها، ولا يطفأ جمرها، مختار الصحاح ص ٩٥.

متى أواله؟ قالت: ستأتيها عن قريب.
فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات، رحمه الله.

١١٢ - [توبة رجل عن الشراب والعود بسماع آيات من القرآن]

أنا الشيخ أبو الفرج^(١)، أنا الحافظ أبو الفضل بن ناصر، أنا محمد بن أبي نصر الحميدي^(٢)، قال: أنا محمد بن سلامة القضاعي^(٣)، قال: أنا محمد بن أحمد الكاتب، قال: أنا أبو مسلم، قال: أنا محمد بن الحسين بن ذرئد، قال: أخبرنا الحسن بن خضرم، أخبرني رجل من أهل بغداد، عن أبي هاشم المذكر^(٤)، قال:

أردت البصرة، فجلت إلى سفينة أكثرية^(٥)، وفيها رجل ومعه جارية، فقال الرجل: ليس ها هنا موضع. فسأله الجارية أن يحملني فحملني.

فلما سرنا دعا الرجل بالعداء فوضع، فقال: أنزلوا ذلك المسكين ليتغذى، فأُنزلت عليّ آتي مسكين. فلما تغذينا، قال: يا جارية! هاتي شرابك. فشرب وأمرها أن تسقيني، فقلت: رحمك الله، إن للضيف حقاً فتركني!

فلما دب فيه النيب، قال: يا جارية! هاتي العود وهاتي ما عندك. فأخذت العود وغنت تقول:

وَكُنَّا كَغُضْنِي بِانَّةٍ^(٦) لَيْسَ وَاحِدٌ يَزُولُ عَلَى الْخُلَّانِ عَنِ رَأْيٍ وَاجِدٍ

(١) أي: ابن الجوزي.

(٢) الحميدي: بفتح الحاء المهملة، وصمّ الحاء، وفتح الميم. وسكون الياء المشددة، من تحنها، وفي آخرها دال مهملة، هذه النسبة إلى حميد، وهو بطن من أسد بن عبد الغزي بن قضي، اللباب ٣٩٣/١ - ٣٩٣.

(٣) قال في اللباب ٤٣/٣: القضاعي: بضم القاف، وفتح الصاد المعجمة، وفي آخرها عين مهملة، هذه النسبة إلى قضاة، شعب عظيم يشتمل على قبائل كثيرة، منهم: كلب، وبلي، وجهبة وغيرها.

وقد اختلف في قضاة، فقبل: إنه من معد، وقيل: من اليمن، والمتسب إليه خلق كثير، منهم: القاضي أبو عبدالله - الراوي هنا - محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي القاضي بمصر، سمع خلقاً كثيراً وصنف كتاب الشهاب، روى عنه جماعة، منهم القاضي أبو بكر الأنصاري ببغداد، وروى عنه بالإجازة. وتوفي - رحمه الله - سنة أربع وخمسين وأربع مائة بمصر، وكان فقيهاً شافعيّاً صاحب علوم كثيرة، أهد.

(٤) في نسخ: أبي هاشم، هامش المطبوعة.

والمذكر: يقال هذا لمن يذكر الناس ويعظمهم. اللباب ١٨٧/٣.

(٥) أي: استأجرها.

(٦) أي: شجرة.

تَبَدَّلَ بِي جَلًّا فَخَالَتُ غَيْرَهُ وَخَلَيْتُهُ لَمَّا أَرَادَ تَبَاعُدِي
فَلَوْ أَنَّ كَفِّي لَمْ تَرُدَّنِي إِلَيْهَا وَلَمْ يَضْطَجِبْهَا بَعْدَ ذَلِكَ سَاعِدِي
أَلَا فَبِحَ الرَّحْمَنِ كُلِّ مُسَاقٍ يَكُونُ أَخَذًا فِي الْخَفْضِ لَا فِي الشَّدَائِدِ

لَمْ تَنْفِتْ إِلَيَّ فَضَالًا: أَتَحْسَنُ مِثْلَ هَذَا؟ فَقُلْتُ: أَحْسَنُ خَيْرًا مِنْهُ. فَقَرَأْتُ: ﴿وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾. فَجَعَلَ الشَّيْخُ يَبْكِي؛ فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾. قَالَ الشَّيْخُ: يَا جَارِيَةُ! إِذْهَبِي، فَأَنْتِ حَرَّةٌ لَوَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى. وَأَلْقَى مَا مَعَهُ مِنَ الشَّرَابِ فِي الْمَاءِ، وَكَسَرَ الْعُودَ. ثُمَّ دَنَا إِلَيَّ فَاعْتَنَقَنِي، وَقَالَ: يَا أَخِي! أَتَرَى اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَتِي؟ فَقُلْتُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

قَالَ: فَوَاحِشَتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى مَاتَ قَبْلِي. فَرَأَيْتُهُ فِي الْعَنَامِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِلَى مَ صِرْتَ؟ قَالَ: إِلَى الْجَنَّةِ. قُلْتُ: بِمَ صِرْتَ إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: بِقِرَاءَتِكَ عَلَيَّ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

١١٢ - [توبة شيخ مُهَلَّبِيٍّ وجاريته عن الشَّرَابِ والضَّرْبِ بِالْعُودِ]

أَخْبَرَنَا الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو مُوسَى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَبِي عَيْسَى الْمَدِينِيُّ ^(١) [إجازة،

(١) أي: تركه، وفي نسخة: وباعده، هامش المطبوعة.

(٢) أي: قطعنها.

(٣) أي: غير مخلص، مختار الصحاح ص ٣٣٢.

(٤) أي في العينة الهينة الغضة، أنظر مختار الصحاح ص ٢٣٤.

(٥) سورة التَّكْوِيرِ، الآيات ١/٣.

(٦) سورة التَّكْوِيرِ، آية رقم ١٠، وتَمَامُ الآيَاتِ:

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ، وَإِذَا

النُّوُودُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

(٧) سورة الْبَقَرَةِ، آية رقم ٢٢٢.

(٨) سورة التَّكْوِيرِ، آية رقم ١٠.

(٩) مُهَلَّبِيٍّ: بضم الميم، وفتح الهاء، وتشديد اللام المفتوحة، وفي آخرها باء موحدة، هذه النسبة إلى أبي سعيد المُهَلَّبِ بْنِ أَبِي حَفْرَةَ الْأَزْدِيِّ، أمير غراسان، ونسب إليه كثير من العلماء نسبة ولاء، الباب ٣/ ٢٧٥ - ٢٧٦.

(١٠) هو الإمام محمد بن عمرو (أبو بكر) ابن أحمد (أبو عيسى) ابن عمر بن محمد بن أحمد المديني، الأصهباني، الشافعي أبو موسى، محدث، حافظ، لغوي، أخباري، نسابة، ولد بمدينة أصهبان - ولذلك لُقِبَ بِالْمَدِينِيِّ - في ذي القعدة، سنة (٥٠١) هـ. وزار بغداد وهمذان، وسمع من غانم البرجي وجماعة من أصحاب أبي نعيم، وتوفي بأصهبان في جمادى الأولى سنة (٥٨١) هـ. =

قال: أنا أبو الفتح عبد الرزاق بن محمد الشرايبي^(١)، قال: أنا سعيد بن محمد بن سعيد الولي، أنا علي بن أحمد الواقدي، أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي^(٢)، قال: أخبرني أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الغازي^(٣)، قال: أخبرني أبو محمد عبد الله بن محمد الأصهباني^(٤)، ثنا الحسن بن محمد البلخي، ثنا أحمد بن الليث، ثنا عمر بن محمد، ثنا أبو عبيد الله الخولاني^(٥)، قال: حدثني صالح بن عبد الله الخزاز، حدثني إسماعيل بن عبد الله الخزاعي، قال:

قدم رجل من المهالبة من البصرة أيام البرامكة في حوائج له، فلما فرغ منها انحدر إلى البصرة ومعه غلام له وجارية. فلما صار في دجلة، إذا بفتي على ساحل دجلة، عليه جبة صوف، ويده عكازة ومزود^(٦)، قال: فسأل الملاح أن يحمله إلى البصرة ويأخذ منه الكراء^(٧).

قال: فأشرف الشيخ المهلبي، فلما راه رق له، فقال للملاح: قرب واحمله معك على الظلال، فحمله.

فلما كان في وقت الغداء دعا الشيخ بالسفرة، وقال للملاح: قل للفتى ينزل إليها، فأبى عليه؛ فلم يزل يطلب إليه حتى نزل. فأكلوا. حتى إذا فرغوا ذهب الفتى ليقوم، فمنعه الشيخ حتى توضؤا؛ ثم دعا بزكرة^(٨) فيها شراب، فشرب قدحاً، ثم سقى الجارية،

= من تصانيفه الكثيرة: اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفظ والأعارف، الأخبار الطوال، عوالي التابعين، وثمة الغريبين (غريب القرآن، وغريب الحديث) لنهروزي في مجلد وسماه: المغيث. أنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١٢٤/٤ - ١٢٦، شذرات الذهب ٢٧٣/٤، ومعجم المؤلفين ٧٦/١١، واللباب ١٨٤/٣ - ١٨٥.

(١) الشرايبي: بفتح الشين والراء، وسكون الألف، وفي آخرها باء موحدة، هذه النسبة إلى الشراي واشتهر بهذه النسبة جماعة كان أحادهم يصعب الشرح. - حقيقته: اللباب ١٨٩/٢ - ١٩٠.

(٢) هو المفسر المعروف، وقد تمت ترجمته، وقيل إنه: ابن أبي العدي لقب له، وليس نسب اللباب ٢٣٨/١.

(٣) هذه النسبة إلى العزو وجهاد الكفاري، اللباب ٣ - ٣٨٢.

(٤) وفي نسخة: الأصهباني - بالفاء - هاشم المصنف.

(٥) الخولاني: بفتح الخاء المعجمة، وسكون الواو، وفي آخره نون، هذه النسبة إلى خولان عمرو بن مالك، وقيل بن الجعد، وفي نسخة: بن الجعد، نسب إليها جماعة من علماء أنظر اللباب ١٧٢/١.

(٦) المزود: ما يجعل فيه الزاد. مخدر النصح ص ٩٨.

(٧) أي: الأجرة.

(٨) الزكرة - بضم الزاي - : رق للشراب، مخدر النصح ص ١٥٦.

ثم عرض على الفتى . فأبى ، وقال : أحب أن تعفيني . قال : قد أعفيناك ، اجلس معنا .

وسقى الجارية ، وقال : هاتي ما عندك ، فأخرجت عوداً لها في كيس ، فهبأته وأصلحته ، ثم أخذت فغنت .

فقال : يا فتى ! تحسن مثل هذا ؟

قال : أحسن ما هو أحسن من هذا ، فافتتح الفتى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا . أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بَرُوجٍ مُنْشُدَةٍ ﴾^(١) . وكان الفتى حسن الصوت .

قال : فرج الشيخ بالقدح في الماء^(٢) ، وقال : أشهد أن هذا أحسن مما سمعت ، فهل غير هذا ؟ قال : نعم ، ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ، إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ، وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يَغَاثُوا بَمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِشَرِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾^(٣) .

قال : فوفعت من قلب الشيخ موقعاً . قال : فأمر بالزُّكْرَة ، فرمى بها ، وأخذ العود فكسره .

ثم قال : يا فتى ! هل ها هنا فرج ؟ قال : نعم ، ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(٤) .

قال : فصاح الشيخ صيحة خراً مغشياً عليه . فظفروا فإذا الشيخ قد ذاق الموت ، وقد قاربوا البصرة . قال : فضجَّ القوم بالصُّراخ ، واجتمع النَّاسُ - وكان رجلاً من المهالبة معروفاً - ، فحُجِّلَ إلى منزله ، فما رأيت جنازة كانت أكثر جمعاً منها .

قال : فبلغني أن الجارية المغنِّية تدرعت الشعر ، وفوق الشعر جبة صوف ، وجعلت تقوم الليل ، وتصوم النهار . فمكثت بعده أربعين ليلة . ثم مرَّت بهذه الآية في بعض الليالي : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يَغَاثُوا بَمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِشَرِّ الشَّرَابِ ﴾

(١) سورة النساء ، آية رقم ٧٧ - ٧٨ .

(٢) رج: أي حرك وزلزل . مختار الصحاح ص ٦٣ ، والمقصود هنا أنه سكب ما فيه من الشراب من ماء البحر ، والله أعلم .

(٣) سورة الكهف ، آية رقم ٢٩ ،

(٤) سورة الزُّمَر ، آية رقم ٥٣ .

وساءت مُرْتَفَعًا^(١) قال: فأصبحوا، فأصابوها مِيتة.

١١٤ - [توبة أعرابي لسماع آية من القرآن]

قال الثعلبي^(٢): وحَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ الْمُذَكَّرِ، ثنا الحاكم أبو محمد يحيى بن منصور، ثنا أبو رجاء محمد بن أحمد القاضي، ثنا أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي^(٣)، قال: سمعت الأصمعي^(٤)، يقول:

أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة. فبينما أنا في بعض ميكنكها، إذ طلع أعرابي جلث جاث، على قعود^(٥) له، متقلد سيفه، ويده قوس، فدنا وسلم، وقال لي: ممن الرجل؟ قلت: من بني الأصم، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم.

قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يُتلى فيه كلام الرحمن. قال: وللرحمن كلام يتلوه الأدميون؟! قلت: نعم.

قال: اتل علي شيئاً منه. فقلتُ له: انزل عن قعودك. فنزل، وابتدأت بسورة الذاريات.

فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(٦)، قال: يا أصمعي، هذا كلام الرحمن؟ قلت: إي والذي بعث محمدًا بالحق إنه لكلامه، أنزله على نبيه محمد - ﷺ -، فقال لي: حسبك، ثم قام إلى ناقته فنحرها، وقطعها بجلدها، وقال: أعني على نفرقتها. ففرقتها على من أقبل وأدير.

ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرحل. وولّى مُديرًا نحو البادية وهو يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾

فأقبلت على نفسي باللؤم، وقلت: لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي، فلما حججت مع

(١) سورة الكهف، آية رقم ٢٩.

(٢) هو المفسر المعروف أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، وقد تقدمت ترجمته. والثعلبي: وقيل أنه لقب له وليس بنسب.

(٣) في المطبوعة: أبو الفضل العباس بن أبي الفرج الرياشي، وهو خطأ، والتصويب من الكاشف ٦٠/٢، والتفريب ٣٩٨/١، وهو ثقة، وقد تقدمت ترجمته.

(٤) هو عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي، صدوق سني، وقد تقدمت ترجمته.

(٥) القُعود - بالفتح -: البعير من الإبل، وهو البكر حين يركب أي تمكن ظهره من الركوب، وأقله ستان إلى أن يشتت فإذا أثنى سمي جملًا، ولا تكون البكرة قعودًا، بل قلوصًا، مختار الصحاح ص ١٠٩.

(٦) سورة الذاريات، آية رقم ٢٢.

الرَّشِيد دخلت مكة، فبينما أنا أطوف بالكعبة، إذ هتف بي هائف بصوت دقيق. فالتفت فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مُضْغَازاً، فسَلَّم عليّ، وأخذ بيدي، وأجلسني من وراء المقام، وقال لي: اتل كلام الرُّحْمَنِ؛ فأخذت في سورة الدَّارِيَّات. فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(١)، صاح الأعرابي: وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا.

ثم قال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم، يقول الله عز وجل: ﴿فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَخَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ تَتْلُقُونَ﴾^(٢). فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله، من الذي أغضبَ الجليل حتى حلف؟! ألم يصدّقوه حتى الجؤوه إلى اليمين؟! قالها ثلاثاً، وخرجت فيها روحه.

١١٥ - [توبة أمير من أمراء الأعراب بسبب الصوم]

وحكي عن ابن سمعون^(٣)، قال: سمعت الشَّيْلِيَّ^(٤)، يقول: كنتُ في قافلة بالشَّام، فخرج الأعراب فأخذوها وجعلوا يعرضونها على أميرهم.

فخرج جُراب^(٥) فيه سكر ولوز، فأكلوا منه، والأمير لا يأكل، فقلت له: لم لا تأكل؟ فقال: أنا صائم. فقلت: تقطع الطريق، وتأخذ الأموال، وتقتل النَّفْسَ، وأنت صائم؟! فقال: يا شيخ! أجعلُ للصَّالح موضعاً.

فلما كان بعد حين رأيتُه يطوف حول البيت، وهو محرم كالشَّنِّ^(٦) البالي. فقلت: أنت ذاك الرجل؟

(١) سورة الداريات، آية رقم ٢٢.

(٢) سورة الداريات، آية رقم ٢٣.

(٣) هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عُثْبَن بن إسماعيل (سمعون)، أبو الحُسين الواعظ، المعروف بابن سمعون ولد سنة (٣٠٠) هـ. ببغداد وكان واحد دهره، وفريد عصره في الزهد والوعظ، علت شهرته حتى قيل: أوعظ من ابن سمعون، توفي في ذي القعدة أو ذي الحجة سنة (٣٨٧) هـ. تاريخ بغداد ٢٧٤/١ - ٢٧٧.

(٤) هو أبو بكر الشَّيْلِيّ، الصوفي، اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كبيراً، والشَّيْلِيّ نسبة إلى قرية من قرى اشروسنة كذا في تاريخ بغداد، وفي اللباب: اسروشنة، وهذه القرية يقال لها: شَيْلِيَّة: ولد بسر من رأى سنة (٢٤٧) هـ. وكان من أهل الولاية، فقد كان أول أمره حاجب الموفق، وكان أبوه حاجب الحجاب ثم ولّاه الموفق إمرة دعاوند - وهو جبل قرب الرب وكوره -، ثم حضر الشَّيْلِيّ يوماً مجلس خير النّساج، وسمع موعظته، فتاب ثم ترك الولاية، وعكف على العبادة، حتى صار بعد ذلك واحد زمّانه حالاً ونفساً، وتوفي ببغداد سنة (٣٣٤) هـ. تاريخ بغداد ٣٨٩/١٤ - ٣٩٧. والحليّة ٣٦٦/١٠ - ٣٧٥، واللباب ١٨٣/٢.

(٥) الجُراب - بالكسر - : وعاء معروف، مختار الصحاح ص ١٩.

(٦) الشَّنُّ: القرية الخُلِّي، مختار الصحاح ص ٢٧٦.

فقال: ذاك الصُّوم بلغ بي هذا المقام.

١١٦ - [توبة لبيب العابد عن قتل الحيات]

وذكر القاضي أبو علي التتويحي^(١)، قال: كان ينزل بباب الشام من الجانب الغربي ببغداد رجل مشهور بالزهد والعبادة، يُقال له: لبيب العابد. وكان الناس ينتابونه^(٢).

فحدثني لبيب، قال: كنت مملوكاً رومياً لبعض الجند، فرباني وعلمني العمل بالسلاح، فصرت رجلاً، ومات مولاي بعد أن أعتقني، فتوصلت إلى أن جعلت رزقه لي، ونزوت امرأته. وقد علم الله تعالى أنني لم أرد بذلك إلا صيانتها. وأقمت معها مدة.

فاتفق أني رأيت يوماً حية داخلية إلى حجرها، فامسكت ذنبها لأقتلها، فوثبت علي فنهشت يدي فسلت، ومضى زمن طويل على هذا، فسلت يدي الأخرى بغير سب أعرفه، ثم جفت رجلاي، ثم عمت، ثم خرسنت. فكنت على هذه الحال سنة كاملة؛ لم يبق لي جراحة صحيحة إلا سمعي، أسمع به ما أكره؛ وأنا طريح على ظهري لا أقدر على كلام ولا إيمان ولا حركة؛ أسقى وأنا ريان، وأترك وأنا عطشان، وأطعم وأنا شبعان، وأضع وأنا جائع.

فلما كان بعد سنة دخلت امرأة على زوجتي، فقالت: كيف أبو علي لبيب؟ فقالت لها زوجي: لا حي فيرجى، ولا ميت فيسلى^(٣).

فأقلعني ذلك، وآلم قلبي ألماً شديداً، فبكيت وضججت^(٤) إلى الله تعالى في سري ودعوت، وكنت في جميع تلك العليل لا أجد ألماً في نفسي. فلما كان في بقية ذلك اليوم ضرب علي جسدي ضرباً شديداً كاد يثلبني، ولم يزل على ذلك إلى أن دخل الليل

(١) هو المحسن بن علي (أبو القاسم) ابن محمد بن داود بن إبراهيم بن نعيم التتويحي، البصري، ثم البغدادي، أبو علي، أديب شاعر، أخباري، ولد بالبصرة في ربيع الأول سنة (٣٢٧) هـ. وسمع بها من جماعة، ونزل بغداد، فأقام بها وحدث، وولي القضاء بعدة نواح، وتوفي ببغداد في المحرم من سنة (٣٨٤) هـ. من آثاره: ديوان شعر، المستجاد من فعالات الأجواد، والفرج بعد الشدة.

أنظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٣/١٥٦ - ١٥٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٩/٣٦، شذرات الذهب ٣/١١٢ - ١١٣، ومعجم المؤلفين ٨/١٨٥ - ١٨٦.

والتتويحي، بفتح التاء المشاة من فوق، وضم النون المحققة، وقد تقدم التعريف بهذه النسبة، وأنظر اللباب ١/٢٢٥.

(٢) أي: يأتون إليه مرة بعد أخرى.

(٣) أي: فيسلى.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ٦٤: وضج القوم، إضجاجاً: جلبوا وصاحوا، فلان جزعوا من شيء وغلبوا قيل: ضجوا أهـ.

وانتصف، أو جارا^(١)، فسكن الألم قليلاً، فتمت.

فما أحسست إلا وقد انتهت وقت السحر، وإحدى يديّ على صدري، وقد كانت طول السنة مطروحة على الفراش لا تتشال، أو تُشال. فحركتها فتحرّكت، ففرحت فرحاً شديداً، وقوي طمعي في تفضل الله بالعافية، فحرّكت الأخرى فتحرّكت، فقبضت إحدى رجلي فانقبضت، فرددتها فرجعت؛ وفعلت بالأخرى مثل ذلك، فرُمّت^(٢) الانقلاب، فانقلبت وجلست؛ ورمّت القيام فقامت، ونزلت عن السرير الذي كنت مطروحة عليه، وكان في بيت من الدار، فمشيت ألتمس الحائط في الظلمة إلى أن وقعت يدي على الباب، وأنا لا أطمع في بصري. فخرجت إلى ضُحى الدار^(٣)، فرأيت السماء والكواكب تزهّر، فكذت أموت فرحاً، وانطلق لساني بأن قلت: يا قديم الإحسان، لك الحمد.

ثم صحت بزوجتي، فقالت: أبو علي؟! فقلت: الساعة صرت أبا علي! اسرجي^(٤)؛ فأسرجت؛ فقلت: جيتني بمقراض، فجاءت به، فقصصت شارباً كان لي على زيّ الجند.

فقالت لي زوجتي: ما تصنع؟ الآن يعيبك رفقاًؤك؛ فقلت: بعد هذا لا أخدم أحداً غير ربي.

فانقطعت إلى الله - عزّ وجلّ - وخرجت من الدار ولزمت عبادة ربي. قال: وكانت هذه الكلمة: «يا قديم الإحسان لك الحمد»، قد صارت عادته يقولها في حشو كلامه. وكان يُقال: إذ، مجاب الدعوة.

(١) أي: كاد.

(٢) أي: فأردت وطلبت.

(٣) أي: وسطه، مخار الصبح من ٢٧٨.

(٤) أي: أضيئي السراج.

١١٧ - [توبة المعتصم^(١)] ورجوعه عن قتل تميم بن جميل

قال^(٢): ووجدت في بعض الكتب: قال أحمد بن أبي ذؤاد^(٣): ما رأيت رجلاً قط أشرف على الموت؛ فما شغله ولا أذهله عما يريد حتى بلغه وخلّصه الله - عز وجل - إلا تميم بن جميل، فإني رأيته بين يدي المعتصم، وقد بسط له النطع^(٤) وانتضي له السيف^(٥)، وكان رجلاً جسيماً وسيماً. فأحبب المعتصم أن يستنطقه لينظر أين منظره من مخبره.

فقال له: تكلم، فقال: أما إذ أذن أمير المؤمنين، فالحمد لله ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾، وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين^(٦) يا أمير المؤمنين! جبر الله بك صدع الدين^(٧)، ولم بك شعث المسلمين^(٨)، إن الذنوب تخرس الألسنة، وتخلع الأفئدة؛ وأيم الله! لقد عظمت الجريمة^(٩) وانقطعت الحجة، وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، ثم أنا يقول:

أرى الموت بين السيف والنطع كإبناً	يلاجسطني من حيث ما أتلفت
وأكبر ظنني أنك اليوم قاتلي	وأي امرئ؛ ممّا قضى الله يفلت
وأي امرئ؛ يُذلي بعدر وحجة	وسيف المنايا بين عينيّه مضلت

(١) هو الخليفة محمد (المعتصم بالله) ابن هارون الرشيد بن محمد (المهدي) ابن عبدالله (المنصور) ابن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، يكنى أبا إسحاق، ويقال له: الثماني، لأنه ولد بالخلد في سنة ثمانين ومائة في الشهر الثامن، وهو ثامن الخنفاء، والثامن من ولد العباس، وفتح ثمانية فتوح، واستخلف في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين، ومات بالخاقاني من سر من رأى - التي بناها لما ضاقت بغداد بجنده، وانتقل إليها معهم - ، وكان عمره ثمانياً وأربعين سنة. وكان شهماً شجاعاً. واسع الصدر، لين الجانب كريم الأعراق. تاريخ بغداد ٣/٣٤٢ - ٣٤٧.

(٢) أي: القاضي أبو علي التوحي.

(٣) هو قاضي المعتصم بالله ثم الواثق بن بعده، وحامل لواء المحنة بفتنة خلق القرآن، ونقدت ترجمته في ذكر توبة الواثق، وإبنة المهندي.

(٤) النطع فيه أربع لغات: نطع تطلع، ونطع كتيع، ونطع كدرع، ونطع كضلع، والجمع: نطوع، وانطاع، وهو بساط من الأديم. أنظر مختار الصحاح ص ٢٧٩. وأساس البلاغة ص ٤٦١.

(٥) أي: وسلّ له السيف، مختار الصحاح ص ٥٤٦، وأساس البلاغة ص ٤٦١.

(٦) سورة المجدة، آية رقم ٧/٨.

(٧) أي: شق الدين وضعفه، أنظر أساس البلاغة ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٨) أي: تفرّقهم، أساس البلاغة ص ٢٣٦.

(٩) الجريمة الذنب والجناية والجريمة، أنظر أساس البلاغة ص ٥٦، ومختار الصحاح ص ١٣٠.

وما جَزَعِي من أن أَمُوتَ قبلَ أنْ ي
ولكنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكَتْهُمْ
فإن عَشْتُ عاشُوا سَالِمِينَ يَغْبِطُ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْفَى إِلَيْهِمْ
قال: فَاسْتَعِيرَ الْمُعْتَصِمُ^(١)، ثُمَّ قال: يَا نَعِيمَ، قَدْ عَفَوْتُ عَنِ الْهَفْوَةِ، وَوَهَبْتُكَ
لِلصَّبِيَّةِ.

ثم أمر به ففك حديدته، وخلع عليه، وعقد له على سفي الفرات.

١١٨ - [توبة لَصٍّ من اللصوص عن التعرُّض للناس]

أَبَانَا الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد السُّلَمِي^(٢)، أَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنِ الطُّيُورِيِّ، أَنَا
أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْفَضْلِ، أَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الْحُسَيْنِ بْنِ جَهْضَمٍ، ثَنَا حَبِيبٌ، ثَنَا الْفَضْلُ بْنُ أَحْمَدَ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي
أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي أُمَةُ الْمَلِكِ بِنْتُ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، قَالَتْ:
خَرَجَ عَطَاءُ الْأَزْرَقُ إِلَى الْجَبَّانِ يَصَلِّيَ بِاللَّيْلِ، فَعَرَضَ لَهُ لَصٌّ؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِ.
قَالَ: فَجَفَّتْ يَدَاهُ وَرَجَلَاهُ.

قال: فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَصِيحُ: وَاللَّهِ لَا أَعُودُ أَبَدًا؛ قَالَ: قَدَعَا اللَّهُ لَهُ فَأَطْلُقْ. قَالَ:
فَاتَّبَعَهُ اللَّصُّ، فَقَالَ لَهُ: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَطَاءُ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ، سَأَلَ: تَعْرِفُونَ رَجُلًا صَالِحًا يَخْرُجُ بِاللَّيْلِ إِلَى الْجَبَّانِ يَصَلِّي؟ قَالُوا:
نَعَمْ، عَطَاءُ السُّلَمِيِّ^(٣).

قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى عَطَاءِ السُّلَمِيِّ إِلَى الْخَرِيفَةِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِنِّي جِئْتُكَ تَائِبًا مِنْ
قَضَاتِي كَذَا وَكَذَا، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: فَرَفَعَ عَطَاءُ السُّلَمِيُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَعَلَ يَبْكِي،
وَيَقُولُ: وَيَحُكُّ، لَيْسَ أَنَا، ذَاكَ عَطَاءُ الْأَزْرَقِ.

(١) أي: جرت عثرته.

(٢) السُّلَمِيُّ: بكسر السين، وفتح اللام، وقد تقدّم التعريف بالإسم، وبالنسب.

(٣) هو عطاء السلمي المشهور، من كبار الخائفين بالبصرة، معاصر لسليمان التيمي، أدرك زمان أنس بن مالك، وسمع من الحسن البصري، وجعفر بن زيد وغيرهما، وعنه بشر بن منصور، وصالح المري، وعبد الواحد بن زياد وغيرهم حكايات ولم يسند شيئاً.

قال ابن عدي: بعد من زهاد أهل البصرة، وله كلام دقيق في الزهد، لسان الميزان ٤/ ١٧٣ - ١٧٤. وحبلى الأولياء ٦/ ٢١٥ - ٢٢٦.

١١٩ - [توبة يوسف بن أسباط^(١) على يد شاب كان يعمل نباشاً]

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن السلمي، أنا أبو القاسم الحسيني، أنا رشدين
نظيف، أنا الحسين بن إسماعيل، أنا أبو بكر أحمد بن مروان، ثنا عمرو بن حفص
الشَّيْبَانِي، ثنا ابن خُبَيْق^(٢)، ثنا أبي، قال:

صحب يوسف بن أسباط فتى من أهل الجزيرة؛ فلم يكلمه إلا بعد عشر سنين،
وكان يوسف يرى من جزعه وفرعه وعبادته آفة الليل والنهار، فقال له يوسف: ما كان
عملك؟ فأتني لا أراك تهذا من البكاء. فقال له: كنت نباشاً. فقال له يوسف: فأني شيء
كنت ترى إذا وصلت إلى اللحد؟ قال: كنت أرى أكثرهم قد حوّلوا وجوههم عن القبلة إلا
قليلاً.

قال يوسف: إلا قليلاً، فاختلط يوسف على المكان^(٣)، وذهب عقله حتى كان
يحتاج أن يُداوى.

قال ابن خُبَيْق: قال أبي: دَعَوْنَا سليمان الطبيب ليدأوي يوسف؛ وكان يرجع إليه
عقله أحياناً، فيقول: إلا قليلاً، فلم يزل به حتى داواه وصحّ. فلما فرغ وأراد أن يخرج
سليمان الطبيب، قال يوسف: أي شيء تعطونه؟ قلنا: لا يريد منك شيئاً. قال: سبحان
الله! جئتم بطبيب الملوك، ولا أعطيته شيئاً؟ قلنا: أعطه ديناراً. فقال: خذ هذا فادفعه
إليه، وأعلمه أنني لا أملك غيره، لكلا يتوهم أنني أقل مروءة من الملوك، فدفعت إليه صرة
فيها خمسة عشر ديناراً،

قال: فأخذتها فدفعتها إليه، وجعل يوسف يعمل الخوص^(٤) بيده حتى مات.

قال أحمد بن مروان: ثنا محمد بن أحمد، ثنا ابن خُبَيْق، ثنا الهيثم بن جميل قال:
حدثني حبيب قال: قال يوسف بن أسباط:

ورثت عن أبي ضياعاً بخمسمائة ألف بالكوفة. فجری بيني وبين عمومي كلام،

(١) هو يوسف بن أسباط بن واصل، أبو محمد الشيباني، الزاهد الواعظ، سكن انطاكية، وكان من عباد
أهل الشام وقرائهم، كان لا يأكل إلا الحلال المحض.

وكان مستقيم الحديث ربما أخطأ، وكان من خيار أهل زمانه. مات سنة خمس وتسعين ومائة، إنسان
الميزان ٣١٧/٦ - ٣١٨، وانظر حلية الأولياء ٢٣٧/٨ - ٢٥٣.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن خُبَيْق، أحد الزهاد.

(٣) كذا في المطبوعة، والمقصود: على الحال.

(٤) الخوص: ورق الخل، مختار الصحاح ص ٢٢٦، والمنصود أنه كان يصنع منها بعض الأشياء،
كالبسط وغير ذلك، أساس البلاغة ص ١٢٢.

فشاورت الحسن بن صالح^(١)، فقال لي : ما أرى لك أن تخصمهم ؛ إنها من أرض الخراج ، فتركها لله - عز وجل - وأنا محتاج إلى فلس ، أو كما قال .

١٢٠ - [توبة نبأش عن نبش القبور]

أنا عبد الرحمن بن عليّ الإمام^(٢)، قال : أنا إبراهيم بن دينار الفقيه ، أنا إسماعيل بن محمد بن ملة ، أنا عبد العزيز بن أحمد ، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان ، ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسين^(٣) ، ثنا أبو موسى الطرسوسي^(٤) ، ثنا هارون بن زياد البصيصي^(٥) ، ثنا أبو اسحاق الفزاري^(٦) ، قال :

كان رجل يُكثر الجلوس إلينا ، ونصف وجهه مغطى ، فقلت له : إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى ، أطلعني على هذا؟ فقال : تعطيني الأمان؟ قلت : نعم .

قال : كنت نبأش فذقت امرأة ، فأتيت قبرها ، فبست حتى وصلت إلى اللب . ثم رفعت اللب ، فضربت بيدي إلى الرءاء ؛ ثم ضربت بيدي إلى اللقافة فمددتها . فجعلت تمدها هي ؛ فقلت : أتراها تغلبنني؟ فجئت على ركبتني ؛ فمددت ، فرفعت يدها فلطمتني ، وكشفت وجهه ، فإذا أثر خمس أصابع في وجهه .

فقلت له : ثمّ مه؟ قال : ثم رددت عليها لقاتها وإزارها ، ثم رددت التراب ؛ وجعلت على نفسي أن لا أنبش ما عشت .

(١) هو الحسن بن صالح بن حيّ ، الهمداني - بسكون الميم - ، الثوري ، ثقة ، فقيه ، عابد ، رمي بالشيع ، من أتباع التابعين ، مات سنة تسع وتسعين ومائة ، وكان مولده سنة مائة . التقريب ١٦٧/١ .

(٢) أي : ابن الجوزي .

(٣) في نسخه : إبراهيم بن محمد بن الحسن .

(٤) الطرسوسي : بفتح الطاء والراء ، وضم السين المهملة ، وسكون الواو ، وفي آخرها سين ثانية ، هذه النسبة إلى طرسوس ، وهي مدينة مشهورة ، كانت ثغراً من ناحية بلاد الروم ساحل البحر الشامي ، وهي الآن بيد الأرمن النصارى ، أعادها الله - تعالى - إلى الإسلام - أمين - ، الباب ٢٧٩/٢ .

(٥) البصيصي : بكسر الميم والصاد المشددة ، وسكون الياء تحتها نقطتان ، وفي آخرها صاد مهملة ثانية ، هذه النسبة إلى البصيصة ، مدينة على ساحل البحر ، ينسب إليها كثير من العلماء ، الباب ٢٢١/٣ .

(٦) هو إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، أبو إسحاق الكوفي ، نزل الشام ، سكن البصيصة ، وحديث بها ، وكان من أصحاب الإمام الأوزاعي ومعاوية ، وهو إمام ثقة حافظ ، له تصانيف . مات سنة خمس وثمانين ومائة ، وقيل بعدها ، تهذيب التهذيب ١٥١/١ - ١٥٣ ، والتقريب ٤١/١ .

قال: فكتبته بذلك إلى الأوزاعي: فكتب إليّ الأوزاعي: ويحك! سنه عمن مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة، أُحوّل وجهه أم ترك وجهه إلى القبلة؟
 قال: فجاءني الكتاب: فقلت له: أخبرني عمن مات من أهل الإسلام، أترك وجهه على ما كان، أم ماذا؟ فقال: أكثر ذلك حوّل وجهه عن القبلة.
 فكتبته بذلك إلى الأوزاعي. فكتب إليّ: إنا لله وإنا إليه راجعون - ثلاث مرّات - ، أما من حوّل وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السنّة.

١٢١ - [توبة شاب مُسرف على نفسه على يد إبراهيم بن أدهم]

وروي أن رجلاً جاء إلى إبراهيم بن أدهم، فقال له: يا أبا اسحاق! إني مسرف على نفسي، فأعرض عليّ ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً لقلبي.
 قال: إن قبيلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية، ولم تُوبقك^(١) لذّة.
 قال: هات يا أبا اسحاق!
 قال: أما الأولى، فإذا أردت أن تعصي الله - عزّ وجلّ - فلا تأكل رزقه. قال: فمن أين آكل وكلّ ما في الأرض من رزقه؟

قال له: يا هذا، أفحص أن تأكل رزقه وتعصيه؟
 قال: لا؛ هات الثانية.

قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده. قال الرجل: هذه أعظم من الأولى، يا هذا، إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له، فأين أسكن؟ قال: يا هذا! أفحص أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟
 قال: لا؛ هات الثالثة.

قال: إذا أردت أن تعصيه، وأنت تحت رزقه وفي بلاده، فانظر موضعاً لا يراك فيه مبارزاً له، فاعصه فيه. قال: يا إبراهيم! كيف هذا وهو مطلق على ما في السرائر؟!

(١) هو الإمام الجليل عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي.

أبو عمرو الأوزاعي، إمام الديار الشامية في الفقه والحديث والزهد، ولد في بعثك سنة (٨٨) هـ، ونشأ في البقاع، ثم سكن بيروت مرابطاً، وبها توفي سنة (١٥٧) هـ. وكان عظيم الشأن، مُطَلَّب للقضاء فامتنع، تذكّره الحفاظ ١/ ١٧٨ - ١٨٣، والتقريب ١/ ٤٩٣.

(٢) هي كنية إبراهيم بن أدهم، وقد سقت ترجمته.

(٣) أي: ولم تهلكك.

قال: يا هذا، أفحس أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه وهو يراك ويرى ما به؟!

قال: لا؛ هات الرابعة.

قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك، فقل له: أخرني حتى أتوب توبة صالحاً، وأعمل لله عملاً صالحاً. قال: لا يقبل مني.

قال: يا هذا، فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت للتوب، وتعلم أنه إذا جاء لم له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟! قال: هات الخامسة.

قال: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم. قال: لا سوي ولا يقبلون مني.

قال: فكيف ترجو النجاة إذا؟!!

قال له: يا إبراهيم، حسي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه. ولزمه في العبادة حتى فرّق الموت بينهما.

١٢٢ - [توبة صاحب مقناة^(١) على يد شاب دمشقي]

أبانا الحافظ أبو طاهر السلفي^(٢) إجازة، أنا أبو الحسين بن الطُّبُورِي، أنا مسعود بن - صر السجستاني، أنا أبو حازم عمر بن أحمد القُبُورِي^(٣)، أنا علي بن عبد الله بن جهضم، أنا أبو الطيب محمد بن جعفر، ثنا يحيى بن الحسن الرّازي^(٤)، ثنا معروف

(١) المقناة: موضع القُتاء، وهو: الخيار، والواحدة قُتاة، مختار الصحاح ص ١٢، وأساس البلاغة ص ٣٥٥.

(٢) السلفي: بكسر السين، وفتح اللام، وقد تقدم بيان ذلك.

(٣) في المطبوعة: أبو حازم عمر بن أحمد القُبُورِي، وهو خطأ وإنما هو القُبُورِي.

وهو عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه القُبُورِي، كان إماماً، رحل في طلب الحديث، فسمع أبا بكر الإسماعيلي، وخلفاً كثيراً، روى عنه الخطيب أبو بكر البغدادي، وتوفي يوم عيد الفطر، سنة سبع عشرة وأربع مائة.

والقُبُورِي: بفتح العين، وسكون الباء، وضم الدال وسكون الواو، وفي آخرها ياء مشاة من تحتها، هكذا يقوله المحذّثون، هذه النسبة إلى عبّويه - بضم الدال -،

وأما النعانة، فيقولون: عبّوي: بفتح العين والدال.

أنظر الباب في تهذيب الأنساب ٣١٣/٢ - ٣١٤.

(٤) في نسخة: يحيى بن الحسن الرّازي.

الكرخي^(١) قال :

رأيت في البادية شاباً حسن الوجه ، له ذؤابتان^(٢) حستان ، وعلى رأسه رداء ،
وعليه قميص كتان ، وفي رجله نعل طاق .

قال معروف : فتعجبت منه في مثل ذلك المكان ، ومن زيه . فقلت : السلام
ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا عم ، فقلت : أنت
أين ؟ قال : من مدينة دمشق . قلت : متى خرجت منها ؟ قال : ضحوة النهار .

قال معروف : فتعجبت ، وكان بينه وبين الموضع الذي آتته فيه مراحل كثيرة
فقلت : له : وأين المقصد ؟ قال : مكة . فعلمت أنه محمول ، فودعته ومضى
أره حتى مضت ثلاث سنين .

فلما كان ذات يوم وأنا جالس في منزلي أتفكر في أمره وما كان منه ، إذا يانس
الباب ، فخرجت إليه ، فإذا بصاحبي ، فسلمت عليه ، وقلت : مرحباً وأهلاً ؛ ف
المنزل ، فرأيت منقطعاً والهاً^(٣) تالفاً ، عليه زُرمانقة^(٤) ، حافياً حاسراً .

فقلت : هيه ! أيش الخبر ؟ قال : يا أستاذ ، لا طفني حتى أدخلني الشبكة فربما
فمرة يلاطمني ، ومرة يهذني ، ويجيعني مرة ، ويكرمني أخرى ، فليت أوقني على
أسرار أوليائه ، ثم ليفعل بي ما يشاء .

قال معروف : فأبكاني كلامه ، فقلت له : فحدّثني ببعض ما جرى عليه .
فأرقتني .

قال : هيهات أن أبدية ، وهو يريد أن يخفيه ، ولكن بدياً ما فعل بي في طريقي ريب
يا مولاي وسيدي ، ثم استفرغه البكاء . فقلت : وما فعل بك ؟

قال : جوعني ثلاثين يوماً ؛ ثم دخلت إلى قرية فيها مقشاة ، وقد نبذ منها السدود

(١) هو معروف بن فيروز الكرخي ، أبو محفوظ ، أحد أعلام الزهاد ، توفي سنة (٢٠٠) هـ . من أقواله :
إذا أراد الله بعيد خيراً ، فتح الله عليه باب العمل ، وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد بعيد شراً
أغلق عليه باب العمل ، وفتح عليه باب الجدل ، أنظر حلية الأولياء ٣٦٠/٨ - ٣٦٨ .

(٢) ذؤابتان : ثنية ذؤابة ، وهي الشعر المتسدل من وسط الرأس إلى الظهر ، أساس البلاغة ص ١٤٠ .
(٣) الوَلَه : الحزن ، أو ذهاب العقل حزناً ، والحيرة ، أنظر مختار الصحاح ص ٤٨٤ ، وأساس البلاغة
ص ٥٠٩ .

(٤) الزرمانقة : جبة صوف ، قال أبو عبيد : أراها عبرانية - أي : هي كلمة عبرانية - ، وقيل : هو فارسي
معرب ، وأصله : اشتريناه ، أي : متاع الحفّال ، مختار الصحاح ص ٣١٩ .

وطرح، فقعدت أكل منه. فبصر بي صاحب المقناة، فأقبل إليّ يضرب ظهري وبطني، ويقول: يا لصّ، ما خرب مقناتي غيرك، منذ كمّ أنا أُرصدك^(١) حتى وقعت عليك. فينا هو يضربني، إذ أقبل فارس نحوه مسرعاً، وقَلب السُّوط في رأسه، وقال: تعدد إلى وليّ من أولياء الله تعالى تقول له: يا لصّ؟ فأخذ صاحب المقناة يدي فذهب بي إلى منزله، فما بقي من الكرامة شيئاً إلا عمله بي؛ واستحلّني، وجعل مقناته لله ولأصحاب معروف.

فقلت له: صف لي معروفاً، فوصفك لي، فعرفتك بما كنت شاهدته من صفتك. قال معروف: فما استمّ كلامه حتى دقّ صاحب المقناة الباب ودخل، وكان موسراً، فأخرج جميع ماله، وأنفق على الفقراء، وصحب الشاب سنة، وخرجا إلى الحج، فماتنا في الرّيذة^(٢) رحمه الله عليهما.

١٢٣ - [توبة عاص في جوف الليل وموته لسماع آية من القرآن فيها ذكر النار]

أخبرنا محمد، أنا أحمد، ثنا إبراهيم بن عبد الله، قال: حدثني محمد بن إسحاق الثّقفي، حدثني أحمد بن موسى الأنصاري، عن منصور بن عمار، قال: حججت حجةً، فنزلت سكةً من سكك الكوفة. فخرجت في ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل، وهو يقول: إلهي! وعزّتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بكمالك جاهل، ولكنّ خطيئةً عرضت لي، أعانني عليها شقائي، وغرّني سترك المرخى عليّ، وقد عصيتك بجهدي، وخالفتك بجهلي، ولك الحجة عليّ؛ فالآن من عذابك من يستقذني؟ وبحبل من أنصل إذا قطعت حبلك مني؟ واشباباه! واشباباه.

قال: فلما فرغ من قوله، تلوّث آية من كتاب الله: ﴿نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾... الآية^(٣). فسمعت حركةً شديدة، ثم لم أسمع بعدها جَساً، فمضيت.

(١) أي: أراقبك.

(٢) هي قرية من قرى مدينة رسول الله ﷺ، وبها توفي أبوذر الغفاري رضي الله عنه، ودفن فيها، اللباب ١٥/٦.

(٣) سورة التحريم، آية رقم ٦/، وتام هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

فلما كان من الغد رجعت في مَذْرَجَتِي^(١)، إذا بجنازة قد وُضعت، وإذا بمعجوز كبيرة، فسألته عن أمر الميت، ولم تكن عرفتني، فقالت: هذا رجل لا جزاء الله إلا جزاءه، مرّ بابني البارحة، وهو قائم يصلي، فتلا آية من كتاب الله؛ فلما سمعها ابني تنظرت مرارته فوقعت ميتاً.

١٢٤ - [توبة امرأة عن الغناء والعود، وتوبة مولاها على يدها]

وجدت في كتاب عن سريّ السقطي^(٢)، أنه قال: ضاقت عليّ نفسي يوماً، فقلت في نفسي: أخرج إلى المارستان^(٣)، وأنظر إلى المجانين فيه، وأغثّر بأحوالهم.

فخرجت إلى بعض المارستانات، وإذا بامرأة مغلولة يدها إلى عنقها، وعليها ثياب حسان، وروائح عطرة، وهي تشد:

أَعْبَذُكَ أَنْ تَغْلُ يَدِي	بَغِيرِ جَرِيْمَةٍ سَبَقْتُ
تَغْلُ يَدِي إِلَى عُنْقِي	وَمَا خَانَتْ وَلَا سَرَقْتُ
وَبَيْنَ جَوَانِحِي كَبَدٌ	أَجْسُ بِهَا قَدْ احْتَرَقْتُ
وَحَقِّكَ يَا مَدَى أَقْلِي	يَمِينًا بَرَّةً صَدَقْتُ
فَلَوْ قَطَعْتَهَا قِطْعًا	وَحَقِّكَ عَنْكَ لَانْطَقْتُ

فقلت لصاحب المارستان: ما هذه؟ فقال: مملوكة خُبل عقلها، فحبست لتصلح.

فلما سمعت كلامه أنشدت:

مَعَشَرَ النَّاسِ مَا جُنْتُ وَلَكِنْ	أَنَا سَكَرَانَةٌ، وَقَلْبِي صَاحِرٌ
لِسَمِّ غَلَّتْ يَدِي وَلِسَمِّ آبِ ذَنْبٍ	غَيْرِ هَتَكِي فِي حُبِّهِ وَافْتِضَاحِي
أَنَا مَفْتُونَةٌ بِحُبِّ حَبِيبٍ	لَسْتُ أَبْغِي عَنْ بَابِهِ مِنْ بَرَّاحٍ
فَصَلَاحِي الَّذِي زَعَمْتُمْ فَسَادِي	وَفَسَادِي الَّذِي زَعَمْتُمْ صَلَاحِي
مَا عَلَى مَنْ أَحَبَّ مَوْلَى الْمَوَالِي	وَارْتِضَاءَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ جُنَاحٍ

قال سريّ: فسمعت كلاماً أبكاني.

فلما رأته دموعي، قالت: يا سريّ، هذه دموعك على الصفة، فكيف لو عرفته حق المعرفة؟

(١) أي: في طريق زعماء بني الذي ملكته، أنظر مختار الصحاح ص ٦٢.

(٢) هو سريّ السقطي، الزاهد المعروف، تقدمت ترجمته.

(٣) المارستان - بفتح الراء - : دار المرضى، وهو معزب، مختار الصحاح ص ٢١٣.

فقلت: هذا أعجب، من أين عرفتني؟

قلت: ما جهلت منذ عرفت أن أهل الدرجات يعرف بعضهم بعضاً.

فقلت: يا جارية أراكِ تذكرين المحبة، فلمن تُحبين؟

قالت: لمن تعرّف إلينا بآلائه^(١)، وتحبب إلينا بنعمائه، وجادَ علينا بجزيل عطائه؛

فهو قريب، إلى القلوب مجيب، تسمى بأسمائه الحسنَى، وأمرنا أن ندعوه بها؛ فهو حكيم كريم، قريب مجيب.

قال: فقلت لها: فيم حُبّت؟

فقالت: قومي غابوا عليّ ما سمعت مني^(٢).

فقلت لصاحب المارستان: أطلقها. ففعل؛ فقلت: إذهبي حيث شئت. فقالت: إن

حبّيت قلبي قد ملّكني لبعض مماليكه، فإن رضي مالكي. وإلا صبرت واحتسبت.

فقلت: هذه والله أعقل مني، فجاء مالکها ومعه ناس كثير، فقال لصاحب

المارستان: وأين بدعة^(٣)؟ فقال: دخل عليها سري فأطلقها.

فلما رآني عظمي؛ فقلت: هي والله أولى بالتعظيم مني، فما الذي تنكر منها؟

فقال: كثرة فكرتها، وسرعة غيبتها^(٤) وزفرتها^(٥) وحنينها؛ فهي باكية راعية، لا تأكل مع من

يأكل، ولا تشرب مع من يشرب؛ وهي بضاعتي اشتريتها بكل مالي - بعشرين ألف درهم -، وأملت أن أبيع فيها مثل ثمنها.

فقلت: وما كانت صنعتها؟ قال: مطربة. قلت: ومنذ كم كان بها هذا الذاء؟ فقال:

منذ سنة. قلت: ما كان بدؤه؟ قال: كان العود في حجرها وهي تخني، وتقول:

وَحَقِّقْ لَا تَنْقُضْ الدَّهْرَ غَهْدًا وَلَا كَثُرْتُ بَعْدَ الصَّفْوِ وَدًّا

مَلَاتِ جَوَانِحِي وَالْقَلْبُ وَجَدًا فَكَيْفَ أَقْرَأُ أَوْ أَسْلُو وَأَهْدًا

فَيَا مَنْ لِي مَوْلَى سِوَاهُ تُرَاكَ تُرَكِّتُنِي فِي النَّاسِ عَبْدًا

قال: فكشّرت العود وقامت وبكت. فاتهمتها بمحبّة إنسان. فكشّفت عن ذلك فلم

أجد له أثرًا. قال: فقلت لها: هكذا كان؟ فقالت:

(١) أي: نعمه.

(٢) في المطبوعة: منهم، وما أثبتناه هو المناسب لسياق الكلام.

(٣) هو اسم المرأة.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ١٦٢: «الغيرة: تحلب الدمع، وغير الرجل والمرأة: جرى دمه» أهد.

(٥) أي: تنفسها. انظر مختار الصحاح ص ١٤٦.

خاطبني الوعظ من جنائي^(١) وكان وعظي على لساني
 قُرْبِي مِنْهُ بَعْدُ بُغْدٍ وَخَصَّنِي اللَّهُ وَاصْطَفَانِي
 أَحْبَبْتُ لِمَا دُعِيتُ طَوْعاً مُلَبَّياً لِلَّذِي دَعَانِي
 وَخَفْتُ مِمَّا جَنِيتُ قَدْماً فَوَقَعَ الْحَبُّ بِالْأَخَانِ

قال: فقلت له: عليّ الثمن وأزيدك. قال: فصاح: وافقرأه! من أين لك ثمن هذه؟
 فقلت: لا تعجل عليّ، تكون في المارستان حتى آتي بثمانها، ثم مضيت وعيني تدمع،
 وقلبي يخشع. وبث ولم أطعم غمضاً، ووالله ما عندي درهم من ثمنها.

وبقيت طول ليلتي أنصرع إلى الله تعالى، وأقول: يا رب! إنك تعلم سرّي
 وجهري، وقد اتكلت على فضلك، وعولت عليك، فلا تفضحني. فبينما أنا عند السحر
 إذا بقارع يفرع الباب. فقلت: من بالباب؟ فقال: حبيب من الأحباب، أتى في سبب من
 الأسباب، من الملك الوهاب. ففتح الباب، فإذا برجل معه خدام وشمعة. فقال: يا
 استاذ! أأذن لي بالدخول؟ فقلت: ادخل، من أنت؟

قال: أنا أحمد بن المشي، قد أعطاني مالك الدار فأكثر؛ كنت الليلة نائماً، فهتف
 بي هاتف في المنام: (احمل خمس نذرات^(٢)) إلى سرّي، يعطيها لمولى بدعة، فكفها من
 الأسر ومن رق العبودية الساعة؛ فلنا بها عناية. فجئت مبادراً بهذا المال، فاصنع به ما
 شئت.

قال: فخررت لله ساجداً وارتقيت الصبح.
 فلما تعالى ضوء النهار، أخذت بيد أحمد ومضيت به إلى المارستان. فإذا السوكل
 به يلتفت يميناً وشمالاً. فلما رأياني قال: مرحباً! ادخل، فإن لها عند الله عناية؛ هتف بي
 البارحة هاتف، وهو يقول:

إِنِّهَا مِنَّا بِيَالٍ لَيْسَ تَخْلُو مِنْ سَوَالٍ
 قُرْبِيَتْ ثُمَّ تَسْمَتْ وَعَلَتْ فِي كُلِّ حَالٍ
 فَحَفِظْتُ هَذَا الْقَوْلَ وَكَرَّرْتَهُ إِلَى أَنْ أَتَيْتُمْ. فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا وَهِيَ تَقُولُ:

قَدْ تَصَبَّرْتُ إِلَى أَنْ عَمِلَ فِي حُبِّكَ صَبْرِي
 ضَاقَ مِنْ عَلَيَّ وَقَيْدِي وَامْتَهَانِي فَيْكَ صَدْرِي
 لَيْسَ يَخْفَى عَنْكَ أَمْرِي يَا مُنَى قَلْبِي وَدُخْرِي

(١) من قلبي.

(٢) بدرات: جمع بذرة، والبذرة: كيس فيه عشرة آلاف درهم مختار الصحاح ص ١٤٢.

أنت لي تَحْسَنُ رَقِي وَنَفْكَ الْيَوْمَ أُسْرِي

قال: وأقبل مولاها يبكي ويخشع، فقلت له: قد جئناك بما ورثت وبيع خمسة آلاف. فقال: لا والله! فقلت: بريح عشرة آلاف فقال: لا. فقلت: بريح المثل. فقال: لو أعطيتني الدنيا ما قبلت، وهي حرة لوجه الله تعالى.

فقلت له: ما القصة؟ فقال: يا أستاذ! وَبُحْتُ البَارِحَةَ، أَشْهَدُكَ أَنِّي خَارِجٌ مِنْ جَمِيعِ مَالِي، وَهَارِبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ اللَّهُمَّ كُنْ لِي بِالسَّعَةِ كَفِيلًا، وَبِالرَّزْقِ جَمِيلًا.

فالتفتُ إلى ابنِ المثنى فرأيتُه يبكي، فقلت له: ما بك أؤذك؟ فقال: ما رضي بي المولى لما نذبنِي إليه؛ أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِجَمِيعِ مَالِي لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى.

فقلت: ما أعظم بركة بدعة على الجميع، فقامت بدعة، فنزعَت ما كان عليها، ولبست مدرعة من الشعر، وخرجت وهي تقول:

هَرَبْتُ مِنْهُ إِلَيْهِ	بَكَيْتُ مِنْهُ عَلَيْهِ
وَحَقُّهُ فَهُوَ مُؤَلَّى	لَا زِلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ
حَتَّى أَنَالَ وَأَحْظَى	بِمَا رَجَوْتُ لَدَيْهِ

قال سري: فأقمت بعد ذلك مدة حتى مات مولاها. فبينما أنا أطوف بالكعبة، وإذا أنا بصوت محزون من كبد مقروحة، وهو يقول:

قَدْ تَشْهَرْتُ بِحَبِّكَ	كَيْفَ لِي مِنْكَ بِقُرْبِكَ
كَيْفَ بِي يَا نَفْسُ إِنْ وَا	خَذِكَ اللَّهُ بِذَنْبِكَ
لَمْ يُقَاسِي أَحَدٌ يَا	نَفْسُ كَرِيماً مِثْلَ كَرِيمِكَ
فَسَلِّي رَبِّكَ يَا نَبِيَّ	كَ الرَّاغِبِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ

قال: فتبعَت الصَّوْتُ فإذا امرأة كالخيال. فلما رأتني قالت: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا سَرِي؛ فقلت: وَعَلَيْكَ السَّلامُ، مَنْ أَنْتِ؟ فقالت: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَعَ التَّنَاكُرُ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ، أَنَا بَدْعَةٌ.

فقلت: ما الذي أفادك الحقَّ بعد انفرادك عن الخلق؟ فقالت: أفادني كلُّ الْمُتَنِي. وأنشدت:

يَا مَنْ رَأَى وَخَشَشَنِي فَأَنْسَنِي	بِالْقُرْبِ مِنْ قُرْبِهِ فَأَتَفَشَّنِي
هَرَبْتُ مِنْ مُسْكِنِي إِلَى مُسْكِنِي	نَعَمْ وَمِنْ مُوْطِنِي إِلَى وَطِنِي
يَا سَكْنِي لَا خَلَوْتُ مِنْ سَكْنِي	دَهْرِي وَيَا عُدَّتِي عَلَى الزُّمْنِ

أَوْخَفِيَنِي مَا فَقدْتُ مِنْهُ فَقَدْ عَادَ بِإِحْسَانِهِ فَأَنَسَنِي
وَعَدْتُ أَيْضاً وَعَادَ مِنْمَظْفَأٍ كَذَلِكَ مُذْ كَانَ مِنْهُ عَوْدَتَنِي

ثم قالت: لا حاجة لي بالبقاء، فخذني إليك.

قال: فحرُكتها فإذا هي مَيِّتة - رحمة الله عليها.

• • •

ذكر خبر جماعة من أسلم

١٢٥ - [توبة أبي إسماعيل النصراني وإسلامه]

أنبأنا شهدة بنت أحمد بن الفرغ الإبري قالت: أنا جعفر بن أحمد السراج، ثنا جعفر الخَلْدِي^(١)، ثنا أحمد بن مسروق، ثنا محمد بن الحسين، ثنا عبد الله بن الفرغ العابد، قال:

كان بالموصل رجل نصراني يكنى أبا إسماعيل. قال: قمر ذات ليلة برجل وهو يتهدج على سطحه، وهو يقرأ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٢)، قال: فصرخ أبو إسماعيل صرخة غشي عليه، فلم يزل على حاله تلك حتى أصبح.

فلما أصبح أَسْلَمَ، ثم أتى فتحاً الموصلي^(٣) فاستأذنه في صحبته، فكان يصحبه ويخدمه.

قال: فبكى أبو إسماعيل حتى ذهبت إحدى عينيه وعشي من الأخرى^(٤). فقلت له يوماً: حدثني ببعض أمر فتح، قال: فبكى، ثم قال: أخبرك عنه، كان والله كهيشه.

(١) قال في الباب ٤٥٦/١: «الخَلْدِي: بضم الخاء، وسكون اللام، وفي آخرها دال مهملة، هذه النسبة إلى الخَلْد، وهي محلة ببغداد».

وأما جعفر بن محمد بن نصير - وهو الراوي هنا - الخَلْدِي الخواص، أبو محمد، أحد مشايخ الصوفية، له كرامات ظاهرة، فإتسما قيل له الخَلْدِي لأنه كان يوماً عند الجنيد، فسئل الجنيد عن مسألة، فقال الجنيد أجبتهم، فأجابهم، فقال - أي الجنيد - : يا خَلْدِي من أين لك هذه الأجوبة؟! فبقي عليه.

روى عن الحارث بن أبي أسامة وغيره، روى عنه أبو حفص بن شاهين، والدارقطني وغيرهما، ومات في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وكان ثقةً أهد.

(٢) سورة آل عمران، آية رقم ٨٣.

(٣) هو فتح بن سعيد الموصلي، أبو محمد، من عباد أهل الجزيرة، ومتقشفينهم، أنظر الثقات لابن حبان ٢٢٢/٧، والمحلية ٢٩٢/٨ - ٢٩٤.

(٤) أي: ضعف بصره في الأخرى، مختار الصحاح ص ٥٢٦.

الرُّوحَانِيَّينَ، مَعْلُوقِ الْقَلْبِ بِمَا هُنَاكَ، لَيْسَتْ لَهُ فِي الدُّنْيَا رَاحَةٌ.

قلت:

عَلَيَّ ذَاكَ.

قال: شهدت العيد معه ذات يوم، ورجع بعد ما تفرَّق النَّاسُ، ورجعت معه. فنظر إلى الدُّخَانِ يَفُورُ مِنْ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ، ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: قَدْ قَرَّبَ النَّاسُ قَرِيبَانَهُمْ، فَلَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلْتُ فِي قَرْبَانِي هَذَا أَيُّهَا الْمَحْبُوبُ؛ ثُمَّ سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ.

فَجِئْتُ بِمَاءٍ فَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ فَأَفَاقَ^(١)، حَتَّى دَخَلَ بَعْضُ أَرْقَةِ الْمَدِينَةِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ طَوْلَ غَمِّي وَحُزْنِي وَتَرْدَادِي فِي أَرْقَةِ الدُّنْيَا، فَحَتَّى مَتَى تَحْبِسُنِي أَيُّهَا الْمَحْبُوبُ؟ ثُمَّ سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ.

فَجِئْتُ بِمَاءٍ فَمَسَحْتُهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَفَاقَ، فَمَا عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى مَاتَ - رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢٦ - [توبة شاب نصراني وإسلامه]

أَنَا أَبُو طَاهِرِ السُّلْفِيِّ^(٢)، أَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنِ الطُّيُورِيِّ، أَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ عَلِيٍّ، أَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصُّوفِيِّ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنِي حَامِدُ الْأَسَدُ - صَاحِبُ إِبْرَاهِيمَ الْخَوَاصِّ^(٣)، قَالَ:

كَانَ إِبْرَاهِيمُ، إِذَا أَرَادَ سَفَرًا، لَمْ يَحْدُثْ بِهِ أَحَدًا وَلَمْ يَذْكُرْهُ؛ وَإِنَّمَا يَأْخُذُ رُكُوتَهُ^(٤) وَيَمْشِي.

فَبَيْنَا نَحْنُ مَعَهُ فِي مَسْجِدِهِ نَتَاوَلُ رُكُوتَهُ وَنَمْشِي. فَاتَّبَعْتُهُ، فَلَمْ يَكْلَمْنِي، حَتَّى وَافَيْنَا الْكُوفَةَ. فَأَقَامَ بِهَا يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ.

ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ الْقَادِسِيَّةِ^(٥). فَلَمَّا وَاظَاهَا، قَالَ لِي: يَا حَامِدُ، إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ: يَا سَيِّدِي! خَرَجْتَ بِخُرُوجِكَ. قَالَ: أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قُلْتُ: وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أُرِيدُ مَكَّةَ، فَمَشِينَا يَوْمًا وَلَيْلَتًا.

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ: فَمَا أَفَاقَ، وَالْمَشْتَبَهُ هُوَ الْمَوَاقِفُ لِمِيقَاتِ الْكَلَامِ، وَهُوَ كَذَلِكَ - أَي: فَأَفَاقَ - عَلَى الصَّوَابِ - فِي نَسْخِ.

(٢) السُّلْفِيُّ: بِكسْرِ الِئِنْ، وَفَتْحِ الْمِيمِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ.

(٣) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْخَوَاصِّ، أَبُو إِسْحَاقَ، مِنْ كِبَارِ الصُّوفِيَّةِ، تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ.

(٤) الرُّكُوتُ: إِنَاءٌ لِلْمَاءِ، وَجَمْعُهَا رُكَاةٌ وَرُكُوتَاتٌ - يَفْتَحُ الْكَافُ مِخْطَارَ الصَّحَاحِ ص ٥١٠.

(٥) هِيَ قَرْيَةٌ عِنْدَ الْكُوفَةِ، بِهَا كَانَتِ الْوُقُوعَةُ الْمَشْهُورَةُ زَمَنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ -، الْبَابُ ٦/٣.

فلما كان بعد أيام إذا شاب قد انضم إلينا في بعض الطريق. فمشى يوماً وليلة لا يسجد لله - عز وجل - سجدة. فعرفت إبراهيم، وقلت: إن هذا الغلام لا يصلي.

فجلس، وقال له: يا غلام! مآلك لا تصلي، والصلاة أوجب عليك من الحج. فقال: يا شيخ! ما علي صلاة. قال: أأنت برجل مسلم؟ قال: لا. قال: أي شيء أنت؟ قال: نصراني، ولكن إشارتي في النصرانية إلى التوكل؛ وأدعت نفسي أنها قد أحكمت حال التوكل فلم أصدقها فيما أذعت، حتى أخرجتها إلى هذه القلاة التي ليس فيها موجود غير المعبود، أثير ساكني وأمتحن خاطري.

فقام إبراهيم ومشي، وقال: دعه يكون معك. فلم يزل يسايرنا إلى أن وافينا وبعثنا مره فقام إبراهيم ونزع خُلقانه^(١) وطهرها بالماء، ثم جلس وقال له: ما اسمك؟ قال: عبد المسيح. فقال: يا عبد المسيح^(٢)؟ هذا دهليز^(٣) مكة، وقد حرم الله على أمالك الدخول إليه، وقرأ: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾^(٤) والذي أردت أن تستكشف من نفسك فقد بان لك، فاحذر أن تدخل مكة، فإن رايك يمكة أنكرنا عليك.

قال حامد: فتركناه ودخلنا مكة، وخرجنا إلى الموقف. فبينما نحن جلوس بعرفات، إذا هو قد أقبل وعليه ثوبان وهو مُحرم، يتصفح الوجوه حتى وقف علينا، فأكب على إبراهيم يقبل رأسه. فقال له: ما وراءك يا عبد المسيح؟ فقال: هيهات! أنا اليوم عبد من المسيح عبده.

فقال له إبراهيم: حدثني حديثك.

فقال: جلست مكاني حتى أقبلت قافلة الحاج^(٥)، فقامت وتكرت في زي المسلمين كأنني محرم. فساعة وقعت عيني على الكعبة اضمحلت عندي كل دين سوى الإسلام، فأسلمت واغتسلت وأحرمت. وها أنا أطلبك يومي، فالتفت إلينا إبراهيم وقال: يا حامد!

(١) أي: ثيابه الخليفة البالية، أنظر مختار الصحاح ص ٣١٥.

(٢) هذه التسمية وقيلها لا تجوز في شرعنا فإن لفظة عبد إذا أصيبت في شرعنا، إنما تضاف إلى لفظ الجلالة: الله، أو إلى اسم من أسمائه، الحسن، وما سوى ذلك لا يجوز مطلقاً مثل: عبد النبي، وعبد الحسين وغير ذلك.

(٣) أي: طريق.

(٤) سورة التوبة، آية رقم ٢٨.

(٥) أي الحاج،

انظر إلى بركة الصديق في النصرانية، كيف هداه إلى الإسلام، وصحبنا، حتى مات بين الفقراء - رحمه الله.

١٢٧ - [توبة عابد صنم وإسلامه]

وحكي عن عبد الواحد بن زيد، قال: كنت في مركب، فطرحتنا الرّيح إلى جزيرة، وإذا فيها رجل يعبد صنماً. فقلنا له: يا رجل، مَنْ تعبد؟ فأومأ إلى الصنم. فقلنا إن معنا في المركب من يسوي^(١) مثل هذا، وليس هذا إله يُعبد. قال: فأنتم لمن تعبدون؟ قلنا: الله.

قال: وما الله؟ قلنا: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه.

فقال: كيف علمتم به؟ قلنا: وجّه إلينا هذا الملك رسولاً كريماً فأخبر بذلك.

قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: أذى الرسالة ثم قبضه الله.

قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى، ترك عندنا كتاب الملك.

فقال: أروني كتاب الملك، فينبغي أن تكون كتب الملوك حسناً.

فأثناه بالمصحف، فقال: ما أعرف هذا. فقرأنا عليه سورة من القرآن، فلم نزل نقرأ ويكي حتى ختمنا السورة. فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصى، ثم أسلم.

وحملناه معنا، وعلمناه شرائع الإسلام، وسوراً من القرآن. وكنا حين جئنا الليل^(٢)، وصلينا العشاء، وأخذنا مضاجعنا، قال لنا: يا قوم! هذا الإله الذي دلتُموني عليه، إذا جئته الليل ينام؟ قلنا: لا، يا عبد الله، هو عظيم قَیوم لا ينام.

قال: بش العيد أنتم، تَمون ومولاكم لا ينام؟ فأعجبنا كلامه.

فلما قدمنا وعُبدان^(٣) قلت لأصحابي: هذا قريب عهد بالإسلام. فجمعنا له دراهم وأعطيناه. فقال: ما هذا؟ قلنا: تنفقها. فقال: لا إله إلا الله! دلتُموني على طريق ما سلكتموها؛ أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنماً من دونه ولم يضيّعني، يضيّعني وأنا أعرفه!

(١) أي: يصنع.

(٢) أي: سترنا بظلامه. انظر مختار الصحاح ص ٤٤٦.

(٣) هي: بَلَيْدة بنواحي البصرة في البحر - بحر فارس - . اللباب ٣٠٩/٢.

فلما كان بعد أيام قيل لي : إنه في الموت . فأتيته ، فقلت له : هل من حاجة ؟ فقال : قضى حوائجي من جاء بكم إلى جزيرتي .

قال عبد الواحد : فحملتني عيني ، فتمت عنده . فرأيت مقابر «عبادان» روضة ، وفيها قبة ، وفي القبة سرير عليه جارية لم ير أحسن منها . فقالت : سألتك بالله إلا ما عجلت به ، فقد اشتد شوقي إليه . فانتبهت ، وإذا به قد فارق الدنيا . ففمت إليه فقلت ، وكففت ، وواريته .

فلما جن الليل نمت ، فرأيت في القبة مع الجارية ، وهو يقرأ : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَهُمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ .

١٢٨ - [توبة مجوسي وإسلامه وأهل داره]

وقرأت في «الملقط»^(١) أن بعض العلويين كان نازلاً بـ «بلخ»^(٢) وله امرأة علوية^(٣) ، ولها بنات قد أصابهم الفقر . ومات الرجل ، فخرجت المرأة بالبنات إلى «سمرقند»^(٤) ، خوفاً من شمانية الأعداء .

فاتفق خروجها في شدة البرد ، فلما دخلوا البلد أدخلتهم مسجداً ، ومضت تحال لهم في القوت ، فمرت بجمعين : جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد ، وجمع على مجوسي هو ضامن البلد .

فبدأت بالمسلم ، فشرحت له حالها ، وقالت : أريد قوت الليلة ، فقال : أقيمي عندي الليلة أنك علوية ، فقالت : ما في البلد من يعرفني ، فأعرض عنها .

فمضت إلى المجوسي ، فأخبرته بالخبر ، وحدثته ما جرى لها مع المسلم ، فبعث معها أهل داره إلى المسجد ، فجاؤوا بأولادها إلى داره ، فآلبنهم الجمل الفاخرة .

فلما انتصف الليل رأى ذلك المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت ، واللواء على رأس محمد - ﷺ - ، وإذا قصر من الزمرد الأخضر . فقال له : يا رسول الله ! لمن هذا

(١) سورة الرعد ، آية رقم ٢٣ / ٢٤ .

(٢) أي : ملقط الحكايات ، لابن الجوزي .

(٣) هي : بلد من بلاد خراسان ، فتحها الأحنف بن قيس التميمي ، زمن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، خرج منها عالم لا يحصى من الأئمة والعلماء والصلحاء ، اللباب ١٧٢/١ .

(٤) أي : منسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه .

(٥) بلدة مشهورة بخراسان ، وينسب إليها جماعة من العلماء .

القصر؟ فقال: لرجل مسلم موحد، فقال: يا رسول الله! فانا مسلم موحد. فقال: أقم عندي البيّنة بأنك مسلم موحد، فبقي الرجل متحيراً.

فقال له: لما قصدتك العلوية قلت لها: أقيمي عندي البيّنة؛ فهكذا أنت أقم عندي البيّنة.

فانتبه يبكي ويلطم؛ وخرج يطوف البلد على المرأة، حتى عرف أين هي، فأرسل إلى المجوسي، فأتاه، فقال له: أين العلوية؟ قال: عندي، قال: أريدها.

قال: ما إلى هذا من سبيل. قال: خذ مني ألف دينار، وسلمهم إليّ. قال: ما أفعل، قد استضافوني ولحقني من بركاتهم.

قال: لا بدّ منهم. قال: الذي نطلبه أنا أحقّ به، والقصر الذي رأيته لي خُلِقَ، أتبدّل عليّ بإسلامك؟ والله ما نمت ولا أهدأ حتى أسلمنا على يد العلوية. ورأيت مثل منامك الذي رأيته؛ وقال لي رسول الله - ﷺ - : العلوية عندك وبناتها؟ قلت: نعم.

قال: القصر لك ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة؛ خلقتك الله مؤمناً في الأزل.

١٢٩ - [توبه يهودي مُحسِن وإسلامه]

وروي عن ختن^(١) أبي عمران اللؤلؤي، وكان رجلاً صالحاً يُخدّم الفقراء^(٢)، وبيته بيت ضيافة، أنه نزل به قوم، فمضى إلى الحاكم يطلب لهم شيئاً، فلم يُعْطه، فمضى إلى يهودي، فبعث إلى داره ما يحتاج إليه.

فلما نام الحاكم رأى كأنه على باب قصر من لؤلؤة حمراء، فهمّ أن يدخله، فمنع منه، وقيل له: إن هذا كان لك فدفع إلى فلان اليهودي، فلما أصبح الحاكم مضى إلى ختن أبي عمران، فسأله عن القصة فأخبره.

فاستحضر الحاكم اليهودي، وقال: لك قصر في الجنة، تبيعه بعشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فزاده، فأبى؛ وسأله عن القصة، فقَصَّ عليه الرؤيا، فقال اليهودي لختن أبي عمران: اعرض عليّ الإسلام، فأسلم.

(١) قال في مختار الصحاح ص ٤٤٩: «الختن: كل من كان قبل المرأة، مثل الأب والآخر، وهم الأختان، هكذا عند العرب، وأما العامة، فختن الرجل عندهم: زوج ابنته أهد.

(٢) أي: يكرمهم ويجود عليهم، أساس البلاغة ص ١٢١ وأنظر مختار الصحاح ص ٤٠٥.

١٣٠ - [توبة مجوسي كريم وإسلامه مع أولاده ورهطه]

وعن أبي حفص النيسابوري، أنه قال لأصحابه يوماً في وقت الربيع: تعالوا نخرج إلى التنزه، فخرجوا فمروا بمحلة، فإذا شجرة كُثْرَى^(١) قد أثمرت في دار، فوقف بنظر إليها، فخرج من تلك الدار رجل مجوسي شيخ كبير، فقال له: يا مقدّم الأخيار! هل تكون ضيفاً لمقدّم الأشرار؟

فدخل أبو حفص مع أصحابه، وكان معهم من قرأه القرآن. فأخرج المجوسي كيساً فيه دراهم، وقال: أعلم أنكم تنزهون ممّا تصل أيدينا إليه من الطعام، فمُر من بشئني لكم شيئاً من السوق؛ ففعلوا.

فلما أراد أبو حفص أن يخرج قال له المجوسي: لا يمكنك أن تخرج إلا وأنا معك. فاسلم، واسلم من أولاده ورهطه^(٢) بضعة عشر نفساً.

١٣١ - [توبة مجوسي بغدادي وإسلامه مع ابنه وابنته وكثير من أصحابه]

وجدتُ في كتاب الجوهرية^(٣)، قال: حدّث ابن أبي الدنيا أن رجلاً نام، فرأى المصطفى - ﷺ - وهو يقول له: امض إلى المجوسي الذي في بغداد، وقل له: قد أجيب الدعوة، فلما أصبحت، قلت: كيف أمضي إلى مجوسي؟! فتمت الليلة الثانية، فرأيت مثل ذلك. ثم رأيت مثل ذلك في الليلة الثالثة.

فلما أصبحت تحمّلت إلى بغداد، وأتيت المجوسي، فوجدته في نعمة عريضة ودنيا واسعة. قال: فدخلت إليه وسلّمت عليه، وجلست. فقال: ألك حاجة؟ فقلت: نعم. قال: تكلم. قلت: في خلوة. فانصرف الناس وبقي أصحابه؛ فقلت: وهؤلاء، فصرّفهم؛ وقال: قل. قلت: أنا رسول رسول الله - ﷺ - إليك، وهو يقول لك: قد أجيب الدعوة.

- (١) هو: نوع من الفواكه، واحدة: كمثرى، مختار الصحاح ص ١٨٠.
(٢) قال في مختار الصحاح ص ٢٤٥: رهط الرجل: قومه وقبيلته، والرهط: مادون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة أهد.
(٣) الجوهرية عند الإطلاق، هو: إسماعيل بن حماد الجوهرية، أبو نصر الفارابي، أصله من بلاد الترك من فاراب، ورحل إلى العراق وقرأ العربية على أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي، وسافر إلى الحجاز، وطوّف بلاد ربيعة ومصر، واجهد نفسه في الطلب، ولما قضى وطره من الطواف عاد راجعاً إلى خراسان، ثم سرح إلى نيسابور، فلم يزل مقيماً بها على التدريس والتأليف وتعلم الخط حتى توفي بها سنة (٣٩٣) هـ، وقيل توفي في حدود (٤٠١) هـ. وكان مبرّراً في اللغة والأدب. انظر لسان الميزان ٤٠٠/١ - ٤٠٢، وشذرات الذهب ١٢٣/٣. ومعجم المؤلفين ٢٦٧/٢ - ٢٦٨ والجوهرية: سببه إلى بيع الجوهر. الباب ٣١٣/١.

فقال: أتعرفني؟ قلت: نعم. قال: فلأني أنكر الإسلام، وأنكر رسالة محمد عليه السلام. قلت: كذلك قلت، وهو أرسلني إليك.
قال: أرسلك إلي؟ قلت: نعم. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ثم دعا أصحابه، وقال: قد كنت في ضلال، وقد رجعت إلى الحق؛ فمن أسلم فما في يديه له، ومن لم يسلم فليترع مما لي عنده، فأسلم القوم إلا قليلاً.
ثم دعا ابنه، فقال: يا بني! إني كنت في ضلال، وقد أسلمت؛ فما أنت صانع؟ قال: يا أبت! أسلم، فأسلم.

ثم دعا ابنته، وقال: يا بنية! قد أسلمت وأسلم أخوك، فإن أنت أسلمت فرقت بينكما. فقالت: يا أبت! والله لقد كنت كارهة لاجتماعي به، وأسلمت.

فقال لي: أتدري الدعوة التي أجيت؟ قلت: لا. قال: لما زوجت ابنتي بولدي، وصنعت له طعاماً، ودعوت الناس كلهم، فأجابوا لما حوّلني الله من الدنيا.

فلما أكل الناس تعب؛ فقلت للخادم: افرش لي حصيراً في أعلى الدار أناام شيئاً. فطلعت؛ وكان بجوارنا قوم أشرف فقراء. فسمعت صيئة وهي تقول لأماها: يا أماه! قد آذانا هذا المجوسيّ برائحة طعامه.

قال: فنزلت وحملت لهم طعاماً كثيراً، ودنانير كثيرة؛ وكسوة لكل من في الدار. فقالت واحدة^(١): حشرك الله مع جدّي، وقال الباكون: آمين، فتلك الدعوة التي أجيت.

١٣٢ - [توبة طيب نصراني مُحْسِن وإسلامه]

وروي أنّ بعض مشايخ الصوفية خرج على أصحابه، وكانوا أربعين رجلاً، وقد أقاموا ثلاثة أيام لم يفتح لهم بطعام، فقال لهم: يا قوم، إن الله قد أباح التسبّب للعباد؛ فقال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾^(٢)؛ فانظروا من يخرج منها فليأتنا بشيء.

قال: فخرج فقير فمشى في جانبي بغداد، فلم يجد من يسأله في شيء، فآخذه

(١) في المطبوعة: الواحدة.

(٢) سورة تبارك، آية رقم ١٥، وتام الآية: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.

الجوع والتعب، فجلس على دكان طبيب نصراني، والناس عليه خلق عظيم، يصف لهم الدواء.

فقال له النصراني: ما بك؟ فلم ير أن يشكو إلى نصراني حاله، بل مَدَّ يده إليه، فمسَّ يده. فقال النصراني عند ذلك: هذه علة أنا أعرف دواءها؛ يا غلام، امض إلى السوق واثنني برطل خبز، ورطل شواء، ورطل حلواء.

فقال الفقير: فهذه العلة بأربعين رجلاً. فقال: يا غلام، اثني بأربعين مثل ذلك.

فأتى الغلام بذلك. فسلمه النصراني إلى الفقير، وقال: خذه لمن ذكرت.

فأخذه معه الحمال، ومضى معه إلى الدُّويرة^(١).

وقام النصراني يختبر صدق الفقير. فلما أتى الدُّويرة وقف خارجاً منها خلف طاق، حتى دخل الفقير، فوضع الطعام، واجتمع الشيخ والفقراء، وقدموا الطعام، فامسك الشيخ عن الطعام، وقال: يا فقير! ما قصة هذا الطعام؟ فحكى له القصة بكمالها.

فقال الشيخ: أترضون أن تأكلوا طعام نصراني وصلكم به دون مكافأة؟ قالوا: ما مكافأته؟ قال: تدعون الله له قبل أكل طعامه بالنجاة من النار، فدعوا له وهو يسمع.

فلما رأى النصراني إمساحهم عن الطعام مع حاجتهم إليه، وسمع ما قال الشيخ، قرع الباب، ففتح له ودخل، وقطع الزنار، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.



تم الكتاب بعون الله تعالى وتوفيقه انتهت من تحقيقه والتعليق عليه صباح يوم الخميس أول شهر رمضان المبارك سنة (١٤٠٩) هجرية والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

خالد عبد اللطيف السج العلمي
طرابلس - لبنان

(١) هي موضع بغداد معروف، الباب ١/٥١٧. وهي غير الدُّويرة - كصحيفة - القرية التي بنيسابور الباب ١/٥١٦.

من هدي القرآن الكريم في التوبة*

لقد أمرنا الله تعالى بالتوبة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الذناعات.

ووعده القبول عليها فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾. وفتح باب الرجاء فقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

وأمرنا أن نلتمس النجاة على عجل: وأن نبادر إلى التوبة قبل دنو الأجل فقال: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ، وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَافَرٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

ونادينا إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمارعة إلى نيل القربات فقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِبِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ. وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذَّنُوبَ إِلَى اللَّهِ، وَلَمْ يُصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جِزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

(*) ذكر هذا الاستاذ الفاضل عبد القادر الأرنؤوط، وقد أُفقيته لما فيه من الفائدة.

من هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التوبة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنِّي أتوب إليه في اليوم مائة مرة»، رواه مسلم في «صحيحه» عن الأعرابي يار المُرزبي رضي الله عنه.

وقال أيضاً: «إن الله يسقط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويسقط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»، رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقال: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»، رواه أحمد، والترمذي وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو حديث حسن.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إنِّي جرمْتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلُّكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلُّكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم؛ يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»، رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

فهرس الكتاب

- مقدمة التحقيق

٢٣ - ٥

- مقدمة المؤلف

٣٧

ذكر التوابين من الملائكة عليهم السلام

١ - قصة هاروت وماروت ٣٩

ذكر التوابين من الأنبياء عليهم السلام

٢ - توبة آدم عليه السلام ٤٨

٣ - توبة نوح عليه السلام ٥٣

٤ - توبة موسى عليه السلام ٥٥

٥ - توبة داود عليه السلام ٥٨

٦ - توبة سليمان عليه السلام ٦٥

٧ - توبة يونس عليه السلام ٧٠

ذكر التوابين من ملوك الأمم الماضية

٨ - توبة طالوت عليه السلام ٧٦

٩ - توبة ابن ملك من ملوك بني اسرائيل ٧٨

١٠ - توبة صاحب الخورنق ٨١

١١ - توبة ملك من الملوك ٨٤

١٢ - توبة امرئ القيس الكندي ٨٦

١٣ - توبة ملك من ملوك اليمن ٨٨

١٤ - توبة ملك من ملوك بني اسرائيل ٨٨

١٥ - توبة ملك من ملوك بني اسرائيل ٨٩

١٦ - توبة حفيد نبي هو ولد عابد ٩٠

١٧ - توبة ملك من الملوك وقوم لا يعبدون الله ٩٣

١٨ - توبة ملك يقال له : كنعان وقومه من بعده ٩٤

ذكر التوابين من الأمم

١٩ - توبة قوم موسى عليه السلام ٩٨

٩٩	٢٠ - توبة قوم يونس عليه السلام
١٠٣	٢١ - توبة قوم نبي من الأنبياء
	ذكر التوابين من آحاد الأمم الماضية
١٠٥	٢٢ - توبة أصحاب الغار
١٠٨	٢٣ - توبة الكفل
١٠٩	٢٤ - توبة العابد والمرأة البغي
١١٠	٢٥ - توبة القصاب
١١١	٢٦ - توبة صاحب الرغيف
١٢٢	٢٧ - توبة راهب من بني اسرائيل
١١٣	٢٨ - توبة عابد من العبد
١١٣	٢٩ - توبة ذي الرجل
١١٤	٣٠ - توبة برخ العابد
١١٥	٣١ - توبة العبد العاصي
١١٦	٣٢ - توبة شاب مسرف على نفسه
١١٧	٣٣ - توبة رجلين من بني اسرائيل
١١٧	٣٤ - توبة عاص من العصاة
١١٨	٣٥ - توبة الخارج من القرية الفظالمة
١١٩	٣٦ - توبة من قتل مائة نفس
١٢١	٣٧ - توبة لص من بني اسرائيل
١٢٢	٣٨ - توبة ثلاث بنات من البغايا وغواة قرية
١٢٣	٣٩ - توبة صاحب فاحشة

أخبار التائبين من أصحاب رسول الله ﷺ

١٢٦	٤٠ - توبة أبي خيثمة رضي الله عنه
١٢٧	٤١ - توبة مخشي بن حمير
١٢٧	٤٢ - توبة كعب بن مالك رضي الله عنه
١٣٦	٤٣ - توبة أبي لبابة رضي الله عنه
١٣٨	٤٤ - توبة أبي هريرة - رضي الله عنه - عن فتواه في امرأة زانية
١٣٩	٤٥ - توبة ثعلبة بن عبد الرحمن رضي الله عنه
١٤٢	٤٦ - توبة عمرو بن مالك الرؤاسي رضي الله عنه
١٤٣	٤٧ - توبة غني من أغنياء الصحابة

- ١٤٤ - توبة أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه
 ١٥٠ - توبة عبدالله بن الزُّبَيْرِ رضي الله عنه
 ١٥٢ - توبة هُبَارِ بن الأسود رضي الله عنه
 ١٥٤ - توبة عكرمة بن أبي نُجَهِل رضي الله عنه
 ١٥٦ - توبة سهيل بن عمرو والحارث بن هشام رضي الله عنهما
 ١٥٨ - توبة الأنصار رضي الله عنهم
 ١٦١ - توبة أبي محجنٍ الثُّفَيفِي رضي الله عنه
 ١٦٦ - توبة طليحة بن خويلد رضي الله عنه

ذكر التَّوَابِينَ من ملوك هذه الأُمَّة

- ١٧٠ - توبة ذي الكَلَّاع
 ١٧١ - توبة امير وتاجر
 ١٧٥ - توبة ملك من ملوك البصرة
 ١٧٧ - توبة ملك من ملوك البصرة وجاربه
 ١٧٩ - توبة أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان
 ١٨٠ - توبة غَضِيضُ أُمّة هشام بن عبد الملك
 ١٨٢ - توبة الأمير حميد بن جابر
 ١٨٣ - توبة ابراهيم بن أدهم
 ١٨٨ - توبة شقيق البلخي
 ١٨٩ - توبة عبدالله بن مرزوق
 ١٩٠ - توبة جعفر بن حرب
 ١٩٢ - توبة هارون الرشيد
 ١٩٨ - توبة ابن هارون الرشيد
 ٢٠٠ - توبة علي بن العَامُومِ والعَامُومِ
 ٢٠٧ - توبة موسى بن محمد بن سليمان الهاشمي
 ٢١٣ - توبة جعفر البرمكي
 ٢١٤ - توبة جارية من بنات الكبار
 ٢١٦ - توبة الواثق بالله وابنه المهتدي بالله

ذكر سبب توبة جماعة من الأُمَّة رحمه الله عليهم

- ٢٢١ - توبة حبيب أبي محمد
 ٢٢٢ - توبة زاذان الكِنْدِي

٢٢٣	٧٦ - توبة مالك بن دينار
٢٢٥	٧٧ - توبة داود الطائي
٢٢٦	٧٨ - توبة الفضيل بن عياض
٢٢٨	٧٩ - توبة علي بن الفضيل بن عياض
٢٢٩	٨٠ - توبة بشر بن الحارث الخافى
٢٣٠	٨١ - توبة عشرة فتيان وعشرة أحداث
٢٣١	٨٢ - توبة رجل من طغيانه
٢٣٢	٨٣ - توبة تاجر من تجار بغداد في الوقعة من الناس
٢٣٤	٨٤ - توبة أبي عبد رب
٢٣٦	٨٥ - توبة القعنبى
٢٣٨	٨٦ - توبة عكبر الكردي
٢٣٩	٨٧ - توبة صدقة بن سليمان الجعفري
٢٤٠	٨٨ - توبة ذي النون المصري
٢٤٢	٨٩ - توبة سكران
٢٤٣	٩٠ - توبة امرت عش
٢٤٤	٩١ - توبة عبد الرحمن القس
٢٤٥	٩٢ - توبة أبي الحارث الأولاسي
٢٤٦	٩٣ - توبة أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي عن اعتقاد المبتدعة
٢٥٠	٩٤ - توبة أبي الحسن الهرقاني عن مذهب المتكلمين أخبار جماعة من التوايين
٢٥٢	٩٥ - توبة منازل بن لاحق
٢٥٥	٩٦ - توبة امرأة من دومة الجندل عن عمل السحر
٢٥٧	٩٧ - توبة شاب عن اللهو واللعب
٢٥٨	٩٨ - توبة شاب عن الإنهماك في الدنيا
٢٦٠	٩٩ - توبة جندي صاحب قصر عن الغناء والملاهي
٢٦١	١٠٠ - توبة رجل من أعوان السلطان عن الفواحش
٢٦١	١٠١ - توبة فتى من الازدكان عن التأث والتخث
٢٦٤	١٠٢ - توبة امرأة وهي تطوف حول الكعبة
٢٦٤	١٠٣ - توبة رجل عما جنت يده
٢٦٥	١٠٤ - توبة ملهي أهل المدينة عن اللهو على يد والدته
٢٦٦	١٠٥ - توبة دينار العيار عن المعاصي على يد والدته

- ٢٦٧ ١٠٦ - توبة رجلٍ عن حبِّ جاريته المغنية التي شغلته عن الله
- ٢٦٨ ١٠٧ - توبة شابٍ وامرأته على يدِ سري السَّقَطِي
- ٢٧٠ ١٠٨ - توبة امرأةٍ بارعة الجمال أرادت أن تقتلَ الربيع بن خثيم
- ٢٧١ ١٠٩ - توبة جازٍ لأحمد بن حنبل
- ٢٧٢ ١١٠ - توبة أبي عمر بن علوان عن نظرةٍ إلى امرأةٍ
- ٢٧٣ ١١١ - توبة فتىٍ شابٍ وجاريةٍ جميلةٍ أحبَّ كلَّ منهما الآخر
- ٢٧٥ ١١٢ - توبة رجلٍ عن الشرابِ والعودِ بسماعِ آياتِ من القرآن
- ٢٧٦ ١١٣ - توبة شيخٍ مُهَلَّبِيٍّ وجاريته عن الشرابِ والضربِ بالعود
- ٢٧٩ ١١٤ - توبة اعرابيٍ لسماعِ آيةٍ من القرآن
- ٢٨٠ ١١٥ - توبة أميرٍ من امراءِ الأعرابِ بسببِ الصوم
- ٢٨١ ١١٦ - توبة لبيبِ العابدِ عن قتلِ الحَيَّاتِ
- ٢٨٣ ١١٧ - توبة المعتصمِ ورجوعه عن قتلِ نعيمِ بن جميل
- ٢٨٤ ١١٨ - توبة لصٍّ من اللصوصِ عن التعرُّضِ للناسِ
- ٢٨٥ ١١٩ - توبة يوسف بن اسباط على يدِ شابٍ كان يعملُ نَبَاشاً
- ٢٨٦ ١٢٠ - توبة نَبَاشٍ عن نبشِ القبورِ
- ٢٨٧ ١٢١ - توبة شابٍ مسرفٍ على نفسه على يدِ ابراهيم بن أدهم
- ٢٨٨ ١٢٢ - توبة صاحبِ مقفأةٍ على يدِ شابٍ دمشقي
- ٢٩٠ ١٢٣ - توبة عاصٍ في جوفِ الليلِ وموته لسماعِ آيةٍ من القرآن فيها ذِكرُ النارِ
- ٢٩١ ١٢٤ - توبة امرأةٍ عن الغناءِ والعودِ وتوبة مولاهما على يدها

ذكر خير جماعة ممن أسلم

- ٢٩٦ ١٢٥ - توبة أبي اسماعيلِ النصراني وإسلامه
- ٢٩٧ ١٢٦ - توبة شابٍ نصراني وإسلامه
- ٢٩٩ ١٢٧ - توبة عابدٍ صنم وإسلامه
- ٣٠١ ١٢٨ - توبة مجوسيٍ وإسلامه وأهل داره
- ٣٠١ ١٢٩ - توبة يهوديٍ مُحِينٍ وإسلامه
- ٣٠٢ ١٣٠ - توبة مجوسيٍ كريمٍ وإسلامه مع أولاده ورهطه
- ٣٠٢ ١٣١ - توبة مجوسيٍ بغداديٍ وإسلامه مع ابنته وابنته وكثيرٍ من أصحابه
- ٣٠٣ ١٣٢ - توبة طيبِ نصرانيٍ مُحِينٍ وإسلامه
- ٣٠٥ - من هدي القرآن الكريم في التوبة
- ٣٠٦ - من هدي رسول الله ﷺ في التوبة